

اذكروا كلامي

رؤى في الرعاية

المطران جورج خضر

تعاونية النور الأرثوذكسية
للنشر والتوزيع م.م.

اذكروا كلامي

رؤى في الرعاية

المطران جورج خضر

اذكروا كلامي

رؤى في الرعاية

المطران جورج خضر

تعاونيّة النّور الأرثوذكسيّة
للنّشر والتّوزيع م.م.

تعاونيّة النور الأرثوذكسيّة للنشر والتّوزيع م.م.

أنجزت مَطبعة الينبوع طباعة هذا الكتاب
في شهر أيار ٢٠١٠
هاتف: ٠١/٢٥٠٧٣٦

مقدّمة

هذا كتاب جديد يضم مقالات وكلمات للمطران جورج (خضر) تتناول الكهنوت والرعاية وتغطي خمسًا وخمسين سنة من عمله الرعائي، إذ يعود أقدمها، وهي عظة، بعنوان «لأجْلهم أُقدّس ذاتي»، إلى ١٩ كانون الأول ١٩٥٤، تاريخ رسامة المطران كاهنًا، في الكاتدرائية المريمية بدمشق.

وقد بُوّبت الكلمات والمقالات المكوّنة لهذا الكتاب في جزءين. يضم الجزء الأول المقالات التي كتبها المطران جورج خصيصًا لمجلة النور، ما بين العامين ١٩٩٥ و١٩٩٧، والتي تضمنت خلاصة خبرته الرعائية، والأسس التي يجب أن تُراعى في إعداد الكهنة وفي اختيارهم، ونصائح وتوجيهات عامة تساعد هؤلاء على تفعيل خدمتهم الرعائية.

أما الجزء الثاني من الكتاب، فيشتمل على نصوص ذات طابع خاص موزعة على ثلاثة

أقسام. يضم القسم الأول الكلمات التي ألقاها المطران في مناسبات كهنوتية شخصية. معظم هذه الكلمات مكتوب، وبعضها شفوي منقول عن آلة التسجيل، وقد راجعها صاحبها قبل إعدادها للنشر. ويشمل القسم الثاني رسائل وعظات مكتوبة وُجّهت إلى أساقفة وكهنة بمناسبة انتخابهم أو رسامتهم أو تكريمهم. أما القسم الأخير فيتألف من ثلاثة فصول تضمّ العظات الشفوية التي ألقاها المطران في رسامات الشمامسة والكهنة والأساقفة خلال السنوات الأربعين الماضية. وقد نُقلت هذه العظات عن آلة التسجيل، وقام الأب ملحم (الحوراني) بتنقيحها وإعدادها للنشر بعد أن أضيف لكل منها عنوان يتناسب ومضمونها.

يُنشر هذا الكتاب بمناسبة الذكرى الأربعين لانتخاب المؤلف مطرانًا على أبرشية جبيل والبترون وما يليهما (جبل لبنان). وهو يأتي عربون شكر وتقدير لراعٍ سعى جاهدًا، في حدود بشريته، أن يكون على صورة الراعي الصالح. وقد تابع تقديس ذاته في سبيل الرعية التي أُوكلت إليه، فرأى كثيرون من خلاله الله، لأنهم أُعطوا راعيًا استطاع أن يقول لهم كما بولس الرسول: «اقتدوا بي كما أقتدي أنا بالمسيح» (١كورنثوس ١١: ١). «أنا أَعطيتُ بنفسي وللناس جميعًا نموذج الإنسان المذبوح منذ ستين سنة في هذه الكنيسة... أنا أَعطيتُ هذه الكنيسة مثلاً وبهذا أفتخر، أني لم أطلب امتيازًا لنفسي خلال ستين سنة».

ويختصر عنوان الكتاب، «اذكروا كلامي»، المأخوذ من عظة للمطران تستوحي كلام السيد في خطاب الوداع، الغاية المرجوة في جمع المقالات والعظات في كتاب، عَنيتُ الإحاطة بفكر المطران جورج (خضر) الرعائي، وتذكير المؤمنين، والرعاة منهم بنوع خاص، بضرورة تطبيق هذه الكلمات، وتفعيلها، وبحيث لا تُنسى، «لأنها ليست كلماتي، وأنا لست بشيء، أنا أخذتها من كتاب الله وقرأتها اليوم عليك».

ويتناول الكتاب متطلبات الرعاية الحق والمواصفات التي يجب أن تتوافر في الرعاة فيما هم يسعون ليكونوا على صورة الراعي الصالح. فلا يتوانى المطران في تذكير المشرطَنين، عظةً تلو عظة،

بأنهم حصرًا وتحديدًا خُدّام للكلمة، ورسُل الوداعة والبساطة والتواضع، وغَسَلة أرجل الرعية، وأيقونات حية للمسيح، «فمن لم ير الله مرتسمًا على وجه الكاهن لا يمكن أن يتخذه راعيًا». ولذلك يحضّ المطران الرعاة على أن يحفظوا أنفسهم من الدنس «لأن المدنّسين لا يستطيعون أن يقولوا كلام الله»، ولأن «كل عيب في الإكليريكي يدمّر كنيسة الرب، وكل خطيئة يقترفها كاهن تعود بالسوء على إخوته الكهنة جميعًا». كما يدعوهم إلى التواضع حتّى محق الذات والتوحُّد مع الأرض لخلاص الرعية التي «كل فرد فيها وعدُ إله». فالرعية «دائمًا تُميّز بين الكاهن الذي يعطي دمه والكاهن الذي لا يعطي شيئًا». لذلك «فمن لا يُقدّرك كاهنًا قَبْلَ أنت رجليه، لكي يعرف أنك كاهن. قَبْلَ ذلك لا يستطيع أن يعرفك».

ويتوجَّه الكتاب إلى أشخاص يعرفهم المطران ويسمّيهم بأسمائهم. وهو يخاطبهم بأُبوّة ونبوّة. فيضيء على مواهبهم من جهة، ويُذكّرهم بما ينقصهم أو ينبهّهم إلى الأخطار الروحية التي يمكن أن تهدد خِدْمتهم من جهة أخرى. ولذا تراه يُنبّه كاهنًا عالِمًا من «كبرياء العلماء»، ويدعو واحدًا صار في «قراءة الكلمة خبيرًا بأن يُترجم الإنجيل بسلوكه»، ويحضّ آخر لم يتلقَّ تعليمًا لاهوتيًا جامعيًا بأن «يُعوّض بالقراءة الموصولة ما لم يستطع تحصيله في جامعة». كما تجده يدعو كاهنًا معروفًا بالشدة بأن «يكون دقيقًا في التعليم ولطيفًا في المعاملة»، ويطلب من آخر يعمل في العالم بأن «يعكف على عمله عُكوفه على الصلاة، فكلٌّ منّا راعٍ حيث حَلّ». وكذلك فهو يحذّر راهبًا من أن يرى نفسه يرتقي «فأنت في أسفل السلّم دائمًا»، ويُنبّه كاهنًا اختار حياة البتولية بألا يشتهي الأسقفية لأن «الأسقفية مجد باطل لمن اشتهاها»، ويُذكّر آخر رُسم على قرينته بأن لا مكان للعائلية في الكنيسة «لأن المؤمنين ينتمون كلهم إلى عائلة الآب». وأطروحةُ المطران الكبرى إلى كل إكليريكيّ أن مَن عَبَر بالشموسيّة، أي بوظيفة الخدمة، إلى القسوسية أو الأسقفية يجب ألاّ يبرح من ذهنه أنه يبقى خادمًا: «لا تنسَ أنك، كاهنًا، ستبقى خادمًا»، «ما أرجوه أن تبقى على روحانية الشماس طوال حياتك مهما تقلّبَتْ عليك المسؤوليات في الكنيسة»، «هذه الخدمة تُرافق كل إكليريكيّ».

والمطران، وإن كان يتوجّه إلى الرعاة بشكل خاص في هذا الكتاب، فهو لا يستثني الرعية من تعليمه فيذكّرها بأن من واجبها رعاية رعاتها أيضاً لأن الرعاية عملية ثنائية بحيث إن «الكاهن راعٍ ومرعيّ بآن». وهو يحضّ المؤمنين على أن يتعهّدوا رعاتهم ويصبروا عليهم ويُحيطوهم بالمحبة. كما ينبّههم بألا يُحصوا خطاياهم أو يكونوا لهم بالمرصاد أو يتكتّلوا ضدهم لأن في هذا دماراً للكنيسة. وهو يوصي المؤمنين أيضاً بألا يبخلوا بالمال على رعاتهم لكي لا تصبح المادة همًّا من همومهم فينشغلوا بغير الإنجيل وينصرفوا عن تربية نفوسهم والرعايا التي أُوكلت إليهم.

والكتاب دعوة إلى كل راعٍ بأن يطبّق ما جاء فيه من وصايا وبأن يعيش كل يوم كأنه يوم رسامته، لأن الكاهن، بحسب خبرة المطران، «يكاد يكون كل شيء في الرعية، أي إنه يدفعها إلى الفتور أو الجحود والإهمال والتنحّي عن كنيسة الله، أو يضعها في قلب الله». «فالكهنة والأساقفة أولاً هم الذين يقتلون الناس روحيًا أو يُحيونهم بالروح القدس».

«اذكروا كلامي» شهادة حياة عن عمل المطران جورج في الرب قد خطّها صاحبها بعرق ودموع طيلة سني خدمته الكهنوتية. إنه الكتاب المرجع لكل راعٍ يسعى إلى أن يحفظ كهنوته نقيًا وبغير دنس لكي تتلألأ الكنيسة ويَغلب المسيحُ العالم.

جورج غندور

الجزء الأول

القسم الأول:

في الكهنوت



هل من دعوة كهنوتية؟

في مجالسنا يميزون بين الكاهن المرتزق والكاهن المدعوّ، ويريدون بذلك أنّ ثمة من رصف نفسه مع خدام الهيكل متعيّشا، وهناك من أقامه الله حافظا لميراثه. والسؤال الذي يطرح نفسه هو هل يتكلم الكتاب الالهي عن دعوة كهنوتية من حيث إننا نعرفها من ميل إلى الخدمة يكون الرب نفسه مختارا رجلا ليقوم بها؟ ولعل كلمة «دعوة» جاءتنا من الغرب وفيه أن الله يوحي اليك شخصيا انك مختاره، وانه لا يحق لك ان ترفض هذا الصوت، وأنك خاطئ إن رفضت. وما من شك أن الغرب يمازج بين الميل إلى الكهنوت والميل إلى الرهبانية، وأن شيئا من «الدعوة الكهنوتية» هو الدعوة إلى البتولية. وبالتالي تكون موهبة البتولية شرطا من شروط الكهنوت.

نحن نميز بين الكهنوت والرهبانية تمييزا واضحا شديدا لأن الكاهن الأرثوذكسي «مأخوذ من بين الناس» (عبرانيين ٥: ١) ولا يخامر كهنوته موهبة البتولية. انه يعيش في وسط الجماعة ويشاطرها حالة اساسية فيها

مجلة النور،
العدد الأول،
سنة ١٩٩٥.

وهي حالة الزواج. وضعه السيكولوجي كوضع الرعية وتوجيهه لها يفرض انه يفهمها من داخل خبرتها. فإذا ما عزلنا الرهبانية عن الكهنوت كما فعل التاريخ الأرثوذكسي كله، ماذا يبقى من عناصر الدعوة الكهنوتية؟ هنا يستشهد الكثيرون بكلام الرسول في حديثه عن عظيم الكهنة عند اليهود عندما يقول: «ما من احد يتولى بنفسه هذا المقام، بل من دعاه الله كما دعا هارون» (عبرانيين ٥: ٤)، ويُسقطون هذا القول على الكاهن المسيحي. والحقّ أن هذا الكلام ما كان الا تمهيدا عن كهنوت المسيح بالذات اذ قال كاتب الرسالة بعد هذا الكلام: «وكذلك المسيح لم ينتحل المجد فيجعل نفسه عظيم كهنة» (٥: ٥).

أجل، انه لشرعيّ أن نُسقط كهنوت المسيح على كهنوت الخدمة في القُسُس ولا سيما أن السيد جعله الآب كاهنا على الصليب، والكاهن المسيحي يُقيم ذبيحة الصليب إياها اذا أقام سر الشكر. مع هذا لا يبدو أن اللاهوت الشرقي اعتبر ما سُمّي الدعوة الكهنوتية صوتا داخليا لا تسوغ مقاومته. غير أنّ ثمة تعليما كتابيا واضحا عن اختيار الرسل: «لم تختاروني انتم بل انا اخترتكم وأقمتكم لتذهبوا...» (يوحنا ١٥: ١٦). هذا تأكيد لما جاء في الأناجيل الأربعة عن دعوة يسوع للتلاميذ. لم يأت احد منهم من تلقاء نفسه. المبادرة هي دائما للنعمة. وهذا استمرار لتعليم العهد القديم: «إياكَ اختارَ الربُّ إلهك لتكون له شعبَ خاصته من جميع الشعوب» (تثنية الاشتراع ٧: ٦). نجد الفكرة نفسها في اشعياء وفي عاموص. في مرقص ٣: ١٣ نقرأ: «وصعد الجبل ودعا الذين أرادهم فأقبلوا اليه». في لوقا: «أحيا الليل كله في الصلاة لله. ولما طلع الصباح دعا تلاميذه، فاختار منهم اثني عشر سمّاهم رسلا» (٦: ١٢). عندنا هنا دعوة إلى الجماعة كلها واختيار الخاصة. ولكن هل ينطبق هذا على الكهنة، والرسول -كما يوضح ذلك كل التراث الارثوذكسي- لم يكن أسقفا ولكن الأسقف خليفته؟ فلا الرسول أسقف ولا الأسقف رسول.

الكتاب يتكلم عن عطاء إلهيّ يجعل الانسان كاهنا. «أُنبهك على أن تُذكّي هبة الله التي فيك بوضع يدي» (٢تيموثاوس ١: ٦). والحديث هنا عن تيموثاوس الذي أقامه بولس خادمًا محلّيًا. وما

ينفيه استعمال الرسول لكلمة «هبة» أن الانسان يأخذ الكرامة الكهنوتية لمجرد دراسة أو تهيؤ نفسيّ. لا يقول بولس ان وَضْع يديه جاء نتيجة ما لاحظه عند تيموثاوس من استعداد، ولكنه يقول ان الهبة جاءت بوضع الأيدي. هذا لا يعني أن الهبة تنشأ آليًا بمجرد الرسامة فهناك تربة يزرعها الله، ولكن هذا لا يعني أن القابلية البشرية مهما عظمت تستمطر العطاء الإلهي. «النعمة الالهية التي للمرضى تَشفي وللناقصين تُكمّل هي تنتدب فلانا من الشموسية إلى القسوسية». هذا قريب جدًا من كلام بولس إلى تيموثاوس في رسالته الأولى اليه: «لا تُهمِل الموهبة الروحية التي فيك، تلك التي نلتَها بالنبوّة مع وضع جماعة الشيوخ أيديهم عليك» (٤ :١٤). النبوة تشير إلى إلهام الروح القدس للمشيخة. بولس لا يفصل هذا الإلهام عن وضع الأيدي. ولكن ليس عندنا هنا كلام عن انشداد روحيّ أو عاطفيّ للكهنوت يجعل الأسقف مضطرا أن يلبّي من يقول له: «انا أُحسّ بأن الله يدعوني فتعال ارسمني، أو أنا قررتُ أن أُكمّل حياة التوبة بأن أصير كاهنا».

الكهنوت ليس وساما لأحد ولا هو تكريس أو دمغة لتوبة فرد. التوبة الكبيرة تبقى داخلية أو تقود صاحبها إلى الدير. الكهنوت يعطى من اجل الجماعة بوعي الجماعة والأسقف وبنزول إلهام عليهما.

ما كان يجري في هذه البلاد عند موت كاهن أن الرعية كانت تُزكّي أحد أعضائها ليخدمها. في حالة الصفاء والنقاوة الحقيقية وفي ذوق الشعب للمسيح يقول هذا الشعب للأسقف: «نحن نرى في الروح أن أخانا فلانا مستحق». اجل هناك من أساء إلى الكنيسة بتقديم هذا الانسان أو ذاك للقسوسية، وتلاعَبَ الناس بقدسية الرسالة وضغطوا لغايات في نفوسهم على المطارنة، وضَعفَ بعض المطارنة أحيانًا أمام جمهور متحزّب لا علاقة له بالشأن الروحي. غير أن الأصول باقية وهي أن شعب الله يُحسّ بالإلهيين فيه ويكشفهم للمسؤول. هنا الشعب يكون ترجمان الروح القدس. اما اذا نسيَتِ الجماعةُ المحلية ربها فقدّمت انسانا لا أهلية فيه ولا معرفة ولا تقوى، فواجب رئيس الكهنة أن يقاوم حتى الأخير. فالنعمة النازلة بوضع الأيدي لا تُبدّل الرجل السيء تبديلا، والفضائل لا تتفجّر في احد لمجرد قبوله في القسوسية. النعمة لا تَقهَر احدا.

من هو الذي يختاره الأسقف الواعي؟ انه يختار الانبياء، أنبياء العهد الجديد الذين ألهبهم الرب بحبه. الحق ان الشرطونية (أو الرسامة) لم تكن إقامة احد في الخدمة الا لأنها كانت كشفا لنبوّة قائمة في الشخص. «يا ابن الانسان، كُلْ ما انت واجد، كُلْ هذا السِفْر واذهب فكلّمْ بيت اسرائيل... يا ابن الإنسان أطعم جوفك واملأ أحشاءك من هذا السِفْر الذي انا مُناولُك» (حزقيال ٣: ١-٣). لا يدعو الله إلا من يقدر أن يقول له هو: «انظُرْ، اني أَقمتك اليوم على الأمم وعلى الممالك لتقلع وتهدم وتُهلك وتنقض وتبني وتغرس» (إرميا ١: ١٠).

الشرط الوحيد الواضعه الله في قلبه ليدعو هو أن يكون الانسان نبيا بحيث إنه يرى قضية الله ساطعة في كل مناسبة أو أزمة أو وضع في حياة الكنيسة جمعاء وحياة الرعية الخاصة وروح المؤمن الذي يتعهّده هو. النبي هو الانسان الذي لا يستطيع الا أن يُزعزع تاريخ الناس وأحوالهم لأنه ينطق بما عاين وسمع ولمسته يداه من جهة كلمة الحياة ولا يستطيع أن يُخفي النار في جوفه. يريدها أن تلتهم الكون.

ما عدا ذلك ترتيبات إكليريكية تافهة، حكمة بشرية مضلّة. والنبيّ يعرف النبيّ. من هنا أن الأسقف الجالس على سدّة النبوّة يشاهد بالروح الذين له ويختارهم لخدمة يلتهب صاحبها فيها ويُضرم بها الكون.

والنبوّة تُماشي التعليم الصحيح وتنقل الوديعة بالروح. ومن هنا ضرورة المعرفة لِما «دُفع مرة للقديسين». النبوّة تستدعي العلم ولا يستدعيها. انها تُنبئ بكلمة الله وليس بكلام بشريّ. فليس من موهبة بلا مضمون لاهوتيّ واستقامة لاهوتية. والنبوّة تَمتحن صدقها المعرفةُ ما في ذلك ريب.

هناك دعوة بالتالي تبدو لا برؤى ولا بمعجزات ولا انخطافات. الانفعال والاختلاج العاطفي ليسا إمارة من إمارات الدعوة. انها معمودية النار التي إنْ شوهدت تنقل صاحبها إلى كهنوت ليس هو بمرتبة أخرى أو مجال آخر عن النبوءة. انه إعلانها.

أفهم انه من الأيسر أن يقال ان الدعوة الكهنوتية هي في قداسة الحياة. صح أن لا نبوءة بلا قداسة. فأعظم إعلان لمتطلبات الله هو أن تموت لأجلها. ولكن طهارة الحياة ليست الغيرة كلها التي

تُضرم القلب. النبوءة تتّجه إلى الآخرين وتقضّ مضاجعهم. انها تتضمن الطهارة، والطهارة لا تتضمنها بالضرورة. صحيح أيضاً ما جاء عند ديونيسيوس الآريوباغي المنحول أن المستنير (روحيا) يصير كاهنا اذا أدركْنا أن النور والنار واحدة بالعربية.

كهنة جدد يكونون جمرا بعد نار اتّقدت هم وحدهم حضور المسيح.

الكاهن متزوّج أم عازب؟

هذا سؤال لم يرد تاريخيا في الكنيسة الشرقية. هي لم تعرف الا الكاهن المتزوج، ولم يألف وجدان الشعب المؤمن سواه في كل الكراسي، وما عرف البتولية الا في الأديرة. وما شاهدت الرعايا كهنة غير متأهلين الا في اليونان لمّا تشرّد رهبان جبل آثوس في القرن السابع عشر إثر اضطهاد العثمانيين لهم فهربوا وسكنوا المدن. والكاهن العازب في اليونان اذا وُجد في الرعايا يكون لابسا الإسكيم الرهبانيّ سابقًا. ومن نراهم اليوم من شمامسة وقسس عازبين في القسطنطينية ساكنين شققا لهم فهذا من قبيل إعدادهم للأسقفية في كرسيّ لم يبق فيه سوى ثلاثة آلاف أرثوذكسيّ في استانبول. واما الكرسي الأنطاكي فكان كل رؤساء الكهنة فيه في الثلاثينات من هذا القرن رهبانا جميعا. وبعد هذا بقي بعض القسس على البتولية شبه رهبان في المطرانيات لأن أديرة الرجال اندثرت جميعا، وقد جعلهم العُرف موآزرين للمطارنة على رجاء إعداد الأفضلين منهم للأسقفية، ولكن لم يقبل الوجدان الأرثوذكسي العام أن يكونوا خَدَمة للرعايا. أن يكونوا في المطرانيات بلا إسكيم فهذا استحداث في تراثنا نحن.

مجلة النور،
العدد ٣،
سنة ١٩٩٥.

لا يعرف تراثنا القديم رؤساء كهنة إلا مَن اختير من الأديرة، وقد تحدّثت كُتُبنا القديمة المخطوطة عن أن البطريرك نفسه كان بالإمكان أن ينتخبه المجمع من الرهبان لا من المطارنة العاملين.

ما هي الصورة في العصر الرسولي؟ لم يكن ثمة كنائس مبنية بل كانوا يجتمعون في البيوت المنفتحة للضيافة. وكانت الضيافة صفة من صفات الشيوخ والأساقفة (١تيموثاوس ٣: ٢). فالكنيسة من حيث هي تجمُّع كانت مرتبطة ضرورة بالعائلة. ولذلك قال الرسول ان الأسقف (في ذاك الزمان الكلمة تعني رئيس جماعة) ينبغي أن يكون زوج امرأة واحدة... يُحْسن رعاية بيته. رؤساء الجماعات كانوا في مواقع رؤساء البيوت الواسعة.

هؤلاء لم يحسبوا أنهم مقيّدون بنداء المخلّص القائل عن بعضٍ من تلاميذه: «هناك خصيان خَصَوا أنفسهم من أجل ملكوت السموات» (متى ١٩: ١٢). هنا لم يقل السيد انه يُؤْثِر أولئك التلاميذ الذين بقوا بلا زواج على بطرس الذي نعرف أنه كان متزوجًا. ولا شيء يدلّ على أن معظم التلاميذ الذين كانوا من جيل السيد كانوا عازبين. اليهوديّ يتزوج في سن مبكرة. ولكن مهما يكن مِن أمرِ تفسيرنا لهذه الآية، لم تؤسس الكنيسة عليها وضع الإكليريكيّ. الكنيسة رأت أن الذي يلتزم ملكوت السموات بمعنى أنه لا يلتزم هذا العالم هو الراهب. فلكونه يستبِقُ الملكوت ينقطع عن الزواج الذي يخصّ الدهر الحاليّ ولا يكون له تعبير حسّي في الحياة الأُخروية.

وقد فرّقت الرهبانيةُ نفسَها عن الحياة الإكليريكية تفريقًا جذريًا حتى قال القديس كاسيانوس الروميّ: «إن الراهب يجتنب المرأة والأسقف». انه لا يخالط هذا الأخير حتى لا يُغرى بالانتماء إلى الحياة الإكليريكية. فالإكليريكيّ شيء والراهب شيء آخر، وقد تسامحت النصوص النسكية عندنا أن يُشرطَن فقط عدد قليل من الرهبان ليقوموا بالخدمة الإلهية في الدير.

ومهما يكن من أمر الرسل في زواجهم أو بتوليتهم، فلم تعكس الكنيسة شيئًا من أوضاعهم على حياة الإكليروس في الجماعات الأولى، فإن الأساقفة والقسس ليسوا رسلاً كالإثني عشر. ولقد أبان اللاهوتيون المعاصرون أن الاساقفةَ خلفاءُ الرسل، وأن الرسل لم يكونوا أساقفة لأن الأسقف

تحديدا مرتبط بكنيسة محلية والرسول كان في الانتشار البشاريّ. نحن في الشرق لم نتعاطَ فكرا يقول انه أفضل على الإكليريكي ألاّ يلتزم عائلة لكونه مخصّصا بكامل وقته لله وبكونه محترفاً العمل الكنسي. ليس من سطر واحد في أدبنا اللاهوتي والروحي يقول هذا. أضف إلى هذا أن الكنيسة في القرن الثاني في ما كتبه القديس إيبوليتس الروماني تُحرّم على الإكليريكي بعض الحِرَف وتضع له لائحة بالحِرَف الممنوعة مما يتضمن أنه يتعاطى حِرَفًا أخرى، وقد شاهَدْنا في بلادنا كهنة القرى منصرفين إلى فلاحة كرومهم أي شاهدناهم في المجتمع العادي المنتج وحياة عائلية عادية.

إلى جانب القسس كان الأساقفة متزوجين، ثم أخذت الرهبانية تؤثّر فيهم فامتنع بعضهم عن الزواج أو عن معاشرة أزواجهم، ولم يُتّخذ قرار بانتخابهم من الرهبان الا في مجمع ترولو في آخر القرن السابع. وكان سبب ذلك أن الأوقاف كانت معرّضة للسرقة من قبل أولاد الأساقفة. ولم تَقُل النصوص ان الأسقف المتزوّج يكون أكثر انشغالا بأمور عائلته.

لا الكتاب ولا التراث حتى القرن السابع أقام رباطا قانونيا إلزاميا بين أية مسؤولية إكليريكية والعزوبة. ولعلّ ما قوّى الكنيسة في أن تدعو إلى البتولية في الإكليريكية نشوء حركة الزميّين أو الإمساكيين الذين كانوا يحرّمون المرأة والخمر وأكل اللحم. وحول السنة الـ١٧٠ نبّه ديونيسيوس أسقف كنوسوس أحد زملائه ألاّ يفرض على المؤمنين نير البتولية الثقيل، ونجد قبل هذا الفكر نفسه في ما كتبه إغناطيوس الأنطاكيّ إلى بوليكرُبس.

في القرن الرابع يحرُم مجمع غنغرة الإمساكيين اذ ظهر آنذاك قوم لا يتقبّلون القرابين من أيدي كهنة متزوجين، فشدّد المجمع على قدسية الزواج وشرعية شرب الخمر وتناول اللحم.

أجل، نجد في الأدب الآبائي تفضيلا للبتولية من حيث إنها حالة ملكوتية. ولكن لا نعثر أبدا على تفاضُل بين الأشخاص المتبتّلين والمتزوّجين. وهذا كله مرتبط بملحاحية الحالة الملكوتية الموروثة من بولس الرسول الذي كان يظن أن الرب سيجيء ثانية وهو في قيد الحياة. الملكوت دائما نتوقّعه، وهاجسه يقود الكثيرين إلى هذه الحياة الملائكية بمعنى أنها حياة التسبيح الدائم، ولكن هذا التفاضُل لم

يجعل واحدا من الآباء اللاهوتيين أو النسكيين يوحي بأن النموذج الملائكيّ مفروض على الكهنة أو حتى أنه من المستحسن أن يسعى هؤلاء اليه. ولما عرض مندوب بابا رومية في المجمع النيقاوي الأول أن تُفرض البتولية على الإكليروس رفضها المجمع بصورة قاطعة.

ولعلّ ما ساعد الكنيسة أن تُباعد بين الإكليريكيّة والعزوبة كون الأدب الوثنيّ كان يكره الحَبَل والولادة والتربية ويعتبر الزواج رابطا لا يُحتمل وحِمْلا ثقيلا ومأساة مليئة بالويلات كما يشهد على ذلك أمبروسيوس وإيرونيموس وغريغوريوس النيصصي.

إن العزوبة الإكليريكية فَرْزُ الفكر الغربي الذي دشّنه في هذا المضمار البابا سيريكيوس السنة ال٣٨٥، وكان ذلك متّصلا بأزمة نشبت في رومية عندما انتقد فيجيلانتيوس البتولية ومنها بتولية والدة الإله، وعليه غادرت عذارى كثيرات الأديرة وبقي الفكر الغربيّ على ربط العزوبة بالإكليريكية حتى يومنا هذا بالرغم من أن أصواتا كثيرة ارتفعت في أيامنا ضد هذا الربط. غير أن البابوية لم تُغيّر موقفها، وكانت نتيجة ذلك أن ستين ألف كاهن كاثوليكيّ في ال٥٢ سنة الأخيرة تركوا الكهنوت ليتزوّجوا، ومنهم رهبان عديدون حسبما وردت في المراجع الكاثوليكية.

ما تقوله الكنيسة المقدسة في بحث العلاقة بين الكاهن والمرأة هو أنه لا يسوغ له اتخاذ زوجة له بعد السيامة، وتُبيح قيامه بعلاقاته الزوجية من بعد سيامته. ليس من قانون واحد يتحدث عن رغبة في العزوبة.

هذا من حيث النصوص، واما من حيث السبب الذي يقدّمه اللاتين من انصراف العازب كليا إلى الله ومن حيث إنه لا ينشغل بأمر عائلته فسبب مردود في الشرق الأرثوذكسي من بعد أن شاهدْنا حالات نادرة من العزوبة وكذلك في الغرب البروتستنتي أو الكاثوليكي. ففي الغرب، الإنتاج اللاهوتي عند القسس المتزوجين ضخم جدا عند الإنجيليين وعند الأنكليكان وعِلْمهم أوفر مِن عِلْم القسس اللاتين العادين خارج المؤسسات الرهبانية. ان الأدب التفسيري والآبائي عند الأنكليكان ورعاية أساقفتهم المتزوجين لم يَحُلْ دونها مرافقة زوجاتهم لهم.

كذلك في روسيا ومهاجر الروس التي عرفناها والأدب اللاهوتي الضخم الذي ظهر في اليونان ورومانيا وما اليهما على أيدي لاهوتيين متزوجين أثبت أن العطاء الكبير -كمًّا ونوعًا- في الارثوذكسية لم يأتِ به قسس عازبون.

ولا شيء يدلّ على أن الكاهن المتأهل عندنا هو دون العازب تقوى وطهارة واندفاعا ورسالية. ولا شيء يدلّ على أن العازب أسرع إلى موت الشهادة من المتزوج، وسيرة القديس يوسف الدمشقي خير دليل على ذلك. إن روح الفقر الإنجيلي والإقلاع عن المجد العالمي والتواضع، وما إلى ذلك من فضائل إنجيلية هي مخزون البذل، ولم نشهد أن هذه في بلدنا وعند سوانا أقوى عند مَن لم يرتبط بامرأة وأولاد. القضية قضية قلب ونزاهة نفس وعفّة في العمق. القداسة ليست حكرا على وضع شخصيّ في الزوجية أو عدم الزوجية. انها في عشق المسيح، وكم من متزوج له طراوة الطفل واحتدام حب للسيد لا يضاهيه فيه أعزب شجّعوه على العزوبة بخفّة ودلّ الاختيار أنه لا ينفع شيئًا.

والمهم في كل ذلك أن تتأمل في الوضع الرعائي جيدا. هو وضع ثبات وطمأنينة واستقرار نفسيّ وبيت يأوي اليه الكاهن. عند من يعيش العازب؟ من يهيئ له حياته المنزلية؟ هذا يعني أنه نظام لا يمكن تطبيقه الا في دُور المطرانيات. الكاهن اللاتيني الأعزب تخدمه امرأة تكون بمثابة طاهية وخادمة أو مدبّرة المنزل كما تسمّى بلغاتهم. هناك دائما امرأةٌ ما لا غنى عنها. أما مَن أراد هذا النظام في البطريركية أو المطرانية فليكن الرهبان معاونيه. وهذا هو معنى كلمة «قلاّية». انها صومعة الأسقف الذي اذا جاء من الدير يصطحب أعوانا له من زملائه الرهبان. لسنا بحاجة إلى استيراد نظام غربيّ لم نألفه في تاريخنا.

لن أستفيض في بحث الصعوبات الجمّة التي تعترض كاهنا عازبا في المدينة من حيث ممارسته الاعتراف والإرشاد وقسم كبير منهما يدور حول صعوبات تتعلق بالحياة الحميمية في العائلة لا يعرفها العازب أو ليس مفروضا أنه يعرفها. ناهيك بالاختلاط الذي تُوجبه الرعاية بالجنسين وبالأقاويل

والتحرُّك العاطفي الذي غالبا ما يستطيع المتزوّج أن يقاومه. إن شعبنا يرتاح ما في ذلك ريب إلى زيارات يقوم بها الكاهن المتزوّج في النهار أكثر من ارتياحه إلى افتقادات كاهن عازب.

هذا كله لا يعني أنه ليس من الممكن أن يتقدّم عازب بجريته الكاملة إلى الكهنوت دون أن يرتبط بدير. أمّا أن يتّخذ رئيس كهنة على عاتقه أن يشجّع أحدًا على تبنّي البتّولية فهذا ما يرفضه كليا الآباء الروحيون الكبار في الدنيا الأرثوذكسية. لم يقل واحد منهم لابنٍ روحيّ له: أنا أرى أنك قادر على البتّولية. يتركه لوحي الروح الإلهي فيه. مَن قاده الروح إلى البتّولية العظيمة فهذا سرُّه مع الله، وما عدا ذلك فلنا حكمة التراث.

الكاهن في إرشاد النساء

عندما يقول الرسول لتلميذه تيموثاوس: «كن قدوة للمؤمنين بالكلام والسيرة والمحبة والإيمان والعفاف» (١تيموثاوس ٤: ١٢)، فإنه لا يحصر العفاف في العلاقة الناضجة السوية بالنساء، ولكنه لا يُقصي هذا الجانب من العفّة. وقد واجهت الكنيسة القديمة هذه المسألة لمّا قالت ان الأسقف يخاطب النساء بحضور شمّاسة تتبع له، وان الشماسة (لا الكاهن) هي التي ترافق طالبة المعمودية (البالغة) إلى حوض المعمودية، وهي التي تتولى تعليم النساء. وفي الخدمة الإلهية في الشرق كانت المؤمنات تنعزل في بيت النساء المعروف بالشعرية وقد سُمّيت كذلك بسبب الفاصل الخشبي المشبوك. ولما أخذن بالاختلاط في صحن الكنيسة، كان المؤمنون يقفون إلى جانب والمؤمنات إلى جانب آخر.

مجلة النور،
العدد ٤،
سنة ١٩٩٥.

إشاراتٌ اندثر أكثرها ولكنها كانت تدلّ على موقف توجيهيّ في أداء العبادة. بقيت مسألة تطرح نفسها هي علاقة الكاهن –وهو متزوّج أصلاً وعُرفًا– بنساء رعيّته بدءا من الرتبة المعروفة بالصلاة على المرأة

النفساء. النص الكتابيّ عندنا يقول: «هل فيكم مريض؟ فليدعُ شيوخ الكنيسة، وليُصلّوا عليه بعد أن يمسحوه بزيت» (يعقوب ٥: ١٤). ولكن المألوف الرعائي المتّبع يُملي على الكاهن أن يذهب إلى المريض أو المريضة لكونهما يتوقّعان الصلاة. ولعل زيارة المريض المناسَبة الرئيسية للافتقاد ولا يستهجنها أحد.

اما الزيارات الرعائية فأجداها تلك التي يقوم بها الراعي إلى العائلة مجتمعةً اذ يستطيع، اذ ذاك، أن يُكلّم كل أفراد العائلة بما فيهم الأولاد عند عودتهم من المدرسة. أنا لا أُوصي شخصيا بزيارة منزلٍ تكون ربّته فيه وحدها إلا عند الضرورة ولا سيما اذا كان ثمة ما هو معروف عندنا بالعيد الممسوك وهو الذي قرّرت العائلة أن يكون عيدها من حيث هي مجموعة.

يبقى إرشاد المرأة الذي كثيرا ما يكون مرتبطا بسرّ التوبة. عن هذا لا أتكلم هنا لأنه لا يختلف في مضمونه كثيرا عن إرشاد الرجل. الخطايا هي إياها، والكلام الإلهي الذي يقال نُصْحًا وتوجيهًا هو نفسه مع أن خفرًا ما يمنع الكاهن أن يصارح المرأة الشرقية في بعض الحالات وقد لا تُصارحه هي كثيرا.

مشكلة الإرشاد تنشأ من الاتصال بالنساء خارج الممارسة لسر التوبة وقد قوي اطراحها بسببٍ من وجود جمعيات أو فرق نسائية يرئس اجتماعها الكاهن أحيانا. الإرشاد الجماعي تعليميّ ويختلف في مضمونه أو منحاه عن الإرشاد الفردي حين تطلب المرأة الاجتماع إلى الكاهن شخصيا خارج إطار الاعتراف. هذا كثيرا ما يكون عند نشوب الخلافات الزوجية. خبرتنا في هذا الحقل توحي بأن الأفضل لتقصّي المشكلات الزوجية أن يستقبل الراعي الزوجين معا إذ يتبيّن له، عند ذاك، الحق من الباطل. المواجهة تهُوّن معرفة الواقع.

ولكن، بالاستقلال عن التأزُّم الزوجيّ أو سر التوبة، قد تكون المرأة بحاجة إلى لقاء الكاهن، وقد يتطلّب الأمر أنْ تُجالسه في مكتبه أو بيته. قد يكون لديها حب الاستطلاع اللاهوتيّ أو تعتريها شكوك بالايمان لا يَقضي بالضرورة إجراء اعتراف. إن النباهة الروحية المتناهية عندنا اليوم تجعل

المرأة بحاجة إلى تقصّي المعرفة. ولكن كثيرا ما يختلط عندها السؤال العِلميّ بما هو وجدانيّ وذو طابع حميميّ. ولعلّنا جميعا، رجالا كنّا أو نساء، نُقبل إلى الأمر الديني بشقّيه الموضوعي والذاتي. إن إقبال النساء على أديار الرجال للتزوُّد بالنصح لدى مشايخ الرهبان معروف في العالم الأرثوذكسي كله، وقد رأينا هذا لدى أكابر الروحانيين في روسيا واليونان ورومانيا وسواها. ومن الطبيعي أن نلحظ اشتياق المتقدمات في الذوق الروحي إلى الاسترشاد عند كهنة الرعايا اذا ذاعت شهرة قدرتهم على إسداء المشورة.

هنا يجدر التنويه أن كل مؤمن أو مؤمنة متروك لتقديره في اختيار الأب الروحي. إن كنيستنا بقولها بعدم التلازم بين الاعتراف والمناولة أقرّت أن مَن يُناولك جسدَ الرب قد لا يكون مرشدك وإن استمع إلى اعترافك أحيانًا. ليست الرعية بالضرورة محلّ الإرشاد الشخصي وإنْ كانت محلّ التعليم، ذلك أن تختار الموجّه الذي يدلّك الروح عليه. يبدأ الخطأ اذا اعتبرت الكاهن المتوحّد بسبب هذه الصفة اكثر دراية بالأمور الروحية من الكاهن المتزوّج. هذه مواهب من الروح القدس لا علاقة لها بوضع الزوجية أو البتولية عند المرشد.

تتوطد العلاقة الإرشادية بين الكاهن والمرأة بنموّ المعرفة والحسّ الروحيّ عندهما. الكيان يسعى إلى الفهم. المهم في هذا أن يبقى كيان المرشد والمرأة سليما. أقول هذا لأن الأمر ليس بسهل. ذلك أن صلة التوجيه والتوجّه هي دائما على درجة من الحميمية. كل علاقة بشرية مثل هذه تتناول الأعماق: أخطاءنا، خطيئاتنا، توترنا الداخلي. عَرْضُ هذا كله قد يُحدث في النفس رجّة ويعطيها عزاء كبيرا. واذا نجحت الصلة مرة ومرتين وثلاثا فتجعل بين نفس المرشد والمؤمنة قربى، وقد تتوثّق القربى فتوحي للمرأة أن الكاهن مُنقذُها فيصبح عندها واحدًا أحدًا.

واذا كانت المرأة متزوجة فقد تُحسّ أن أباها الروحي هو رفيق نفسها الكبير وهو مرشّح أن يصير زوج روحها ولا سيما اذا كان زوجها الحقيقيّ بليدا، تافها أو قاسيا أو قليل الفهم الروحي. هذه الحرارة في النفس الأُنثوية مُلازِمة لوضعها الانفعاليّ. شيء من هذا يحدث عند الشاب العلمانيّ

ولا سيما اذا كان شابا كثير التأثّر برسالة الإنجيل، مأخوذا بالشطحات الروحية، موهوبا للعطاء الروحي. وجه المسيح يختلط عنده بوجه كاهنه فيصير متحزّبا له، معلّيا إياه، حتى الجنوح إلى اعتبار الكهنة الآخرين سطحيين في الحياة الروحية.

يبقى أن علاقة الشاب الغيور بكاهن «عظيم» لا يُخالطها إحساس جنسيّ. اما انجذاب المؤمنة الحسّاسة روحيا ورساليا إلى أبيها الروحي فدُونه مَزالق واضحة لكون المرأة كائنا أكثر تكاملا من الرجل من حيث عضوية الارتباط عندها بين القلب والعقل والأعصاب والجسد. وهنا لا بد أن يتنبّه المرشد إلى التحرك النفساني عند مَن تَوَلّى رعايتها ليجعل مسافة بينه وبينها ويرُدّها إلى كبح عاطفة حبٍّ قد تعيه وقد لا تعيه. ولا يكون هذا مِن قِبل الكاهن بالردع القاسي أو التنبيه المباشر إلى ما في جوارحها ولكن بوعيه هو على إظهار نفسه أبًا روحيا لا قرينا محتملا ولو في الخيال. وهذا ما لفت الرسول إلى القول: «عِظِ الشابات وعظك لأخوات لك، بكل عفاف» (١تيموثاوس ٥: ٢).

صعوبات الإرشاد للنساء صعوبات تُواجهها فئات من المجتمع مختلفة كالأطباء والمحامين. ولكن ليس من مهمة خطيرة كمهمة الكاهن، لأنه لا يتعاطى جانبا من جوانب الإنسان كمرضٍ فيه أو دعوى له، ولكنه يتعامل وعمق الكيان البشري. الخطر في الكاهن أنه يمكنه أن يصادر كيان المرأة التي يرشد حتى يحتّله احتلالا. الإغراء الكبير لديه أن يجعل مَن يسترشده خروفا له لا خروفا للمسيح. هذه اللذة بالاستيلاء على الآخرين –انطلاقا من غيرة على الله– لا تُعادلها لذة. هذا أفظع من الاستيلاء السطحي الذي يتمتّع به حاكم مستبدّ لأن هذا يَعلم أن رعاياه ليسوا له. اما ابنك الروحي الانفعالي وغير الناضج عاطفيا فيُسلّم لك قلبه. ويل لك إنْ جعلته لك. انت، عند ذاك، تختلس مكانة الله.

هذه تجربة يجب توقعها. ولذلك ينبغي أن يفرّق الكاهن بينه وبين المسيح. قد لا تقوم المرأة بهذا التفريق. هذا يتطلّب من المرشد زُهدا بنفسه وبسلطته كبيرا. هو لا تعلُّق له بأحد من رعيته. انه يعيش في صحراء العاطفة. الكاهن كالطبيب الذي ينحصر همُّه في معالجة المريض حتى اذا وصف له الدواء ينصرف عنه. الطبيب منشغل بمريضه فقط من أجل العلاج، فإذا شُفي يذهب إلى

مريض آخر. لا يطلب الكاهن حرارةً تأتيه من الرعية، فقد تُبادله الشعور الذي يسكبه فيها أو لا تُبادله. هذا همّه. تعزيته العاطفية –وقد اختار أن تكون له تعزية– هي في زوجته وأولاده. فإذا أحسّ بشعور قويّ نحو امرأة، ينصرف عنها إلى أهل بيته. لعل كنيستنا –درءًا لهذه الأخطار– لا تحب الكاهن العازب متوليا أمر الإرشاد. واذا صيّروه شمّاسا وهو فتيّ قد يُحسّ بالعاطفة نحو المرأة أو نحو امرأة بصورة صاعقة لم يكن لها مهيّأ. ولكونه لم يواجه فتاة مواجهة حقيقية في علمانيته، يحسب نفسه قادرا على البتولية وهو ليس براهب، وليس له مراس الراهب ولا نسكه العظيم. ولهذا آثر التقليد المتّبع في العصور المتأخرة حصره في البشارة والعمل الإداري عند أحد الأساقفة. إنّ وجعا مِن أوجاع كنيستنا أننا نتوهّم أن الكاهن غير المتزوج راهب. ليس هو هكذا اذ لم يتّخذ النذور. ليس هو هكذا لأن اختلاطه الكثيف بهذا العالم لا يُفسح له في مجال النسك الحقيقي. في يديه مال وفي يديه سلطة وقد لا يكون زهد في أعماقه بالدفء البشري. واذا جرّبه «شيطان نصف النهار»، وهو يُداهم الناس جميعا وهم في الأربعين أو حول الأربعين، قد يقضّ الحضور الأُنثويّ مضجعه.

هذا ليس دعوة إلى الحذر من النساء. هذا دعوة إلى الانتباه العظيم حتى يَعتبر الكاهن، متزوجا كان أَم عازبا، أنه يسلك طريق الصحراء وليس فيها هنا واحة. واحتنا الحقيقية في الملكوت الذي أعدّه المسيح لأحبائه.

الكاهن والمال

علاقة الكاهن بالمال كعلاقة أي مؤمن به. يضاف إليها موضوع راتبه من الرعية والموارد الممكنة الأخرى. أما العلاقة العامة فقاعدتها قول الرب: «ما من أحد يستطيع أن يعبد ربّين... الله والمال» (متى ٦: ٢٤). فاستقلال القلب عما نقتنيه أساسيّ في حريتنا الداخلية. المال نخشاه لكونه شهوة فاتكة تجعلنا مملوكين له. وميل الإكليريكيّ أن يجمعه لأنه قليل الموارد. يأمن به هول مستقبل مرير مع أن السيد قال: «لا تكنزوا لأنفسكم كنوزا في الأرض... فحيث يكون كنزك يكون قلبك» (متى٦: ١٩-٢١). قد لا يستتبع هذا بالضرورة في اقتصاد اليوم ألاّ يكون لدى الكاهن حساب في المصرف ما لم تكن رعيته كريمة حتى السخاء. وقد يقي الإكليريكيّ نفسه من العوز اذا عزمنا حقا على إيجاد نظام من التأمينات في كل أبرشية وسدّدنا الحاجة إلى التطبيب وتدريس الأولاد. يبقى تنبيه الرسول: «محبة المال أصل كل الشرور» (١تيموثاوس ٦: ١٠) عاصمًا.

مجلة النور،
العدد ٥،
سنة ١٩٩٥.

غير أن وصية التنزّه عن هذه الشهوة لا تبرّر رغبة الجماعة أن تُرغم

الإكليريكيّ على الفقر. فالفقر، وهو اختياريّ، يُلازم عندنا الرهبانية، وما كان كذلك لا يُفرض. أمّا قَهْرُ الكهنة على الفقر فبعيد عن الرحمة وعن العدل معًا أولاً لأن الكاهن غير راهب ويعيش في الدنيا ومن الدنيا وأنّ تَماهي كاهن الرعية والراهب ناتج من هذا الالتباس الرهيب والمؤذي بين السلكين. مَن زوّجْتَه إنسان يواجه صعوبات المجتمع، وإنْ تقشّفَ هو إلى أبعد حد فزوجته غير متقشفة بالضرورة أو غير ملتزمة بمقدار التزامه. الكاهن يدعو قرينته دعوةً ولا يزُجّها في النسك زجًّا، وهي تتحرّك في مجتمع نسائيّ عصريّ له بروزه والمتطلبات ولئن نحَتْ نحو العفّة كثيرًا والاحتشام.

أضف إلى ذلك أن الأولاد تجب تنشئتهم في المدارس التي يرتادها أولاد الطائفة والجامعات. فليس مكتوبا على من كان ابنًا لكاهن أن يكون حِرَفيا صغيرا إن كان موهوبا أو مفرط الذكاء. إن الالتماع العقليّ عند أولاد الكهنة والتماع والدتهم على المستوى الثقافي لمن شأنه أن يُظهر التنموية في عائلة الكاهن، الأمر الذي يساعد على تقدير الجماعة لعائلة الكاهن. آن الأوان لنرمي جانبا صورة الكاهن «المستور، البسيط»، الذي يكتفي بالقليل الذي يعطى من الله.

المخجل في كل هذا أن هذا كلامًا يقال أو كلاما يُفكَّر به ولا يقال ولكنه يقود المسؤولين عن معيشة الكاهن إلى تصرُّفٍ بخْلٍ بمال لا يملكونه. هناك سلوك قهّار تجاه الكهنة في هذه الرعية أو تلك يُخفي سلطوية مريضة ناتجة من أن حيازة المال الناتج من الوقف يمدّ مجلس الرعية بسلطةٍ يُساء استعمالها كثيرا. هؤلاء القوم يتصرّفون أحيانًا بأموالهم الخاصة بكرَمٍ كثير وأثاث منازلهم فخم وتتبرّج نساؤهم تبرُّج الجاهلية الأولى وقد لا يكون لهم في بيوتهم سلطان أو في المجتمع سلطان ولكنهم يتحكّمون بالكاهن تحكُّم الطغاة لأن موقعهم في الرعية هو السبيل الوحيد لتحكُّمهم.

وإن في الأمر لعسرا كبيرا لأنهم يستأثرون بمال الرعية ويعتبرون هذا حقا موروثا ويدّعون أن المال يُديرونه كما هم يشاؤون لأنه نتاج وقفٍ وقفَهُ آباؤهم، وينسون أنهم مؤتمنون فقط وأنهم مرتبطون بحق الانجيل أي بالعدل والرحمة وأنهم خارج الإنجيل لا تقوم لهم قائمة ولا تبقى لهم هوية ولا يثبتون على سلطان.

وقلّما يفهم وكلاء الوقف أو مَن كان يُسمّى كذلك أن ليس لهم سلطة تنفيذية، فهم وكلاء الأسقف وليسوا أنداده، أي أنهم مستشاروه ومعاونوه في الخدمة، وأنه هو وحده المؤتمن -بموجب القوانين المقدسة الصريحة- على مال الله. والوكلاء موضوعون على سبيل تيسير الخدمة وأنهم ليسوا في مقامهم لأمر أو نهي. وغير صحيح أن رعيتهم تملك شيئا، فلا معنى قانونيا أو لاهوتيا لقول الناس: هذا وقف هذه القرية أو تلك. هذا معنى جغرافيّ فقط. أجل لا بد من مراعاة نيّة الواقف بحيث يُنفَق المال على كاهن المحلة وفقرائها، ولكن وجهة الإنفاق والاستثمار تُقرّرها الرئاسة الروحية وفق ميزانية تُوافِقُ عليها كما نصّت على ذلك المادة ٨/ج من نظام مجالس الرعايا، وفي كل منحانا الروحيّ وفي نيّة الواقفين أن الأوّلية في المصاريف هي للكاهن والفقراء والمحتاجين إلى جانب الصيانة والتنمية الضرورية.

هذه الروحية المعطاء تفرض اختيار الأعضاء في مجالس الرعية ممن كان لهم روح العطاء ويقوم أوّلاً على الحنان والودّ اللذين قال بولس في رسالته إلى أهل رومية ان الوثنيين محرومون منهما . من هنا أنه ينبغي أن نرفع عن الكاهن ذلّ السؤال الناتج عن ذلّ الفاقة، حتى إذا أحسّ بأنه محبوب بالعطاء يقدر هو نفسه أن يشارك في الإحسان، الأمر الذي يُقرّب مَن أحسنَ هو اليهم من السيد .

المبدأ أن يُبذل للكاهن المعاش الكفاف، وعند بعض الآباء المفسرين للصلاة الربية «خبزنا الجوهري أعطنا اليوم» فُهمت «الخبز الضروري للغد». يُزيّن لي أن الكاهن، حسب هذه القاعدة، ينبغي أن يفرض هو على نفسه ألاّ يعيش كالطبقة الثرية لئلا يقع في محبة المال ولئلا يصير عثرة للإخوة. يجب أن يتحاشى الترف لو كان موسرا، وهذا نادر الاحتمال، ولكنه قد يَحدث في رعايا كبيرة ومتخمة. اجتناب الإفراط واجتناب الفقر المدقع المعطّل للعمل الروحي يجعلان مستواه أدنى إلى الطبقة الوسطى ما لم يكن راعيا لمجتمع عمّال أو أصحاب ملكية زراعية صغيرة. انه مأخوذ من الناس ويعيش مثل كل الناس. ولكن إنْ فرضنا أن رعيته مؤلّفة من الأغنياء فلا ينبغي أن يعيش في أُبهتهم ولا

أن يتّخذ مظاهر الثراء حتّى يذكر دائما أن الإنجيل إنجيل الفقراء. ينبغي ألاّ ينسى أن الفقراء جرحه وأن قلبه اليهم. المال الموفور يُبعده نهائيا عن يسوع الناصري.

ماذا يعني هذا عمليًا؟ في ماضٍ قبل يومنا بستّين أو سبعين سنة لم يكن للكاهن راتب. غير أنه في بعض الأحوال كان يؤخذ من أصحاب الرزق الزراعي، وكان يتعاطاه، وهذا مسموح. ولا شيء يَحُول اليوم أن يكون صاحبَ مهنة يرتزق منها، وقد أباحت غير أبرشية عندنا أن يكسب الكاهن معيشته أو بعضا من معيشته من مهنة له أو أن يتعاطى عملا جزئيا، وقد أباحت الكنيسة في القرن الثالث كثيرا من الأعمال. غير أنها منعت أن يكون الكاهن صاحب حانوت يُسقى فيه الخمر أو سائق عربة. وقد حرّمت في القوانين اللاحقة تعاطي التجارة. ان الدخول في سوق العرض والطلب مِن شأنه أن يجعل عند الإكليريكيّ عطش المال. وفي هذا المنطق السمسرة والمضاربة المالية. وفي هذا المنطق المثول أمام المحاكم في المحاماة والدخول في مناقشة المتقاضين أمر يجعله في صميم الصراع بين الناس. وبعامة لا بد له من الابتعاد عن كل مهنة تُعرّض استقامته وعفافه للانتهاك.

غير أن احتراف أية حرفة يُحيده عن ممارسة الرعاية بكامل وقته، والرعاية فيها انصراف كثير وتبتُّل كثير. ولهذا لا أُوصي إلا بالعمل الجزئيّ للكاهن اذا كان مسؤولا أولاً في كنيسته. اما اذا تعدَّد الكهنة في الرعية فمن الممكن أن يُتساهل مع الكاهن الثاني والثالث كما يُتساهل مع الشماس.

قلت ان الكاهن قبل نصف قرن أو يزيد لم يكن له راتب، وهذا مثاليّ إن كانت الرعية نموذجية يحسّ فيها كل امرئ أن عليه واجبا تجاه راعيه. كان الكاهن القديم يعيش مما يُسمّى «البطرشيل»، والبطرشيل قطعة القماش التي يضعها الكاهن حول عنقه ولا غنى عنها في أية خدمة إلهية. فإذا ما أقام عمادا أو إكليلا أو مأتما يعطيه طالب هذه الخدمة مبلغا من المال.

أعرف احتجاج بعضٍ من النهضويين على ذلك. يخشون أن ترتبط الأسرار في أذهان المؤمنين أو في ذهن الكاهن نفسه بالمال. الخطر أن يشترط الكاهن مبلغا معيّنا وأن يبتزّ المؤمنين بذلك. يقال ان هذا موجود هنا وهناك. أظنّ أنه نادر عند القسس. لذلك أقول ان هذا النظام ليس سيّئا بحد

نفسه لأن المؤمن الذي يعرف أن الأسرار الإلهية والأعمال التقديسية بعامة هبة من عند الله لا يحسّ بأنه يشتريها اشتراء. الأفضل أن يُقدّم المؤمنون تقادمهم دون أن يكونوا في مناسبة تقديس. غير أننا لم نألف بعد هذا الانتظام وهذه المثابرة. هذه عقلية شعوب.

ولكن مَن عرف الرعاية يُدرك أن هذا المورد في معظم الرعايا قليل ويحتجّ به بعضٌ من وكلاء الأوقاف ليُعلّلوا ضعف الراتب الذي يدفعونه. الراتب -بسببٍ من عدم اندفاعنا الفرديّ للعطاء- يبقى أقلّ الموارد سوءًا. وهو تعبير عن عطاء الجماعة كلها. ويمليه ذلك السخاء الذي يجعلنا ننظر إلى الوضع الصحيّ في عائلة الإكليريكيّ وإلى عدد أولاده ووضعه السكني ومستواه العلمي. لقد آن الآوان مثلا أن نحسّ بأن الكاهن اللاهوتي أو المثقّف دينيا يحتاج إلى كتب وقد يحتاج إلى حضور بعض المؤتمرات اللاهوتية من حين إلى آخر.

وقد يحسّ نفسه في حرج اذا قبض هذا الراتب من أيدي العلمانيين. حتى لا يكون هؤلاء أولياء نعمته، قد يكون من الأفضل أن يستلم الكاهن راتبه من الأسقف وهو يحسّ بأبوّته وهذه فرصة ليراه.

غير أن النظام الذي يبدو، في خبرة بعض، الأمثل هو أن يكون كل شيء بيننا مشتركا فنسدّ كل حاجات الكنيسة ولا يشعر الكاهن أنه في حاجة إلى إرضاء أحد. الرعاية أُبوّة، والأبوّة لا تنتظر جزاء ولا شكورا. عفّةٌ مِن جهة الراعي، كَرَمٌ من جهة الرعية تلك هي السلامة.

مُطالعات الكاهن

الكاهن انسان الكلمة الإلهية الموحاة، وهذه الكلمة إياها هي التي يُبلّغها بلغة الناس وفق عقول الناس وقلوبهم. يجب بالتالي أن يعرف ما قاله الله من جهة، وما يجول في نفوس الناس كما كوّنها المجتمع وسياساته وعاداته من جهة أخرى. هذا لا يعني أن الكاهن يخرج على الكلمة الإلهية، ولكنه في حاجة إلى إيصالها لا إلى مجرد تلاوتها.

في هذه العجالة لن أتكلم عن الكتاب المقدس الذي يبقى الينبوع والحياة المحيية. كل ما أريد أن أقوله هنا ان الله اذا شاء أن يعطينا الوحي من بدء سفر التكوين إلى آخر سفر الرؤيا، فمعنى ذلك أن فكر الرب ومشيئته انكشفا لنا كليا بين دفّتي الكتاب. واذا قامت حياتنا على اقتباس فكر الرب لنسير في هُداه، فنحن أموات اذا أهملْنا هذا الكتاب. واذا كنا واثقين أن السلوك أساسه استقامة الرأي، كان علينا أن نُبدّد الفكر المعوجّ الذي يأتينا من تجارب الوجود التي نتعرّض لها كل يوم. ولذلك لا بد لنا من أن نقوم بأمرين، أوّلهما أن ندرس مداخل العهد القديم والعهد الجديد

مجلة النور، العدد ٦، سنة ١٩٩٥.

وكل ما يمكن من الدراسات التفسيرية الأرثوذكسية الممهّدة لفهمنا الكتاب العزيز، وثانيا أن نشرب كلمات الوحي الإلهي بحب رسالةٍ يبعث الله بها إلى كل منا ليهديه ويقوّيه، حتى إذا ذقنا حلاوة الكتاب عسلا في فمنا نستطيع أن نرتفع بصلواتنا مشبعة بالمعنى، حارّة بسبب ما تلقّيناه مِن تأمُّل الكلمة. هناك وقت لا بد منه في النهار أو الليل لا يتجاوز نصف الساعة.

هذا تلقّي القلب والفكر معا. هذا غير تروُّضنا على التمحيص اليومي الدقيق حيث نُقابل النصوص ونحفظها ونصير لها عجينا.

إلى جانب هذا أُلفَتُنا للكتب الطقسيّة التي سُكبَ فيها روح الله. هذه نظن أننا نعرفها اذا استعملناها يوميا. ولكن مَن منا يُقيم خدمة السَحَر وخدمة الغروب كل يوم؟ وقوانين السَحَر في الأعياد لا يقرأها كاهن في الرعايا بعدما بتنا نرتّل منها الكاطافاسيات فقط. وحيث لا تقام الخدمة كل يوم فأقلّه أن يقرأها الكاهن في بيته كاملة كما في الأديار لئلا يفوته غناها.

وإذا قصر الوقت وكان لا بد من معرفة احد كتبنا تخصيصا، فنصيحتي أن يقرأ الكاهن كتاب التريودي الذي لا تستعمله كنيسة من كنائسنا بصورة كاملة. هذا كتاب التوبة إطلاقا وكتاب الصليب والنور، وفيه نتدرّج يوما فيوما من أحد الفرّيسي والعشّار إلى عشية الفصح ونذوق التواضع والانكسار. إنه، إنْ أمعنّا النظر فيه، يصير فينا موسوعة لاهوتية طيّبة المذاق.

كل هذا لا يُعفينا من قراءة الكتب الدينية الصادرة في دُور النشر الأرثوذكسية. لماذا «الأرثوذكسية»؟ انا هنا مهتمّ بالكاهن الذي لم يُتمّ دراسته اللاهوتية الجامعية التي تمنحه قوة التفريق بين المقبول وغير المقبول عند سوانا. هذا يتطلب عمقا كثيرا وروح التمييز بين الصحيح والخطأ. والكتب التي عندنا وظهرت في مناخ النهضة والتجديد الروحي متوفرة. الموجود يشمل العقيدة والعبادات والتاريخ الكنسي والسيرة والنسكيات، أي إنها تشكّل مخزونا لاهوتيا يمكن اعتباره انطلاقة لاهوت جدية. وفي هذا المضمار المجلات قديمها وحديثها والمجموعة الكاملة لمجلة «النور» التي تحمل كنزا عظيما.

يبقى الأدب الذي يمكن تسميته أدب الدنيا المفيد جدا لتنشئة العقل وأداء الكلمة الجميلة. والانصراف اليه بعض انصرافنا، وفيه المفيد كثيرًا والمفيد قليلا. وللشروع إليه لا بد من إهمال ما كان الأدنى في الأهمية. تصوّري أولاً أنه ينبغي أن نكون قليلي الاستعمال للتلفزيون والصحف. طبعا لا بدّ من استقاء الخبر وبعض التعليقات الصحفية. غير أن الصحيفة الكاملة تستغرق ما لا يقلّ عن ساعة والأفلام التلفيزيونية ساعات ومستوى اكثرها يقال انه متدنٍّ في لبنان. القاعدة أن ما كان مرتبطا بالأبد اهم مما ارتبط بالعابر، وحديث الكاهن عند افتقاده الناس متّصل بما هو أبديّ أولاً، والناس يعرفون أمور دنياهم ولا ينتظرون راعيهم أن يتحدث فيها.

في الحقيقة المعرفة معرفة الكتّاب، واذا كان قيّما فيعزّيك اكثر من أي مجلة دورية أو صحيفة لأنه يُقيمك في الأعماق ويمدّك إلى أقاصي الأرض وإلى بطون التاريخ ويهذّب الذوق ويُدخلك في رهافة التعبير ويساعدك على حَمْل كلمة الله إلى الرعية بما في ما تقرأه من دسم.

المرتجى أن يقرأ الكاهن أُمهات الكتب العالمية منذ أفلاطون حتى اليوم المنقولة إلى العربية. ذكرت أفلاطون لأوحي بأن الفلسفة رياضة عقلية تُربّي فينا المنطق وروح الموضوعية فلا نستسلم إلى النزوة والخرافة والانفعال ونتخبط بين ما هو معقول وما هو غير معقول. واذا لم يكن بين أيدينا الكثير من نصوص الإغريق، فأقلّه أن عندنا كتبا في تاريخ الفلسفة بما في ذلك الفلسفة العربية.

المجال الآخر والأقرب منالاً هو التاريخ، وفي هذه المادة كتبٌ تتعلق بلبنان والمشرق بعامة، بعضها موضوع بالعربية وكثيرها مترجم. نحن يهمّنا بخاصة تلك العصور التاريخية القديم منها والجديد والعصر الوسيط أي تلك التي تؤلف الإطار لفهم الكتاب المقدس ومتابعة التاريخ الكنسي.

التاريخ السياسي لهذا البلد ومحيطه من شأنه أن يمهّد لنا فهم الحياة الوطنية التي نعيش اليوم وفهم الطوائف المحيطة بنا. إن أهمية التاريخ تكمن في هذا أن الانسان المعاصر ثمرة القديم وأن كل الفكر الديني لا يمكنك مقاربته بعمق ما لم تعرف الزمان الذي ظهر فيه. على سبيل المثال لا بد لك

من معرفة الإمبراطورية البيزنطية وفنها وحضارتها بعامة لتحيط بالعقائد بشكل دقيق أو لتعرف كيف نَحتت العقيدةُ الأرثوذكسية المجتمعاتِ التي نشأت منها. الفكر النظري والعمل التاريخي لا ينفصلان.

هذا كله أنفع لنا من الأدب والشعر اذا كان لا بد لنا من الاختيار. في عالم القصة أنصح الكاهن بما كتبه هذا الأرثوذكسي العظيم دوستويفسكي بما عنده من تحسُّس روحيّ وإنسانيّ. والكثير منه نُقل إلى العربية. الشعر يكشف لك رؤيةً اذا كان كبيرا. القليل منه جيد. وقديمه صعب، وشعر الحداثة يُفهَم بعضه ولا يُفهم بعضه. يبقى أن السهل الممتنع في النثر أَفضل في صقل أسلوبنا في الموعظة وإلى تركيب الجملة عندنا. ولكن اذا ضاق الوقت لدى الكاهن، وكان لا بد من الانتقاء، فإني أؤثر الفلسفة والتاريخ على الأدب بما فيه من نثر وشعر.

يبقى أن مِن خير ما بدا في العربية نثرا ترجمة العهد القديم للآباء اليسوعيين التي قام بها أو فصّحها إبراهيم اليازجي. حسبك أن تقرأ فيها إشعيا وأيوب لتتعلم العربية.

أخيرا تبقى مطالعة العلوم الطبيعية ولا غنى عنها للعقل الحديث. لقد تغيّرت معرفتنا للعالم تغيُّرا كبيرا في الأربعين والخمسين سنة الأخيرة، وامتد الكون إلى أبعاد مذهلة، وكان كل فكرنا يدور في الفيزياء القديمة. ما نعرفه اليوم يجعلنا أمام أرقام في الفلك مذهلة. هذا كله يُفاد منه للكلام في الله.

لا حدّ للعلم ولا حدّ للمعرفة. لا مفرّ من التركيز على ما يراه كل منا نافعا لتنويره. فهناك من لا يحتمل قراءة الفلسفة، وهناك من لا إحساس له بالشعر. مع ذلك يجب اغتصاب النفس لتتوسع مداركها، ويجب التنسُّك للمطالعة. وللكاهن وقت خارج الخدمة الإلهية وخارج الافتقاد الرعائي. شعوري أن الكاهن عند انتهاء الخدمة الصباحية لا يستطيع أن يزور كثيرا وربّات البيوت منشغلات بتدبير المنزل. الصبيحة وقت ملائم كثيرا للدراسة وكذلك قسم من المساء بعد أن يكون الكاهن قد انصرف إلى رعاية أولاده أو بعد العشاء.

إن ساعتين في اليوم هما الحدّ الأدنى اذا شئنا أن نبني عقولنا ليكتمل الجانب المعرفيّ في خدمتنا. هذا اذا اقتنع الكاهن أن مسؤوليته لا تقتصر على الصلاة والزيارات الرعائية. هناك واجب

عطاء الكلمة الإلهية. هذه هي الأولية. وبعدها يأتي كل الجانب الذوقيّ في أداء الكلمة. وهناك عطش إلى المعرفة عند كل انسان لأن المعرفة خدمة. الجهل موجع إذا أَخذتَ تعرف. أجل لا يمكنك استيعاب كل شيء، ولكن لا تدع الكسل يسيطر عليك وذريعتك أنه بسبب الرعاية لم يبق لك وقت. إنْ لم تدرس الكلمة الإلهية وما يدعمها في الثقافة البشرية، لا تكون نفسُك استخدمَتْ كل طاقاتها في الخدمة.

لقد آن الأوان ليرتفع مستوانا جميعا على صعيد الفكر. الفكر قوة يجب تطويعها للمسيح. الفكر خدمة كبيرة.

انتقاء الكاهن

مِن أدقّ الأمور الرعائية اختيار كاهن. ذلك أن ثمة عناصر مختلفة يجب اتخاذها بعين الاعتبار، أوّلها صفاته الروحية والعلمية، وثانيها حالته السيكولوجية، وثالثها حالة المطران الذي يختار.

واذا ابتدأتُ تأمّلي بوضع الرعية ففيها حزبيتان: حزبية عقائدية بمعنى هيمنة هذا الحزب السياسي أو ذاك، وحزبية العائلات المتطاحنة. فالأحزاب العقائدية التي تدعو إلى العلمنة أو الإلحاد –وليس كل علمنة إلحادا بالضرورة– تسعى إلى رجل تتسلط به على الأرثوذكس. وكل الأحزاب ترفض تدخُّل الكنيسة في الشأن السياسي ولكنها تُبيح لنفسها التدخل في شؤوننا.

اما في شأن الانقسامات العائلية فعرفنا عصورا غير بعيدة كان الخلاف يشتدّ بين فريقين في القرية، كل منهما يريد كاهنا من عائلته لأن الناس لم يكونوا واعين أن الكنيسة ليست مؤلفة من عِيَل ولكن من أفراد أتقياء، فكانت الرئاسة الروحية ترسم كاهنين، وربما أتى هذا خوفا من مغادرة أحد

مجلة النور، العدد ٦، سنة ١٩٩٦.

الفريقين إلى كنيسة اخرى. كانوا يبيعون الارثوذكسية بسببٍ مِن كبرياء عائليّ. غير أن هذه العقلية لم يعد لها وجود في كثير من الأبرشيات. هنا وهناك صار المؤمنون يثقون بحكمة الأسقف.

هل هذه الحكمة في محلّها دائما؟ لا مفرّ من أن يخطئ المطران أحياناً الاختيار اذا كان يقوم على ترشيح مباشر من الشعب أو فئة من الشعب. المؤمنون فيهم سذجة كثيرون. ولهم عن هذا المرشّح أو ذاك ظاهر التقوى، ولا يستطيع الأسقف أن يعرف كل الأفراد المؤهّلين للكهنوت في هذه الرعية أو تلك. يتّكل عند ذاك على من يثق بهم في المكان وقد لا يُحسنون الاختيار. قد لا يُقدّرون العلم ويُقدّمون جاهلا أو لا يكونون حاذّين بتقدير الأخلاق. وقد لا يكون الأسقف شديد الإلحاح على العلم والتقوى الحقيقية. وقد لا يخلو رئيس الكهنة من المزاجية أو السطحية في معرفة الناس. مزاجية الأسقف أمر رهيب ما خلا منه تاريخ الكنيسة. ولهذا كان لا بد لرئيس الكهنة أن يتقيّد بالشروط الرسولية والمجمعية التي تحفظه من الانفعال.

فالكتاب يتكلم عن الشيوخ أي عن رؤساء الجماعة الذين «يُحسنون الرعاية ولا سيما الذين يتعبون في خدمة الكلمة والتعليم» (١تيموثاوس ٥: ١٧). هذه دعوة رسولية حتّى يكون بالأقل بعض من الكهنة يُتقنون إعطاء الكلمة. أن نكتفي بأن يكون المرشّح بلا عيب جسديّ وحَسَنَ الصوت وعلى شيء من حُسْن السيرة أمر باتَ غير كافٍ، ولكن في نظرة سريعة يبدو لي أننا غدونا أكثر تطلُّبا. بولس نفسه اشترط ألاّ ينال الأسقفية (ومدلولها آنذاك يشمل كل مشرف على وظيفة رعاية) إلا مَن كان بلا لوم... مضيافا، غير مدمن للخمر ولا مشاجرا، بل حليما لا يخاصم ولا يحبّ المال» (١تيموثاوس ٣: ١-٣).

هذه كانت تُعتبر مزايا في المجتمع المدني. يا ليتنا راعيناها من حُسْن السيرة قبل أن ننتقل إلى الروحانيات في سطوعها. اذن لكانت تُقصي الجاهل والمرتزِق ومَن ليس المسيح مبتغاه. كم من رعية رشّحت للخدمة فقيرا معدما ليقوم بأود عائلته أو ابنَ كاهنٍ ليُراعوا خاطر البيت الكهنوتي أو إيفاءً لنذر أمه (كانت تأتي بكل غباء وتقول انها نَذرَتْه).

لقد تنبّه القانون الكنسي لانحراف الرعية في هذا الشأن، ووُضعت قوانين صارمة في مسلكية القس فمنعته من دخول خمّارة (القانون ٢٤ من مجمع اللاذقية) ومن الربا (القانون ١٠ من مجمع ترولو)، وقطعت الإكليريكيين الزناة بقوانين عديدة، كما أمرت بعزل الكاهن إنْ سرق (القانون ٢٥ من الرسل) واذا شرب المسكر أو لعب النرد (القانون ٤٢ من الرسل) كما يُمنع من مساكنة النساء إنْ كان القس عازبا (القانون ٤ من نيقية).

فاذا كانت هذه المعاصي حُرّمت على الإكليريكي من باب توضيح الوصية، ففي المنطق نفسه أن المرشّح للكهنوت يُرفض اذا كان قد ارتكبها. العفّة في مختلف وجوهها، وهي في الارثوذكسية شرط من شروط الزواج (خدمة نزع الأكاليل في اليوم الثامن)، تكون من باب أَولى شرطا للرسامة وكذلك الاستقامة في الأعمال أو الوظيفة. اما القول ان هذا الرجل سيتوب فمردود لأن من تاب يبقى علمانيا صالحا. اما المرشّح للخدمة فلا ينبغي أن يكون قد ارتكب قبل الرسامة معصية ممنوعة بعد الرسامة. إن في هذا لخطرًا عظيما. إن مجرّد الزواج أو الرسامة ليست فيه ضمانة السلامة المسلكية.

إن التقوى وحدها لا تكفي. هي مطلوبة من كل مؤمن. اما الكاهن فيحمل مسؤولية الرسالة بنوع أخصّ وتاليا مسؤولية المعرفة اللاهوتية. ومن المحزن أن كنيستنا الأنطاكية لا تُلحّ عليها إلحاحا شديدا مع أن مجمع اللاذقية يفترض في القانون ١٩ أنها جزء من القداس الإلهي. والقانون ١٩ من ترولو يأمر رؤساء الكنائس ولا سيما في الآحاد أن يُعلّموا الشعب. وهذا واجب على الكاهن في المنطق نفسه. فإذا كان القس خادما للكلمة، وهذا هو تحديد وظيفته، فأنى له أن يخدمها وهو لم يتدارسها دراسة مستفيضة، منتظمة؟

إن الكنيسة لا تقوم فقط على الخِدم الإلهية ولكنها تقوم بالقوة نفسها على التعريف بالكتب المقدسة وما يحفظها ويحيط بها من التراث. أمَا قال بولس لتلميذه تيموثاوس: «انصرِفْ إلى القراءة

(أي قراءة الكلمة) والوعظ والتعليم إلى أن أجيء» (١تيموثاوس ٤: ١٣)؟ وكذلك: «انتبه لنفسك ولتعليمك» (٤: ١٦).

من هنا أن الكنيسة الأنطاكية أسست معهدا للتعليم اللاهوتي العالي في دير سيدة البلمند، كما أنشأت فيه مدرسة لإعداد الكهنة، واشترط المجمع المقدّس أن ينال المرشّحون للكهنوت قسطا من العلم. وبعد هذا أخذت بعض الأبرشيات تُقيم مدارس التنشئة هذه لمكافحة الأُمّية الدينية عند المعَدّين للخدمة المكرّسة. هذا الاتجاه يجب تعميمه حتّى تتفعّل القرارات التي نصّت على هذه التهيئة.

وكم يكون جميلا ذلك اليوم الذي نستطيع فيه أن نشترط إجازة اللاهوت من كل إكليريكي، من وظيفة الشماس فما فوق، لنكون مطيعين للكلمة الإلهية، ولا يبقى لمؤمن عذر في جهله اذ يجد من يُرشده إلى المعرفة التي يطلب، وبخاصة لا يبقى للأسقف عذر اذا رَفض تدخُّل أولئك الذين يريدون أزلامهم كهنة.

غير أن سَيْر المعهد لا يستقيم ما لم يرتبط بقراره السادةُ المطارنة بحيث لا يرسمون مَن رَفض المعهدُ قبوله. يكونون، اذ ذاك، وافقوا على الجهل أو تدنّي الأخلاق.

واذا أردنا معرفةً لاهوتية مكتملة على مستوى الإجازة ودونها معرفة منتقصة، فهذا يعني أنه لا بد لنا من تخريج ما لا يقلّ عن ألف كاهن لسوريا ولبنان في حقبة من عشر سنوات. فإن هذا الألف مع الكهنة القائمين حاليا يكفي لرعاية شعبنا في حدود الكرسيّ الأنطاكي ويترواح عدد أبنائه بين مليون ومئتي ألف ومليون ونصف (باعتبار كاهن لكل ألف نسمة). خلال ١٠ سنوات يمكن إعدادهم في معهد أو معهدين من المستوى الجامعي. انا واثق أن عندنا من المتلهّفين لهذه الدراسة ما يجعل شبّاننا يُقْدمون على الدراسة اذا أمّنّا لهم حياة كريمة بعد تخرُّجهم. هذا يفرض تعهُّد الكنيسة القيام بمعيشتهم في ما بعد، أي هذا يستدعي نظاما ماليا ينتظمون فيه بلا خوف. لا يعوز شبيبتنا الحماسة الدينية. إن من الأسباب الرئيسية التي تجعلهم يتقاعسون عن الخدمة خوفهم من أن يعيشوا مع عائلاتهم

دون المستوى المعقول. ولكن هذا أمر لا يبدو أننا تصدّينا له تصديا جديا. هذا يتطلب وعيا من أجل الكَرَم ووعيا لتنظيمٍ حديث. وأما أن يتخرج ثلاثة أو خمسة أو سبعة كل سنة فلا يحلّ لنا مشكلة. نكون قد ارتضينا أن يُسمّى علينا معهدٌ تسميةً ولا نكون قد ابتغينا إقامةَ كنيسةٍ مسؤولوها مثقّفون.

نحن نقوم بجرب روحية ولا نتّخذ لها أسلحة ولا نُجنّد لها جنودا مدرَّبين. لماذا تُربّي كلُّ كنيسة أُخرى كهنةَ المستقبل تربية واحدة، ونحن نرضى بفئة قليلة من المثقّفين ونستسلم لوجود كهنة شبه أُميين؟ هل هناك رعايا قليلة تحتاج إلى من تَنَشّأ تنشئة لاهوتية، أَم أنّ كل الأرثوذكسيين في أية مدينة وأية قرية تحتاج إلى الغذاء الروحي الواحد، إلى الفهم الواحد؟ لم يبقَ في هذه البلاد جماعات ساذجة. لقد زالت القرية كمجتمع بدائيّ. ثم من قال ان البسطاء لا يحتاجون إلى المعرفة؟ أليسوا نفوسا افتداها السيد بدمه الكريم؟ لماذا تجد في قرى فرنسا وألمانيا وإنكلترة وسواها علماء؟ لماذا يحمل كل كاهن أرثوذكسي في رومانيا إجازة لاهوت والكثيرون حملة دكتوراه؟ لماذا تجد عند الموارنة والروم الكاثوليك دكاترة في اللاهوت يَرعون قرى؟ لماذا نحتكر وحدنا الجهل؟

اذا قررنا مستوى عاليًا من المعرفة، فالانتقاء يتمّ عند دخول معهد اللاهوت. لقد خطَونا خطوة في المعهد من حيث الجدية في امتحان الدخول. ولكن فحص الطالب لا ينبغي أن ينحصر في تحصيله بعض المعارف الأوّلية ولا بد أن يشمل وضعه السيكولوجي. إن سلامته النفسية أساسية كتقواه. اتزان شخصيته، نموّها، عدم هزالتها، رجولته، رجاحة عقله، كلها أمور يمكن تأكُّدها من امتحان الدخول، وهذا يمكن أن يستغرق مقابلات عديدة مع روحانيين وطبيب نفسيّ.

في الكنيسة الأنكليكانية لجنة من ثلاثة أساقفة يَقضون ثلاثة أيام مع طالب الدخول. يراقبون تصرُّفه فقط. بعد هذا يحكمون أنه مرفوض إلى الأبد أو مؤجَّل دخوله أو مقبول. انت لا تستطيع أن تقبل في الكهنوت من كان ضعيف الشخصية أو مخنّثا. واذا لم يكشف امتحانُ الدخول عيوبَ الفتى،

فالسنة الأولى كافية لمعرفته. تصرُّفاته تدلّ على الكذب أو الصدق والشجاعة أو الخوف وكرمه أو بخله وصبره أو غضبه.

الانسان يكون كامل التهذيب ونشيطا وغيورا قبل شروعه في الدراسة. نحن نستلم مَن كان مترببا ولا نُربّيه بعد سيامته. هو يربّي الآخرين. ولا نهدر وقته ووقتنا خلال أربع سنين على رجاء إصلاحه. هكذا يكون حَمَلَةُ الإنجيل، وغير ذلك مزاح.

دعوة الكاهن

يتحدث الكتاب الالهي عن إرسال الرب للانبياء وعمن أُرسلَ الانبياء اليهم وذلك بعبارات مختلفة تدل جميعًا على ان الله هو المتكلم في الذين بعث بهم إلى شعبه. ففي مستهل سفر إشعياء نقرأ: «رؤية إشعياء بن أموص، التي رآها على يهوذا واورشليم» (١: ١). عند إرميا يصبح التفويض الالهي أكثر وضوحًا وأمتن جدلية. ففي مستهل السفر: «كلام إرميا بن حلقيا، من الكهنة الذين في عناتوت بأرض بنيامين، كانت اليه كلمة الرب» (١: ١). هنا نجد توحيدًا كاملاً بين الكلمة التي ينطق بها النبي والفكر الالهي. ثم تنمو الفكرة وضوحًا قبل ان يقول: «فكانت كلمة الرب إليّ قائلا: قبل أن أُصوّرك في البطن عرفتُك، وقبل أن تخرج من الرحم قدّستُك وجعلتك نبيا للأمم... ها أنذا قد جعلتُ كلامي في فمك» (١: ٤ -٩).

مجلة النور، العدد ٦، سنة ١٩٩٧.

النبي مرسَل إلى كل شعب اسرائيل: «اسمعوا كلمة الرب يا بيت يعقوب ويا جميع عشائر بيت اسرائيل» (ارميا ٢: ٤). ذلك ان الكلمة خالقة للشعب. انه يصير شعبا بالكلمة ويحدّده انتماؤه إلى الله. ففي عبارة «شعب

الله» المضاف اليه أتى بمعنى الفاعلية. هو الذي يُحوّل القبائل إلى أُمّة مقدسة وذلك اذا تحرّك اليها بالرحمة: «سأكون لكم الها» يقول توا «وتكونون لي شعبا». غير أن النبي مقيَّد بمن أَرسله وليس مقيدا بمن أُرسل اليهم. «اني مُرسِلك إلى بني اسرائيل، إلى أناس متمردين قد تمردوا عليّ... سواء أسمعوا أم لم يسمعوا... لا تخف منهم ولا تخف من كلامهم، لأنهم يكونون معك عُلّيقا وشوكا، ويكون جلوسك على العقارب... كلّمهم بكلامي، سواء سمعوا أم لم يسمعوا، فإنهم تمرُّد» (حزقيال ٢ :١-٧).

إن النبي ينصاع انصياعا كاملا للكلمة حتى لا تبقى هوة بينه وبينها. يصيرها وهي لا تصيره: «كُلْ هذا السِفْرَ واذهب وكلّم بيت اسرائيل... فأكلتُه وصار في فمي كالعسل حلاوة» (حزقيال ٣: ١-٣).

واحد من اسرائيل يختاره الله ولكنه يتكلم على المسكونة كلها لأن الكلمة تنشئ العالم. ولهذا «كانت إليّ كلمةُ الرب قائلا: يا ابن الانسان، قل لرئيس صور: هكذا قال السيد الرب» (حزقيال ٢٨: ١). هكذا تتكوّن الدنيا كلها من الكلمة. رعاية الله للدنيا هذه تتم بكلمته. هناك اذاً إرسال إلى العالم من ضمن شعب الله.

لم يتغيّر نظام العلاقة بين الله وشعبه في العهد الجديد من حيث إنّ الله مرسِل الكلمة ولا من حيث انها مرسَلة من الكنيسة إلى الكنيسة وإلى العالم. الكنيسة هي الجماعة التي تنشئها الكلمة. إن بولس يتحدث في رسالته إلى أهل أفسس عن أن المسيح يُطهّر الكنيسة «بغسل الماء والكلمة». هل الغسل هو نفسه الكلمة كما يبدو، أم ان المراد هو المعمودية المصحوبة بالكلمة؟ هناك دائما تكوين للكنيسة بالكلمة. إن لاهوت يوحنا يوضح فعل الكلمة في قول السيد للتلاميذ: «أنتم الآن أطهار بفضل الكلام الذي قلتُه لكم» (١٥: ٣).

في نظام العلاقة بالكلمة بين الله والناس، الشيء الاساسي الذي تغيّر أن المسيح نفسه بدا كلمة الله وكل ما يخرج عنه من تعليم وعجائب ورحمة هو من شخصه الذي ينبثّ كلماتٍ وتجديدا ورحمة. كلمة المسيح في أحبائه تُعطى بالروح القدس، وهنا لا أستفيض بما هو معروف في لاهوت يوحنا بخاصة ولا سيما في العشاء الوداعي. واستتباعا لهذا، الكنيسة هي المكان الذي تتم فيه البشارة

بالتعليم والوعظ من جهة، والأسرار من جهة اخرى، وهي لا تختلف في جوهرها عن الكلمة من حيث هي عطاء الله. الكلمة تصير دائما فعلا في هذه الصورة او تلك.

واذا كانت الجماعة حاملة الكلمة -الكنيسة حفيظة الكلمة- فهذا لا يلغي النظام النبويّ القديم حيث يختار الله في الجماعة مَن يُفوّضهم تفويضا خاصا (الإكليروس) غير حاصر بهم أمر بثّ الكلمة. الإرسال عمل إلهيّ دائمٌ القائمُ به الجماعة من حيث هي والمولَجون حَمْل الرسالة. إن الروح القدس ينتقي وظائفيا هذا وذاك ليكونوا خادمي الإنجيل ومن هذا القبيل هم ورثة الأنبياء.

هذا لا يُقصي موهبة النبوءة في العهد الجديد والتي يوزّعها الله على من شاء خارج الكهنوت. وهي أيضا تفويض بسببٍ من النعمة ونازلة من فوق. ولعل لفظة «أنبياء» في الرسالة الاولى إلى أهل كورنثوس تعني الكهنة. مهما يكن من أمر هذا النقاش، فالأمر الذي يؤكده الكتاب أننا في الكهنوت أمام إنشاء نبيّ أو إرسال نبي، وأننا لسنا في نطاق تعيين كيفيّ مِن قبل الأسقف أو الجماعة. الانسان يكون نبيا أولا بالاختيار الالهي، والجماعة تُلاحظ ذلك وتُعلنه بالرسامة. «النعمة الالهية التي للناقصين تُكمّل وللمرضى تَشفي هي تنتدب فلانا». هو حديث في صورة الغائب الذي هو الله، والرسامة كشْفٌ لدعوة قائمة وتسجيل للدعوة في وجدان الكنيسة. الكنيسة تقبّل مَن كان الله مُرسِله ولا تخترع هي رسلاً على هوى الطائفة المحلية أو بعض منها.

لذلك لا يطلب أحدٌ الكهنوتَ لنفسه. في العهد الجديد الكنيسة التي يرتسم المسيح فيها وتقبّل إلهامه تُبلغ أحدَ المؤمنين أنه مدعوُّ الله وذلك بلسان الأسقف ووضع يديه.

أما مَن هم الذين يُرسَل اليهم النبي-الكاهن؟ في التقاليد المتّبعة يُنتدب الكاهن لتولّي رعية معيّنة على طريقة انتخاب الأسقف. كان هذا ممكنا في المجتمعات الرعائية الثابتة في مكان والتي يؤخذ الرجل منها كاهنا. ولكن التحرُّك السكاني والحروب والتهجير وقلّة الدعوات هذا كله جعل الاختيار يقع على هذا وذاك كائنا ما كان الموضع الذي جاؤوا منه ويُرسَلون إلى أي مكان. ولكن عند تسلُّمهم مسؤولية الجماعة يجعلون لُحمة بينهم وبينها وأقلّه أنهم يصيرون في خدمتها كليا ولا يسندون رؤوسهم

الا على الصليب. لا فرق عندهم بين وجه ووجه لأنهم ولو سكنوا هذه الأرض انما يتوطّنون السماء ويظلّون مَدينين للمسيح الذي اليه وحده -عبر الأسقف- يُقدّمون حسابا . هم ليسوا موظّفين عند أحد في الرعية ولا يُحابون الوجوه فيها . يغسلون أرجل الجميع كما فعل السيد في العلية ورؤوسهم مرفوعة أبدا .

طبعا إنهم مرسَلون إلى أناس لهم عقليتهم ومستوى ثقافة وأخلاق متفاوتة وطبائع متباينة وفيهم الطهور الطهور ومَن كان دونه طهارة ولا يَسعَون إلى تجانُس مع أحد . فلو كان الكاهن عظيم الثقافة وأنتدبه الأسقف إلى أُميين أو شبه أُميين يخدمهم بالحب الواحد والحرارة الواحدة.

الكاهن-النبي لا يتكيّف. يتكيّف بالمسيح فقط. يفهم رعيته وذهنيتها، ولكنه لا يتطابق وإياها . إن محبّته اذا عظمت تجعله مقبولا عند الأكثرين. ولكن طرائقه تبقى غريبة عند الجاحدين والضعفاء، ولا يتنازل هو عن شدّة الكلمة وملحاحيتها لأنه مرسَل ويؤدّي الحساب لمن أَرسله. تفهم الرعية شيئًا ينتج عنه الغفران والصبر واستمرار الافتقاد، ولكنه لا يَستتبع استرخاءً في إيصال الكلمة أو كسلاً في درسها وتمحيصها وتبليغها .

الرعاية تتطلب زهدا كبيرا بحيث لا ينتظر الراعي مكافأةً ولا تقديرا أو عرفان جميل. فيها عزلة رهيبة دائمة، وفيها أحيانا تَحامُل على الراعي ودائما ثرثرة. ولذلك لا يطلب الراعي الصالح شيئًا لنفسه ما عدا القوت الضروريّ. المرونة لا تعني حيادا عن صرامة الكلمة أو تذويبا لها أو حجبا لها . المرونة ليست فضيلة الأساس. انها فضيلة الأسلوب أو التربية. هدف الخلاص واحد ومضمون الكلمة واحد نوزّعها وفق عقول الناس واستيعاب قلوبهم.

لذلك لا يميّز الكاهنُ الصالح بين رعية وأخرى. يَقبل انتدابَه إلى أيّ مكان لأن النفوس كلها تستحقّ الخدمة في الحرارة الواحدة والجهد الواحد . الويل لذلك الإنسان الذي يُقيم حسابا للموارد المالية. إنه اذاً لقد أخطأ العنوان وأخطأ «المهنة» . الكاهن-النبيّ مرميّ على أسفل دركات الأرض، ويَرفع الناس برافعة واحدة هي المحبة. هذه تُعلّمه كل شيء .

الجزء الثاني

القسم الأول:

مناسبات كهنوتية شخصية

«لأجْلهم أُقدّسُ ذاتي»

(يوحنا ١٧: ١٩)

هذا ما قاله الرب يسوع في ذلك الخطاب الوداعي بعد أن أسس خدمة العشاء السري التي أقمناها معكم اليوم. وما التقديس بلغة يسوع سوى تكريس نفسه للآب. إنه يكرّس نفسه بالخدمة، بشفاء المعذبين، بالتعليم، بالصلاة، بالدم. ان الكائن المعطى، الإله المبذول الذي لم يرتضِ أن يقبع في سكون أزليّ بل شاء أن يتّضع ويسكن بين الناس ويتصرّف بينهم كانسان يُخالط أدنى طبقاتهم اجتماعيًا وروحيًا ليعطيهم الرفعة التي تستحقّ وحدها أن تعطى، رفعة القداسة.

كلمة المطران جورج يوم سيامته كاهنًا، كنيسة المريمية في دمشق، ١٩ كانون الأول ١٩٥٤.

إنه كرّس نفسه لنتكرّس له في الحق، في النور، في المعرفة. والمسيح لا يزال قائدنا الأوحد ومثالنا القريب. ليس كائن أقرب منه الينا. على طريقه نقدر أن نسير «لأني أستطيع كل شيء بالمسيح الذي يُقوّيني» (فيلبي ٤: ٣١). على غراره إذاً يسلك مَن انتدبَته النعمة التي للمرضى تشفي وللناقصين تُكمّل ليكون خادمًا لأسرار الله، متممًا

خدمة المصالحة بين الله والناس. هذا رُفع من وسط الكنيسة، ووُضعت عليه أيدي الأساقفة ليصير نذيرًا للرب، يتابع تقديس ذاته في سبيل تقديس إخوته.

لا مبرر لخدمته إلا أن يكون وسط شهوات العالم رسولَ الوداعة والبساطة والتواضع حتى إذا تم بعض هذه الخدمة يجعل في قلوب الناس رجاءً ويُدخل إلى نفوسهم سلام الله. هذا ما يطلبون منه حتى إذا كان لهم ذلك صاروا أقرب إلى الله. غاية الكاهن أن يكون رجلَ الله، رجلاً يَسُرّ الثالوث القدوس أن يأتي اليه ويصنع عنده منزلاً. وإذا كان كذلك يستطيع أن يصبح نورًا للعالم وملحًا للارض.

إن رجل الله لا يهمّه في الأرض غير الله، ولا يعمل إلا لقضية الله، وقضيته كثيرًا ما تكون منسيّة في كنيسته نفسها. ولذا فمَن قصدَ القداسة لا بد له أن يحمل في جسده سمات الرب يسوع. لقد حُقّقت قضية الله في الأرض منذ ألفي سنة لما رُفع ابنُ البشر على خشبة. ليس بطريقة أخرى يمكن أن تظفر قضيةُ اليوم. انها قضية جهاد الخطيئة، جهاد الجهل، جهاد الإلحاد. انها قضية المعركة الكبرى التي شنّها الناصريّ على الشيطان والتي دُعينا أن نُساهم في تحقيق انتصارها. ولذا لا محلّ في قضية المسيح للمجادلة والدمدمة. انها أولاً وآخرًا من ألفها إلى يائها قضية التزوُّد من النور يومًا بعد يوم إزاء هجمات الشرير. هي أن تزرع محبةً حيث تجد حقدًا، محبة مجانية للصديق والعدوّ، للمؤمن وللجاحد. إن كانت رسالة المسيح لا تُؤدّى في مكان ما، فما ذلك إلا لأن هذا المكان لا وجود فيه للمحبة. وإن تجددت رسالة المسيح في موضع ما، فإنما تتجدّد بمقدار عودة المحبة اليه، والمحبة ثقة بأن الله قادر أن يُخرج من الحجارة أولادًا لإبراهيم. هي محبة صورة الله في الانسان وفي قدرة الله على ايقاظ صورته في كل حين.

هذا الاستمرار في الاستنارة يحصل عليه الكاهن بانكبابه على تعلُّم كلمة الرب لأنه يتقدس بالكلمة ولأنه، حصرًا وتحديدًا، خادم الكلمة، والعبد لا يستطيع ان يخدم معلّمًا لا يعرفه. وإنه يقرأ الكلمة لأنها موجَّهة اليه، مرسَلة اليه في الحين الذي يطلبها. الكلمة تُواجهه بعنفها، بمتطلباتها حتى

توقظه ليوقظ بدوره الآخرين. إنه منبّه الشعب. اليه سُلّمت وظيفة النبوّة التي تأمره بأن يكون نذيرًا للشدة والضيق على كل من يفعل الشر ومبشرًا بالمجد والكرامة والسلام لكل من يفعل الصلاح لأن ليس عنده محاباة.

الكاهن رجل الله إنْ كان لا يحابي، ومَن حابى أنّى له أن يُتمّم المصالحة بين الله والناس وأن يرشدهم إلى الحقيقة وإلى معرفة أنهم محتاجون إلى رأفة المسيح. الكاهن صاحب رسالةٍ أُمِرَ بتبليغها، والويل له إنْ لم يبلّغ. يضع الشعب أمام الكلمة بالتعليم والوعظ وإقامة الخِدَم، والكلمة تُعرّي وتترك الانسان طريحًا أمام دينونة الله إذ إن الكلمة تدينُنا في كل حين. وإذا ما قام الكاهن بهذه الوظيفة فإنما يَمّحي ولا تثبت فيه غير شخصية المسيح، والويل له إن قاد الناس إلى نفسه لا إلى المسيح. الكاهن وسيط لأنه نبيّ ولأنه يفدي. إنه يشترك في وساطة المسيح الوحيدة ولا يقدّم وساطته الشخصية التي لا قيمة لها ولا معنى. ولكن خدمة الكلمة كما وصفناها خدمةٌ لا تكتمل إلا إذا قدّس الكاهن ذاته وأفرز نفسه في سبيل تأمُّل أحكام الله وإعلانها على الناس.

نحو هذا أُحبّ أن أسعى لعلّي أُدركُ الذي لأجْله أَدركَني أيضًا المسيحُ يسوع. وإني في ذلك أُكمل نهجًا انتهجتُه مع فئة من شبّان هذه الكنيسة عاهدوا الله أن يخدموه خدمة مرضية. إن الانصراف إلى شؤون الله ومحبة الدراسات الروحية والعمل في سبيل الملكوت لغايات علّمتني حركةُ الشبيبة الأرثوذكسية أن أصبو اليها. أنا ما أنا لأني أَردتُ أن أُقدّس نفسي من أجلها. انها بالنسبة إليّ الطريق التي يقال لها المستقيمة (أعمال ٩: ١١) والتي رأيتُ عليها يسوع المسيح حيًا ومخلّصًا.

هذه الرؤية الأولى قادتني إلى دراسة اللاهوت فأوفدني صاحب الغبطة السيد البطريرك ألكسندروس للتحصيل. وهناك في المعهد اللاهوتيّ دعاني الله بنعمته إلى الكهنوت. رجعتُ إذاً إلى دمشق (غلاطية ١: ١٧) كما يقول الرسول فأراد شيخُ أنطاكية أن أُقدّس ذاتي من أجل الكنيسة جمعاء، فأمر بمسحي كاهنًا لله العلي، وإني مدين له بالتضحيات التي جَعلتْ هذا الأمر ممكنًا. وإن فرحي بكم لجزيل أيها الإخوة المؤمنون الذين أشتركتم مع الحبرين الجليلين والإخوة الكهنة والشمامسة

باستدعاء الروح القدس عليّ.

وإني أشكر بنوع خاص الوجوه الحبيبة التي تكبّدت مشاقّ السفر.

فإلى اللقاء أيها الإخوة كل يوم في شركة الصلاة على مذبح الرب.

أرجو غفرانكم وستر ذنوبي وخطاياي

الكاهن إنسان كلفه الله أن يجمع شتات شعبه بالكلمة والأسرار، وكلفه أيضاً أن يُهذّب نفسه بالإنجيل. فعلى ما قدر ما كان التهذيب للراعي ممكنًا كان تأديب الناس بأدب الرب ومخافته ممكنًا أيضاً.

كلمة المطران جورج في وداع أبناء رعية الميناء، شباط ١٩٧٠.

لقد شاء الله، بنعمة منه، أن أرحل إلى مكان آخر في هذه البلاد لخدمة شعب الله أيضاً. إني لا أزال مبتدئًا على دروب الفضيلة. إن ذنوب الأخ الصغير الذي يرحل عنكم الآن فاضحة، ولهذا أرجو غفرانكم وستر ذنوبي وخطاياي.

القضيب الساهر

«وكانت كلمةُ الرب اليّ قائلاً ماذا أنت راء يا إرميا ؟
فقلت إني راء قضيبًا ساهرًا .
فقال لي الرب أحسنتَ فيما رأيتَ
فإني ساهر على كلمتي لأُجريها» .

(إرميا ١: ١١و١٢)

كلمة المطران جورج يوم سيامته مطرانًا، كنيسة المريمية في دمشق، ١٥ شباط ١٩٧٠ .

الرسوليّ الرائي يؤتى به أسقفا ليرعى شأن الكلام الرسولي يأخذه من أبعاد ويمدّه إلى أبعاد . ولا يكون رسولاً إلا مَن اختاره ربّه على وفق قلبه ليرعى شعبه بعلم وعقل كما يقول النبي (إرميا ٣: ١٥)، بذلك العلم الذي يؤتيه السيد أحباءه إذا ارتشفوا الكأس المقدسة ولاصقوا المساكين، وبذلك العقل الذي يتدرّج إلى مرتبة الألوهة إذا استلذّ الإنجيل وعكف عليه طيلة العمر . من اختطفته الكلمة تصقله خليقةً جديدة، فإذا بالكلمة تُطيّب شفتيه وتعزّي فتنسلّ إلى الروح انسلال العطر وتَبيتُ فيها لطف إله .

ومن فُوِّض أمر الكلمة إنما تُقيمه على الناس ليَقلع ويَهدم ويُهلك ويَنقُض ويَبني ويَغرس حتى يبقى الحُكْم في الأرض لله ولمسيحه ليزهق الباطل فيتراءى لنا الملكوت في عواصف الوجود. ومن سحرته هذه الرؤية لا يقدر أن يستمتع بغيرها. والرؤية وحدها هي التي تجعله رأسًا للكنيسة، نموذجًا ملوكيّ الملامح على قدرِ تخلُّقه بأخلاق الملك العظيم، وقد شاهدتم في هذا الاحتفال المبارك، أن الانجيل وُضع على رأس مَن انتُدب إلى رئاسة الكهنوت فيما كان الرعاة يستدعون الروح القدس عليه. طلبوا اليه بذلك أن يكون دائمًا تحت الإنجيل وعَنَوا أن أحدًا لا يعلو هامته سوى الله وأنه، بآن معًا، مطأطئ الرأس أمام المتواضعين لكونهم هم الإنجيل. إنه غدًا عالي الرأس لأنه لا يسكن بيتًا أرضيًا منذ صارت السماء سقفه بالدعوة.

وإنْ هو كذلك إلا ليحفظ رعيته في أدب الإنجيل ولا يستكين حتى يقودها من دار غربتها إلى جوار الكتاب القيّم ليجعلها عروسًا بتولاً لا لوم عليها عند مجيء ربنا يسوع المسيح. ولا يقدر الأسقف على تهيئة أخته العروس ما لم يُفض نفسه حتى الموت. ففي الموت، نحن العيسويين نحتفل بعرسنا. وإذا ذقناه، بنعمة الله، فإنما يظهر الخلق كله وتصبح الانسانية جميعًا بعض قربان.

أجل كشْفُ الكلمة مؤداه للصلاة حسب القول العزيز: «سأُبشّر باسمكَ إخوتي، وفي وسط الجماعة أُسبّحكَ» (مزمور ٢١: ٢٧). فالرعية، إذا تطهّرت بالإنجيل، تجتمع حول راعيها للتسبيح، لتمتد وإياه إلى الآب. الأسقف هو ذلك الإنسان الذي يُغذّي الحنين إلى الآخرة. هو المهاجر أبدًا إلى محجّة تسري أمامه وتذهب به إلى حياة الأبد. انه لا يرسخ في الدنيا ولا يرسخ فيها قومه، فالكلمة تجري وهو يجري بها، والقداس يصعد وهو يتصاعد به إلى يومَ يستعيد المسيحُ الكونَ في جسده المجيد.

هذا البشير الكاهن يتولى الإمامة الحق، إذا استطاع أن يصبح حَمَلاً لله لا تسلُّط عنده ولا قهر، يستمدّ سلطانه لا من حرف ميت بل من طاقة الحب التي تتفجّر في يديه. «ينزل في كل أمر منزلة خادم بصبر في الشدائد... والفتن والتعب والسهر... والرفق والروح القدس والمحبة الخالصة، بكلام

الحق... بالكرامة والهوان، بسوء الذكر وحُسْنه» (٢كورنثوس ٦: ٤-٨). كل ذلك في حرية المسيح وبساطته لأن شيئًا في العالم لا يحتاج إلى المحبة وهي لا تحتاج إلى ما عداها لتغلب وتُقيم في الأرض سيادة المسيح. إن رفعة السيد هي عينًا في أنه «تجرَّد من ذاته متخذاً صورة العبد وصار على مثال البشر. وظهر بمظهر الانسان» (فيلبي ٢: ٦-٧).

كرامتنا نحن أن نموت. بعد ذلك ينبعث الكون فينا ويكون كل منا كملاك قائم على الشمس (رؤيا ١٩: ١). مَن جلس على النور يصبح نورًا. عند ذاك لا يبقى من سؤال. شؤون الزمن التي للناس ينصرف الناس اليها بصحو ومسؤولية ومعرفة، ويُطلّ الراعي على ذلك إطلالة نَصوحًا لأن الكنيسة لا تغيب، فقد سمَّرت ألحاظها على المسيح «به قوام كل شيء» (كولوسي ١: ٧) لتنصرف إلى كل حق وعدل وطُهْر جاء به أهل الأرض. إن كل تنهُّد، كل أنين، كل تطلُّع إلى غد أفضل تتلاحم في هامة المسيح الكونيّ. كل نموّ للانسان فرحة عند الملائكة. ولذلك كان كل مسعى نحو الحرية والمشاركة الإنسانية في الأمّة والعالم شيئًا من تمخُّضات الروح في ولادة ما يصنعون.

والكنيسة شريكة بما تُعنى به، بعض مما تعطي نفسها لأجله، بشرية كليًا ولو غير ترابية، متجذرة في تاريخ بلادها، تحمل على منكبيها صليب البلد وتصنع البلد بشهادة العدل والتحدّي النبويّ. ترمي كلاً من أبنائها في التزام هذه الدنيا.

هذا الحسّ جعل الناس يعرفون أصالة كنيستنا في هذه الديار. من آمن بتجسد ابن الله يؤمن بالتالي أن أرض بلادنا هي لحمنا وأننا فيها راصدون لمن أراد انتهاكها ظالمًا أو معتديًا.

حقُّ الله على الناس وحقُّ الانسان على التاريخ جُعل الأسقف لإعلانهما في الكنيسة وكانت الكنيسة لإعلانهما في العالم. وإني لأرجو أن يكون ربنا قد منحني هذه الرؤية وأنا أجيء من بيت طقوسيّ الذوق ومن حركةٍ لشبيبةِ كنيستي تروَّضتُ فيها على معرفةِ كونيةِ المسيح وانبعاثية كل حق في روحه. وما أَدركتُ شيئًا مما أدركتُ إلا لأني كنت أقرأ النور على وجوه شبابٍ عاهد ربَّه على تشوُّف أنطاكية جديدة.

تراث أنطاكية نريد أن نعلنه عمقًا في دمشق العربية شهداء على أننا في منزلة القلب من المصير العربي. أنطاكية في غناها كله نريد إقامتها في فكر لبنان الحبيب. كنيسة واحدة هنا وهناك لا زيف فيها تخدم الله في مرافق الانسان.

هذه الكنيسة التي اختلج فؤادها للتجدد منذ ربع قرن ونيف أرادت تكليفي برعاية أبنائها في كرسي جبيل والبترون وما يليهما وكأنها تقول لإخواني في جبل لبنان انها تريدني في وسطهم قضيبًا ساهرًا بالكلمة، يقظًا للخدمة. فالله أسأل أن يتمّم قصدها راجيًا إليكم ألا تُهملوني من دعاء رفيق.

إن الكمال إنما هو السعي إلى الكمال

إخوتي،

إنكم أحببتم إحياء هذا اليوم معي لنقيم ذبيحة الشكر لهذا الذي له وحده المجد في أنه دعاني وأكرم في ما أعطى وعلّمني ما علّم ورآني فرأيته ولطف بي فالتقطتُ من أنواره ما مكّنني من ذلك طاعتي وذلك في ذوق صليب هو وحده خلوة هذا الحب الذي غدا عندنا نحن العيسويين كل الكيان وكل اللغة.

كلمة المطران جورج في قداس الذكرى الاربعين لكهنوته، كنيسة مار يوحنا المعمدان في وادي شحرور، ١٩ كانون الأول ١٩٩٤.

أربعون سنة انقضت ألتمس فيها الرحمة وما عرفت فيها قوة الا تلك التي حلّت من انعطافه، وأنت في كثرة من الأحايين وحدك في المحنة، فكيف تُواجهها بهذه الجبلة التي جُبلت بها، بنواقص ثابتة أو تجارب تختفي ثم تعود، وأمامك جبال من الوهن والفتور فيك وفي الناس، وتطوي الأيام وهم يتغيرون قليلاً أو قلة منهم تتوب وأنت تنتظر توبتك فكيف تعطيهم وأنت صفر اليدين وكيف تنشئهم وأنت لا تزال في رحم المعرفة الكبرى جنينا. كل هذا مما تَعلمه عن نفسك وما لم تعلم

سيكشفه الله لك يوم الدينونة، ورجاؤك وأنت عار أن يُلقي عليك حُلّة الغفران خشية أن تكون قد سعيت باطلا أو لا تكون قد سعيت بالمقدار الذي يتطلبه حفظ الإيمان فيك وفيهم.

ولا يبقى في أية حال سوى زمان يسير أرجو فيه من محبتكم الصراحة الكاملة لتقويم اعوجاجي لأن الوديعة التي ائتُمنّا عليها ليست ملكا لي ولا لكم وقد أُمرنا بتسليمها . أنا أخاف المثول بين يدي الاله الحي الذي ليس عنده مزاح. ادعوا لي حتى لا يكون هذا المثول مخزيا عسى أقضي معكم ما يبقى لي من العمر بانتباه وتواضع وزخمِ عملٍ وإحسان الكلمة. في هذا السياق يلفتني منذ سنين طولى هذا القول في إرمياء بعد أن قضيتُ في عشرته عاما كاملا في أيام صباي. يلفتني قوله: «فكانت كلمة الرب إليَّ قائلاً: قبلما صوّرتُكَ في البطن عرفْتُك، وقبلما خرجتَ من الرحم قدّستُك. جعلتُك نبيا للشعوب. فقلت: آه يا سيدُ الربُ اني لا أعرف ان أتكلم لأني ولد . فقال الرب لي: لا تقل إني ولد لأنك إلى كل من أُرسلك تذهب وتتكلم بكل ما آمرك. لا تخف من وجوههم لأني أنا معك لأُنقذك يقول الرب. ومدّ الرب يده ولمس فمي وقال الرب لي: ها قد جعلتُ كلامي في فمك. انظر قد وكّلتُك هذا اليوم على الشعوب وعلى الممالك لتقلع وتهدم وتُهلك وتنقض وتبني وتغرس» .

ما يهمّني ألا يأتي هذا اليوم منتهى لحقبة بل انطلاق لزمان لكم جميعًا . ولهذا أعود بكم من الكلام عن نفسي إلى الكلام في هذا الذي وحده ساغ الكلام فيه. خوف إرمياء من نفسه عرفه نبي آخر لما فوّضه الرب أمر النبوءة فقال: «اني لستُ نبيا ولا ابنَ نبي، انما أنا راعي بقر وواخزُ جمّيز. فأخذني الرب من وراء الغنم وقال لي الرب: انطلقْ وتنبأ لشعبي إسرائيل» (عاموس ٧: ١٤ و١٥) . لعل كلاً منا عرف هذه الحيرة وهذا التلكؤ أنه هش وأن بينه وبين الرسالة هوّة لأنه يعرف نفسه ساعيًا إلى شيء آخر ليس من الرسالة في شيء وقد لا يحسّ بحنان الأُبوّة ويستثقل موقعه وأن يشاهد في الرعية إهمالا له وقسوة وقد لا تكون مشغوفة بالمراعي الخضر ولا تُقبل على الخبز السماوي. وإغراؤه أن يهرب في العمق ولو قام على صلاته صبيحة الأحد وما اليها . قد يغزونا هذا الضجر ونعالجه باللهو فنملأ بالكهنوت أيامنا ولا نملأ به قلوبنا ويحسّ الناس بهذا فتُكَمّ أفواهنا دون الكلام الحلال. اذ ذاك

نذكر إرمياء يقول: «ومدَّ الرب يده ولمس فمي». يده تحمل ملقط جمر إن ذكرتم اشعياء. «لمس فمي وقال لي الرب قد جعلتُ كلامي في فمك». فلماذا تُصرّ على أن تبقى أبكم؟

انظرْ قد وكَّلتُك هذا اليوم على الشعوب. أنت صرت أبكم بعد أن تعوّدت ألاّ تنظر إلى وجهي لشعورك بأن بهائي يفرض عليك البهاء وهذا يكلّفك تعبا كثيرا. وقد تؤْثر أن تبقى غافلا أو تتغافل اذا ما أتى العريس في منتصف الليل، فعندك أنه يعرف شغله وأن تغطّ أنت في النوم أدنى إلى ما تحسبه راحة لك. الحق أن الكلمة تعود إلى أفواهنا من داخلنا اذا دخلت حسب رؤية حزقيال: «فقال لي: يا ابن الانسان، كلْ ما انت واجد، كلْ هذا السِفر واذهب فكلّمْ بيت اسرائل. ففتحتُ فمي فأَطعمَني ذلك السِفر. وقال لي: يا ابن الانسان، أَطعمْ جوفك واملأ أحشاءك من هذا السِفر الذي أنا مُناوِلك. فأكلته وصار في فمي كالعسل حلاوة» (٣: ١–٣).

وقد يتوهَّم أحدنا ولا سيما اذا تَقادَم عليه الزمان أنه عمل في أول عهده في الكهنوت عملا كبيرا وأنه آن له الآن أن يستريح على ما ألفه من الخدمة وبعض ما يحيط بها من افتقاد قليل. اذ ذاك يسمع الرب يُكلّمه كما كَلّم إرمياء: انظرْ، قد وكّلتُك هذا اليوم. كل فجر يا إخوة فجر الخليقة الجديدة فينا ووعد نور في المؤمنين. وقد يكون أحدنا في كهولته الطاعنة أو الشيخوخة أعمق عطاء وأحرّ حبا. إن من لم يعش كل يوم كأنه يوم رسامته يكون قد دخل في تأُفف الرتابة. فإنْ هبَّ الروح فيك من جديد فهو إياه الذي يَقلع ويَهدم في مواضع الاقتلاع والهدم وهو إياه الذي يبني في موضع البناء. أي انه عليك أن تكافح الخطيئة والجهل في كل نفس، ومن بعد هذا أن تُجمّلها وأن تزيدها جمالاً. وليس لك من مهمة غير هذه.

أنت كاهن لأنك نبي. لأنك لا تُحابي الوجوه، ولا تُحابيها إلا لكونها تنظر إلى وجه الله وحده كما كان موسى وإيليا في ثابور لا ينظران إلا وجه الإله. غير أن أحدًا منا لا يقبّل النبوءة ولا يحملها الا اذا مات عن كل شهوة فيه على غرار ذلك الذي لم يصر راعي نفوسنا العظيم الا بعد أن قَبِل أن يصير بالموت حَمَل الله. ولهذا يقول إرمياء: «لنُتلِف الشجرةَ مع ثمرها ولنستأصله من أرض الأحياء»

(١١: ١٩) . ولأنك، كاهنًا، تقبل الموت كل يوم، سيطلبون نفسك قائلين: «لا تتنبأ باسم الرب، لكي لا تموت بأيدينا» (١١: ٢١) .

ستبقى طائفة من الناس متمرّدة كثيرة كانت أم قليلة. ولكنّ ثمة كثيرين في هذه الأبرشية ارتدّت قلوبهم إلى الرب بفضلِ مِن سهركم. نحن ولجنا طريق الخلاص، والتعزيات كثيرة، ولكن ينبغي أن نقلق كثيرًا لو سمعنا الله يقول على لسان حزقيال: «لا ترعَون الخراف، الضعاف لم تُقوّوها والمريضة لم تُداووها والمكسورة لم تجبروها والشاردة لم تردّوها والضالّة لم تبحثوا عنها، وإنما تسلّطتُم عليها بقسوة وقهر. فأصبحَتْ مشتتة بغير راعٍ» (٣٤: ٤ و٥) . واذا صحّ هذا في واحد منا فليس عليه إلا أن يسعى على أن يكون على صورة الراعي الصالح الإلهي الذي يبذل نفسه في سبيل الخراف. لهذا يُحجَب وجهُ الكاهن المسجّى بالستر لأنه يكون قد صار ذبيحةً ووجهه محجوب لأنه لم يَعُدْ يطيق الا رؤية وجه الحبيب.

أنا أدعو ربي أن يمنّ على كل منا بأن يكون على قدر النعمة التي وُهب على صورة المعلّم، المسحوق حبا، أن يصير أخًا لشريكه في الخدمة الإلهية وأن يزداد علما . في تصوُّري أننا نجحنا في جعل المعرفة مطلبا عند الكهنة، وهذا ممكن لكل منكم لأن الذكاء لا يُعوزكم، ولكن الجهد الموصول يُعوز بعضًا منكم على صعيد قراءة الكلمة هذه التي إن أكلناها نحيا بها إلى الأبد . وكلمة السر في هذا أن مَن صلّى كل يوم في عمق الايمان وحرارة الاستغفار تصير له صلاته مع الكتاب الإلهي المدرسة التي لم تؤهّله ظروفه أن يدخل اليها .

نحن لا نستطيع أن نخلّص المؤمنين الا اذا رأوا في مسلكنا صورة الراعي الصالح الذي يدعو كل خروف باسمه بمعنى أنه يحبه شخصيًا ويخدمه شخصيًا، ولا خدمة عندنا الا اذا أطعمناه الكلمة. العبادات لا تكفي للعلم. وينبغي ألا يكون أداؤها عذرا لجهلنا . يجب أن تعود الكنيسة إلى ما كانت عليه في الألف الأول كنيسة صلاة وكنيسة معرفة. هذا تكامل يضمن وحده أننا على طريق الخلاص. أن نكون عالمين بالكلمة ومتواضعين بآن معًا لسعيٌ ممكن. على هذا نتعاهد إنْ ودّعْنا

الذكرى بعد هذه الخدمة الالهية. نودّعها ليعيش كل منا كهنوته بوعي متزايد وتفانٍ لا يُحدّ على أن تَذْكروا كلمة غريغوريوس اللاهوتيّ: «إن الكمال إنما هو السعي إلى الكمال». اذا اقتنعتم بهذا أعرف أن كنيسة جبيل والبترون باتت في عهدتكم وأنه حان لي أن أقول للرب: «الآن أَطلِقْ عبدَك أيها السيد حسَب قولك بسلام» (لوقا ٢: ٢٩). تكونون أنتم قد جعلتم هذه الأبرشية عتبة للملكوت.

نحن معشر الكهنة لسنا سوى غاسلي أرجل

هذا مُقام شكرٍ للذي تليق به وحده الكرامة. إنه شكر لِما أعطى ولِما حرم. ذلك أنه أعطاكم انتم. فحاولت أن أستمع إلى «ما يقوله الروح للكنائس»، وتقبلتُ النفحات التي نفحكم بها الروح، وما كنت لكم إلا بمُذكِّرٍ لِما كنتم تعرفون، وسوف أغيب بعد التذكير.

والمُقام الثاني هو مُقام توبة بسببٍ من تقصير وقعتُ فيه ومن إهمال، من خطايا عامدة وغير عامدة، بسبب من هذه الترابية الزائلة، من هذا الإناء الخزفيّ الذي ارتضى الله أن يضع فيه عطرًا والعطر له وليس للخزف شأن مع العطر، ولكن إن تسربَتْ إليكم «رائحة المسيح الزكية» فهذا من فضله وهذا من طاعتكم. وإذا أقمنا في مُقام التوبة نستطيع أن نتبصّر في الكتاب العزيز. إنكم قد قرأتم ما ورد في سفر الرؤيا عن الأربعة والعشرين شيخًا الذين شاهدهم يوحنا في السماء متحلّقين حول يسوع، ولعل هؤلاء الشيوخ الكهنة عبروا إلى السماء بواسطة شهادة الدم، تلك كانت البيئة التي كتب عنها الرسول.

كلمة المطران جورج في اليوبيل الفضيّ لأسقفيته، كنيسة رقاد السيدة في حامات، ٤ آذار ١٩٩٥.

وتذكرون قول الحبيب الرائي أن هؤلاء الشيوخ، الذين كانوا متّوجين بأكاليل الشهادة في ظني، كانوا يُلقون أكاليلهم ويرمونها امام عرش الحمَل. يا إخوة، ليس على رأس أُسقفٍ إكليل. ولو تراءى لكم شيء من هذا، طيف من هذا، فإنه يُرمى عند قدمي الحَمَل الذي له وحده الإكرام والسجود وله وحده يليق المجد لأنه وحده ذو القدرة.

وتذكرون ما قيل في العهد العتيق وما ردّدناه في الخدمة الإلهية، من أن حول العرش الإلهي الشاروبيم والسارافيم الذين نحاول بخفر وتواضع التشبُّه بهم اذا تحلّقنا حول السيد المبارك. ويقول الكتاب الإلهي إن هؤلاء السارافيم والشاروبيم كانوا يَستُرون وجوههم بجناحين وَيستّرون أرجلهم بجناحين ويطيرون بجناحين. يسترون وجوههم لأنهم باتوا غير قادرين على رؤية المجد الإلهي، ليس احد منا يبصر المجد ولا حلّ على احدٍ مجدٌ. وإن تراءى لنا شيء من هذه الظلال فإنما يجدر بنا أن نغطي وجوهنا بالأجنحة. لماذا لم تقدر الملائكة أن تطير في مرحلة أولى؟ لأنها ما كانت قادرة أن تبصر، فإذا اخترق وجوهَها المجدُ الإلهي تتمكن من جديد أن تطير وأن تُحلّق حول عرش الحَمَل. الكارثة يا إخوة، أن يَحجب اللهُ نوره عن وجه الأسقف. عند ذاك يكون لا شيء.

يبقى أنتم يا إخوتي الكهنة الذائقين مرارة العيش بسبب من إهمالي وبسبب من جهالات الشعب. ولكنكم حاولتم، حاولنا معا، أن نجعل في المؤمنين وعيا يزداد فيما أهّلَنا الله عليه من البشارة. ولعل إشعياء كان ينظر إلى جبل لبنان لما قال: «ما أجمل المبشّرين في الجبال، المبشّرين بالسلام». لقد زرَعَكم مسيحُكم على هذا الجبل لتكونوا فيه منائر علّ المؤمنين يهتدون، وقد يكون الكثيرون من المؤمنين هم المنائر وبهم انتم يا كهنة تهتدون. مهما يكن من أمر، سمعتموني أقول للكهنة الناشئين، سنة بعد سنة، إننا نحن معشر الكهنة لسنا سوى غاسلي أرجل، لا نطلب أرقى من هذا ونكتفي بالتمجيد اللائق بغاسل أرجل علّهم يُبصرون. سنكمل هذه المسيرة القديمة التي أُطلقت في أورشليم منذ قيامة المخلّص وحلول الروح. نحن جزء يسيرٌ من هذه المسيرة. غير أني أفتخر بما قلته مرّة لرجل من كنيسة لا تعتقد بالكهنوت، انت ترى أمامك أسقفا محدودا بترابيته وخطاياه وطبائعه،

ولكنّ هناك شيئًا انت لا تبصره. قال ما هذا الشيء؟ قلت أنا لست أنا. أنا أحمل على كتفي إغناطيوس الأنطاكي والذهبي الفم والدمشقيّ وما اليهم، نحن في الأرثوذكسية لسنا نحن، نحن نجيء من الشهداء ومن الأبرار والنسّاك وأصحاب الكلمات الحلوة الذهبية البارّة. قلت له أنت تُعامل كنيسة عظيمة ولو تأذّت مما في رؤسائها وأعضائها من ضعف.

هذا ما أخال انكم أحببتم أن تحتفلوا به. في الواقع أردتم أن تتذكروا أن كنيسة المسيح هي الحياة كلها والحلم كله والآفاق كلها، وأصررتم أن نذهب إلى هذه الآفاق. الله سيقول وحده ما فعلنا وما لم نفعل، هو وحده يعرف قيمة الأشياء. ولكن ما نعرفه نحن أننا ماشون وأننا مسرعون في سيرنا وأننا سنعدو هكذا في الضوء، في الصدق، وأرجو في التواضع. سوف لا ننسى أن نَسْتُر وجوهنا بجناحين وأقدامنا بجناحين، والله حرٌّ في أن يخترق هذه الأجنحة وأن يصبّ علينا نوره، هذا شأنه. ولكننا سنسير مقيمين أولاً في مقام التوبة حتى اذا ما استقررنا هناك يرفعنا الرب إلى مقام الشكر والتسبيح. وبعد هذا، اذا راقه أن يقرأ هو على وجوهنا شيئًا من جمال، سيفوّض الملائكة بأن يتغنّوا به، آمين.

الراعي الصالح يبذل نفسه عن الخراف

يا إخوة،

أردتم هذه الذكرى، أتّخذُها فرصة ليتعلّم صاحب الذكرى التواضع. ففي الخدمة الإلهية، قبل تقدمة القرابين، يقرأ الكاهن «ليس أحد من المرتبطين بالشهوات واللذات الجسدانية مستحقًا أن يتقدّم إليك أو يخدمك يا ملك المجد». عندما أتلو هذه الكلمات سرًا، من وقت إلى آخر، تنتابني هذه الفكرة أنه لا بدّ لي من أن أَخرج من الهيكل لأنه ليس أحد من المرتبطين بالشهوات يستطيع أن يتقدّم، أو أن يقف إمامًا للجماعة. غير أن النير أُلقي عليّ كما يقول الرسول الكريم. ولا بد من أن يَفلح الثور وهو تحت النير.

كلمة المطران جورج في ذكرى ٤٦ سنة لكهنوته، دير رقاد السيدة في كفتون، ١٩ كانون الأول ٢٠٠٠.

ما جاء في الكتاب العزيز أن الكاهن «خادم الكلمة». هذا هو تعريفه في الوحي، «خادم الكلمة». ولذلك قال بولس أيضًا لتلميذه شيئين: «اعكُفْ على القراءة حتى مجيئي»، أي تتذاكر في ما أنت قرأت. ثم قال له «عِظْ في الوقت المناسب وغير المناسب». أن تُعطي

الكلمة، أن تُنعش المؤمنين وغير المؤمنين، تلك هي الوظيفة. ولهذا حاولَتْ مجموعة من الناس منذ ستين سنة أن تُذكّر كنيسة أنطاكية أن المسؤولية الملقاة على الكاهن هي أولاً أن يعكف على القراءة ليتمكّن من أن يعظ في وقت مناسب وغير مناسب حتى يحيا الناس بهذا الخبز السماوي النازل حياةً للعالم.

والكلمة طبعًا تصير سرًا إلهيًا، والأسرار هي نوع من الكلمات يأخذها الناس ويحيون بها. ليس عندنا نحن فَرْق بين الكلمة والسر، وكل منهما إطلالة من إطلالات الله علينا.

غير أن هذه الخدمة الكهنوتية تكاد تكون مستحيلة على البشر، كما قلت في استهلال هذه الكلمة. تكاد تكون مستحيلة، ولكن أحدًا يجب أن توضع الأيدي عليه وأن يُزجّ فيها، وإذا ما دعاه الأسقف. كيف يرعى؟ بأية قوة يرعى ولاسيما إذا كان رقيق الشعور؟ كيف يرعى هؤلاء الناس الذين يهبطون عليه كالصخور؟ كيف يتعامل الكاهن مع الصخور؟ مع كل هذا النتوء اليومي الذي يجرحه في شعبنا؟ قال الله المبارك «الراعي الصالح يبذل نفسه عن الخراف». مِن بعد أن سُفك الدم الكريم على الخشبة، ليس من راعٍ صالح. هي أمنيات. هي آمال فقط، لأن واحدًا سَفَكَ دمه على الصليب. الراعي الصالح هو من يبذل نفسه عن الخراف. مرة واحدة صار ذلك، ولهذا سُمّي الرب يسوع «راعي نفوسنا العظيم»، وبقية الأساقفة والكهنة منذ ألفي سنة يُسمَّون كذلك فقط على سبيل الرجاء.

لماذا قال الكتاب الإلهي «الراعي الصالح يبذل نفسه عن الخراف»؟ ذلك أنك لا تستطيع أن تحب إلا إذا متّ، ولا تقدر أن تفدي أحدًا إلا بالموت. ولهذا قيل عن السيد المبارك شيء آخر، قالها أحدٌ استُشهد: «هذا هو حَمَلُ الله الحاملُ خطايا العالم»، وهذا ما سوف يؤكده سفر الرؤيا بقوله: «إن المسيح ذبيح قَبْل إنشاء العالم».

في المذاكرة الثالوثية، في الحوار الثالوثي بين الآب والابن والروح القدس، منذ الأزل، أُعِدّ الابن لكي يُقتَل حبًا. وصار الحَمَل الفصحيّ المذبوح من أجلنا. ولما ذُبح على الخشبة فقط، صار راعي

نفوسنا العظيم. صار راعيًا لأنه ارتضى أن يكون حَمَلاً. ولذلك ليس أحد منّا كاملاً إلا على سبيل التشبّه، وعلى سبيل ارتضائه هو ونعمته، ومن بابِ أنه هو يكهن فينا . لا يكهن أحد من نفسه. هو يستعمل أيدينا وعقولنا في سبيل تبليغ كلمته وأداء الصلاة. ولذلك هو وحده ممدود، وكل كهنة الأرض تراب. «ليس أحد من المرتبطين بالشهوات واللذات الجسدانية مستحقًا أن يدنو منك أو يخدمك يا ملك المجد».

ألا أهّل اللهُ هؤلاء الكهنة المجبولين من تراب ألاّ يُكسر خزفهم كثيرًا لكي يتمكّنوا من أن ينتصبوا حاملين الكنيسة في نفوسهم، أن ينتصبوا أمام المائدة المقدسة ويُخطفوا إلى وجه الآب، علّ الكنيسة ترى أن كل ما طُلب إليها أن تصير مخطوفة إلى الآب، علّها تصير العروس، آمين.

الكاهن أيقونة

أيها الأحبة،

تذكَّر بعض الإخوة أنه مرّ عليّ خمسون سنة من القسوسية. فرغبتُ أن تأتي التلاوتان، الرسائل والإنجيل، مناسبتين لأتذكّر وأتوب. وما وددت أن أقوله لكم هو ما فهمتُ من الكهنوت. وأما ما تعلّمته حقًا فإن الديان الرهيب سوف يكشف لي إنْ تعلّمْتُ. تذكرون أن حزقيال قال ويلات ضد رعاة إسرائيل، وقال إنهم يُهملون الرعية ويَرعَون أنفسهم حتى أنهى إصحاحه الشهير الرابع والثلاثين بقوله إن الله سيبعث داود راعيًا لشعبه. ما معنى هذا القول وقد مات داود؟ فبدا لي أن داود هذا الذي يقصد، إنما هو ابن داود، حتى جاء المخلّص في هذه التلاوة العظيمة من يوحنا يقول: «أنا هو الراعي الصالح»، ثم يقول «الراعي الصالح يبذل نفسه عن الخراف»، سأقف عند هذا. «أنا الراعي الصالح» مع ال التعريف المطلقة التي تعني أنه لم يكن قبله راع صالح، ولن يجيء بعده راع صالح.

نحن الذين نُسمّى رعاة إنما نحاول بصورة باهتة جدًا أن نُساهم مع

ذكرى خمسين سنة لرسامته الكهنوتية، دير سيدة النورية، ١٨ كانون الأول ٢٠٠٤.

المعلّم في رعاية قطيع يخصُّه ولا يخصّنا. ربما جُرّب الكاهن أن يظن أن الإخوة الذين هم حوله في كنيسته إنما هم رعيته. هذا من باب التسمية. إنهم ليسوا رعيته، إنهم رعية المخلّص. وقدَرُ المخلّص أن يرعانا خلال ألفي سنة مع رعاة خاطئين، أساقفةً كانوا أم قسسًا. وكانت فترات من الزمان، ليست ببعيدة، لم يكن أحد يعرف شيئًا، ولا أحد يُعلّم شيئًا. وما كانت الكلمة تُنقَل، ما عدا هذا الفُتات القائم في الليتورجيا والمعبَّر عنه باللغة الفصحى. مهما يكن من أمر، هناك راعٍ صالح واحد فقلّدوه ولو بصورة باهتة.

كيف كان راعيًا صالحا؟ أتخذُ كلمة من الرسالة إلى العبرانيين لأفهم هذا «وإله السلام الذي أقام من الأموات راعي الخراف العظيم ربنا يسوع المسيح بدم العهد الأبدي يُكمّلكم في كل عمل صالح». ومعنى هذا أن السيد المبارك صار راعيًا لمّا اقتبل أن يصير حَمَلاً لله، أي على هذه الخشبة، فلما سُفِك دمه حبًا صار راعيًا صالحًا. هذا كان الشرط.

لذلك ليس من كاهن ولا أسقف يمكن أن يكون راعيًا كاملاً لأنه لا يستطيع في هذا الجسد أن يحب حبًا كاملاً. ولكننا نسعى. والويل لمن لا يسعى. كيف تكون صالحًا بالقدر البشري الممكن؟ تنظر إلى هذا الذي نسي نفسه على الخشبة ومُحِقَ محقًا كليًا. فمن لا يمحق نفسه محقًا تامًا فهو ليس براعٍ، أي ليس بموجود. قلت لكم، خلال سنوات، الكاهن غاسل أرجل أي إنه مُوحَّد مع الأرض. وهو لا يتطلّب من أحد أن يوقّره. هذا الذي يطلب توقيرًا لنفسه واحترامًا وإمارات تقدير، هذا يظن نفسه شيئًا. والتعظيم يذهب إلى المسيح. فمن لا يُقدّرك كاهنًا قَبل أنت رجليه لكي يعرف أنك كاهن. قبل هذا لا يستطيع أن يعرفك.

الشيء الآخر الذي فهمته، وهو في هذا الخط، أننا في العهد الجديد لا نعيش على نظام الكلمة، ولكن على نظام الأيقونة. ما معنى هذا؟ العبرانيون الذين لم يكن لهم إله في الجسد كانوا يعتبرون أن الله يُعبّر عن نفسه بكلمات. كانوا بدوًا كالعرب. والبدو يتكلّمون تحت الخيام. ويظنون أن الله بدويّ كبير، رئيس قبيلة. ولذلك يحكي. وكان هذا النظام نظامًا صحيحًا لأن الله كان يعامل بدوًا.

صح أن آباءنا أعطوا قوة كبيرة للكلمة. والسيد نفسه قال «إنكم أنقياء بسبب الكلام الذي كلّمتكم به»، وهذا الكاهن الحقير الذي يكلّمكم الآن لم يركّز أحد مثله في هذه البلاد على ضرورة الكلمة وقراءتها وتمحيصها ودرسها ولا أزال أُركّز. ولكن هذه وسيلة فقط، تربية. أنتم لستم كلمات، الله ظهر في الجسد فأتى المسيح أيقونة لأبيه.

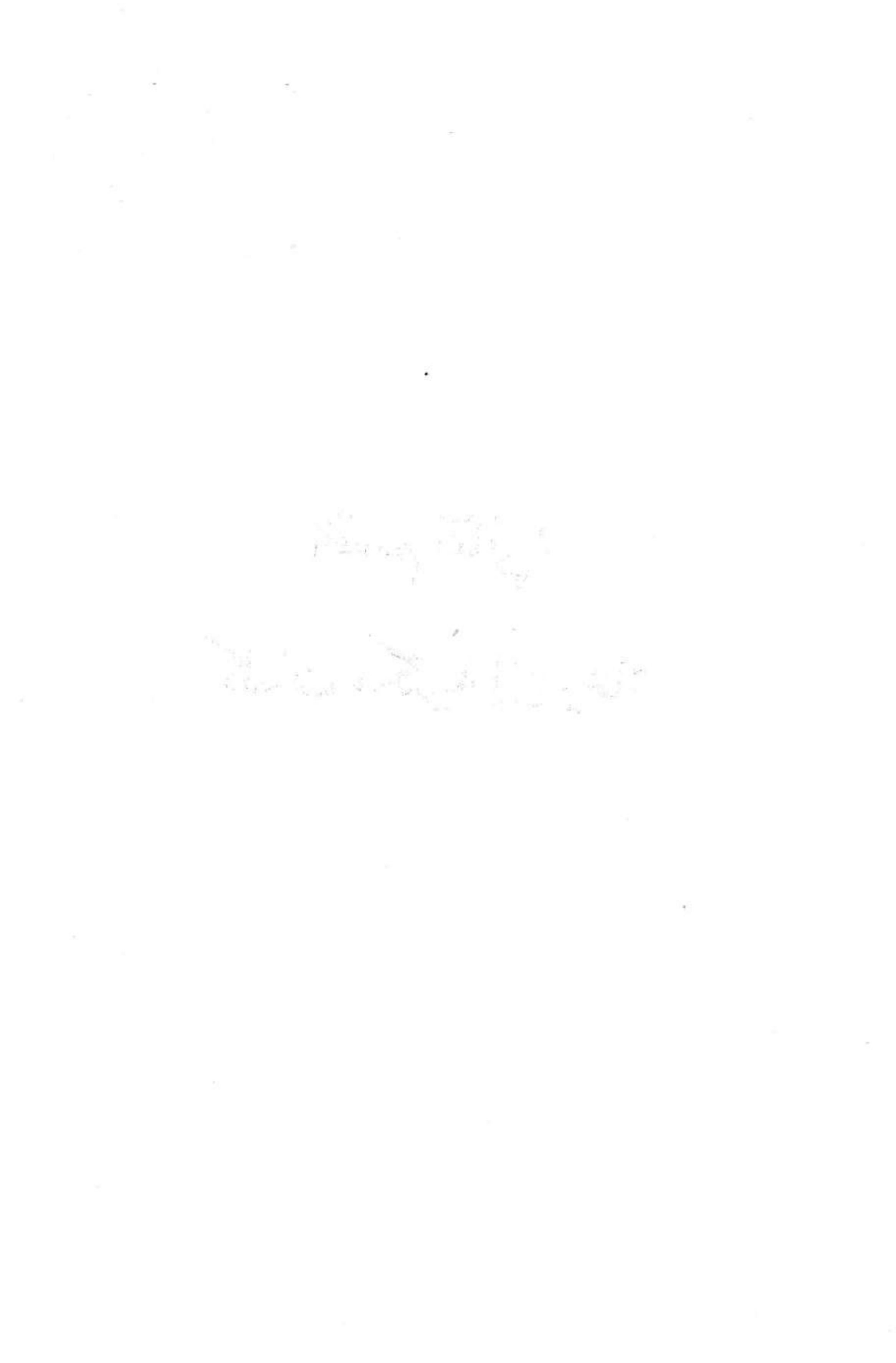
ماذا يقول يوحنا في مطلع سِفره؟ «الكلمة صار بشرًا ونَصَبَ خيمتَه في حيّنا». هذه هي الترجمة الصحيحة. «نَصَبَ خيمتَه» ولكنه لم يحكِ كالبدو. صار إنسانًا في حي البدو. وتاليًا، الذين يحاولون أن يصبحوا رعاة، إن لم يصيروا أيقونات مثله سيظلّون حكيًا يُحكى وأصحاب ليتورجيات رائعة تُدغدغ المؤمنين وتجعلهم يَحسبون أنهم اختُطِفوا ولعلّهم اختُطِفوا إلى لحن. الكاهن أيقونة. فمن رآه يرى الله. ومن لم يَرَ الله مرتسمًا على وجهه لا يستطيع أن يتخذه راعيًا. لذلك وَهْمٌ أن نقول إننا نُعلّم الكتاب المقدس فيمرّ. لا يمرّ. الكتاب المقدس إن لم يصر أنت لا يمرّ. هذا استيهام أكاديميين. لا يمرّ. يجب أن يصير أنت. الحب وحده يمرّ.

ولذلك جاء يسوع ليقول أنتم لا تعيشون وفق نظام الكلام. في الأخير لا تحتاجون إلى كلام، نحن لسنا في الأخير الآن، يجب أن نتمرّن حتى نصل إلى الأخير، وأفتخر بأني أول مذكّر بهذا منذ ستين سنة، أول مذكّر بضرورة الكلمة. ولكن هذا ليس الأخير، هذا قبل الأخير. الأخير هو أن تموت وأنت هنا قبل انقضاء عمرك، أي إنك تسكب دموعك ودمك واهتمامك وحضورك في سبيل الإخوة، لكي يتمكنوا من أن يفهموا ما أتمّه المصلوب. لقد حيينا نحن، نحن حيينا بموته. القيامة كانت كشفًا وبشارةً لهذا الذي حصل قبل ذلك. غاسل أرجل، متواضع ووديع، هذه نتيجة. محبّ حتى النهاية، معلّم كبير. معلّم كبير لماذا؟ لا ليفهموا. الدماغ لا يعبر إلى الدماغ. أنت تُعلّم لا ليتعلّموا ولا ليحفظوا ولكن لكي يصيروا.

فإذا ما خُطّت فيك خطوط أيقونة، إذا كُتِبَت فيك، تكون قد شرعت أن تصير راعيًا لرعية المسيح وتكون هي أيضًا حاولت أن تصير مجموعة أيقونات، آمين.

القسم الثاني:

كلمات مكتوبة إلى رعاة



إلى راعٍ

ستفصلنا البحار غدًا اذا أدرجك أسقف أنطاكية في المصفّ الرسولي. في هذه الأويقات التي أقضيها بانتظار الطائرة وأستطيع فيها وحدها أن أُناجيك، شئتُ أن أقول لك، في شركة الإخلاص، ما قد لن أجرؤ عليه غدًا بعد أن تكون قد أحاطت هامتك هالةٌ من نور.

وُجّهت إلى المطران اسبيريدون (خوري)، متروبوليت زحلة، إثر انتخابه. لسان الحال، ٩ تشرين الأول ١٩٦٦.

سيدور الشرير حولك ليُمزّقك. لن تعصمك ملائكية لم ينلها احد. ولكن في خضمّ الرعاية ستكون مأخوذاً بين حكمة العالم وحكمة الإنجيل. والأُولى دائمًا أسهل ويحتسب المرء فيها نفسه أنه ذو فطنة. والكتاب العزيز لا يطلب أن نُلقيها جانبًا ولكن أن نُخضعها للحكمة الأُخرى المرتكزة على اللطف والعفة والتواضع ويثيرها أمامك، في لحظات اعتكافك الحقة، ذلك الجسد الدامي الذي عُلّق من أجلنا على الخشبة. لمّا قال: «لا تكنزوا لكم كنوزاً على الأرض» كان عالمًا بأن قلب الانسان في ما يكنز وبأنه إن لم يحلّ في القلب البشري دون سواه لن يكون في ذلك القلب لمحة من الملكوت. هذه الاختطافات إلى عرشه لن تكون على فمك وفي أعمالك ما لم تكن

فقيرًا، معرّضاً إلى التشرد، إلى إهمال الكثيرين حتى تظهر أمامه، في كل يوم، صفر اليدين، متعطشًا إلى الرحمة، حافيًا عاريًا كأنك إزاء عتبة السماء. العراة وحدهم يلجون السماء.

في تجرُّدك هذا الكامل لن تأبه لوجه مخلوق لأن الحكم يكون فيك لله. سيتخبّط الناس حولك في «شهوات الغرور»، كما يقول الرسول العظيم وأنت في منأى عن العاصفة لأنك ترى الله عن يمينك في كل حين وتعرف أنه مخلّصك. ولكن إن تسرّبت اليك محبة هذا العالم لتسترضي هذا وذاك وتكسب مجدًا فليس لك أن تنتظر إكليل المجد الذي أَعدَّه الله للذين يحبّونه. الله أكبر من رعيتك وأكبر منك. إن جعلتها تشعر بأنها صغيرة أمامه وبأننا جميعًا أقزام أمام عزّته، تكون قد ساهمتَ في التجليات التي أتى الناصريّ من أجلها.

وفي مجمع الأحبار لن تكون بلا تجربة. الحكمة الدنيوية تقرع أبوابه أحيانًا بقوة. القيادة الكنسية هي نفسها ضمن السفينة التي تتلاعب بها الرياح. ولكنك عالم أن الأنواء تسكن فقط عندما يستفيق المعلّم. أنت ومن شاركك المسؤولية الكبرى في سياسة أُمّة الله لن تأتوا بشيء اذا نظر أحدكم إلى الآخر. ستكونون كل شيء اذا تطلّعتم إلى السيد النائم إلى جانبكم في السفينة واستغثتم. عند ذاك يأخذ ألحاظكم كلكم ويُسمّرها على آفاقه.

ساعتئذ سترون أنطاكية الجريح. ستُغذّونها بدمائكم. ستُضمّدونها بلحمكم، هذه التي أبقتها دموعها جيلاً بعد جيل شهادة للأمم. وقتئذ لن يسألكم أحد عن قانون لأن دمكم المسفوك قانونكم. تكون، أنت ورفقاؤك، ماسحين كل دمعة من عيوننا. ستُعيدون إلينا ايماننا بأنّ أبوّة الله ممكنة أيضًا على الأرض لأنكم حاملوها. أعطونا إلهًا حيًّا، إلهًا حيًّا فينا جميعًا، إلهًا نُفاخر به الشعوب.

لا بدّ لي أن أقف هنا. بعد قليل يجب أن أكون في المطار. هي أسطر أملتها عليّ عشرون سنة من تلك المصاحبة الطيّبة التي كان فيها وجهُك الصبيح أبدًا فرحًا للكثيرين. وكانت البشاشة، بالطبع، دليل انفتاح على خير ما في الحياة. أستودعك حنان الله رفيقًا لأتلقى غدًا منك بركة الأب والسيد. استلِمْ عصاك بالحزم والدعة بآن. سنشرب معًا، يوم الأحد الكأس واحدةً في قارّتين. الله معك.

إلى الأب الياس (عوده)

غدًا عيد شفيعك وإنك لتستقبله وأنت كاهن منذ أيام. ولقد رفعوك إلى هذا المقام لأنهم قرأوا الحبَ على محيّاك، ذاك الذي رسمْته فيك الكلمة تتعلّمه منذ الطفولة أخلاقًا من متّحد بارّ وكتّابًا مقدسًا مع شبيبة كنيستك.

ماذا أقول لك وأنت شببت على غيرةِ إيليا ولطفِ الانجيل بآن معًا ولم يحرمك طلب المعرفة أن تدرك أن الأنقياء وحدهم يعرفون فتابعت. في المهجر، تتلمذت على التواضع وآثرت، وأنت هناك، أن تتبتّل لربّك لا يشاركك فيه حبيب. وجعلوك منذ الآن في الرعاية وأنت على شيء من الفتوّة لأن الأبناء جياع وليس مَن يعطيهم خبزًا.

وجهت إلى الأب الياس (عوده)، بمناسبة رسامته الكهنوتية.
لسان الحال،
٢٠ تموز ١٩٦٩.

ستكون أنت طعامهم. سيأكلونك ولكنك قبلت أن تكون ذبيحًا وأن تقتلك كنيسة الله. سوف تدارس الكتاب كل يوم فلا بد لك أن تعكف على القراءة حتى تنقضّ عليك إلهامات توزّعها في الأحياء على الناس. ولا بد لك أن تصلّي بعنف لئلاّ تغترّ وتخدعك شهوات الصبا. وما

أهون انزلاقك إذا تملّقوك أو نمّوا عليك. إياك أن تُفسد الخدمة بالتحكُّم أو الانتقام. فالأصغرون عندك الأكرمون. وأمّا وجه ربك فابغِ، فله وحده الحكم ووجوه الناس تراب. وإذا أنت أَحببتَ ملَكْت، وإذا أبغضت أَهلكت وأنت في يوم الدين مسؤول عمن يهلك بغفلتك.

ومن تجاربك كثرة العلم. فقد تقضي ساعات بين الكتب تستمتع بالإلهيات والمؤمنون حولك عطاش إلى تعزية. أنت أولاً ماسح دموع وغاسل أرجل. وإذا ذبت هكذا أمامهم يعود ربك إليهم حضرة سماء.

ولكن الكلمة لا تذوب. ينبغي ألا تنقطع في فيك. قُلْها ولو توانى القلب دونها فهي أيضًا تُرجع قلبك إلى الله. كلامه يربّيك أولاً، يربّيك كالسوط. قُلْه لتأمن وقُلْه علّهم يرجعون. قُلْه سنةً بعد سنة وموسمًا بعد موسم ولو رأيت الخطيئة تُلازمهم كالعلق. المهم أنك أنت لن تنجو ما لم تتكلم. وهم أُوكِلَتْ أمورهم إلى هذا الذي دعاك من الظلمة إلى نوره العجيب.

إنجيل المسيح مبرح. لا تخشَ النزف. اجرح والطف فأنت طبيب لا نديم. أنت رفيقهم إلى ملكوت يحقّقون فيه أنفسهم ولست قاعدًا هنا لترتزق. قد يمجّونك في البدء، فالانسان فيما آل إليه من فساد ليس أليفَ الكلمة، ولكنك أنت سلّطْتَها عليك لتندمج فيها، لتصبحها ولسانُ حالك ما دَوّى به شفيعُك إلى الأبد: «حيٌّ هو الله الذي أنا واقف أمامه». إن بقيتَ على هذه الوقفة أو عدت إليها بعد تكاسُل فالحياة بين يديك أضحت وديعةَ إلهٍ وأنت في مواكب الذين يفتدون الزمان ويسوقون الأرض إلى الفردوس.

السرّ في قداستك. والقداسة ليست طهريةً ملائكية. فمن كان ذا يدين فلا بد له أن يمسّ الأرض. ومع ذلك لا يرضى سيّدك عن القداسة بديلاً فلا شيء في الدنيا يُضاف عليها. إنها الوجود كله وأبعاد الوجود. إنها تعني أنك لا ترضى معايشة الإثم لا فيك ولا في غيرك، أنك بالتالي جريح إلى الأبد ولا سيما أن الإنجيل جعلك حسّاسًا إلى حد التمزُّق المستمرّ. ولكن إن تيقّظتَ ولم تُهمل محبتك الأولى، إن عُدْت إلى حرارتك بعد فتور واستغنيت عن المطربات واحدة واحدة فأنت مطيع لهذا

الذي أَسلمتَ إليه في تواضع قلبك وانكسار الروح. ما عدا ذلك باطل وقبض الريح.

ستبقى، عامًا بعد عام، سالكًا في الإيمان إلى أن تشيخ. في الايمان قلتُ لأنك لن ترى الملكوت يسير قدُمًا وأنت عالم أن «حياتنا مستترة مع المسيح في الله». في زمن الكهولة سوف تضطرب. سوف تُعاين أن كل شيء حولك ينهار والعزلة حولك وفيك رهيب. رُكيعات الليل في غرفةٍ ستكون وحدك فيها والكأس المقدسة إذا تناولتها في استغفار حق، ستكون واحتك في الصحراء التي اخترت أو التي اختارها لك مَن يعرض علينا الصليب.

قم إلى المذبح غدًا واختطفنا معك إلى السيد. هات الخبز والخمر لئلا نموت. شكرًا لك يا الياس.

العالم رعيتك

«افتحْ فمك وكُلْ ما أُناولك. فرأيت، فإذا بيدٍ قد أُرسلت إليّ وإذا بدَرْجٍ كتابٍ فيها . . . فقال لي يا ابن البشر كُلْ ما أنت واجده في هذا الدّرْج وانطلقْ وكلّمْ آل اسرائيل. ففتحتُ فمي فأَطعَمَني ذلك الدّرْج . . . فأَكلتُهُ»

(حزقيال ٢: ٨ -٩ ؛ ٣: ١-٣)

رسامة الشماس عصام (بيطار) كاهنًا، كنيسة القديس جاورجيوس في عاليه، ١٧ نيسان ١٩٧٧.

جئتَ، عصام، هذه الكنيسة اليوم لتصبح كلمة، حكاية الله مع النّاس، وكأنّك أسكنتَ فيك كلّ الكلمات التي من ترابيّتك، وما يفيض من قلب الله عليك ستعيه وتسمعه بأذنَيكَ وتنطلق إلى بني شعبِك وتكلّمهم وتقول لهم هكذا قال السّيد الرّب.

والكلمة موجعة لأنّك رافضُها إذا تحيّرتَ بين الله والمغريات، والشّعب رافضها إذا عَبَدَ العجل الذّهبيّ. وقد تقول مع عاموص: «لستُ أنا نبيًّا ولا أنا بابن نبيٍّ، بل أنا راعٍ وواخزُ جمّيز» (عاموص ٧: ١٤)، فلا أريد أن أذهب وهمسات النّزوة تُوَسوِسُ فيك أبدًا لترتاح إلى ما ليس بإلهيّ في فتوّتِكَ أو ثقافتك وأنت ذوّاقة لهذا الدّهر. وقد تذْكُر أنّك انعطبتَ فيه

فتسلذّ العطب، وعلى ذلك فالوحي الكريم صريح: «إنّي ها أنذا قد جعلتك اليوم مدينةً حصينةً وعمودًا من حديدٍ وأسوارًا من نحاس على كلّ الأرض، على ملوك يهوذا ورُؤسائِه وكهنته وشعب الأرض فيحاربونك ولا يقوون عليك» (إرميا ١: ١٨-١٩).

نحن رُؤساءك وأقرانك قل لنا ما تريد حتّى نتأدّب بأدب الرّب ومخافته. فالحقيقة ليست وقفًا علَى أحد وليس الفهم حكرًا، وقد أقمناك في وسط الهيكل سيّدًا فإذا انتصبت معلّمًا فقولك مُطاع. ونحن قطيعٌ مطروحٌ يصرخ حاجته إلى كهنةٍ قلبُ كلّ منهم كقلب الله. هنا يكمن سرّ التّعليم ومن هنا مداه. «يا عبد كل شيء قلب». المهم أن تصبح إنجيلاً يُستَغنَى به عن الإنجيل. إذ ذاك، رعيّتك في شهوة القداسة تتغنَّى على عتّبات الملكوت وأنت مُدخلهم ومُخرجهم إذا فهمتَ قولة أو قولتَين. فدونك هذه مثلاً: «وكهنوتهم يكون لهم ميراثًا فأنا ميراثهم» (حزقيال ٤٤: ٢٨). أي إنّك إذا استغنيتَ بالله وطرحت عن نفسك كلّ ما هو دونه لتدخل في سرّ العراء الإلهيّ، يولد النّاس منك إيلادًا جديدًا ويفتقرون إلى ربّك ولو أزهرَتْ لهم دنياهم جنّات. ولكونك صفر اليدَين، خالي الصّميم إلاّ من حضرته، فأنت تُطعمهم من جوعٍ وعن وجه الله تُسقِط الحجاب إذا رأوا وجه الله محجوبًا. أو دونك قولة أخرَى: «ويقفون أمامي ليقرّبوا لي الشّحم والدّم» (حزقيال ٤٤: ١٥). فالمهمّ بالتّقدمة، على مستوى الإنسان، أن يكون مقرّبها واقفًا بين يدي الله، فإذا وقف هكذا مناجيًا لربّه يحول الله بينه وبين شهوته، فإذا به ذبيحة حيّة فيها نطق المسيح كاشفةً للذّبيحة الكبرَى. وهذا متيسّرٌ له إذا أدرك ما جاء في سفر حزقيال: «ولا يشرب كاهن خمرًا عند دخوله إلى الدّار الدّاخليّة» (٤٤: ٢١). فمن شاء ولوج قدس الأقداس في كنيسة المسيح لا يستطيع أن ينتشي إلاّ بالله ليكون كامل الصّحو أمام الوجود كلّه.

«وعلَى قدر يقظتك اختناقُك
أيُّ فتًى في أفقٍ وربُّه في أفقِ».

كلّ مُؤمن مختنقٌ على رجاء الفصح. ولكنّ القيامة ليست هدأة بل تفجّر أشواق. القيامة لا

تُخفي أثر المسامير. يا أُخيَّ، لا خوف عليك إذا جاءك أي توما ليتعرّفك مطعون الجنب. حسبه أن يراك مترنّحًا بما فيك من سَكرٍ إلهيٍ فيُبصر ترابكَ مجبولاً بالضّياء. فإذا رأيت نفسك هشًّا فابكِ حتّى يجود الحبيب عليك بالوصل. وإذا اقتادك إلى العرس الأغنّ فأنتَ مأخوذ ومعطاء ومستبقًى حتّى يجيء. ولكن فيما أنت تحنو لتجبر عظامهم المكسورة، وإذا تستغرق في حبّهم، سيُبعدونك إلى الصّحراء لتموت فيها عطشًا. وأقرب النّاس إليك سيحاولون إطفاء الرّوح فيك لتنفعهم في دنياهم، ولحكماء هذا الدّهر خلابة. لا تُصغِ إليهم لِئلاَّ تصير مثلهم تافهًا. أنت تتكلّم لغة الإله، لغةَ مَن له سلطان إله.

هذه اللّغة مادّة رعايتك ومَبدَؤها ومنتهاها. ورعايتك تقوَى ما ازداد صبرك. وطريقك إليهم روح النبّوة الموصولة فيك برسوليّةِ وضع الأيدي. ولكن لا تصدع بالنبوّة ما لم تلطف بالأبوّة لِئلاَّ يهلك منهم أحد. حاول هذا المستحيل أن توفّق بين وحدة الرّعيّة وحقيقتها بالله. وسترَى دومًا أنّ الجماعة خطّاءة وكأنّك سعيتَ باطلاً وكأنّ ربّك بمنأًى عنك وعنها. إذ ذاك آمِن. آمن يُؤْمِنْكَ الله من خوفك عليها وعلى نفسك. فإن أنت إلاَّ زارع وما أنت بحاصد. وصليبك أن مهمّتك أن تتحرّك، أبدًا في غير المنظورات. وليس لك أن ترصد إخفاقًا أو فلاحًا ولا مقياس عندنا للتّمييز بينهما. سيجرّبك النّاس تجربةً قاسيةً فيتذمّرون منك ومن الأوضاع ليزكّوا كسلهم. لا يجعلنّك تململهم في قلقٍ بل عظهم في وقتٍ موافق وغير موافق (٢تيموثاوس ٤: ٢) بجزمٍ وعذوبةٍ خادمًا ينسَى نومه وعافيته ويهرق حتّى الدّم ليحيا الإنسان الآخر بالجسد والكأس وتلك المودّات العيسويّة التي من أجلها أُتيَ بنا إلى مذبح الرّب.

تستّهلّ خدمتك في وقتٍ متأزّمٍ لرعيّةٍ متأزّمةٍ، والحقّ أنّ زمان الكنيسة متوّتر أبدًا. «لاحِظْ نفسك والتّعليم» (١تيموثاوس ٤: ١٦). «فكلّ انسان يعرف مضرّة قلبه» (الملوك الأوّل ٨: ٣٨). والعاصف يعصف فيك وفي العالم، ولكن لا تخشَ الأنواء. لازم السّفينة ولو جنّوا جميعًا. إنّها لن تغرق. بعد قليل سيعرف القوم أنّ كنيستك عائلة الآب وأنّها لا تستنصر سواه. إنّها نُبِذَتْ من الأرض

واتّخذت قلب الله مقرًّا وترَى النّاس جميعًا من هذا المطلّ، وفي قلب الله صمت وفيه أيضًا تلك الجذريّة التي تجعلنا نتكلّم. كنيستك في مجالاتها الضّوئيّة صرخة المحروم والمقهور، سجلّ أنّات حتّى يطلع سَحَر الفصح. أنت لسان المكموم وقلب المكَبَّل. وفي ذا لست موقوفًا على أبناء ملَّتكَ. أنت لا تقود قبيلة جاهليّة تعبد نفسها. إنّك غيورٌ على الإنسان في بلدٍ يوجَد الإنسان فيه أو يُنفَى. الأرثوذكسيّة خليّة إلهيّة تنمو في مسارٍ عظيمٍ هو جسد الإنسانيّة الذي إذا تألّه يصبح جسد المسيح. ولذلك كان البلد كلّه هاجسنا. اذهب والتمس أثَرَ المسيح علَى كلّ وجهٍ. كلّ وجهٍ وَعْدُ مسيح. اذهبْ فالعالم رعيّتك.

اعكفْ على عملك عُكوفك على الصلاة

«قال الرّب لصموئيل: املأ قرنك دهنًا واذهب. فإنّي مرسلك إلى يسّى البيتلحميّ لأنّي قد رأيت لي في بنيه مَلِكًا . . . وأجاز يسّى بنيه السّبعة أمام صموئيل. فقال صموئيل ليسّى: الرّب لم يختر واحدًا من هؤلاء. قال صموئيل ليسّى: هل كَمُلَ الغلمان؟ فقال: بقي بعد الصّغير وهوذا يرعَى الغنم. فقال صموئيل ليسّى: أَرسِلْ وائتِ به، لأنّنا لا نجلس حتّى يأتي إلى هنا. فأَرسلَ وأَتى به وكان أصهب جميل العينَين حَسَن الطّلعة. فقال الرّب: قم امسحه لأنّ هذا هو. فأخذ صموئيل قرن الدّهن ومسحه في وسط إخوته، فحلّ روح الرّب على داود من ذلك اليوم فصاعدًا»

(١صموئيل ١٦: ١، ١٠– ١٣)

رسامة الشماس غطّاس (حجل) كاهنًا، كنيسة الملاك ميخائيل في انطلياس، ٢٩ أيار ١٩٧٧.

في يوم حلول الرّوح هذا، وقفتُ صموئيلاً جديدًا لأنّي، حسبما يعني اسم النّبيّ، الرّبَ سألت. سألته أن يعطيني مَن يحمل معي ثقل الشّعب ويستقرّ الرّوح عليه. وقد تحسّ نفسك، غطّاس، صغيرًا كما كان داود قبل تسلُّمه العرش. ولكنّا دَعَونا ليؤتيك الله حُسنًا ويمسحك في وسط الكنيسة

بزيت الملك. وقد اصطفاك في يوم تجديد ليكون وحده لك إلهًا ويكمّلك بالفهم لأنّ الفهم هو النّار.

ولن يُؤلّهك الرّوح ما لم تتكلّل بالتّواضع. والتّواضع منشئ العذوبة، والعذوبة مُحرِقة للخطايا. فاصفُ بلطف الكلمة تنبت فيك وتتحوّل نفحات تُبقيك إذا ما العاصفة زجرت ودبّ فيك القنوط. فقرك، إذ ذاك، شفيعك فاستغِثْ وارتمِ واجثُ جثو اللّيل حتّى يطلع عليك السّحَر وتسمع الملائكة معك يُصلّون.

جسدك ما يزال ملقًى في الدّنيا تتعاطَى فيها الأرقام والحساب، وبذا دنياهم تستقيم، ولكنّك لستَ مِن العالم (يوحنّا ١٧: ١٥)، وعلى ذلك فالخدمة فيه ستكون استمرارًا لهذه الطّهارة التي تستمدّها من المائدة المقدّسة. اعكُفْ على عملك عُكوفك على الصّلاة، فكلٌّ منّا حيثما حلّ راعٍ، وازدد في معرفة الدّنيا لتتمكّن من العطاء الكبير، ولكن كن فيما تعطي زاهدًا حتّى الاغتراب، فأنت في مجتمعهم منفردٌ لأنّ كلّ طالب للحقّ غريب، لأنّ العارفين بجمال الله سكارَى.

هذا هو عقل الله وإيّاه وحده تبتغي، وإن حاولتَ أن تسترضي النّاس فلن يتعرّفك المسيح. لازم بساطته كلّ يوم والصَقْ بوداعته في معاملتك الكبار والصّغار. وأصاغر الدّنيا أحبابه. فاختَرْ لك منهم أصدقاء لِئلاَّ يغرّك الدنوّ من العظماء ثراءً أو مجدًا أو ثقافةً، وقف في عزّة الله، فنحن لا نطلب لأنفسنا هذا الزّيف الذي يُدعَى عزّة النّفس فإنّنا جُعِلنا خدّامًا صامتين نُساق إلى كلّ نوعٍ من أنواع الميتات ونبقَى في الإذلال شاخصين إلى وجهه تعالى أحرارًا منهم جميعًا واقفين في أمره والصّفح الجميل.

وإذا وهبَتْك النّعمة أن تُقيم لربّك عارفين فقل لقلوب العارفين «إنّ الرّوح القدس كان دائمًا وهو كائن وسيكون» (الإيذيوميلة الثّانية من إينوس سَحَر أحد العنصرة) وأنّ النُّظُم في الكنيسة وعمرانها وجمالها المنظور ليست بشيءٍ إن لم نكن كلّ يوم أمام الرُّؤى الغريبة، إن لم نستغرب. قل لقلوب العارفين إنّ لا إله في الكنيسة إلاّه وأنّ الأصنام يمكن أن تهاجم القلوب.

لا تثقْ البتّة بوحدة في رعيّتك لا تقوم على طاعة السّيد فإنّ النّاس يتعاملون تعامل الخرقة والخرقة في الثّوب البالي. آمحُ أنت أمجادهم الباطلة بالدّعوة إلى التّوبة لِئلاَّ يحسَبوا الكنيسة عشيرة.

فتحاشَ استبداد الرّعيّة بك واستبدادك بها فإنّها قطيع المسيح ولا قِبل لنا بمعالجتها إلاّ بالرّقة. وإذا جاءها الايمان فبالحزم وهذا صليبك. إنّك لا تستطيع أن تُطوّع لسيّدك إلاّ المُؤمنين وقد ضلّ الكثيرون سبيل الايمان وفي حسبانهم أنّهم لا يزالون في الدّاخل وأنّهم أصحاب دلال.

هذه هي مأساتنا الكبرى أنه بالرّغم من العنصرة تعيش صفوفنا بلبلة لا توصف، ولكن لا بدّ لنا، في نهضويّةٍ عظيمةٍ، أن نفصل منذ الآن بين النّور والظّلمة، أن نجدّد حياة المُؤمنين «بقوّةٍ واحدةٍ وسجدةٍ واحدةٍ للثّالوث المقدّس» (الإيذيوميلة الثّانية من إينوس سَحَر أحد العنصرة).

من خصائص كنيستك رُؤيتها الكبيرة للرّوح القدس وأن يسعَى كلّ منّا لاقتنائه فإنّ الرّوح وحده يجعلنا وجهَ الله للنّاس. هذا الاستمرار الإلهيّ بالرّوح هو الكنيسة. فاعرف أن تلتقطه في المُؤمنين. إنّ المتحرّكين بالعشق الإلهيّ لمرشدوك. هُؤلاء يشهدون دائمًا للتّراث الأرثوذكسيّ العظيم الذي أنت مُؤتَمن عليه، ولذا كان عليك أن تدارسه كلّ يوم لتضع حدًّا للميوعة العقيديّة عند غير العالمين، فالعقيدة لا تُغربَل وهي التي تَحفظ وحدانيّة الرّوح. لسنا بكنيسة تسعَى إلى اقتناص النّفوس التي يرّبيها المسيح خارج كنيستنا، ونحن لا نقيم سورًا بيننا وبين الإخوة، وإلى أن تحين ساعة الانصهار باستقامة الرّأي وحُسْن العبادة، نُنمي في أنفسنا المعرفة التي تجعل كُلاًّ منّا ثابتًا في هويّةٍ أرثوذكسيّةٍ لا غشّ فيها. لا نعبر في الشّارع عند كلّ زاوية إذ نعرف على أي أساس نحن مقيمون غير ناسين «أنّ لنا هذا الكنز في آنيةٍ خزفيّةٍ» (٢كورنثوس ٤: ٧). ففيما تنسكب قلوبنا في القلوب التي تتقبّلها نصمد فيما سلّمه إلينا القدّيسون مرّةً واحدةً وأَخلَصْنا له على غير تحجُّرٍ ولا تشنُّجٍ. التّراث إن بقي حكمَتنا ونعيمَنا وهندستَنا لحياة البشر يُعتقنا من كلّ أسرٍ لنلعب أمام الله في كلّ حينٍ (أمثال ٨: ٣٠).

لقد سقطت الكلمات في انتهاك الطّفولة ونحن الأطفال عائدون إلى مسرح الألوهة. وسيبعث الله بمن يُكلّم قلب هذا الشّعب والسّيفُ يُردّ إلى غمده ويشبّ الأحداث بين السّنابل وتعتصر الكرمة كأس خلاصٍ. وسيُنطقنا الله من صمتٍ ويقودنا إلى فوهة نورٍ بعد اجتيازنا نفقًا معتمًا طويلاً. وستحيا كنيستك لا من أجل أبنائها وحسب ولكن من أجل الخائفين من كلّ صوبٍ والذين يئسوا ولم

تتراءَ لهم أنوار القيامة. وفي يقيني أنّك إن كنتَ إنسانًا قياميًّا كما هي كنيستك واستطعت أن تتكلّم في اللاّهوت من مناخنا الفصحيّ تصبح راعيًا للجميع. فإنّنا انطلاقًا من القيامة سنحمل الرّوح وننفخ في الأبواق حتّى تسقط أسوار المدينة الظّالمة.

لك أن تكون المدينة الجديدة، المدينة العروس لأنّ حامل القربان حامل الكون. لا تخشَ سقوطًا عميقًا ولا رجاسة الخراب في الهيكل. لا تَخفْ ولو نزف قلبك كلّ يوم، فأنت ربيب الإنسانيّة المكسورة. خذ هذه الإنسانيّة دائمًا معك إلى مذبح الرّب والطف بها حيث تتوجّع. امسَحْ دموعها وأنت دائمًا ممسكٌ بزوايا المذبح حتّى لا تفنَى.

إلى الأب سابا (إسبر)

سيُقيمك بطريرك الروم أُسقفاً غداً ويهتف لك الشعب انك مستحقّ. لا تظن أن أية أهلية لك في الارض تجعلك عظيما في عيني إلهك. سنبقى دائما امامه حفاة عراة. ترعرعت في لاذقية العرب في كنف راع بار وسط شبيبة من كنيسة مذهلة محبوبيتها كأنها جزيرة فردوسية هبطت علينا من عل. انتزعناك منها لنُلقي على كتفيك نِيرًا ثقيلا. سوف تجبه ما لم تكن تجبه. وسوف تنشغل بأمور كثيرة منها الإدارة. غير أن الادارة الصالحة لك أن تجعلها وجها من وجوه المحبة. فليس عندنا عمل تفه. كل انسان ستلقاه حبيب الله. لا تزدرِ احدًا. وقد يُعلّمك البسطاء في تواضعهم ما لن يُعلّمك اياه الأعلمون. وقد يكون إغراؤك أن تعمل كثيرًا وتبذل نشاطًا على نشاط وكلمة على كلمة. ولكونك نشأت على الهندسة قد تحسّ أن كل ما عندنا يجب أن يقوم على نظام وترتيب وأن كنيسة العصر يجب أن تدخل في منطق المؤسسة. أنا لا أُنكر بعضاً من هذا، ولكن أعلمُ أن الأشياء كلها بما فيها أشياء الكنيسة يُرصَف بعضها إلى البعض

وجهت إلى الأب سابا (إسبر)، بمناسبة رسامته الأسقفية. جريدة النهار، ٢٨ تشرين الثاني ١٩٩٨.

فتلمّع النظم والإداريات وتُستدرّ الأموال للخير ومع ذلك تكون الجماعة جافة. افهَمِ الفارقَ بين ما خَصَّ هذا الدهر والدهر الآتي وأنك أنت انسان الدهر الآتي، وافهمْ أن شيئًا لن يُضاف إلى قلبك وهو يبني القلوب الاخرى أو تموت بردا. اذ ذاك يتقيأك الله من فمه. اذكُرْ كلمة الكتاب: «البارّ بالايمان يحيا». والايمان، لغةً أن يكون الرب مأمنك أي بيتك. الرموز الطقوسية والعبادات والأصوام والقراءات كلها إمارات جديّتنا في الإقبال على الله. لكنك من كنيسة غنية جدًا بهذا التراث. ومن الناس من اجترّ عباداتنا ومارس كل الأصوام وعاش على نمطية أرثوذكسية خلابة وشيّد بيوتا وأوقافا وأعطى المساكين ولم تكن له المحبة ولا عرف التواضع وما ذاق بساطة المسيح. مثل هؤلاء صَرَفَ الرب وجهه عنهم وماتوا من اليباس. أَعرفُ القوة في صلاة الجماعة ونحن معيّة وأعرفُ اعتزاز الأرثوذكسيين مما أتاهم من الموروثات. هذا كله ينبغي تغذيته، لكن المعية لا تعني شيئًا إنْ لم تكن انت على محاولة من القداسة مجنونة. ذلك أنك إن غبت عن السعي المضني إلى يسوع تفقد ذاتك فلا تقوم بك المعية.

أنت وجه لا يسوغ أن يضيع في الوجوه. أما قرأت أن أهل الجحيم لا فرح فيهم لأنهم مربوطون ظهرًا إلى ظهر فلا يَعرف أحدُهم الآخر. أهل السماء وجها إلى وجه. واذا كانت الكنيسة بدءَ سماءٍ ولم تصر كذلك عيشًا عادت إلى الدنيا التي منها أُخذت. واذا عَلِمْتَ مسؤوليتك في الآتي من الزمان سيُلحّون عليك أن تُجانس هذا وذاك من زملائك لتحفظ الوحدة بين الإخوة، يقولون. لا، انت من جنس الله ومن جنس الذين يحبونه. انت ترعى بالصبر والتأني والانتباه والخدمة مَن زاملك في مصفك، والحكمة تقضي بالمراعاة. لكنك انت لله فقط. لذلك قد تُحسّ أحيانًا أنك غريب بين أهل بيتك. هذا اذا لم تصل العلاقة إلى عداوة وإلى هذا لفتَنا السيد. هذا ما يجب أن تنتظره. فالكنيسة في أحوالها القائمة ليست الملكوت. فيها ما يجعلها عتبة له أو تمتمة إن شاءت. اعمَلْ للمؤمنين وكأنهم يتغيرون غدًا. واعمَلْ من الآن إلى منتهى شيخوختك كأنهم سيتوبون. هذا ما يُسمّى الرجاء. لكن الرجاء لا ينفي المحسوسية أو لا ينفي توقعك لشقائهم. أَعِدْهم كل يوم عن ضلالهم لكنهم قد لا

يهتدون. هذا ليس شغلك. «فالزارع يزرع على الرجاء» وما أُوتينا في هذا الدهر أن نرى الحصاد. من آلات زرعك أن تدرس كل يوم لأن الكلمة هي التي تُحيي أعني بها الكلمة الالهية التي تخرج من فيك بعد أن تكون قرّت في قلبك. لأني أَخشى على الإكليروس الكَسَل العقلي. في أحوال كثيرة يُغرى بأنه اذا أدّى العبادات يكون قد بلّغ. هذا ليس مضموننا دائما فقد يسمعون أو يلتهون عن السماع. لكن الكلمة التي قد تكون قد أكلتَها انت تُذهِب عنك النتوء وتَبلُغ ثنايا القلوب توًا. ادرسْ كثيرًا ولا تستهن بعقول الناس. اللاهون عن الكتب يعتدّون بتقواهم طريقا للتبليغ. لم أفهم يوما لماذا لا يكون العالِمُ قادرًا على التقوى، لماذا يصطنعون هذه الثنائية. التقوى واجب كل مؤمن وهي تشعّ بالفضيلة. والمحبة جمال كل مؤمن وكثيرًا ما فاق العاديّون من الناس الأساقفة مجتمعين. غير أن الدور الفريد للكاهن أن يكون عالِمًا لحماية الإيمان ونقله إلى الناس كما الناس هم. ورئيس الكهنة حامل العقيدة وموثّقها وشارحها. المسؤول الروحي في أي مقام كان أو على أية رتبة كان هو مَن إذا سألته يجيب. في كل مدينة أو قرية تُطلب المرجعية. الكنيسة لا تقوم بلا ناس قادرين على أن يوضحوا كل العقيدة للسائل. لماذا يكون القسّ الأجنبي في القرية النائية مفسرًا للكتب المقدسة كما قسّ العاصمة ونحن لا نزال نرتضي قسسا سُذّجا هنا وثمة ونتعزّى عن جهلهم بتقواهم!

ستحمل المشعل مع أقران لك قلائل. سيحاول الحاسدون إطفاءه. أنت أَحبب حاسديك. لا تنشغل بهم لئلا تتمرمر نفسُك فتنطوي وتكفّ عن العطاء. هوى الكثيرون منذ ألفي عام وسوف يهوي بعض. ما همّك. انت تَيَقَّظْ وتطَهَّرْ واعرفْ واسلُكْ كأنك الكنيسة وحدك اذا سقط الأكثرون. إنْ فعلتَ فلست في معرض الدينونة. في ايام مكسيموس المعترف سقط الكل ما عداه واثنين من أترابه. ثم بعد موته دانت الكنيسة بما دان هو به. لم تصنع الجماهير التاريخ. والمجامع التي قيل إنها صاغت عقائدنا انما كان يحرّكها شخص أو فئة. الفئة يمكن أن تكون الكل بمعناه العمقيّ. متى كانت الكلية عددًا؟ ما من شك في أن الرسالة تقضي عليك بتعميمها لكن هذا لا يعني خفض المستوى أو إبادة الوهج. الله لم يتنكر لشعبه عندما حصر النبوءة بأشخاص، ولم يرفض خلائقه عندما جعل

لنفسه ابنا وحيدا. في كل هذا الصراع أَحببهم جميعا حتى الموت ذاكرًا أن المحبة لا تُلغي الفهم وأن الفهم لا يستدعي الاستكبار بالضرورة. لكن المحبة أُعجوبة ولن تؤتاها -إنها تنزل- ما لم تنشدّ إلى وجهه الكريم من التراب الذي أنت عليه إلى الضياء الذي هو عليه. هذه معركة مع نفسك -وهي كبرى المعارك- لا تنتهي الا في مثواك الأخير. انت وهذا النفر الطيّب من كهنتنا وأساقفتنا الجدد ستحملون المسيح في مدى هذا المشرق وربما إلى أقاصي الارض. واذا غيّبَنا التراب نعرف أن النور بكم لن ينطفئ. لا تستهينوا بمهمّتكم. هي ليست أقلّ من أن يغلب المسيح العالم.

يا سيدي

الله معك يا أخي. لن أُكرّمك بدعاء أحرّ وأمتن ونحن معا سائران في شيخوخة طاعنة إلى وجه الله الممتع. لذلك بتُّ الآن أقرب اليك. عرفتك منذ ستين سنة ونيف قوّاما على صلاتك، منكبّا على كتبك في كنيسة اجتمع فيها البهاء والقباحة كمجموعة خلائق تكبو وتسترحم كما كانت الحال في عشرين قرنا. واستمرّت بنا رعاية الله فعَبَرنا المصاعب وتهلّلنا في العبادات بين سقطة وسقطة.

كلمة المطران جورج في تكريم المطران اسبيريدون (خوري)، مطرانية زحلة. ٢٥ تشرين الأول ٢٠٠٨.

قلتَ للسيّد انك له وذلك في إخلاص شبابك، وقبل أن تنصرف إلى الرعاية في سموّ الكهنوت وبرّه التحقتَ بمعهد اللاهوت في باريس، وكنّا أربعة من أنطاكية، وأنطاكية سُمّي فيها التلاميذ مسيحيين أولاً. لماذا باريس؟ كان هناك اللاهوت الروسيّ الحيّ المبدع. كانت الأكاديميا الكبرى ومطرح العقل الغربيّ الحادّ والمتفوّق. وكانت لنا حاجة إلى لغة التدريس التي كانت الروسية، فدرستَها في تخصّص عال، وكانت الأيقونات المعمّقة للكيان والإنشاد الذي يَقرّ في الكيان، وأخذتنا المسيحيّة الشرقيّة الدافئة والعالمة.

غير أن امتيازك هناك أنك تبتّلتَ للدراسة وبتّ في النسك، ودرّبك النسك على الخَفَر هذا الذي ندخل به إلى باطن المسيح.

وما سرّني بخاصة أنّك تتلمذت على كتاب الله اختصاصًا وضعت أطروحتك على إنجيل لوقا، وعُدتَ لتَفلح كرم الربّ، ورأتك الرئاسة الروحيّة على طراوةٍ عزّ نظيرها والملكوت ليس فيه جفاف. وأُرسلتَ إلى هنا وثمّة لتحضن خراف يسوع، وجاءتني أصداء على حُسْن رعايتك وتهلّل القوم أمامي لمّا كانوا يتحدّثون عنك، وكنت أنا أفرح كثيرا، ومُجّد يسوع فيك، حتى شغرت أبرشيّة زحلة وكنتَ خارج البلد لما انتُخبتَ عليها أي انك لم تكن طالب منصب ولا راكضاً إلى المجد، والأسقفيّة في خبرتنا جميعًا ليس فيها مجد كما يتخيّله محبّو هذا العالم، وكلها خدمة وغسل أرجل.

مراتٍ كثيرة أشعر أني فيها متعَب وأن براري النسك بعيدا أجل، غير أن السيّد قال: «لستم أنتم اخترتموني بل أنا اخترتكم». لقد بعثك الله إلى هذه الديار لتتحمّل أثقال الرعيّة وتُتمّ بذلك ناموس المسيح. مُلازَمَةُ أحبة السيّد نير أُلقي على عاتقنا. والتعزيات تأتي من قبولنا النيرَ نفسه. يُزيّن لي أنك رزحتَ المرّة تلو المرّة تحت الصليب «والعبد ليس أفضل من سيّده»، وأنهم أخذوك إلى الجلجلة أيضاً، وأنت تعرف أن الجلجلة وحدها مطرح القيامة. وقَبلتَ الكأس المُرّة لينالوا هم حلاوة يسوع اذ رفعتَهم جميعا فوق رأسك ولم تخسر طراوتك، وخلّصتَ بعضاً بالصبر وانتشلت مَن كان قابلا للانتشال، وما ساعَدَك عليهم إلا صلاتك، وشاء البعض أن يعتبروك رئيس عشيرة وما نحن بعشيرة، وغدوتَ بأمر ربّك رئيس كنيسة طاهرة كالعروس العذراء مسلّما نفسك إلى راعي الرعاة الذي سيضع على رأسك إكليل المجد الذي أَعدّه الله للذين يحبّونه.

ولكن المثول في حضرة الآب بعد عمر أرجوه طويلا لأمرٌ هائل كما قال الرسول لأن الرب سيُقرئك نفسَك كما هو يراها لا كما كنتَ تظنّها، وأنت قرأتَ في كُتب النسك عندنا أننا لن ندخل من باب الملكوت الا بالرحمة. هذا لا يُحرّرنا هنا من وسائل الجهد على هذه الأرض، والعزاء أننا ننضمّ إلى الكنيسة الظافرة الحُرّة من الخطايا.

واذا انطلقتُ قبلك حاملا تعبي فأُسلّم اليك ذِكري حتى لا يقسو عليّ الرب. إن حُكْمه عادل، ولكنه ايضا مُحبّ اذ يرى أني ما كنتُ شيئًا .

سيسرد غيري المنظور الذي أَنجزتَ وهم بنوك وعرفوا، وسينظر الله إلى ذلك قليلاً، لأنه سيرى إلى قلبك أولاً واذا شاهد نفسه فيه سيُعزّزك تعزيزا كبيرا . سيقول لك: هل استضفتني يا اسبيريدون استضافةً لائقة جعلتَ فيها كل قدراتك وكل حماستك؟ واذا رآك مقصّرا ككل مخلوق، يضع يده فوق رأسك لتصل إلى الكمال الذي عَرّفَه غريغوريوس اللاهوتي أنه السعي إلى الكمال.

الكل يعرف أن الكاهن او الأسقف عند رحيله يُحجَب وجهُه بستر القرابين، وهذا يعني بوضوح أنه صار قربانا لله. أُمنيتي الوحيدة لك أن تصير قربانا مقبولا عند الله بعد أن تكون قد دسْتَ كل شهوة فيك ولم يبقَ فيك سوى الله. بعد هذا لا خوف عليك. يقرأك ربّك، اذ ذاك، نورًا وتَفنى في نوره. أُمنيتي في ضعفي أن أراك دائم الضياء لعلّي أَخلُص.

على رغم تقادم الزمان عليك، سيدور الشرير حولك ليُمزّقك. حتى آخر رمقٍ فيك سيغزوك. لذلك تَسلّحْ بسلاح الله الكامل لتبقى قدوة ولا يُغرّ أحد بشهوات الخديعة. لا تغشّك حكمةُ هذا الدهر، فالمسيح وحده حكمة الله وقوّة الله. اذ ذاك ستظهر حرا أمامه في عرائك، حرا بين الأموات جميعا لأنك تكون قد طلبت كنزًا إلهيًا، والكنوز الأخرى التي من الأرض تفنى بفناء الأرض.

مشهد الصليب أن السيّد كان عاريا عليه لا يملك حتى جسدَه وهو مرفوع بهذا العراء إلى أبيه وذراعاه ممدودتان إلى كل الآفاق ليضمّ إلى صدره البشر جميعا . الفقير إلى الله وحده على هذه الحال. الفقير إلى الرب مظلوم أبدًا وهو يرث مظلوميّته عزاء وسُلّما إلى الغنى الملكوتيّ الكبير. ومَن سعى إلى أن يكون كذلك، الله حاكمُه والله حاضنُه. لذلك يبقى في منأى عن العاصفة، فالله عن يمينه كي لا يتزعزع. لذلك ليس عند هذا من محاباة للوجوه، ولا يسترضي إلا من جذبهم بحبّه إلى ربّهم.

ليس مجمع الأحبار الذي انت فيه حُرًّا من التجارب. هاتِنا في مسيرتنا الجماعيّة هذه خبرتك في مجال القداسة التي تنزل عليك من الثالوث.

أنا حامل خيبات كثيرة لا تُعزّيني الا قلّة في هذا العالم. أمام هذه الصدمات نحن سفينة تلعب فيها الرياح، والأنواء لا تسكن الا اذا استفاق المعلّم ونجّانا من الغرق. ساعِدْنا يا سيّد فيما نحن مُبحرون... وذلك حاصل إن دعوتَ لنا بلا انقطاع اذ لا تنام إلا اذا أفاق المسيح. فإذا استغثتَ به فنحن ناجون.

تعال وامسح كل دمعة من عيوننا وأنعش إيماننا بأن أبوّة الله ممكنة في السماء وعلى الأرض. أرِنا من خلالك أُبوّة الله. أَعطنا إلها حيًّا، إلهًا نُفاخر به الشعوب.

ابقَ على وجهك الصبيح الطريء وعلى ما مُسحتَ به من نِعم السماء. احملنا معك في عظمة النعمة اذا نلتَها، وكنْ قائدنا في طريقنا إلى يسوع، واذا اجتمعنا فوق بكرمه نُغنّيه مع الملائكة. أكمل الشوط بالقداسة. هذه هي الطريق وبدء الطريق وآخره. القداسة وحدها تكريمُك.

إلى المطران أفرام (كرياكوس)

سيدي ملاك طرابلس،

هذي أرضُك استلِمْها. هذا الشعب اجتمعَ ليلتمس بركاتك ويُحلّق إلى الأعلى. يعرف اليوم أن له راعيا يحفظه في الوديعة سالمة، في التقوى، في العلم والعمل. كل واحد من هذه الأمّة المقدسة يريد نفسه ابنًا لك لعلمه بأبوّةٍ لك تنزل عليك من الله الآب، ويثق بأن حنانك يُربّيه وهو طالب منك التربية.

يستقبلك اليوم لأنه يريد منك الإنجيل حتّى يحيا به ويستقيم ويدعو الثالوث المقدس ليُمطِر عليك نعمته لتبدو الكنيسة «مجيدة لا عيب فيها ولا تجعُّد وما أشبه ذلك، بل مقدّسة لا عيب فيها». وعندما يقول الرسول «لا عيب فيها» مرتين، يُدرك أبناء أبرشيتك أن الطريق أمامهم طويلة وأنك هنا لتُقيمهم مِن عِثار فيما أنت تحفظ نفسك في البرّ.

كلمة المطران جورج في تنصيب المطران أفرام مطرانًا على طرابلس والكورة، ١٩ تشرين الأول ٢٠٠٩.

الأولاد جياع، اكسرْ لهم الخبز حتّى اذا أكلوا تكون لهم الحياة الأبدية، واذا أكلوا يفهمون قولة السيد المبارك: «مَن أكل جسدي وشرب

دمي يثبت فيّ، وأَثْبتُ أنا فيه».

هنا أريد أن أقول لأبناء هذه الأبرشيّة التي عُمّدتُ فيها أن دورهم في هذا البلد وأمام آفاق الملكوت أن يحفظوا أنفسهم من الدنس فإنهم غالبون الدهر وفوق كل تقلّباته، وكل ما عدا ذلك يُعطى لهم زيادةً. إن لم يكن على دهركم مسحة من الدهر الآتي فلستم على شيء. جسّدوا الباقيات في الفانيات تقْوَوا على الفانيات. نحن نحيا على كل صعيد بالكلمات التي فاه بها يسوع. هذه ننتظرها من فمك، سيدي. هذا سيكون مضمون رعايتك حتى لا نموت عطشا.

هذه هي تقدمتنا الأساسية للبلد الذي نرجو أن ينهض ويتجدد ويُسهم في عطاء الحق للإنسانية جمعاء. هذا ينشده اللبنانيون جميعا ما يعني مشاركة أبنائك كلّ أهل المدينة والمنطقة حبّهم للوطن الواحد. طرابلس على وجه التأكيد عاشت أجيالا طويلة وحدةَ لبنان وشرعةَ التماسك بين المواطنين. أهل هذه المدينة والكورة والضنّية يمدّون أيديهم بعضهم إلى بعض ويرعون المودّات والألفة والكياسة ويرجون تغذية ميولهم هذه من شرائحهم كلها وقياداتها في انفتاح عظيم.

بعصا الرعاية لا تضرب أحدًا وقد ورثْتَ تواضُعَ المعلّم، ولكنك تُوجّه بها حِملانك الوديعة إلى الالتقاء الوجدانيّ بالجميع. انت تخاطب قلوب الناس. هذه لغتك الوحيدة وهي خطاب الله في البشر.

مَن كان اللهُ مُبدئه ومنتهاه يعرف أن يقيم سلام الله. الذين استلهموا هذه الرؤية يعيشون من اجل الناس جميعًا ومن اجل وحدتهم. هذه أعلى ذروة في اللقاء البشريّ. هذا أسمى من مصالح الطوائف على الصعيد السياسيّ. كل رُقيّ، كل سموّ في أية جماعة أخرى يُفرحنا ونعمل في سبيل توطيده. نحن لسنا لقاء منافع. نحن لقاء حب. هذا هو فيك سيدي الأول والآخِر. سيحاول هذا الشعب أن يسير بين هذا وذاك اذا أبصر وجهك متجلّيا. عند ذاك، يُدهِشُ تلألؤه العالم، آمين.

القسم الثالث:

عظات شفوية

الفصل الأول:

في الشموسية

لن تَخْلُص ما لم تُخلّصهم

قالت العذراء حين جاء الملاك يبشّرها بمولود الله: «ها أنذا أَمَةٌ للربّ»

(لوقا ١: ٣٧)

رسامة ميشال (كرياكوس) شماسًا، كنيسة رقاد السيدة في الحيدثة، ١٥ آب ١٩٧٤.

لقد تَعلَّمنا، مذ ذاك، أنّ من يؤهَّل لحمْل المسيح إنّما يصبح خادمًا للمسيح. هذا أعطته العذراءُ العالمَ لأنّها قَبلت وولَدت ابنًا. ها أنت تصبح خادمًا للنّاس بعد أن كنت سيّدًا بين أترابك. والشّمّاس أصلاً هو الخادم. ونحن نرعى كنيسةً فيها الفهيمُ، وفيها الفصيحُ، وفيها المتواضعُ، وفيها المتغطرسُ، وفيها مَن يحبّ الله، وفيها مَن يستعبد الله. فيها حنطةٌ وفيها زؤانٌ. وأنت قد انتُدبت خادمًا لهؤلاء المؤمنين جميعًا، للوضيع فيهم وللمستكبر، لمن افتقر إلى الله ولمن استغنى عن الله، لمن يتوارى ولمن يتزعّم البرايا. وقد يدوسك هذا أو ذاك، ولكن أنت تبقى سيّدًا للكون. وقد جعلناك خادمًا لهؤلاء كلِّهم. وحتّى تستطيع أن تخدم، يجب أن تسمع قول الله في الرّسالة إلى أهل فيلبّي عندما كلّمَنا بولس عن الإله المتجسّد بقوله إنه

قد «أَخلى نفسه آخذًا صورة عبدٍ صائرًا في شبه النّاس» (فيلبي ٢: ٧). وأنت عليك أن تُخْلي نفسك من كلّ مجدٍ، ليس فقط من كلّ مصلحةٍ ومنفعةٍ دنيويّة، وقد أخرجناك من كلّها، لكي تُدرِك عتبات الملكوت عسى الله يرضى عنك في قبولٍ طيّب. ولكنّ المسيرة عسرة ولن تستطيع أن تذهب فيها وحدك، إذ عليك أن تأخذ معك، على يديك، تلك الرّعيّة التي أرادك الله خادمًا لها. أي لا بدّ من أن تُلملم هؤلاء المستكبرين المتعظّمين وأولئك المتواضعين الأعفّاء في الرّعيّة والفسّاق فيها، وكلّ منّا فيه عفّةٌ وفسقٌ وكبرياء وتواضُع، وعليك أنت أن تجمع كلّ هؤلاء النّاس على يديك التّعبتين لتُقدّمهم إلى الله. وإذا أنت استطعت الدّخول فالرّعيّة داخلة.

يا أيها الحبيب، كيف تَخدم؟ وبأيّة قوّة تَخدم؟

لقد كتب الرّسول إلى تيموثاوس قائلاً له: «لا يَستهِنْ أحدٌ بفتُوّتك، بل كن مثالاً للمؤمنين بالكلام والتصرُّف والمحبة والرّوح والإيمان والعفاف» (١تيموثاوس ٤: ١٢). بهذه كلّها تخدم، وإن نقصَتْ إحداها فستختلّ خدمتك. ولكن إن استطعت أن تتسلّح بالكلمة حسب قول الرّسول أيضًا أن «اعكُفْ على القراءة» (١تيموثاوس ٤: ١٣)، و«عِظْ في الوقت المناسب وغير المناسب» (٢تيموثاوس ٤: ٢)، قد يقول لك بعض من الرّعيّة إنّ الوقت غير مناسب، لا تسمع لهم. إن للرعيّة رأيًا في راحة جسدك وفي أوقاتك وفي أن تجعلك مستغنيًا أو غنيًّا أو معوزًا. ولكنك أنت تُدير وجه الرعية إلى الله شاءت أَم أبتْ، وإن نامت فأنت الموقظ، وأنت مسؤولٌ عن إيقاظها إذا جرفتها المياه. اعكفْ على القراءة لكي تستطيع أن تكون شهيدًا للكلمة، فالرّعيّة سوف تطلب إليك كلّ شيءٍ. سوف تطلب منك ما تسمّيه حقوقها وما هي تعتبره أمجادها. وسوف تنتفخ وتريدك معها أن تنتفخ. ولكن تذكّر أني جعلتُكَ خادمًا ولذلك لن تنتفخ، ولكنّك ستحني رأسك أمام الله، أمام الله وحده. أمام الرعية تتواضع، وأمام الأطفال، وأمام الفسّاق، وأمام الزّناة، أمامهم جميعًا. إذا تثاقلوا عليك وغُلظَتْ قلوبهم، سوف تحني رأسك أمامهم لأنك محتاجٌ إلى أن تَخْلُص، ولن تَخْلُص ما لم تُخلّصهم. ولكن مع ذلك كن عالمًا بأنك كلّما مسّ جبينُك التّراب يكون قلبك في السّماء وعيناك تلتصقان بعيني

الله.

كيف تَخدم؟

الرسول بحديثه الأوّل إلى تيموثاوس يقول له: «لاحظْ نفسَك والتّعليم» (١تيموثاوس ٤: ١٦). لاحظ نفسك لأنّه ليس صحيحًا كما يدّعون أنّ الإنسان يخدم بذاته، وأنّ الإكليريكيّ يخدم بعلمه وأنّه يخدم بترتيباته الدّنيويّة. إنه يخدم بشخصه. لاحظ نفسك، فإن هلكَتْ نفسُك فلست بشيء، ولا تستطيع كلُّ تنظيماتك أن تعمل شيئًا. لاحظ نفسك لكي تكون مع يسوع في كلّ حينٍ، في اللّيل والنّهار. ولكنّه قال أيضًا: لاحظ التّعليم، لأنّ الذئاب الخاطفة سوف تتسلّل إلى الرّعيّة، وعليك أن تُدبّر شأنها بالتّعليم المستقيم. ليس صحيحًا أنّ المدرِك كالجاهل. ونحن نرجو إلى الله أن لا يبقى في ذهن واحد مِن هؤلاء الناس أنّهم يستطيعون أن يرفعوا الجاهل على المنبر وأن يستمعوا إليه. الجاهل سيموت بجهله. من أجل ذلك يجب أن تلاحظ التّعليم، أي أن تصبح لاهوتيًّا كبيرًا ينطلق اللاّهوت من فمك إلى أطراف الدّنيا. النّاس يُرعَون بالمعرفة. ولأجل هذا يجب أن تستوعب كلّ ما تَسلّمناه من يسوع الإله إلى آخر عالمٍ في الكنيسة الأرثوذكسيّة. ليس صحيحًا أنّ كنيستنا كنيسة طقوس فحسب، ولكنّها أيضًا كنيسةٌ عارفةٌ. ولهذا يجب أن تعرف، وأن تعرف كثيرًا، وأن تعكف على القراءة في كلّ حينٍ، لكي تستطيع أن تَصُدّ المنافقين وأن تُبرهن عن قدرة الرّجاء الذي فيك، حتّى إذا رآك النّاس وهم عطشى يرتوون ويذهبون أكثر معرفةً، وأكثر حكمةً، وأكثر إخلاصًا إلى العلم.

يا أيها الأب،

ستبقى تمارس هذه إن شاء الله حتّى تنتهي معرفتك بالتّواضع. وإذا أدركتَ التّواضع، سوف يجتذبك الله إلى الخدمة التي يريدها. فإنّك بتواضعك ستُجعَل سيّدًا على أفعالك. وإذا أنت صرت سيّدًا على ميول قلبك، أي إذا جَعلتَ يسوع وحده سيّدًا على هذا القلب، عندئذٍ تصير خادمًا له، والله سيحوّل عَدَمك إلى وجودٍ، لأنّ حياتنا نحن مستترة مع المسيح في الله (كولوسي ٣: ٣).

كان الله معك من الآن وإلى الأبد، آمين.

لا رعية إلا بالكلمة

يا بُنيّ،

قال الرسول الكبير بولس فيما كتبه إلى تلميذه تيموثاوس: «احفظ سرّ الإيمان بضمير نقيّ» (١تيموثاوس ٣: ٩).

سر الإيمان هذا، الذي هو سرّ التقوى، بيّن لنا بولس كيف نحفظه في رسالة اليوم عندما قال لأهل كولوسي: «احذروا مِن أن يَسبيكم أحد بالفلسفة والغرور الباطل» (كولوسي٢: ٨). فإننا في هذا العالم مرميّون في خضمّ عارم وفي بحر يعجّ بالغرور الباطل، لأن الناس يعتدّون بأنفسهم شيئًا وهم ليسوا بشيء. وأما أنت ففي وسط العاصفة الدنيوية التي تعصف بكل منا.

رسامة غطاس (حجل) شماسًا، كنيسة مار ميخائيل في أنطلياس، ١ كانون الثاني ١٩٧٧.

قال الرسول الإلهي: أن «احفظْ سرّ الإيمان الذي هو في يسوع المسيح لأنك لا تعرف إلا المسيح وإياه مصلوبًا» (١كورنثوس٢: ٢). كن ملازمًا للكلمة التي ورثتَها بالكتاب الإلهي، فما عدا الكلمة لست تعرف شيئًا، فقد كتب الرسول أيضًا أن: «اعكفْ على القراءة حتى مجيئي»

(١تيموثاوس ٤: ١٣) . خبزك اليومي دَرْسُ الإنجيل بإمعان حتى يُكملك المسيح.

اليوم يتضح معنى هذا الكلام الإلهي أن «احفظْ سرّ الإيمان بضمير نقيّ». الضمير النقي هو هذا الذي يرسمه الله لنا في عيد ختانة الرب إذ ينبغي أن نختن الحواسّ كلها كما قال معلّمونا. فلا بد من ختن العينين عن رؤية القبائح، ولا بد لك من أن تختن أذنيك عن استماع الفحشاء، ولا تستغنِ عن ختْن يديك عن ارتكاب المحرّمات والدم، وكيف تقدر ألاّ تختن رجليك عن السير إلى الشر. وإذا كنت هكذا مختونًا في حواسّك كلها، محفوظًا أنت في سرّ الإيمان، فإذ ذاك أنت خادم على مثال هذا الذي نعيّد له اليوم إذ كان خادمًا لرعيته بالنسك أولاً، وبالعلم ثانيًا، وبالرعاية ثالثًا.

باسيليوس الكبير، الذي تأدّب بأدب اليونان على مقاعد الجامعة وكانت تُعزّيه فلسفة ذلك العصر، وقف نفسَه على الإنجيل وتروّض على آداب الكلمة، فكتب في النسك ونَسَك أي إنه اعتصم بالله. وهذا سيكون مسراك إليه إن أردت أن تدخل باب العهد الجديد فباب الملكوت.

هذا الراعي الذي نُقيم ذكراه اليوم خدم رعيته بالعلم اللاهوتيّ، وهذا لا بد لك منه إذ لا رعية إلاّ بالكلمة. ومن لا يرعى نفسه بالكلمة تصعد اليه كلمات من جوف الجحيم لترتسم على شفتيه. وأما نحن فقد أَسكتْنا الجحيم وأطفأنا نارها حتى تأتينا كلمات من السماء لا يسوغ النطق بها (٢كورنثوس ١٢: ٤). ولهذا لا بد من السهر على الكلمة وتَدارُسها، ولا بد بالتالي من الانزواء عن هذا العالم وملذّاته، حتى إذا تنزّلتِ الكلمةُ على شفتيك تستطيع أن تخرج إلى العالم وتنطق.

وأخيرًا كان باسيليوس يمارس الرعاية الاجتماعية فقد خدم الفقراء خدمة جليلة وأنت خادم للفقراء.

في فترة الشموسية هذه أريدك أن تتعلّم الخدمة بقلب متواضع. لقد قيل عن المسيحيين ورهبانهم وقسوسهم: «إنهم لا يستكبرون». نحن في هذا العالم منكسرو القلوب متواضعوه حسب ما قال الله عن ابنه الحبيب: «فتيلاً مدخّنًا لا يطفئ، وقصبة مرضوضة لا يَقصف، ولا يَسمع أحد صوته في الشوارع» (إشعيا ٤٢: ٢-٣). في وسط هذه العاصفة إن استطعتَ ألاّ تكسر قصبة

رَضّها غيرُكَ، وألاّ تطفئ فتيلاً أشعَله سواكَ، إن كنتَ حليمًا بالناس لطيفا بهم صابرًا على جهلهم واقفاً بانكسار قلب أمام غضبهم، إذ ذاك تكون قد سلكت طريق المعلّم فإن «العبد ليس أفضل مِن معلّمه» (متى ١٠: ٢٤) و«إن كانوا قد اضطهدوني فسيضطهدونكم» (يوحنا ١٥: ٢٠).

نحن هنا جئنا بك إلى الذبح كشاةٍ تُساق ولا تَفتح فاها. لهذا يجب أن تنتظر ما انتظره الرب الإله الفادي طريقًا إلى الموت. ولكننا وعدناك بما وعده هو أيضاً لأحبّائه، وعدناك بالقيامة، آمين.

لا جمع بين المسيح وعشق الذات

«لقد أخلى نفسه آخذا صورة عبد»

(فيليبي ٢: ٧)

رسامة جورج (عبد) شماسًا، كنيسة سيدة البلمند، ٢١ تشرين الأول ١٩٧٩.

يا أخي،

لقد كُنيتَ بالعبد، وبعد أن وُضعتْ عليك الايدي سقط العبد تسميةً ليبقى فعلا. «إن عينَي الأَمَة إلى يدَي سيدتها»، فأنت منذ اللحظة مصروف إلى الناس. والعبد في الحضارات القديمة لا وجه له، وأنت وجهك تكتسبه من الخدمة وعلى قدر الخدمة. فأنت تصير في الخدمة. ولذلك تعرف نفسك عبدا لله أي انسانا يعرف أنه محبّ واستعبَدَ نفسه للمسيح كي لا يبقى له سيّد آخر أو معرفة اخرى.

هنا وهناك خدمات اجتماعية إدارية كهذه التي أُوكَلتُ اليك في هذا المعهد. إن هذا إلاّ وجه خير للخدمة الكبرى اذ تنتصب امام مذبح الرب مسحوقا أمام جلاله، فإنه هو رافعك من هذه الارض إلى السماويات التي نكون فيها مستمتعين بالبهاء الكبير، عندما ننتصب امام المائدة المقدسة

ولا يُرى فيها الا هذا النور الذي يسكبه ابو الانوار على وجوهنا لتوجَد .

أيها العزيز، حتّى تستطيع أن تكون مصروفا للناس ينبغي أن تعرف أنك لست مَدينا لأيّ منهم. فأنت قد أُوكَلَتْ اليك مهمة من رب الناس لتذهب إلى الناس، وإلى ربك وحده تعود وله وحده أنت مدين. ولذلك لا حُكم للناس عليك، ولكنك لا تقدر أن تتحدّاهم بهذا إلا إذا كنت لا تحابي وجه احد، «فإن الحُكم لله» كما قال الكتاب القيّم. ولكي يصبح لله حُكْم عليك محبوس عليه، فلا بد أن تَذكُر ما جاء في الكتاب العزيز من أن يشوع بن نون لما وزّع أرض كنعان على الأسباط لم يُبقِ شيئا للكهنة، لبني لاوي، لأن اللاويين اللهُ نَصيبُهم. ولذلك لستَ أنت مرتزقا في كنيسة الله، ولن تسمح لأي أحد أن يعاملك وكأنك مرتزِق. ولا بد أن تَصِل يوما إلى هذه النورانية التي تؤهّلك أن تكون سيّدا على الناس، لأنك، إن أدركتَ العبودية لله، فلك الحق أن تكون سيّدا على الجميع، لأنك اذ ذاك، تَسُود كلمةُ الله عليهم، وليس لهم أمامها من مهرب. فإنهم بها يوجَدون، ولذلك تَقتحهم بها حتى يُريحوا لأنفسهم.

لكن سيادة الله عليك تُكلّفك كثيرا. وإن أنت لم تُنفِق دمك فالله كلمةٌ يُتغنّى بها. وهذه الكنيسة ليس فيها أغان يَترنّح بها السّكارى بنشوتهم، ولكن هذه الكنيسة طرب للعابدين، فطربهم من عبادته أي إنه صاعد من قلوبٍ ناسيةٍ ذواتها لكي تحتلّها الحضرة المباركة، فإذا هم بربّهم وحده سكارى.

أيها الحبيب، لا تستطيع أن تنتشي بالمسيح الا اذا غدوت في عينيك نَسْيًا مَنسيا. كل المسيحية في هذا النسيان لأن المسيحية تَذَكُّرٌ للمسيح أبديّ، ولا جَمْعَ بين المسيح وعشق الذات. فاذا كنت لا تزال ذاكرا نفسك على انك موجود فلا حضور للمسيح فيك. ولكنك إن أَهملتَ نفسك في الخدمة حتى لا يبقى لك وجه كما كان العبد في القديم، اذ ذاك يأتي المسيح ويرسُم مَعالم وجهه على مُحيّاك فلا يرى الناس فيك سوى المسيح. اذ ذاك لا يتعلّقون بك لكنهم يعشقون المعلّم، أو قُلْ إنهم يتعرّفون المعلّم الالهي بمعالم وجهه على محيّاك.

يا سيدي، سمعتَ أقوال الرسول «إني لو افتخرتُ فأَفتخر بضعفاتي». ماذا يعني هذا الكلام؟ كيف يفتخر بولس بهوان؟ كان الرسول يعرف نفسه لا شيء ولا يرى في ذاته سوى هذا الضعف، سوى هذا الضعف الذي جعله يقول «إني أُعطيتُ شوكةً في الجسد لئلا أَستكبر». وكأنه شَكَر لله ضعفا في جسده أو في قلبه لسنا نحن نعرفه، ولكنه كان يرى نفسه في الحضيض أمام المسيح. ولذلك كان مفتاح السر عندنا نحن معشر المسيحيين أننا لا نستكبر. واذا أَطللنا على الناس فإننا نُطلّ بالفرح، بفرحنا، بهذا الذي أَعطى نفسه وأَخلى نفسه من نفسه حتى صار عبدًا للكل، فأَطاع حتى الموت موت الصليب، ولذلك رفعه الله وأَعطاه اسمًا فوق كل اسم.

أنت فتّش لك عن اسم. وقد جعلوك في المعمودية جاورجيوس أي فَلاّح الأرض. استحِقِ اسمَك. فإذا بِتَّ فَلاّحا لكرم المسيح بقوة المسيح وبنعمة منه تُغدَقُ عليك في الصباح والمساء، فالمسيح عند ذاك هو خالقٌ لكَرْمه وانت لست بشيء. وتَذَكَّرْ هذا، حتى اذا استدعاك في يوم يرتضيه قلتَ له: ربي لا تَرُدَّني إلى الارض قَبل أن تَرُدَّني اليك. فإذا عَرف ربُك أنه انعطفَ عليك كي يجعلك متّكِئا ولو قليلا على صدره لتسمع نبض قلبه نهار ليل، إذا أَحسَّ المسيح أنك قادر أن تستمع إلى خلجات قلبه، يقول لك: «كنتَ أَمينا على القليل فسأَجعلك أَمينا على الكثير». واذ ذاك تقول له أنت: «الآن أَطلقْ عبدك أيها السيد».

الا اذهَبْ مزوّدا بهذا لكي يتعرّفك المسيح كما تعرّفناك نحن.

أنت أسير الإنجيل

في التلاوة الإنجيلية المباركة التي استمعنا إليها في هذا القداس الإلهي (متى ١٧: ١٤-٢٣) قول السيد المبارك: «إن ابن البشر مزمع أن يُسلَم إلى أيدي الناس».

أنت، منذ هذه اللحظة، أنت اليوم سُلّمْتَ إلى أيدي المؤمنين القادرين أن يَسمعوا منك كل شيء. فأنت مُعَدّ للصلب، لأنك لستَ أفضل من المعلّم، وعلى غراره ما جئتَ لتُخدَم ولكن لتَخدُم وتبذل نفسك فدية عن كثيرين. جُعِلْتَ خادمًا اليوم، وهذا هو معنى كلمة شماس، وشأنك كشأن المعلّم أن تكون غاسل أرجل لا كرامة لك إلا تلك التي تُعطاها إن أنت استمررتَ في غسل أرجل الناس. ومعنى ذلك أنك تَجعل كل بشريّ أعلى منك، وبنوع أخصّ تجعل الفقراء والمتواضعين أعلى منك، لأن الذين يرتفعون، عليك أن تُذكّرهم أن رؤوسهم ينبغي أن تكون خاضعة لله، فإذا خضعوا تواضعوا.

رسامة أنطون (سليمان) شماسًا، كنيسة رقاد السيدة في دوما، ٢٣ آب ١٩٨١.

أنت لا تعترف بزعامة بشرية، والكُثر في الرعية سوف يحاولون أن يُذلّوك. هذا شأن بعض من أبنائنا معنا. ولكنك عالم في كل وقت أن واحدا في الكون فقط يستطيع أن يُذّل وأن يَرفَع، وأنك إن أنتَ خَطَوتَ جناح الذُلّ أمامه فهو

قادر أن يجعلك تطير في السماء. ولكي تتمكن من خدمة جليلة، ليس لك سوى أن تُروّض نفسك على العفة بالكلمة الإلهية والصلاة والفقر والإمساك، فالكنيسة ليست باب رزق لأحد، وقد طَرد منها السيدُ التجّارَ وباعةَ الحمام، وسوف تتابع مسيرته ونطرد منها كل تاجر باسم الله وكان قبل ذلك لا شيء.

وإنك لتحتاج إلى عنف الإنجيل وإلى كلمةِ حقّ تَقْطَعها باستقامة. ولكنك لن تستقيم ولن تقدر على الأشرار ولن تؤدّبهم ما لم تتأدب أنت بمخافة الرب تأدّبًا كاملاً، بحيث لا يبقى فيك مكانة للتحزّب أو للبغضاء، بل تصبح في عيني نفسك نَسْيًا منسيًّا لكي يَذْكُرك اللهُ وحده ويُسجّلك في سفر الحياة.

أيها الحبيب، أنت مزمع أن تُسلَّم إلى أيدي الناس، فسلّم نفسك إليهم بالمحبة، فإنهم يستحقّونها لأنهم اشتُروا بثمن. ثمن كل إنسان دم إله، وقد لا يعلمون ذلك. ولكن عليك أن تُذكّرهم بأنهم أعزّة وبأنهم أحباء. ولكن لا يمكنك أن تحب ما لم تكن مقيّدًا بالإنسان، فإنك أسير الإنجيل، ولا كلمة تَعلوك إلا هذه الكلمة، ولا ولاء يربطك إلاّ هذا الولاء. ولذلك سوف تسير حرًا، حرًا بين الأموات، لأن الكثيرين أموات. وإذا ضبطتَ نفسكَ بالوصايا، وعففتَ عن كل ما يستلذّون، فأنت معلّمهم وخادمهم بآن. وسوف تسير معنا المسيرة الحسنة، تُطيع الإخوة في كنيسة الله وتُطيع الأسقف الذي أُولِيَ مسؤولية الإرشاد والتوعية ونفرض أنه أُودِعَ من المحبة مقدارًا. ولذا سوف تُطوّع نفسك لكل الخيرات المودَعة في كنيسة الله، علمًا وخبرةً وقداسةً، حتى إذا سرتَ على هذه الدروب تُدرك الذُرى التي أَعدَّها الله لمختاريه في يوم الحساب.

أنت في بدء المسيرة التي تجنّدت فيها، ومَن تَجنّدَ لا يَرْتَبك بهموم الحياة. ولكنك لست في بدء المسيرة الروحية، فإنك منذ طفولتك تقرأ الكتب المقدسة القادرة أن تجعلك حكيمًا للخلاص، وقد ناضلت مع الذي ناضل في سبيل بهاء يسوع. وقد تنازل الرب الإله عليك اليوم بوضع يدي لكي تتدرّج في السلسلة الرسولية وفي هذه الأخوّة الكبيرة التي لنا في كنيسة المسيح.

ألا كان الله مباركًا لك في هذه المسيرة الطيبة. ألا قدّسكَ يوما بعد يوم في حكمة رشيدة دؤوب حتى تَظهر أمامه في اليوم الأخير بلا عيب ولا لوم، وتنال الأُجرة التي أُعِدّتْ لمختاريه، آمين.

كن وجهًا يبشّر بخلاص إلهنا

كانت لنا يا إخوة خدمة من السماء في هذا العيد الذي تهلّلنا فيه. وفي هذه المقامات لا يليق إلا الترنيم والسكرات الإلهية. لقد فرحنا، في وسط آلام كبرى، لهذا الذي ارتضى أن يُقيم في حشا البتول ومنها أن يدخل في الناس، وعرفناه، وبخاصة في ذكرى هذا الأحد الثالث من الصوم، إلهًا مصلوبًا. «بشّروا من يوم إلى يوم بهذا الخلاص» الذي كان مزمعًا أن يتمّ على الخشبة وعند فجر القيامة، فإني قد عَزَمْتُ ألاّ أَعرف بينكم إلا المسيح المسيح وإياه مصلوبًا.

رسامة رشيد (ناصيف) شماسًا، كنيسة سيدة البشارة في برج حمود، ٢٥ آذار ١٩٨٣.

لقد أعطتنا السماء أيضًا أن نأتي بمصلوب جديد إلى هذه الكنيسة المقدسة التي لا عظمة فيها ولا مجد فيها إلا لأولئك الذين ابتهجوا بالمسيح المقتول والممحُوّ من أجل خطايانا. فإذا قَبِل الشمّاس «الياس» أن يُعَدّ في صفوف المسحوقين، إذ ذاك يتهلل ببشارة الخلاص ويتمكّن من دعوة الناس إلى هذا الوحيد الذي يليق له كلّ إكرام وسجود وعزّة مع الآب والروح.

أيها الأخ الكريم، قال شفيعك، هذا الذي اكتَتبت في المعمودية على

اسمه، قال أشياء عديدة، أكتفي منها بقولين: «غيرةً غِرتُ لرب الجنود». ذلك لأنه كان يُقاوِم ملكًا ظالمًا. وأنت مدعوّ لمقاومة الظلم الذي تَظلم النفوسُ بها ذواتِها، عنيتُ ظلم الخطيئة. غير أنك مدعوّ بالدرجة الأولى أن تقاوم الظلم نفسه لأن الذي أُهّل أن يُلقى على الصليب يومًا بعد يوم، هذا وحده له الحق من المكان الذي دُمّر عليه أن يدعو الناس إلى أفراح ربهم بالتوبة والإخلاص.

هذه الغيرة إنما نضجت عندك لما تسلّحْتَ منذ صباك بالإنجيل كلامًا حادًا وأنت تدعو في حركة الشبيبة الأرثوذكسية إخوتك وأخواتك حتى يكونوا من حولهم لهبًا. أليس تعريف الرسل في مزمور الغروب أنهم جُعلوا نارًا. فمَن لم يحترق بحبّ يسوع، هذا لا يستطيع أن ينقل الحريق إلى القلوب الأخرى. وما هاجسنا سوى أن تصبح الدنيا كلّها محرقةً كبرى، لأن الله إنما آتانا أن نُحبّه وأن نُحبّ الإخوة بحيث لا يبقى فينا شيء سوى هذا الولع به وهذا الإلهاب لنفوسهم.

والقول الثاني لإيليا النبي: «حيٌّ هو الله الذي أنا واقف أمامه». فشفيعك عندما كان يرى مِن حوله الملوك والعظام والأنبياء يسقطون الواحد تلو الواحد بعبادة الأصنام، والتجربة قائمة إلى اليوم، فالإلهة عشتروت والإله بعل ومن كان إليهما ممّا ننحتُ من أوثان في عقولنا هي مُنتظرة نبيًّا ليحكمها. هذا ما دفع إيليا في عزلته أن يرى نفسه الواحد الوحيد الذي أَخلَصَ لله، وما رأى نفسه مسؤولاً إلا أمام ربه ومقيّدًا بتلك الكلمات التي فاضت من قلب النبي على شفتيه.

«حيٌّ هو الله الذي أنا وحدي واقف أمامه» ولو سقطوا. ومع هذا نرجو إلى الله أن يُقوّي مَن كان حولك من إخوة وأخوات ورعيّة تخدمها عسى أن يجعل ربُّك العالمين تعبده. ولكن لا تنسَ أنك هادم، وأنك لن تكون مستقيمًا مثل إيليا ما لم تُنكر كل ما هو لك، ما لم تتنكّر لهذا الصنم الكبير الذي هو المال، وما لم تُعرِض عن الصنم الآخر المنثني في لحومنا وهو الجسد، وما لم تُنكر أخيرًا الصنم العملاق الذي هو المجد. فإذا كنتَ خادمًا ممحوًّا، غاسل أرجل، ولم يُقِمْكَ الله ولم يجعلك لهبًا، تكون ككلّ الناس الذين ماتوا بالمحرقة وأضحوا رمادًا بلا نفْس ولا دم.

لا تنسَ أنه ينبغي لك يومًا بعد يوم، وساعة بعد ساعة، أن تكون واقفًا ولكنّك واقف فقط

أمامه هو، لترى وجهه وتتساقط عليك أنواره، ولكي تأخذ كلماته كتابًا تبتلعه حتى يتنكّر الناس للحمك ودمك ويعرفوك فقط وجهًا مضيئًا وفمًا يبشّر يومًا بعد يوم بخلاص إلهنا .

افهمْ وكُنْ هذا إلى أن يتلقّاك الله في ملكوته العظيم، آمين.

الشمّاس خادم

يا أحبة،

اليوم هو يوم السكون والراحة لأن ابن الله سَبَتَ فيه في القبر، وهكذا بالموت تم تدبير الخلاص. وفيما كنّا نُقيم الخدمة الإلهيّة، ردّدنا «ليصمتْ كلُّ جسدٍ بشريّ ولا يفتكرنّ فكرًا أرضيًا».

هذان الموضعان في الخدمة الإلهية أَردتُهما أساسيين لك يا أخي ديمتري فيما أنت تقبّل درجة الشموسية، فإنها تحديدًا درجة الخادم، والخادم يظنّ أنه إنسان يعمل أعمالا تخرج من ذاته إلى العالم ليكون كاستفانوس وإخوته في أعمال الرسل خادما للمواهب القادمة، في افتقاد الفقراء.

رسامة ديمتري (بارودي) شماسًا، كنيسة مار يوحنا في سدّ البوشرية، ٧ أيار ١٩٨٣.

هكذا كانت الشمامسة أولاً، وبالطبع الشمّاس هو أيضاً خادم لليتورجيا المقدسة لأنها المائدة الأسمى. من كان خادما يعني إنسانا يخرج إلى الخارج، ولكننا في يوم مكّننا الله فيه بعمق الخدمة وبُعدها الروحي قبل أن يخرج الخادم إلى الخارج، لأن هذا البعد العمقي فيها هو كلّها، وليس من شيء عند المؤمن يتمّمه خارج النفس لأنه ينطلق من النفس وغايته نفوس الآخرين،

وهذا نحو الخارج مقدّس. ليس عند المسيحيين أشياء ملموسة، بحدّ نفسها. فلك أنت أن تشدّد كلّ كنائس الله وكلّ مؤسّسات المجتمع الكنسي وتبقى خارجا عنها إن لم تكن في أعماق الروح القدس. وهذا يجعل ملكوت الله في ذاته.

كيف تكون الخدمة انطلاقًا من الناس؟ هنا لا بدّ أن أستدعي هذه القراءة الثالثة التي كانت لنا اليوم من العهد القديم. فتية ثلاثة كانوا مُلقَين في أتّون النار بسبب عبادتهم للإله الحق، فقالوا لله فيما هم كانوا في النار «لا نبيّ ولا رئيس (لأنهم كانوا مهجّرين إلى بابل)، لا نبيّ ولا رئيس ولا محرقة ولا هيكل، ولكن بانسحاق القلب واتضاع النفس، هكذا نعبد».

ما يجب أن ألفت كُلاًّ منكم وبخاصة أخانا الشمّاس هذا أنه من ذلك القول القائل: الكنيسة لا تُبصِر فيها أسقفا أو كاهنا أو علمانيا على حسبما أراده الله، موافقًا لقلب الله. قد نكون كلّنا شاذين وتابعين لأهوائنا، إذ ذاك الكنيسة هشّة. نحن صِلَتُنا مباشرة بالمسيح يسوع، بصليبه وقيامته، ويمكن للدنيا أن تموت ومعظم الناس ينحرف فيها. عندما تتحرّك قلوبكم بسبب النفوذ الاجتماعي الذي تشتهونه للروم، -وهم ليسوا على نفوذ-، وعندما يتمنّى كل واحد منكم مؤسسات لا يمكن أن تُضاهي مؤسسات الغير، فلا غضاضة، لأنكم لا تعلمون أن المسيح هو النفوذ وأنه هو المؤسس وأنه هو المملكة وأنه هو الملك وأننا لا نحتاج إلى سواه.

من لم يكن على هذا المنوال فهو مضطرب أبدًا. لا بدّ للإنسان المحبّ أن تتحرّك يداه وأن يتخلّى عن ماله في سبيل أعمال الرحمة، ولا بدّ من أعمال الرحمة، ولكنّ المهمّ أن تعلموا أن المسيح معكم وأنه يمكّنكم أن تكونوا أولادًا محبّين مجرّدين في الأرض وأنتم على الأرض، آمين.

روح الخدمة التواضع

أيها الإخوة،

لا نزال في غمرات ظهور إلهنا وقد غنّينا منذ الأحد الماضي ورتّلنا لمجده ترتيلاً كثيرًا، فإن الله نفسه قد اعتلن على نهر الأردن آبًا وابنًا وروحًا قدوسًا يُعبد إلى الأبد في صميم المؤمن لكي يُعلّى الله وحده. فإذا علّيناه يُبقينا في محبّته ويُعلننا بدورنا أبناء للنور. واليوم، بعد أن قرأنا العهد القديم في إشعياء مذكورًا على قلمِ متّى (٤: ١٢–١٧)، عِلمْنا أن الثاوين في ظلمات الموت يُشرق عليهم النور ونحن الذين ارتكبنا من خطايا من بعد المعمودية نعرف أن ضياء الله نفسه يُشفق علينا يومًا فيومًا فنغتسل بالنعمة كل يوم، وهذا هو الشيء الوحيد الذي يبقى لنا من بعد فوات العالم وانقراضه.

رسامة ميشال (نفاع) شماسًا، كنيسة سيدة البشارة في بطشيه، ١٣ كانون الثاني ١٩٨٥.

فاليوم في بركات هذا الظهور الإلهي جعلناك أيها الأخ العزيز خادمًا للرب لنقول إن الرب، إذا ظهر عليك وفيك، يمكّنك وحده من هذه الخدمة. فإن مَن اقتنى الخدمة تقول كتبنا يستحق درجة حسنة. من ظهر

فاعلاً في كرم الرب يعرفه الرب ويخصّصه لخدمته.

الرب جعلك خادمًا، لا أنا، أنا لاحظتُ هذا وأعلنتُه للمؤمنين. هي نعمة حلّت عليك ورأينا سطوعها فسجّلناها قيامة. الخدمة في الكنيسة لا يختلف جوهرها عن الخدمة في العالم. فلقد خصّصتَ نفسك لخدمة المريض، وكلٌّ منّا في الكنيسة مريض. ويقال في العامّية للطبيب «حكيمًا» لأنه يستعمل قلبه أيضًا للمعالجة. في الكنيسة لا نحتاج إلا للقلب. هو وحده مصدر المعالجة. وكلّنا مريض. هو القلب المستنير بحكمة الله التي تختلف كثيرًا عن حكمة هذا الدهر، وحكمة الله تنسكب أولاً في الإنسان كلامًا مقدسًا إنجيليًا، كلامًا طقوسيًا، صلاة يومية نرفعها لحضرته تعالى. وفي الوقت، من حكمة الرب تذوب الكلمات كلّها وتَغنى المعرفة لتصبح يا أخي قلبًا محضًا. وإذا استطعت أن تصير قلبًا محضًا، فأنت خادمٌ وحاملُ ظهورِ إلهنا للناس آبًا وابنًا وروحًا قدسًا.

وأهمّ ما في الخدمة إلهامًا، روحها. فروح الخدمة التواضع، ومعنى ذلك أنْ تُجاهد كلّ يوم لتعرف نفسك لا شيء، وتعرف الله كلّ شيء، وبالتالي أن تعرف كلّ الناس في الرعية وخارج الرعيّة أيضًا كل شيء. وهذا صعب لأن الرعية مملوءة بالخاطئين وأنت حكيم أي أنك عارف في أمور الناس. ومع ذلك طلَبَ إليك ربُّنا أن ترى في الناس جمالهم لتوقظهم لأنهم غير عالمين بجمالهم، فإذا أنت نبهتهم إليه، أنرتَهم وطلع عليهم من جديدٍ حلّةٌ بهيّة.

يا أخي، كلّ إنسان جميل وهو لا يعلم، ودورنا نحن ليس أن نُجمّل الناس، هذا ما لا نستطيعه. دَوْرُنا نحن أن نُحيي الناس بما فيهم من روحِ الله. هذه هي الخدمة في أقصاها. طبعًا الخدمة في الكنيسة أن تأتي بشيء لهذا الإنسان، وبشيء آخر لإنسان آخر، وأن تصلّي أمامهم، وأن تزورهم، وأن تفتقدهم في آلامهم. هذا كلّه صحيح، ولكن هذا ليس جوهر الخدمة. جوهرها أن تتواضع أمام كل إنسان وكأنه المسيح، وفي كل حال أن تعرف أنه أعظم منك، لأنك إن ظننت أنك شيء فأنت تستعلي وتُملي على الناس الدروس، تمليها عليهم منك في حين أنك متكلم، متكلّم باسم الرب لأنه أعطاك كما لحزقيال كتابًا تأكله، أي أعطاك كلمات، وليس أنت لك شيء، وليس لك كلمة،

وليس لك موقف إلا ما هو يريده عليك. فأنت هكذا قوي به، في الآن نفسه أنت لا شيء. فإذا استطعتَ أن تفهم كما فهم آباؤنا أنك تحمل العالم، لأن فيك كلمة الله، وأنك أنت لا شيء، إذا استطعت أن تفهم هذا، فأنت في آن معًا سيد على الناس وعند أقدامهم.

حاول أن تفهم هذا كي تكون سيدًا وخادمًا. ولعلّ هذه كلّ ديانتك، كلّ ما حِيكَ في اللاهوت، كل ما صِيغَ من توصيات، كلّ ما حِيكَ قانونًا كنسيًا ومعاملات. كلّ هذا، كلّ هذا يَنمّ فقط عن تواضع للإنسان على شجرة الصليب لكي يرتفع العالم في قيامة النور.

اذهبْ، اذهبْ وكمّل الخدمة حتى تفرح بك ملائكة السماء وننال نحن من انتباهك إلينا تعزية في الروح، آمين.

كُنْ في معيّة القديسين

هذا هو أحد جميع القديسين، نكمّله بعد أن حلّ الروح القدس علينا في الأحد الماضي لنقول إن الأمر الذي من أجله جاء المخلّص إلى العالم هو أن نكون جالسين معه عن يمين الآب في قداسة الحق ونحتِ نفوسنا بإنجيل يسوع المسيح. والقداسة هو أن نكون له وحده كما كان لنا، أن نفصل أنفسنا عن كلّ دَنَس لكي نُخطف إليه في رؤية وجهه الأكرم حتى نحيا من كلّ نظرة منه إلينا ومن كل خلجة من خلجات قلبه الأقدس. هذه هي عملية العمر يا إخوة، لأن الأقدسين أيضًا عند دنُوّ أجلهم يعرفون أنهم تراب، وأن ما كانوا عليه من تجلّيات إنما كان تنازُلاً إلهيًا ورحمة. فإنهم هم علّمونا أن قوّة البر في التواضع، وأننا ينبغي أن نكون أمام الإخوة جميعًا في وداعة الإنجيل وانسحاق قلب كما كان المسيح في الجسد أمام الآب.

رسامة بولس (حداد) شماسًا، دير مار ميخائيل في بقعاتا، ٩ حزيران ١٩٨٥.

وإذا نحن سعينا سعي القداسة وحفظنا الإيمان، كفانا، فإن الله يكفي أبناءه لأنه هو الحياة وليس من بعده شيء يُطلب. هذا الأخ «جميل» الذي أَردتُه أن يستشفع بولس جاء منكم وانتدبتموه أنتم، وكأنكم في هذه

القرية تقولون إننا نحن أيضًا ساعون سعي القداسة ونريد أن نتخصّص للمسيح. جئتم أنتم وقدّمتم هذا القربان في شخصه لتُعلنوا أنكم ملازمون الله آبًا وابنًا وروحًا قدوسًا في أزمنة الفرح والأزمنة الرديئة، والزمان الرديء آتٍ ونحن فيه. جئتم لتقولوا إن الله وأحباءه هم الذين التمستموهم لكم وطنًا، لأنكم متوطّنون في الآب والابن والروح حتى يخطفنا جميعًا إلى حضرته المباركة في معيّة القديسين.

فأنت، يا أخي، تحمل هذه الرعية المباركة في عقلك وقلبك وسعيك، تحملها على ضعفاتها لأنك تعرفها توّاقة إلى الإنجيل، ولكنها بحاجة أن تأكله ليصير لحمها ودمها. ولذلك طلب الرسول إليك كما طلب إلى أسلافك «أنِ اعكُفْ على القراءة حتى مجيئي». وكان بولس يفتقد الإخوة الذين أقامهم قُسُسًا وأساقفة للدنيا، ويعرف أنه هو مُعطيهم ربّنا يسوع المسيح، ولكنه كان يعرف أيضًا أنه يجب أن يعتكفوا لقراءة الكلمة الإلهية كلّ يوم حتى يصيروها وتصير الرعية. والغاية من كلّ ذلك ألاّ يبقى فيك شيء من لحم ودم، أي ألاّ تظلّ على أيٍّ من نزوات العالم ومن أفكار العالم، فإن المبتغى أن ينظروا إليك حتى يقرأوا المسيح، وإنهم سيرونه فيك إن واظبت على الإيمان والمحبّة والعفاف والتعقّل. وقبل كلّ شيء فإنك أنت أصبحت الآن خادمًا، كما تعني كلمة الشماس، أصبحت خادمًا علّك تذوق التواضع كاملاً، وعلّهم يرون أنهم هم أيضًا خادمون بعضهم لبعض في محبّة ربنا يسوع المسيح.

يكفيك الآن هذا القدر لتذهب من هنا وتغوص على الكلمة فإننا منها ونحن بها، لتغوص عليها كاملة، حتى لا يبقى من الكلمة شيء خارج عقلك، فإنها هي التي تُعلّمنا وتُؤدّبنا في كلّ شيء وبها نَخلُص.

هذه هي أُخوّتنا في كلّ يوم ولا سيما في الضيق. هذه أُخوّتنا أننا آكلون وشاربون لكلمة الإنجيل في طهارة البرّ. إذا كنت على ذلك، فسلام عليك، آمين.

لا تنظر إلا إلى المجد الإلهي

يا أخي الشماس،

لقد ألهمني الله على أن أُسمّيك باسم شفيع هذه القرية التي تظهر فيها بوادر المحبة ليسوع، تلك القرية التي تريد أن تكون مسيحية كما ينبغي وكما أوصانا الإنجيل. ولقد أَعطيتُك اسمًا رهيبًا، إذا استحققته في ما تبقّى لك من العمر، تصبح شيئًا عجبًا. استفانوس واسمه يعني المكلَّل والذي وُضع على رأسه إكليل المجد، هذا قال عنه سفر الأعمال أنه كان مملوءًا من الإيمان والقوّة، وعَنى الكتاب بالقوّة صنع العجائب والآيات.

رسامة جهاد (كرم) شماسًا، كنيسة القديس استفانوس في وجه الحجر، ٢٧ كانون الأول ١٩٨٥.

أما الإيمان فهو أن يحسّ المرء وأن يعتقد بأن الله هو وحده الوجود، وأنه هو المأمن الذي يقينا كل شرّ ويحفظنا من كل خطيئة وإليه نرجع وعليه نتأسس ومنه ننطلق. والإيمان يعني أننا نُصدّق بكلّ ما ورد في الكتاب العزيز وبأننا نُثبّت حياتنا على كتاب الله لا على أقوال الناس. والإيمان يعني أننا نغرف من هذه الكنيسة كل يوم فيما نحن نتعبّد للرب فيها، ونذلّل نواة كبريائنا لنكون أمامه كلا شيء، ويجعلنا هو بالتواضع كلّ شيء. والإيمان

يعني أن نوزّع الإيمان وأن نقرّب الناس إليه وذلك بالقوة، بتلك القوّة التي صَنعت لاستفانوس العجائب والآيات، وتلك القوة التي تجعلنا نحن نشفي أمراض البشر وننقل إليهم غفران ربهم، تلك القوة التي تجعلهم يثقون أن الرب حيّ وأنه فعّال وأنهم إن نسوه فإنهم ليسوا على شيء. لقد تحدّث بولس عن برهان الروح والقوة أي عن ظهور الروح القدس فينا وعن قوّة الشخصية المتنصّرة كل يوم بالطهارة وعمل البرّ ودراسة الكلمة.

هذا استفانوس، شفيع وجه الحجر، قادوه إلى المحفل ليُميتوه لأنه كان يعمل شيئين. كان ينهض بكنيسة أورشليم ويغذّي الفقراء فيها ويرأس ما نسمّيه اليوم الخدمة الاجتماعية، معتنيًا بالأرامل أولاً وبأن يكون عدلٌ بين أرامل العبرانيين وأرامل اليونانيين في المدينة المقدسة. فقد ظهرت هناك مفاوضة بين فريق وفريق فقضى الرسل على الحزبية في الكنيسة، فوكّلوا بتنفيذ ذلك استفانوس والشمامسة السبعة. غير أنه لم يكن فقط مساعدًا اجتماعيًا بل واعظًا كان ولاهوتيًا جيدًا إن عرفنا أن نقرأ خطابه هذا الذي بسببه أُميتَ. لقد مات مثل السيد قائلاً: يا رب في يديك أَستودعُ روحي بعد أن غفر لأعدائه. لكني أودّ أن آخذ من خطابه أو من حديث سفر الأعمال عنه هذا: أنه كان يتفرّس في السماء ورأى مجد الله، ورأى يسوع جالسًا عن يمين الآب.

شيئين أودّ أن أتركهما لك أيها العزيز: أن تتفرّس في السماء، أن تنظر دومًا إلى فوق، وأن تبصر وجه الله وأنت تعلم أننا منذ حادثة التجلّي على الجبل بتنا قادرين أن نُبصر وجه الله، ومنذ أن رُفع ابن الله على الخشبة واجتاز القيامة صرنا قادرين أن ننظر إلى غلبة المسيح، حسب قول الرسول: لستُ أنا أحيا، بل المسيح يحيا فيّ. من نظر إلى أشياء الأرض تسجنه هذه الأرض، يصبح عبدًا لها. من نظر إلى وحل الأرض يبقى في الوحل، ومن نظر إلى السماء تخطفه السماء ويَظهر جسده على الأرض ولكن فكره في السماويات، ومنها يجيء، وبكلماتها يُحدّث الناس.

أنتم سفراء عن المسيح كما عَلّمَنا الرسول، والسفير إنسان ليس عنده كلمة منه، ولكنه ينقل كلماتِ مَن انتدبه، ويُعاقَبُ السفير إذا قال كلمة من عنده. هكذا رسول السيد لا تبقى فيه كلمات

من عنده. طبعًا له أن يتدبّرها أن يُدبّجها، ولكن جوهر حديثه من السماء، من هذا الكتاب الذي ورثناه من الرسل.

ولكن لماذا يتحدّث ناس من عنديّاتهم، ويتحدّث آخرون من عند الله. لماذا هذا الفرق بين الناس؟ الجواب، في ما ورد عن استفانوس أنه كان يتفرّس إلى السماء ويرى مجد الله. إن أنت نظرت إلى المجد الإلهي، تتلاشى فيك إغراءات الأرض ولا ترى عيناك إلا مجدَ يسوع، فتنزل أنت من هذا المجد سيدًا على العالم وتُعلّمهم بأنك أنت لا تأتي من نفسك ولا تأتي من بيت أبيك، ولا تأتي من ترابك، ولكنك تأتي من الذهب.

وإذا أنت فهمت ما أنا قائله الآن وعملت به، فإذا نظرنا نحن إلى وجهك، لا نراه إلا كاللؤلؤ، وجهِ شفيعك استفانوس، وجهًا مملوءًا من المجد، آمين.

كن سميرًا للمسيح

«من أراد ان يكون منكم أولاً فليكن لكم خادمًا»

(مرقس ١٠: ٤٤)

يا أيها الحبيب،

ذكرى اليوم، في هذا الأحد الخامس من الصوم المبارك، هي ذكرى امرأةٍ خاطئةٍ. سُمّيت، من بعد جهادٍ طويل ونسك مشرق، «أُمّنا البارة مريم المصرية». فنحن نجيء كل يوم من خطايانا إلى وجهه المضيء، ونحجّ إلى وجه الله طوال العمر حتى نرتميَ في حضن المعلّم، إزاء ضياء الآب.

رسامة سمير (الياس) شماسًا، كنيسة مار الياس في سن الفيل، ٥ نيسان ١٩٨٧.

هذه كانت مسيرةُ مَن طلب البر، منذ أن ساكنَنا ابنُ الله في الجسد، وقعد في هذه الدنيا ليجعلنا فوق الدنيا فيُقيمنا معه على العرش في السماويات حسبما قال الرسول: «ليكن فيكم هذا الفكرُ الذي كان في المسيح يسوع الذي وهو في صورة الله لم يحسب خلسةً أن يكون معادلاً لله، ولكنه أَخلى نفسَه آخذاً صورة عبدٍ صائرًا في شبه الناس، لذلك رَفعه اللهُ

وأَعطاه اسمًا فوق كل اسم لكي تجثو باسمِ يسوع كلُّ ركبةٍ مما في السماء وعلى الأرض وتحت الأرض، ويعترف كل لسان بأن يسوع المسيح ربٌّ لمجد الله الآب».

هذه سمير ستكون المسيرة إن أنت طمحتَ أن تجلس على عرش الله مع الحبيب. ولكن المسار هذا يكلّف كثيرًا من العرق والدمع والبكاء والتواضع أمام المؤمنين، والانكسار في حضرتهم، وهذا يتطلب خدمة طويلة شاقّة بمصلوبية دائمة، فإن هؤلاء المؤمنين هم أحبّة السيد، وعليك أن تُعطيهم ما أَعطاه، وليس بين يديك ما تُقدّمه لأنك فقير، غير أنه يُغنيك ويَمُدّك بهذا الذي أَمدَّ به الكونَ وهو مرفوع على الخشبة.

وإن أغراك السلطان وأغرتك قوّتك في المعرفة والغيرة، وهذه لك منها الكثير، فَتَذكّرْ أن الغيرة والمعرفة أُعطيْتَهما لكي تلتهب بهما صدور المؤمنين، وأنت فقير، أنت تَعبُر في حضرة يسوع وتنسى نفسك، وليس لك من الدنيا شيء. تنسى نفسك باستمرار ليقوم المؤمنون ويَجمُلوا ويَعبُروا. شرط العطاء هذا الذي حدّثَنا عنه الكتاب الإلهيّ اليوم لما قال: «من أراد أن يكون منكم أولاً فليكن لكم خادمًا».

لكنك سمعت في خدمة الرسامة أنك مدعوٌّ لكي تكون حاملاً كلمة الله لتقول هذا. ولكن في الطور الذي أنت فيه، تذكَّر أنك بالدرجة الأولى معاون في خدمة الأسرار المقدسة. وفي أية كنيسة تُبعث اليها قد لا يكون الكاهن الذي تُعاونه أقدس القديسين. هذا ليس من شأنك. شأنك أنت أن تطيعه بالتواضع. وشأنك أنت أن تكون أبصارُك مُسمَّرةً على المصلوب لئلا تلهو بالناس. هذه الكنيسة فيها ضعف كثير وفيها تقصير كبير، والمؤمنون يعلمون أو لا يعلمون، والكهنة يعلمون أو لا يعلمون. لا شك أنك مدعوّ أن تُعلّم لأنك عندما تقرأ الإنجيل إنما تقرأه بفهم، ومبتغاك منه توضيح معانيه. ولكن في الطور الذي أنت فيه، تَروّضْ على الطاعة وعلى المفارقة أن تجمع، إلى غيرتك على كنيستك، سلطةً أمام المقصّرين علّهم يفهمون بتواضعك ولطفك. هذا هو سرّ الإنجيل أنه يُحمَل إلى الناس أولاً بهاتين القضيتين، بالتواضع والبطش.

ان تكون دائمًا عند أقدام الناس غاسلاً لأرجلهم، هذا هو شرفهم، لأن هذا هو ما صنعه المعلّم في العلّية قبل أن يموت لكي يُبلغنا أننا في مرحلةٍ أولى نغسل أرجل الناس، وفي مرحلة ثانية نموت. واذا عبرنا هاتين المحطتين، فلنا ما كان له، أعني القيامة. والقيامة هي أن تقوم هنا في هذه الأرض منزّهًا عن الشهوات الشبابية. هذه التي نهانا عنها بولس الرسول، عندما كان يتحدث إلى الشمامسة، فأراد أن يلتهوا عن الشهوات الشبابية وعن كل طيش وعن كل عنفوان وعن كل تعظُّم لكي تسلك الكلمة مسلكها.

واذا أنت صنعت ذلك، اذا أنت أتممت كل ذلك وصُلبت، تصبح قدوة للإخوة في المحبة والعفاف والايمان والتعقل. سرّ ذلك أن تكون كما يدعوك اسمُك إلى ذلك، أن تكون سميرًا للمسيح أي أن تُجالس المسيح في وحدته، في موته في بستان الجسمانية، لئلا تستحقّ اللوم الذي استحقّه التلاميذ ساعة، ساعة واحدة.

تذكّر أن آباءنا النساك كانوا يُسمَّون الآباء الصاحين. نحن في صحوة دائمة لا ننام، لأننا نسهر على خراف المسيح لئلا تفترسها الذئاب. كن صاحيًا سميرًا للمسيح، فإذا ضُربتَ وأُهنت وأُذللت، فإنه رفيقك وأنت رفيقه. واذا صنعتَ كل ذلك تُزكّي نفسك وتُخلّص الآخرين.

في مستهلّ كلامي ذكرتُ أُمّنا البارة مريم المصرية التي أتكلم من أجلها في مثل هذا الموسم. تذكّرْ أنها لما أرادت أن تدخل إلى كنيسة القيامة صَدَّتْها قوة الله فلم تتمكن من الدخول، ذلك أن المدنّسين لا يستطيعون أن ينتهكوا أسرار الله ولا يقدرون أن يُلامسوا القدسات. كن نقيًا حتى النهاية، صادقًا بإصغاء، متواضعًا أبدًا، كبير القلب، لئلا تَصدَّك يدٌ عظيمة عن ولوج أعماق السرّ، وعن الفهم الالهي.

كان الله معك ومع الذين تحب ومع الذين يحبون يسوع المسيح، آمين.

إن أحببت إلهًا فأنت إله

«ليكُنْ لي حسب قولك، ها أنا أَمَةٌ للرب»

(لوقا ١: ٣٨)

يا إخوة،

لقد رسَمْنا، في عيد التواضع هذا، رجلاً دمثًا، ووظيفته هذه الأولى في الكهنوت، وظيفته أن يتربّى على التواضع، فإنّ ما يجمع بين هذه الرسامة وأُمّنا العذراء هو جوابها للملاك: «ها أنا أَمَةٌ للربّ، فليكنْ لي حسب قولك».

رسامة نديم (معلوف) شماسًا، كنيسة رقاد السيدة في الحيدثة، ١٥ آب ١٩٩٠.

الإله الذي شاء أن تشترك معه امرأة لكي يتجسّد، لكي يتمكّن من التجسّد، هذا يدعوك يا أخي نديم اليوم أن تدخل في هذه الخدمة من الباب الضيّق، لأنّ أحدًا لا يستطيع أن يرث الملكوت إلا من الباب الضيّق، وذلك عملاً بقول للربّ آخر وهو أنّ «الملكوت لا يَدخُله الا الغاصبون»، أي إنّ هذا الباب موصَد، مُحْكَم الانغلاق، فولاذيّ، لا يستطيع أحد دخوله، لأنّ

المكتوب الذي سمعته الآن، عند وضع يدي على رأسك، هو أنه يجب «أن تَمْثُل في حضرة الله بلا خطيئة»، ولكوننا ملطّخين بالمعاصي حتّى آخر رمق من حياتنا، ينبغي في اللحظة الأخيرة أن نستجمع قوانا وأن نتوب وأن نقتحم الملكوت اقتحامًا.

هذا ما تّمَمّته تلك الفتاة الإلهيّة التي رَفَعها الله، ليس فقط أعلى من نساء العالم، بل أعلى من البشر جميعًا، ومن الملائكة. لقد استطاعت أن تصير بلا قياس أعظم من الطغمات الملائكيّة، أي إنّها قدرت أن تكون وكأنّها بلا جسد، هذا ما يعني أنّها فوق الشيروبيم والسيرافيم.

هذا مسعى يدعوك الإنجيل إليه، أي أن تكون بلا جسد. ومعنى ذلك أن تتنكّر لكل كبرياء، لكلّ ما يسمّونه في بلدنا الشقيّ عزّة النفس والكرامة وما إلى ذلك، فإنّ الأرثوذكسيين عندهم كفاية من الكبرياء ليسحقوك، وعندهم كفاية من النميمة والانتقاد اللاذع لكي يضربوك. أنت واقف أمامهم، رأسك ناطحٌ عرشَ الآب. لن يكون أحد فوقك إلا الثالوث القدّوس. ولكنّ الثالوث نفسه يفرض عليك أن تكون منحنيًا عند أحذية الأرثوذكسيين.

الشيء الأقصى الذي تستطيع به وحده أن تُسلّم الكلمة هو العفّة. من كان أسير المال وعشق المال، هذا ساقط. هو مادة كهذا الذي يحبّ. الإنسان من الأشياء التي يحبّها، فإن أَحببتَ انسانًا فأنت إنسان، وإن أَحببتَ ثوبًا فأنت ثوب، وإن أَحببتَ مالاً فأنت معدن أو ورق، وإن أحببت إلهًا فأنت إله. أنت تَصير هذا الذي تُحبّه، فإذا أَردتَ أن تُعطيهم إلهًا فلا تقدر أن تحبّ ما يحبّون، هذا ما نعنيه بالعفّة بمعناها الكبير.

مريم وحدها بين المخلوقات استطاعت أن ترى نفسها لا شيء، وأن تعفّ عن هذه الدنيا مطلقًا، مطلقًا. لذلك لم يبقَ لها مكان في الدنيا، فرفعها الله لكي تجعل أحباءه مريميين أي أوعية ليسوع.

هذا ممكن إن قلت لربّك «أنا عبدٌ لك، ليكن لي حسب قولك». «ليكن لي حسب قولك»، أي أنا لا أنحني إلا لكلمتك، ولا أؤمن إلا بإنجيلك، وأنا أُطيع إنجيلك وأُطوّع الناس لهذا الكتاب. لن

يكون لك شغل شاغل إلا تطويع الناس لكلّ كلمة قائمة بين دفّتي الكتاب، وما عدا ذلك نفاق. قد نقضي سنين في القيادة الأسقفيّة ونحن منافقون لأنّنا لسنا عبيدًا لكلّ كلمة خرجَتْ من فم الله. وبشّرْهم بأنّهم خطأة، إنّهم لا يريدون سماع هذه الكلمة. أنت مضطر أن تقولها لهم إنّهم خطأة، وأن تُبيّن لهم كيف يخطأون وأن يعترفوا بأنّهم خطأة وإلاّ فأنت منافق.

«ليكن لي حسب قولك». ما خرج من فمه العزيز قلْه أمام الملكوت وأمام الأغنياء وأمام الفاسقين وأمام الخطأة وأمام الناس كلّهم، ويجب أن يُطوّعوا بالكلمة. وعلى هذا القول صَلِّ واسأل واستغفر وانسَ نفسك وانسَ جسدك، علّك تقدر أن تكون يومًا في جوار تلك التي انكرَتْ نفسها للربّ، آمين.

لا تستوقف أحدًا عند شخصك

«ليكن فيكم هذا الفكر الذي كان في المسيح يسوع»

(فيليبي ٢: ٥)

يا أخي،

نحن نسعى طوال حياتنا أن يأتي فكرُنا هو إياه فكرَ المسيح يسوع، بحيث لا يبقى مجال لأية خاطرة دنيوية، وبحيث نكون قد أصبحنا كلمة. ذلك أن كل ما فينا على صعيد الذهن والروح والقلب ينبغي أن يصبح كلمة الله.

رسامة جبرائيل (اللاطي) شماسًا، كنيسة رقاد السيدة في كُبًا، ٢٠ تشرين الأول ١٩٩١.

لقد ارتضى الله يا جبرائيل أن يجعلك خادمًا على صورته. تلك كانت الصورة التي اتّخذَها هنا لمّا أَخلى نفسه من صورة الإله ليتّخذ صورةَ عبد. ذلك هو فكر المسيح أن الله يَتطوّع للعبودية، للوضع البشريّ الكامل بما فيه من شقاء وموت. واذا كنت أنت عبدًا، وليس عليك أن تنتقل من هيئة إله إلى هيئة بشر، هذا يعني أنه ينبغي أن تمحو فيك ما كان من هذا الجسد ومن هذا التراب ومن هذا الذهن البشريّ العابد لنفسه

المكتفي بذاته، ولا سيما أن ثمة بعضاً من مجد ممكن في هذه الخدمة. هناك عند المؤمنين إغراءُ الإعجاب بك، وبالتالي أنت معرَّض للانتفاخ، وأنت معرَّض ككل كهنة الأرض ورؤساء الكهنة أن تُسيطر على الرعية. غير أن المسيح الرب، إنْ هيمَنَ عليك بتواضع منك، يرتفع بالذات حُكْمُك كما يقول إشعياء، أي لا يبقى لك في الأرض سوى الحُكْم الذي تعطيه المحبة.

نحن لا نَسُوس الناسَ بأمرٍ منا أو خاطرة في أحشائنا، إذ ليس في ذاك سياسة، ولكنّا نسوس الناس بالكلمة الواحدة التي انكشفت وأُعطيت.

للناس علاقة واحدة خلاصية وهي علاقتهم مع الرب الفادي. اذكُرْ أننا نحن معابر، فمَن وقفَ عندنا وتلَهّى بنا يكون قد غاب في اللحم والدم. مَن طلبَنا يكون قد طلب نفسه. لا ينبغي أن تستوقف أحدًا عند شخصك، أو استوقِفْه عندما أمكنك أن تحتفظ به في النور الإلهي، إذ ذاك لا يراك، ولكنه يرى أنوار الله مرتسمة عليك. نحن ليس لنا شيء من هذه الخدمة. ليس لنا لأنفسنا شيء، لأننا لسنا بشيء، ولأن المؤمنين كل شيء، ولا يسعك أن تَدخُل في خدمتهم في هذه المرحلة التمهيدية إلا بالتواضع. ومعنى ذلك أن تنسحق امام السيد صباح مساء، وأن تعرف نفسك ذهنيًا أنك لست بشيء، وأن تكون بذاك مقتنعًا، وأن تَعي نفسَك أولَ الخطاة الذين مات المسيح من أجلهم. فإن اعتبَرْتَ نفسَك أطهر من واحد من الأربع مليارات نسمة القائمة في العالم، فلستَ على شيء. أنت آخر الناس، أو بالحري أنت تقول لنفسك هذا كما أنا أقول لنفسي. أقول وأعي أنّي آخر الناس. بهذا ترتفع ويرتفع المؤمنون. المهم المؤمنون. المهم إنجيل الخلاص الذي اؤتُمِنْتَ عليه.

إنه يوم جميل يُعطاك في آخر العمر لو استطعتَ أن تقول مع الرسول «جاهدتُ الجهاد الحَسَن، أكملتُ سَعيي، حفظتُ الايمان». هذا الايمان ينبغي أن يُنقل من جيل إلى جيل، ولا ينقله إلا الذين أَحَبّوا يسوع حبًا كبيرًا، آمين.

أنت قربان مرفوع إلى الله

«أَكمِلْ خدمتَك»

(٢تيموثاوس ٤: ٥)

رسامة ناجي (شيبان) شماسًا، كنيسة القديس أنطونيوس في فرن الشباك، ٧ آذار ١٩٩٢.

أيها الأخ الكريم،

«أَكمِلْ خدمتَك». بهذه الكلمة توجّه الرسول إلى تلميذه تيموثاوس لكي يُعلّمه أن المسيحية تَظهر خِدْمة، يعبَّر عنها بالخدمة. والخدمة حُدّدت عندنا للمشرطَنين على أنّها خدمة الكلمة. خدمة الكلمة عبارةٌ جامعة تدلّ على أشياء كثيرة، ذلك أنّ كلمة الله عندنا إيمان ومحبة بآن، ولكنّها قبل كل شيء إيمان. هي الانطلاقة من أن الله عبّر عن نفسه بابنه يسوع المسيح. ثم هي تجسيدُ هذا الإيمان محبةً للناس.

أما أنت يا ناجي فلن أُحدّثك طويلاً عن المحبة لأنّها صارت موهبتك الخاصّة وتُترجمها أعمالَ رحمةٍ لأسيادنا الفقراء. وما دامت فيك، فلن أَحضّك عليها كثيرًا، ولكن أُذكّرك بألاّ تُهمل محبتك الأولى. أذكّرك بأن تُتابع،

لأن الشيطان يُغرينا بأن نصبح في أعيننا شيئًا. إنطلاقًا أنت لست بشيء وأنا لست بشيء، ولكننا ثمار النعمة. نحن نصبح شيئًا بهذا الذي وَهَبَنا الله إيّاه. ولهذا حافِظْ على الوديعة التي سُلِّمْتَ، أي تابع المحبة. ولكن المحبة تزداد وتقوى بقدر معرفتنا ليسوع. هي لا تأتي هكذا من عواطف الناس. فإن أنت انتشيت بالمخلّص، تصير إلى الناس. وهذا يعني في وضعك أن «تعكف على القراءة» كما قال الرسول. قال أن «تعكف على القراءة حتى مجيئي». لماذا قال «مجيئي»؟ لأنّ هناك سلطان تعليم في الكنيسة، أي إنّك تقرأ وتعرض على الرسول ما فهمت، حتى يُدرّبك الرسول على الفهم الجيّد. اعكُفْ على القراءة حتى تتصل بمطرانك. هذا شيء أساسيّ في ترتيب كنيستنا الأرثوذكسية. المطران هو الشخص الهامّ والأهمّ في الكنيسة. ليس أنّه الأقدس، هذا شيء آخر، القداسة لا علاقة لها بالرتب. ولكنّه الأهم بوصفه حامل الإنجيل، معلّم الكلمة، ونحن مكان الكلمة، مكان الوحي الإلهي الذي نزل علينا. هو المسؤول عن إعطاء الكلمة وترجمتها في العمل الصّالح. هناك أعمال تليق، وأعمال لا تليق. وهناك أعمال تليق، ولكنّها غير موافقة، أو ليست في وقتها. كل موضوع الحكمة في الكنيسة والترتيب واللياقات والترابط بين الناس، هذه أشياء المطران مسؤول عنها، ليس منفصلاً عن الرعية، ولكن باتحاده مع الرعية. إنّه يسجّل أقوال الأتقياء. فإنّ سفر الرؤيا حضّه على أن يُصغي إلى ما يقوله الروح القدس للجماعات، أي إلى النفحات التي تصعد إلى المطران من المحبّين والطاهرين.

اعكُفْ على القراءة حتى اتصالك به. والقراءة كثيرة ومُضنية، وتأخذ العمر كلّه، ولا سيّما أنّ أحباءنا المؤمنين يريدون الفهم اليوم. ربّما ما كانوا كذلك قبل خمسين سنة أو ثلاثين سنة، ولكنّهم يريدون الفهم لأنّهم يفتخرون بإيمانهم ويحبّون مَنْ يفسّر لهم هذا الإيمان لكي يَقووا به. أيام «الجدبنة» هذه انتهت. نحن رجال عقل ورجال محبة. هذان أمران لا يفترقان. ليس لأنّك موهوب للعطاء والمحبة يحقّ لك أن تُهمل القراءة. شيئان متلازمان تمامًا. ولهذا لا بدّ لك أن تقضي ساعات من النهار مع الإنجيل، أي ما يؤهلك لفهمه. تقضي ساعات مع العقيدة ومع تاريخ الكنيسة ومع الطقوس الإلهية.

وعند ذاك تُدركُ أن فينا سرًّا نحن المسيحيين الأرثوذكسيين، وهو أن عقلنا إذا كان مكتملاً فإنّما ينزل إلى القلب، ويستلم المؤمنون حياةً ومعرفةً. يعني يستلمون عقلاً ومحبّةً بآنٍ واحد. يستلمون حكمة إنجيلية مع الحرارة. أي لا نريد تعليمًا جافًا لا شعور فيه، ولا نريد مجرّد انفعالات عاطفية تقَويّة. نحن لسنا حَكَواتيين، نأتي ونقول: هنا صارت عجيبة، هناك إنسان تقيّ. المسيحيّة ليست قصصًا، إنّها تعليم، ولكنّها تعليم حارّ. معنى ذلك أنّك تحتاج إلى عقل وإلى قلب، وهما كاملان فيك، ولكن تحتاج إلى أن تملأهما لكي تعطي لأنّك خادم.

وإذا كنت خادمًا، فمعنى ذلك أنّك لست زعيمًا على أحد. ليس هناك وجاهة في الكنيسة، هناك خدمة. مَن يكون موهوبًا أكثر للخدمة نُعليه. ولهذا تحتاج إلى اكتمال مسيرة التواضع التي فيك. أنا أريد أن أُحدّثك عمّا ليس فيك. ما هو فيك أنا ضامنه. لكن أريد أن أُحدّثك عمّا عليك أن تكتسبه حتى تصبح كاهنًا جيّدًا وربّما ممتازًا. هذا عطاء الله، وهذا ناتج من طاقتك. ليس أحد منّا مضمونًا. الممتاز ينزل أحيانًا إلى الجيّد، والجيّد إلى الواطئ، والواطئ يصعد إلى الجيّد، وأحيانًا إلى الممتاز. هذا كلّه موجود، ويتطلّب سعيًا مستمرًّا. نحن كنيستنا ما عادت تقدر أن تكون قائمة على «مجاديب». عليها أن تقوم على الحكماء وعلى المحبّين –هذا أهمّ من الفهم–، على المحبّين الذين يُعطون أنفسهم كلّ يوم في سبيل يسوع الحبيب.

تُطْلقكَ الكنيسة إلى العالم، إلى محاربة الشيطان، لكي يصبح المسيح سيّدًا في هذا العالم. حيث ما حللتَ، يسوع معكَ. وهذه الرعيّة واثقة بك وتحبّك وتعرِف ارتباطي بك، وتعرف أنّه قائم على عبادة المسيح. فاذهب ببركات الله، ولا تنمْ بدون قراءة، واعرفْ أنّك قربان مرفوع إلى الله وعائد من عند الله. الرعيّة لا تعترف بشخص اسمه ناجي. هي تعترف بخادم يسوع الذي تَغيّر وتَجلّى لأنّها تريد عليك، على وجهك، أنوار المسيح. الإنسان العتيق فيك انتهى، قبرناه. تصبِح إنسانًا جديدًا بيسوع المسيح. فاذهب على بركاته، آمين.

رجل الصحراء

«لن ينتزع أحد فرحكم منكم»

(يوحنا ١٦: ٢٢)

رسامة المتوحد وليد (عوض) شماسًا، دير مار جرجس في دير الحرف، ٢٨ آذار ١٩٩٢.

يا أخي الشماس،

أنت راهب، ويبدو أن الكلمة في العربية هي «مَن يَرهبُ الله»، ولكن في المصطلح الكنسي هي «المستوحِد» لا «المتوحّد» كما يُترجمون لأن أحدًا لم يتوحّد بالله، هذا يتمّ في اليوم الأخير فقط، ولكي نستطيع أن نطلب الوحدة نحن نستوحد. أنت مع الله في هذا الطريق الرهبانيّ ولا يَلزمك شيء آخر. الكهنوت لا يَلزمك لأنه مرجُوٌّ أنك جُعلتَ على طريق الكمال الروحي. والكهنوت ليس له علاقة بالرهبانية، والرهبان ليسوا كهنةً. طبعًا هذا هو التراث. وواضح أننا إن اقمناك كاهنًا فمِن أجل خدمة الدير، ذلك أن الشركة الرهبانية هي على نوع الكنيسة أيضًا، هي تجمُّع بشريّ حول مائدة الرب، وتخدم في هذا النطاق المحصور. ولكنك

أساسًا تطلب الوحدة مع الله. شيء واحد يَلزمك هو أن تكون خادمًا في هذه الشركة. هذا ما تعنيه كلمة شماس باليونانية، أي يكون الانسان خادمًا، أي أن تكون عيناه إلى يد سيده، يأمره فيأتمر. فقد نَذرتَ أن تتنازل عن رغباتك وعن إراداتك وعن تمنيات، وتنازلتَ عن أشواق. الانسان، في عالم الشوق، في عالم الاشتهاء، ينتقل من انفعال إلى انفعال. هكذا يجد لذّته في هذه الدنيا، تلتمع هذه الدنيا أمام عينه فينقدح. يا فرح أنت إنسان ليس عندك أشواق لأن الدنيا لا تلمع في عينيك، ولا تُتابِع أنت التماعاتها. أنت ميت، قررتَ أن تموت. ليس عندك شوق، ولكن عندك وُدّ لأنك مودودُ الله، وهذا لا علاقة له بهذا اللحم والدم. أنت تَوَدّ من وَدّكَ على الصليب. أنت تُلازمه وتحيا به ومنه. تصير خادمًا للبشر، لإخوتك الرهبان لأنك خادم السيد، ذلك لأنك إن لم تكن متّحدًا مع يسوع تظنّ نفسك خادمًا للناس، ولكنك تسعى عن طريق التواضع الكاذب أن تكون سيّدهم. الخدمة إغراءُ علوّ. خدمة البشر إغراءُ علوّ وإغراء زعامة إن لم يكن الانسان مقيَّدًا بالمسيح. ولهذا أنت تصعد في البدء، تصعد لأنه نزل اليك وتنزل روحه فيك. أنت تصعد. ولكونك تصعد، أنت تنزل إلى الإخوة لتكون عند أقدامهم. أن تكون عند أقدامهم أي أن تكون لا شيء، لأنك إن كنت فقط كما نكون نحن في الدنيا، وجهًا إلى وجه، أي إنك شيء، إنك تُثْبت نفسك، إنك تُواجه، إنك كيان وهم كيانات. أنت ليس وجهُك إلى وجوههم. أنت وجهك إلى أقدامهم، وإلا كيف تغسل الاقدام؟ تذهب هكذا كالطَّيف، لأنه إن رآك أحد يجعلك شيئًا. ولكن إنْ حسبْتَ نفسك طيفا فلا يراك. أن تكون موجودا في عينَي إنسان يعني انك موجود في عينَي نفسك. أنت لست هكذا. أنت موجود في عينيه فقط، وهو يُحوّل طيفك إلى شخص في اليوم الأخير، تتساقط عليك أضواء من اليوم الأخير. هذا شانه، ولكنك أنت لا تلتمس إلا الغفران. المستغفر يعرف نفسه لا شيء. الخدمة هذه يرفعك الله بها في اليوم الأخير. أليس الرهبان قومًا قفزوا إلى اليوم الأخير، ولذلك لا يزوّجون ولا يتزوجون. الذين يزوّجون ويتزوجون يحبّون هذا اليوم، يحبّون أشواق أيامهم، وهذا حلال، وأنا لا أناقش فيه. هذه لذّات أَعطاها الله للناس، ومَن أراد أن يحيا حياةَ هذا الدهر هكذا يصنع ويتاجر يذهب ويرتزق

ويفكّر ويكتب. أما الذين لا يحيون حياة الدهر هذا فيحيون في الدهر الآتي منذ الآن. أنا أعرف أن ما أقوله صعب جدًا، ولكن قومًا خَصَوا أنفسهم من أجل ملكوت الله. أنا لستُ خياليا إلى درجة أني أعتقد أن الحياة الملائكية، كما تسمعون الرهبانية، تتحقق الآن كليا. هذا توق العاشقين لوجه يسوع. هم في توق، يريدون أن يكونوا ملائكة هنا. اجتهدْ إلى هذا. لا تَقْبَل نفسك منكبًّا على الطعام والشراب. هذا شيء لائق بالحيوان. تأخذ قسطك من هذه الدنيا من أجل هذا الجسد لئلا ينهار، ومن بعد هذا يغتذي كيانك بالصلاة، نحن نأكل صلاةً يا إخوة. هل سمعتم بهذه العبارة؟ أي إنك تأخذ هذا الملكوت الآن وتشدّه اليك أو تشدّ نفسك اليه، وبهذا تصبح منارة أو شمعة، وبأي نور نحن نستضيء؟

لا تنسَ إذاً أنك، شماسًا، غاسل أقدام، ومَن اغتسل هكذا يكون قد اغتسل كله. فاصبرْ، اصبرْ على هذه الدنيا إذ ليس لك فيها أشواق. انت لا تستطيع أن تتسلّى بأحد، بحضور أي أحد. أنت ممدود إلى هذا الذي لا يُرى. يا له من صليب! ولكنه هو القائل «من أراد أن يكون لي تلميذا فليُنكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني»، أي إنه يتبعني إلى هذا الصليب الذي أَسندتُ عليه رأسي، وكان لقاءَ محبتي مع الإنسانية المفتداة. هذا هو السر الذي لا يُسبَر غوره يا أخي أننا نحن معشر المسيحيين عندما نأخذ فسحة من الأشواق والانفعالات والالتماعات، عندما نَصْلب أنفسنا، عندما نتوغّل في صحراء الموت، نلاحظ أن الجنّات أخذت تنمو في الصحارى، وأن لنا في الصحراء واحة مع الحبيب.

ألا كان الله راضيا عنك، آخذا بيدك حتى نسمتك الأخيرة علّك تسمع صوته يقول: «تعال يا مبارَك أبي»، آمين.

قضيّتك أن يبقى وجهُ يسوع ساطعًا في هذه الأرض

«خُذْ هذا الكتاب وكُلْه، فأخذتُ الكتاب، وإذا هو في فمي أطيب من العسل»
(حزقيال ٣: ١-٣)

رسامة ملحم (الحوراني) شماسًا، كنيسة القديس نيقولاوس في بلّونه، ٢ أيار ١٩٩٣.

يا أيها الحبيب،

إنك قد رآك الله مذ كنتَ في الحشا. أنت لا تختار يسوع. هو قد اختارك لتكون له، أي لتأخذ كلمته كما هي في الكتاب العزيز، وتأكلها وتصيرها، لأن الجسد، كما يُعلّم يوحنا الدمشقي، يصير كلمة بحيث إن من ينظر إليك لا يرى فيك شيئًا إلا مما جاءك من هذا الانجيل. نحن ليس لنا كلمات ولا مواقف ولا آراء ولا انفعالات. نحن نحاول. نحن المسيحيين جميعًا، وبنوع خاص الذين انتُدبوا للخدمة، نحاول أن نكون إنجيلاً حيًا. ولذلك لا تُضاف وظيفة على هذا الانجيل، ولا تُلصَق وظيفة بك. مَن لم يُخلَق كاهنًا لا يستطيع أسقفٌ أن يجعله كاهنًا. مَن لم يصوَّر من بطن أمه كذلك لا تستطيع بطاركةُ الدنيا أن ترسمه كاهنًا. الله عيَّنه، ونحن نلاحظ

هذا فقط ونُسجّل. لا يُختَلَق الانسان خادمًا لله. ولهذا ليس من فارقٍ، من هوّةٍ، بينك وبين الوظيفة. ليس من وظيفة. هناك حياة كاملة، هناك حياة يسوع فيك، هي التي تقول ذاتها، وتُفعّل ذاتها، وتمشي.

قد لا تبقى في الشموسية طويلاً. المهم مضمون هذه الدرجات: مضمونها الخدمة. الخدمة هي أن تنتظر من هؤلاء الأرثوذكسيين كل شيء. إنهم قادرون على كل السيئات. أنا مارستُهم منذ ولادتي. هذا لا يهمّك. أكانوا قديسين، أم كانوا مجرمين، أنت خادمهم. أنت ليس لك أمر في صفاتهم وفضائلهم وعيوبهم. أنت عند أقدامهم منذ البدء، كائنين ما كانوا. ولكن هذا أمر صعب جدًا. ولكن اذكُرْ كلام الرسول: «من كانوا للمسيح قد صَلَبوا الجسد مع الأهواء والشهوات». والشهوة الأولى والأخيرة عند الإنسان هي عبادة الأنا. الإنسان يحسب نفسه مهمًا، يتظاهر، يستكبر. إن بقَيَتْ فيك ذرّةٌ من كبرياء، أو ظنٌّ أنك شيء، لن تقدر على الخدمة. تقدر على التحرّك المادي، تقدر على العبادات، على الطقوس، أن تكون كاهنًا عظيمًا، تقدر أن تبني كنائس ومدارس ومؤسسات: هذا ليس خدمة. هذا يمكن أن تُخامره الأنا، الأنا المقيتة. ألاّ تكون شيئًا، ألاّ تحسب نفسك شيئًا، هذا شرط العطاء. ولكن أنّى لك هذا: أن تنظر إلى نفسك ولا ترى فيها شيئًا من هذه الدنيا، أن ترى نفسك فقط عطاءً إلهيًا، عَبارةً للنعمة؟ أنا ما قلت ألاّ تَحسَب لك مواهب. أنا أعرف أني موهوب. أنا المطران جورج أعرف أني موهوب كثيرًا طبعًا. يجب أن أرى ذلك لئلا أَرفُض النعمة. ولكني أعرف أن هذا ليس مُلكي، وليس لي فيه شيء، وأني جسْر ومَعبُر. اعرِفْ نفسك موهوبًا، فأنت كذلك، ولكنك جسر.

كيف تصل إلى هذه الحالة؟ «خُذْ هذا الكتاب وكُلْه»، فإن مضغتَ كلمة الله، وصرتها وصارتك، ترى نفسك في العطاء، وترى نفسك غنيًا، أو بالحري مستلِمًا، مؤتَمَنًا على ثروة الله لتُوزّعها على الآخرين.

الطريق طويلة. أرجوها طويلة لك، على عشراتٍ من السنين، لكي تتمكن في عمرٍ طويل أن

تعرف المسيح. أن تعرف المسيح في وداعته، في بساطته، في شفافيته، خادمًا للناس، مخلّصًا للناس، هذا ليس بالأمر السهل. هذا يمكن أن تقرأه في الكتب. ولكن أن تتيقّنه في داخلك، أن ترى المسيح هكذا، لتصبح أنت هكذا، هذا يتطلب منك دمعًا كثيرًا وصلواتٍ غيرَ منقطعة. وعلى قدر ما ترى المعلّم جميلاً تصبح أنت جميلاً. كل شيء فيه ومنه وإليه.

تذكَّرْ أننا قلّة في هذا الشرق. ولكن اذكُرْ أيضًا أن اثني عشر رجلاً بسيطًا من فلاّحي الجليل اقتحموا العالم لمّا أصبحوا نارًا بعد أن سقطت عليهم نار العنصرة. لمّا التهبوا أَضرَموا الدنيا.

يا إخوتي، أريدكم أن تشعروا أننا كبار مهما قلّ عددنا في البلد أو في المشرق. قضية الله ليست قضية أرقام. هي قضية قلوب. من القلوب ما كان ملتهبًا، ومن القلوب ما كان باردًا. احمِلوا الإنجيل، احمِلوا هذه الكنيسة وافرحوا، وكونوا بيسوع سكارى. هذا ما يَستبقيه في الشرق. لا يستطيع المسيح أن يبقى بدونكم، بالانعزال عنكم. هو أنتم، وأنتم هو. فإذا كنتم مشاعله، فهو حيّ هنا.

في هذا الإحياء، يا ملحم لك دور، أنت ورفقاؤك، في إحياء الشعور المسيحيّ باستمرار، لأننا لا نستطيع أن ننام.

يبقى يسوع. تلك هي القضية. وليس لنا من قضية أخرى، إلاّ أن يظلّ وجهه ساطعًا عندنا، منقِذًا، محييًا، لطيفًا بنا، رحيمًا، وديعًا، لنحيا. نحن نحيا بوجهه.

أنت واحد من الذين عِلموا بذلك. كُنْ على ما أنت عليه. اصبر على ما أنت عليه. حافظ على ما استلمتَ من هذا الانجيل، حتى تستطيع أن تقول، ليس فقط في الفصح، ولكن أن تقول في داخلك كل يوم، فيما أنت تُغالِب الخطيئة، خطيئتك وخطيئة الناس: «المسيح قام».

تغلب على عيوبك

يا أخي الشماس،

أنت تجيء طبعًا من هذا التجدد الروحي الذي بدأ في الكنيسة منذ خمسين سنة، هذا كان انبعاثًا كلّفنَا الكثير من العرق والدم والضغوط والجهد والدراسة والتجوّل في أنحاء البلاد وتطهير نفوسنا على قدر إخلاصنا.

أنت تجيء من كل هذه الأشياء الجميلة التي سطعت في قلوب الكثيرين في كنيسة أنطاكية. ومعنى ذلك انك تريد نفسك جديدًا. اليوم عيد انتقال أو موت القديس يوحنا الإنجيلي، الذي يورد في آخر كتابه حديثًا بين المعلّم الإلهي وبطرس الذي كان صديقًا ليوحنا بنوع خاص، عندما قال الرب لبطرس: أنت تُمنطِقُ أي «تُزنّر» نفسَك الآن، ولكن متى شِخْتَ، فآخر يُمنطِقُك ويَذهب بك حيث لا تشاء. فسأل بطرسُ الربَّ: أمّا هذا -أي يوحنا- فماذا اليه؟ فقال السيد: «إنْ شئْتُ أن يبقى هذا حتى مجيئي، فماذا لك؟ أنت اتبعْني». ذاع بين التلاميذ أن هذا الرسول لا يموت،

رسامة جان (ضاهر) شماسًا، كنيسة رقاد السيدة في حامات، ٢٦ أيلول ١٩٩٣.

وهكذا بالواقع كان عَمَّر كثيرًا، بعد استشهادٍ لم يُمتْ فيه –وضْعُه في الزيت المغليّ–، فقال التلاميذ انه لن يموت. فتذكّر قول السيد، ولم يقل السيد انه لن يموت، ومع ذلك احتفظت الكنيسة بالعبارة الحلوة في هذا العيد فأسمته انتقالاً مع انه كان موتاً اعتياديًا.

ماذا آخُذ أنا من كلام الإنجيل حتى أُلقيه على هذا الحبيب اليوم؟ «إنْ شئتُ أن يبقى حتى مجيئي». أنت يا أخي الشماس منتصب ساهر حتى مجيء ربنا يسوع المسيح. ساهر إلى الأبد، أو أقله إنك ساهر عندما يأتيك الرب يسوع ليستردّك، لينقلك إليه. هذه مسيرة أرجوها طويلة، ولكني أرجوها مقدسة، أنْ تَثْبتَ حتى مجيئه أي أن تَثْبتَ في القداسة حتى مجيئه.

أما كل الناس فيثبتون في أجسادهم، هذا ليس له قيمة. النساء يثبتن في جمالهنّ، هذا أيضاً قيمته أقل. وإنني أُلاحظ –وهذا جديد عليّ في حامات لم أكن أعرفه– أن هناك بعضاً من الصبايا يشعرن بالحر الشديد، مع أنه لم يعد هناك حرّ في هذه المرحلة. وأتأمل ألاّ تشعروا بزيادة الحر لأنني قد تكلّمت في بداية العظة أنني أريد أن أَحفظ عن حامات أنها تسير إلى القداسة، وهذه لديها شروط.

اذاً، يا يوحنا، سوف تَثْبت في رعاية الله ونعمته في القداسة، هذا هو الثبات. أما المطلوب مِن المال والصحة وغيرها، فهذه أشياء ثانوية. ولكنني أُريد أن أُكلّمك بكل صدقٍ: يجب أن تَثْبت أيضاً في العلم. هناك أناس متعلمون أكثر منك، يدرسون ويقرأون كل يوم، لأنهم واعون أنهم يريدون تقديم الرعية إلى المسيح. هذه الرعية تريد أن تغتذي بالغذاء الروحيّ أي بالتعليم، بالوعظ، وبالإرشاد، وبالافتقاد واللطف والمحبة. هذه كلها تُكلّف الشخص الكثير. هذه لا تتحقّق اذا استرحتَ جالسًا في منزلك. هذه تتطلب جهدًا هائلاً حتى تتحقّق. لذلك عليك أولاً أن تتغلّب كليًا على عُيوبك اذا كانت لديك عيوب، وتُطهّر نفسك حتى تكون على طريق التواضع والصبر. أنا أتعاطى مع هذا الشعب الأرثوذكسيّ منذ ٦٠ عامًا. ليس بأسوأ من بقية الشعوب، وليس بأحسن منها، ولكن لا تستطيع أن تلمسه إلا اذا كان لديك أكفّ من حرير. أي إنه دقيق جدًا ومتمرّد، وأنت مضطرّ أن تُراعيه بصبر كثير وتواضع كثير. عليك أن توحي إلى كل شخص بأنه أحسن منك، لأنه

معتقِد أنه أحسن منك – اتركْ له هذه القناعة–. لأجل ذلك، عليك أن تأتي اليهم بتواضع كبير دائم وباستمرار من دون أن ترفع صوتك لأن المطران وحده يحق له أن يرفع صوته.

اذاً سوف تكون كيوحنا الرسول –الذي صُودف عيده في هذا اليوم– منتقلاً دائمًا. أنت في حالة الانتقال والارتفاع والانخطاف إلى وجه يسوع. أريد منك أن تدرس كل يوم، لتصبح معلّمًا، ليس فقط في القدوة –وأثق أنك تقدر أن تُعلّم بالقدوة– ولكن أُريدك أن تُعلّم بالكلام، لأن ديانتنا كلها فيها إنجيل أي كتاب، وهذا يجب أن يُدرس، وأن تُدرس أيضًا معانيه، وأن يُعطى للناس حتى يعيشوا مع يسوع بقوة هذا الكلام ويرفعوا عنهم الأشرار الذين يريدون أن يهاجموا عقيدتنا. إذاً أنت تتسلح بسلاح البر، بقوة المسيح وبعلم المسيح.

فالله يُمتّعنا جميعًا بالنعمة التي سوف تنزل على هذا الشماس لكي نذوقها. سوف يبقى مدةً متمرّنًا في الشموسية. أنا ليس لديَّ برنامج عنه اين سوف يكون. تتأمل أن لا يكون بعيدًا عن هذه المنطقة الشمالية. أنا نفسي لا أعرف، أنا أمشي كل يوم بيومه. ليس لديّ كثير من الخطط. مثلما يُلهمنا الرب.

بمعنى من المعاني أشكركم جميعًا، أنتم البيئة الروحية في حامات التي أَعطت هذا الشاب. لكم حصة في الشكر. أرجو أن تكونوا جميعًا دائمًا على الصورة التي في خيالي، صورة جميلة، وأن تحافظوا عليها.

فليُعطِنا اللهُ أن يُزهر هذا المشتل الحاماتيّ ناسًا، ليس ليُصبحوا بالضرورة كهنة، ولكن مسيحيين أقوياء، محبّين ليسوع، وعائلات جميلة في روحها وأخلاقها، حتى نفرح معًا، آمين.

اخدُمِ المحرومين

«رؤساء الأمم يسودنهم، وعظماؤهم يتسلّطون عليهم. أما أنتم فلا يَكُن فيكم هكذا، بل من أراد أن يكون منكم أولاً فليكن لكم خادمًا»

(مرقس ١٠: ٤٢–٤٤)

رسامة عيد (حبيب) شماسًا، كنيسة مار الياس في حمّانا، ٩ تموز ١٩٩٤.

أيها الأخ الشماس عيد،

ما يجعل الشموسية وظيفة خاصة في جسد المسيح هو أنها، كما تعني الكلمة في الأصل اليوناني في الكتاب المقدس، ما يجعلها خصوصية هو أنها بآنٍ خدمة للمذبح الإلهي وللفقراء. الشمامسة كانوا أولئك المنتدَبين لخدمة الموائد والأرامل والمحتاجين بعامّة. وفي إيماننا أن هذه الوظيفة عضويّة في جسد الرب. قلت في إيماننا لأنها وظيفة أُوصيَ بها في الكتاب العزيز.

هي تدلّ على أن المسيحي هو بآنٍ معا مُصلٍّ ومُحبّ للفقراء. جَعلْنا هذا تحديدًا، أي تحديدًا للمسيحيّ أساسًا في تكوينه. محبة الفقراء هي في التكوين المسيحيّ. هي ليست نافلة نقوم بها اذا شئنا ولا نقوم اذا شئنا، واذا كان معنا نعطي وإن لم يكن معنا لا نعطي. هذا غير موجود في

النصوص. وعلى قدر ما يبقى كل منا شماسًا –ارتقى إلى وظيفة القسوسية أم إلى وظيفة الأسقفية، وهذه ليست درجات تَعلو إحداها الأخرى، ولكن تقسيم المواهب في جسد المسيح– قلت اذا كان كل منا يبقى في زاويةٍ روحيةٍ شماسًا أي خادمًا، فما أودّ أن ألفتك اليه هو ألاّ تسأل ترقيةً أو امتيازًا أو انتباهًا من الأسقف. حسبك أن ينتبه المسيح اليك. وقد يكون من فضله عليك أن ينساك الناس وأن يتجاهلوك لأنك تكون عند ذاك حبيب الرب. لا أحد يأخذ هذه الكرامة إلاّ من دعاه الله كما دعى هارون. لا يستطيع أحد في دنياه ان يعرف مكانته او استحقاقه. ومن وعى أنه شيء فهو لا شيء. انت تعرف مواهبك لأنه ينبغي أن توظّفها في خدمة الروح القدس، ولكنك لا تعرف شأنك أو مكانتك، هذا شيء آخر.

نحن في كنيسة المسيح لنا زعماء، وزعماؤنا هم الفقراء. ومعنى هذا، كائنة ما كانت خدمتك، أن تكون إلى جانبهم مضمّدًا جروحهم ومعزّيًا. ذلك أن الفقراء معظم أهل العالم، معظم الجنس البشري. الجائعون الذين يموتون كل سنة يبلغون حوالى عشرين مليون نسمة. الأُمّيون معظم أهل الدنيا. ماذا نعمل للأُميين، للفقراء، للجائعين، للمرضى؟ كنيسة تنعم بألحانها فقط ليست كنيسة. وقد قال عظيمنا القديس يوحنا الذهبيّ الفم: «اذا قَدَّمتَ ذبيحتك على المذبح في الكنيسة، ينبغي بعد هذا أن تخرج إلى مذبح أفضل» –القول له–. يقول إن الفقير أفضل من مذبح الرب لأنه هو المذبح. هنا المسيح يُذبح، بمعنى أنه يأتي إلينا عن طريق الأشكال العاديّة، الخبز والخمر. ويأتي كلٌّ واحد هناك في الفقير. المسيح مذبوح جسديًا، واقعيًا هو مذبوح. اذهبْ إلى مذبح أفضل في الطرقات والساحات وقدّم قربانك عند ذاك، لأن الروح هذا هو المهم في كلام الذهبي الفم، لأن الروح يعطي، الروح يسكب منك على الفقير. وكأنه قائل: كما أن الروح الالهي ينزل على القرابين ليُحوّلها إلى جسد الرب ودمه، هكذا الإحسان ينزل. ينزل الروح القدس في الإحسان. اذاً القضية ليست قضية تنظيم ماليّ في الكنيسة. ليست قضية عطاء لنفتخر به. القضية أن الروح القدس ينسكب على الفقراء أولاً وعليك اذا انت أَحببتهم.

في الكنيسة يا أخي، في الواقع، نحن نساير الأغنياء ونساير البارزين. طبعًا الأغنياء أشقياء، ولذلك لا بد من افتقادهم. هم أشقياء مثل غيرهم، ولذلك لا بد من افتقادهم. لا يعني شيئًا أن نتسلح بروح ثوريّة وأن نقول: نحن نتجاهلهم. لأننا عند ذاك نتجاهل ناسًا من الرعية. ولكن يجب أن يكون واضحًا لديهم أنهم ليسوا زعماءك، وأن زعماءكم الفقراء، وتُعنى بالكل، ويجب أن تُقنع الأغنياء بمحبة الروح أنهم يتباركون فقط حصرًا، يتباركون اذا بَذلوا. ومن هنا أن عليك أشواطًا تقطعها.

أظن أننا أخذنا ننتبه نحن الأرثوذكسيين في هذا الجبل أن خدمة المسيح ليست محصورة في القداس الالهي. يعني كانوا يجيئون بواحدٍ صوته حلو ويرسمونه ليُقيم القداس، حتّى يتناولوا جسد الرب، ويزوجّهم ويعمّد أولادهم. هذا جيّد وحَسَن. هؤلاء الكهنة حفظوا عائلاتنا خلال أجيال. أما بعد أن أدركْنا أن يسوع هو الكلمة —وليس هو قداسًا وحسب، بل هو كلمة، يعني يجب أن يعرف الكاهن وأن يفهم وأن يشرح، والناس لها عقول- يكون كل تقصير منّا خيانةً للكلمة. هذا أولاً. والكلمة يجب أن تُفهم حتّى تُعطى. يعني على الواحد أن يعرف أن يقرأ العربية على الأقل، وأن يقرأ ويفسّر.

هذا سأقوله لك في يوم آخَر، ولكن الآن دخلتَ أنت في خدمة ركّزتُ اليوم أنا على وجهها الاجتماعيّ على انسكاب الروح. ولكن نحن لسنا بكسالى. لا نقدر أن ننام. ينبغي أن ندرس باستمرار لئلا يموت الناس بردًا إن لم يكن عندهم دفء المسيح.

اذهبْ واجعلِ اسمكَ على مسمّى، أي ليبتهج فيك المسيح —أنا ما قلت ليبتهج بك، أنا قلت ليبتهج فيك، أي في كل كيانك- ليكون للمسيح عيد في رأسك وفي قلبك وفي أمعائك وفي عينيك، لتكون أنت عيدًا يتراقص حبًا بالسيد. ولكن أريد منك شيئًا أساسيًا: لا تنسَ أن المسيحية قبل كل شيء، إلى جانب كونها إيمانًا، المسيحية الظاهرة المشعّة هي محبة للمحرومين.

كان الله معك، واجعلهم يُحسّون أنهم أحباء الله، آمين.

من العشق الإلهيّ إلى الموت الطوعيّ

أيها الأخ الكريم،

كلما وضعتُ يدي على مَن سيُقام شماسًا، كان لديّ الشعور أني مُطْلقُهُ إلى الموت. كلّ فرح عندنا يكتمل بالفرح بيسوع الظافر الآتي الينا في اليوم الأخير راحمًا وحاضنًا ومحبًا. ولكن، قبل أن يأتي السيد، لا بد لك من ميتات تتوالى النهار تلو النهار. هذه هي القاعدة لأن التلميذ ليس أفضل من معلّمه، وإذا صنعوا بالمعلّم هكذا فشرعيّ أن يصنعوا بك هكذا. اذا كان المؤمن العاديّ لا ينتقم، واذا كان غفّارا، فمن باب أَوْلى أن يعيش الغفرانَ والحبَّ هذا الذي انتدبَتْهُ الكنيسةُ المقدسة خادمًا. والشمّاس كما تعلمون هي لفظة سريانية، مقتبسة طبعًا من اليونانية الأصلية، ومعناها الخادم. والخادم يجب أن نتّخذه كما في الحضارات القديمة، أي لا شيء. الخادم كان عندهم لا شيء، عبدًا يُشرى ويُباع ويُقتل في الشرع الرومانيّ القديم.

رسامة جورج (صافيتي) شماسًا، كنيسة رقاد السيدة في دوما، ٢٨ آب ١٩٩٤.

لماذا قلت إنك عبد مع أن السيد المبارك قال: «لستُ أُسميّكم

عبيدًا في ما بعد، فأنتم أبناء». هناك، مِن بَعدِ الحرية في المسيح، عبوديةُ العاشقين، لأن العاشق يستعبد نفسه للمعشوق ولا قرار له ولا رأي، انه يُنَفِّذ. أنت عبد للمسيح، لأنك، إذا كنتَ حافظا شيئًا من هذا الجسد ومن ترابيتك ومن مجد هذا العالم ومن اشتهاء أمواله وزعاماته، فلست على شيء. ينبغي أن تصبح لا شيء لكي تصير شيئًا في عينَي يسوع، ذلك أنك بعد أن استعبدتَ نفسك له أَعلنتَ أنك لست عبدًا لمخلوق. ومهما يكن من أمر، فالناس مِن حولك في الرعية لا يقدرون أن يستعبدوك لأنك غدوتَ أو نرجو أن تغدو حرًا من خطاياك. فإذا كنت حرًا من شهواتك، فمن يستعبدك؟ جلّ ما يستطيعه الناس على الناس أن يقتلوهم. هذا لا شيء. لا تخافوا ممن يقتل الجسد، بل خافوا بالحريّ ممن يستطيع أن يُلقي نفوسكم في جهنم.

لقد عرَفتُكَ أيها الصديق الطيّب، وعرفتُ أن أحدًا لا يستطيع أن يُحدِر نفسك إلى جهنم. فأنت حُرّ منهم جميعًا، وبآن أنت استعبدتَ نفسك لهم لكي يعرفوا حُبّك، ومن خلاله يعرفوا حب المسيح.

ما أرجوه في دعاي لك، وقد احتضنْتُك، ما أرجوه أن تبقى على روحانية الشماس طوال حياتك. قد يُلهمنا الله بأن نجعلك قسًا. اذا كانت تلك مشيئته، لا تنسَ مهما تقلّبَتْ عليك المسؤوليات في الكنيسة وفي العالم، لا تنسَ أنك خادم، أي إنك أنت تمحق نفسك أمام الآخرين لأنك ماحقها أمام الله. يطلبون فيك شماسًا أو كاهنًا فيجدون إلهًا كامنًا في قلبك ومشعًّا منه على العالمين. اذهبْ في الخدمة، أي اذهبْ في الموت لأننا نحن أبناءُ القيامة، آمين.

من يُبصر المسيحَ في مجده يخدم

يا أخي الشماس أنطونيوس،

في مشهد عظيم، مشهد مقتل الشماس استفانوس أول الشهداء، بعد أن أحضروه للموت، بعد أن أحضروه ليرجموه، قال الكتاب في سفر أعمال الرسل عن استفانوس: «وهو، اذ كان ممتلئًا من الروح القدس، تفرّس في السماء فرأى مجدَ الله ويسوعَ قائمًا عن يمين الله، فقال: ها أنذا أرى السماواتِ مفتوحة وابنَ البشر قائمًا عن يمين الله» (أعمال ٧: ٥٥–٥٦).

يظن المؤمنون أن عمل الشماس عمل بسيط، وأنه مجرّد خادم للكاهن أو للأسقف اذا وُجد الأسقف، وانه قائم بتفاصيل الخدمة الإلهية، يخرج من الهيكل ويعود إلى الهيكل ويوآزر خدمة المذبح. هذا صحيح لأن عندنا جوانب ظاهرة مادية في الخدمة. ولكن ما هو أعمق؟ هل هناك شيء أعمق؟ هل أن هذه الخدمة التي كُلِّف بها، خدمة المذبح وخدمة الفقراء –وهذا كان العمل المزدوج للشماس قديمًا–، هل أن هذا هو كل شيء، أم أن هذا ثمر لما هو أبقى وأعمق؟ هنا يَحضُرني ما قاله الكتاب

رسامة طوني (نصر) شماسًا، كنيسة الصليب في النبعة، ٢٧ تشرين الأول ١٩٩٤.

العزيز عن استفانوس بأنه رأى مجدَ الله ويسوعَ قائمًا عن يمين العظمة.

نحن في الكنيسة خدّام، ونبدأ بوظيفةٍ معناها الخادم. الشماس لفظة جاءت من السريانية التي كنا نتكلم بها في هذه البلاد، وتعني الخادم. نبدأ اذاً عمَلنا في المذبح، اذا شئتم، بهذه المسؤولية، مسؤولية الخادم. وبعد هذا يصبح الانسان كاهنًا. ولكن أن يؤتى به خادمًا، أن يؤتى به شماسًا، يَفترض أنه أَهْل لهذه الخدمة، أهل للتواضع أمام الناس والاهتمام بالناس. ذلك أن من يُسمَّون اليوم وكلاء الكنائس، وكلاء الأوقاف لم يكن لهم وجود في الكنيسة الاولى، الشمامسة كانوا يقومون بأعمالهم. يتعاونون مع بعض العلمانيين، ولكن خادم المذبح هو نفسه يخدم الفقراء الذين هم مذابح للرب يسوع كما قال الذهبيّ الفم.

لماذا يؤتى بإنسان شماسًا؟ هذا هو السؤال. أي لأي سبب أتينا بهذا دون ذاك؟ السبب في استفانوس، أي الذي شرَحه استفانوس عند استشهاده: إني رأيتُ السماءَ مفتوحة، ورأيتُ مجدَ الله ويسوعَ قائمًا عن يمين الآب. من يرى يخدم. من يُبصر المسيحَ في مجده يَخدم، لأن مجد المسيح ظهر عليه عند الصليب. لا مجد بلا صليب. «مجّدْني يا أبتِ بالمجد الذي كان لي عندك قبل إنشاء العالم»، أي اجعلني اذا ارتفعتُ على هذه الخشبة أكشِفُ مجدك، المجد الثالوثيّ للناس، أكشف النور. النور عندنا يُكشف بالموت، يتدفّق مِن الذي يَقبل الموت. ولهذا مَن استطاع أن يُبصر مجدَ الرب، أي قوةَ يسوع في صليبه، ومَن استطاع أن يرى بتواضعٍ مجدَ الله يتجلّى فيه، فهذا قادر على الخدمة.

هناك فهم خاطئ للتواضع عند العامة. التواضع لا يعني أن تُنكر مواهبك. التواضع يعني أن لا تدّعي وأن لا تفتخر بها، وأن تَنسُبها إلى الرب، لا اليك، ولا إلى بيت أبيك. ولكن ليس من الفضيلة أن تُنكر مواهبك. يجب أن تعرفها لتستخدمها. الفهيم فهيم والذكيّ ذكيّ، ويُخطئ مَن يقول: أنا مسطول. يجب أن تعرف مواهبك، ولكن أن تجعلها عند قدمَي يسوع أي عند أقدام الإخوة. ولهذا كانت وصيّتي إليك أن تصلّي. هذا سرُّ بقائنا نحن المسيحيين، وهذا سرُّ خلودنا. نحن كانت الدنيا كلّها ضدنا باستمرار. هي ضدنا في هذا البلد أو في ذاك، أي يتناوبون على اضطهادنا. ولكن نحن

قوم صلاة، أي نحن لا نرى جراحنا، لا نرى آلامنا، ذلك أننا انتقلنا إلى مجد الله القائم في يسوع المسيح. نحن فورًا ننتقل إلى مجد المسيح ونُبصره. وبسبب مِن هذا نقدر أن نصلّي. وإذا أَبصرْنا يسوعَ واختُطفنا إليه، ننزل إلى الناس مندوبين من المسيح.

سأقول لك ماذا سيفعل الناس بك: كلّ واحد من الناس يريد أن يُطوّعك له، يريد أن يستخدمك لمصالحه هو، كلّ واحد عنده شهواته بين الناس يجب أن ننفّذها لهم، واذا لم تنفِّذ لهم رغباتهم فهُم ضدّك. أنت لم تأتِ من الناس، أنت آتٍ من المسيح إلى الناس. هم لم ينتدبوك ولا يقدرون أن ينتدبوك. أنت تأتي من الله فقط وأنت مديون له، تسمع له فقط وليس لأحد آخر، أنت معلّم الناس.

يا إخوة، مَن قَبِلكم فقد قَبِلَني، ومن استمعَ إليكم فقد استمعَ إليّ. حتى يسمعوا لربك، يجب أن لا تكون أنت حاجزًا بينهم وبين ربّهم. تصبح حاجزًا إذا ساء تصرُّفك، وإذا كنت متزعّمًا عليهم. يسوع ما جاء زعيمًا، جاء خادمًا.

ما أُكرره أنْ تَبصّرْ في مجد المسيح قائمًا فوق. تَبصّر به وأَحببه حتى يبعث إليك بروحه القدوس. هذا شرط التواضع، والتواضع شرط الخدمة. والسلام على روحك من هذا القائم عن يمين الآب، آمين.

خُذْ مَعالم وجهك من وجهه

«إن أردتَ أن تكون كاملاً، فبعِ كل ما لك وتعال اتبعني»

(متى ١٩: ٢١)

رسامة جورج (شلهوب) شماسًا، كنيسة القديس أنطونيوس في فرن الشباك، ١٧ كانون الثاني ١٩٩٥.

يا أخي الشماس جورج،

تلك كانت الكلمات التي سمعها مَن الذي نُقيم ذكراه اليوم، وذلك في مطلع فتوته، فعَلِم إذ ذاك أن الإنجيل جديّ، وأنه كان مدعوًّا أن يُحقّق كلمات الكتاب الالهي تحقيقًا حرفيًا. ولذلك باع أنطونيوس مقتنياته كلّها، وكان ابنَ نعمةٍ، وتوغّل في الصحراء لكي يكون كلاًّ للمسيح كله. ومنذ ذلك الحين تيقّنّا نحن أن مُعاشرة المسيح انما في الصحراء تَكون.

وعلى هذا دعوناك إلى سلوك هذا الطريق الذي التمع فيه القديسون، ولا طريق سواه، أن يكون الانسان عاريًا مِن كل شيء، لأنه هكذا وُلد، ولأنه عاريًا يُوارى تراب الأرض. فمَن فَهِم أنه ينبغي عليه أن يتجرّد من كل زائف ليتمكّن في حدود بشريته أن يصير خادمًا للكل، هذا نُعلنه خادمًا في الجماعة بعد أن نَسي كلَّ ما علق في كيانه من مطربات هذا

العالم. نحن كلّنا، كائنا ما كان وضعنا المجتمعيّ، نحن كلّنا متبتّلون للرب لأنه وحده العريس.

على هذه الطريق اذكُرْ ما قاله الرب بطرق شتى، لقد قال لتلاميذه: «لستم أنتم اخترتموني بل أنا اخترتُكم وأَرسلتكم». اذكُرْ ما قاله أيضاً على لسان النبي قديمًا «إني قَبل كوكب الصبحِ ولدتُكَ»، وعنى بذلك كلامًا من الآب إلى مسيحه لما كان معلقاً على خشبة، فإن السيد المبارك وُلد آنذاك في ضمير البشرية وفي تاريخها نورًا عظيمًا.

انه دعاك يا جورج منذ أن صوَّرك في الحشا، ذلك لأن أحدًا لا يأخذ هذه الكرامة إلا من دعاه الله. عملُ الله يجدّده الله، والبشر لا يصنعون خدامًا للمسيح لأنهم ليسوا عُراة من أنفسهم. ذلك الذي جُرّدَ من ثيابه على الصليب، هذا وحده قادر أن يجعلك مُجرَّدًا مما هو في الارض ليُطلقك إلى أهل الأرض مبعوثاً من السماء. السماويون قادرون وحدهم أن يَخدموا أهل الأرض.

لقد تدرّبْتَ منذ نعومة أظفارك على الكتب المقدسة القادرة أن تجعلك حكيمًا للخلاص. هذه الكتب المقدسة التي تَعرفها أنت بخاصةٍ معبِّرًا عنها في خدمنا الإلهية، هذه قالت لك «إني كحَمَل بريء مَسُوق إلى الذبح». هذه هي مسيرتنا في الناس، ذلك أننا لا نقدر أن نخترع طريقاً غير التي أَوجدَها المعلّم. ليس من كلام آخر يُنقِذ البشرَ، وما من نور آخر يهتدون به.

ولذلك أَدعُ في قلبك هذه القولة البسيطة: إن أردتَ أن تكون خادمًا حبيبًا بالله فإياك وشيئين: المال والمجد. هاتان هما الآفتان اللتان يُجرَّب بهما الإكليروس. ذلك أنك إن أدركتَ أنك فقير إلى المصلوب لا يَسَعُك أن ترتدي شيئًا من هذا العالم لأنكم «أنتم الذين اصطبغتم بالمسيح قد لبستم المسيح». ليس لنا من لباس آخر، ولا لنا من بيت آخر. المسيح هو البيت. لا تستطيع، لا أنت ولا سواك، أن تُضيف شيئًا على المسيح.

إياك والمال لأنه المعبود الأول في البشرية ولأنه يَنتزع عنّا حريتنا في المسيح. إن استعبدتْك الدنيا لا تستطيع أن تُوجّه أحدًا في الرعية، تكون عبدًا مثلهم. الحُرّ فقط يسوس الناس.

والمجد هو الإغراء الثاني الكبير للإكليريكي، ولا سيما إذا سَمَتْ به المقامات. أنت قرأت

«لقد أتت الساعةُ ليتمجَّد بها ابنُ الانسان، يا أبتِ مجّدْني بالمجد الذي كان لي عندك مِن قَبلِ إنشاء العالم» . مجدُنا الوحيد هو مجده الذي سطع على الصليب. إن كنتَ هناك عند قدمَي يسوع الجريح، تجيء من قدميه، سوف يُعطى لك مجدٌ اذا مُتّ في الخدمة. هذا سيُعلنه لك ربك في اليوم الأخير. انتظرْ كل شيء، انتظرْ كل شتيمة وكل إهانة. أفما قرأتَ أيضًا على لسان إشعياء أن الله الآب «سُرَّ أن يَسحق مسيحَه بالعاهات»؟ نحن هناك في الأمراض، في الضربات المتتالية، في نسيانهم لنا، في إعراضهم عنا، في الظلم في الكنيسة، انها موضع ظلم. نحن هناك نتوجد، نتوجد بالعاهات.

على هذا اذهبْ لأن رجائي أنك أدركتَ كل هذا. ولكن اذكُرْ اذا راودَتك التجربة، لأن الشيطان يريد أن ينشئ فيك طمأنينات كاذبة. لماذا يقع الانسان في شهوة المال؟ لأنه يَحسب أنه يركن إلى شيء ثابت صامد، والله غير صامد في نظره. ولماذا تُراودنا شهوة العظمة؟ لأننا نتخيّل أن لنا فيها وجودًا أكيدًا، والله غير أكيد. الله غير مضمون وغير ضامن الا للذين وُهبوا نِعَما كثيرة، هؤلاء لا يرون الا وجهه.

أنت خذ مَعالم وجهك من وجهه. فإنْ ظننتَ أن فيك شيئًا مِن ترابيتك، تكون قد خسرتَ نفسك كليا. ولكن إن أيقنتَ أنك ترتسم شيئًا فشيئًا في مرسم النعمة، إذ ذاك تصير، ويراك ابنُ البشر وحده، ويضمّك إليه بين نعمة ونعمة وإخلاص وإخلاص وجهد وجهد، حتى يقع هذا الجسد في اليوم الأخير ويُقيمه ربُّك قامةً من ضياء، آمين.

إبقَ في سرّ النزول الإلهيّ

يا أخي الشماس جبران،

لقد ارتضى الله في موسم الصعود هذا أن يجعلك خادمًا في هذه الكنيسة. وهنا لا بد أن نَذْكُر الكلام الالهيّ أن «الذي صعد هو الذي نزل وسبى سبيًا وأَعطى الناس عطايا»، وكلام الرسول هذا في ما كتبه إلى أهل أفسس انما يكشف لنا سر المسيح المبارك من حيث إنه لم يصعد إلى السماوات إلا بعد أن نزل إلى أسفل دركات الجحيم وسبى أرواحها وملأها من حضرته، ومن بعد ذلك صعد إلى الآب. وانعكاس هذا في حياتك أنت هو أنك تبدأ في الخدمة التي تشبه نزول المسيح إلى الجحيم من بعد أنِ انسحَقَ في الموت وبدا للناس مُتلاشيا، وكان الله الآب قد أعطاه أن يَقبل الموت، موت الصليب طاعةً، وبعد أن ذاق هذا الموت صارت كل ركبة في السماء وعلى الارض وما تحت الارض تسجد له، وأَخذَتِ الخليقة تُعلِن أن المسيح إنما هو قائم في مجد الله الآب.

رسامة جبران (فيعاني) شماسًا، دير سيدة النورية، ٣ حزيران ١٩٩٥.

مِن ذُرى هذا التأمُّل آتي إليك لأقول إننا نحن الذين نؤمن بيسوع إنما

نولد مِن موت، نولد مِن تواضُع، من انسحاق كليّ في حضرة الله وفي حضرة البشر، بحيث لا يبقى لنا التفاتة إلى الأنا، بحيث نزهد في كل ما هو مخلوق، حتى اذا ما حقّقنا هذا الفراغ من الأنا ومن الأشياء –والأنا والأشياء هي المال والمجد والسلطة، هذه الآفات الثلاث التي لا آفة بعدها– حتى اذا خَلَوْنا من كل ذلك نستطيع أن نصعد إلى الآب. الفترة التي تقضيها في الشموسية إنما وُجدت في حكمة الله والرسل لكي يتدرّب الإنسان على التواضع، لكي يؤمن أن كل الناس أفضل منه. هذا شيء صعب جدًا. هذه جميلة تظنّ أن هذا الأمر حسَن، وهذا ذكيّ ويَحسب أنه فوق الناس لأنه أكثر فطنة أو أعظم ثقافة، وذاك غنيّ، وهذا سياسيّ وما إلى ذلك من تُرّهات هذا العالم. والتواضع مستحيل إنما هو مسعانا لأنه في ذروته هو أن تقول إنك حقًا وعمقًا وفي قناعتك أدنى من كل الناس. وهذا ممكن. «ما كان متعذّرا عند البشر ممكن عند الله»، لأن الروح القدس اذا ما حلّ فيك ورأيت مجده تتلاشى الخلابات كلها، تنتهي الجمالات كلها، ولا تبقى مُشاهِدًا الا عظَمة الله فيك، ولا تقول إنها عظمتك فأنت لا تعرف شيئًا عن هذا، هي عظيمة فيك وهي لنفسها، أنت تبقى لا شيء.

ونعطي للشماس الفرصة ليتعلّم هذا، ويسعى، ولن يتعلّم أحدُنا حتى يموت، لأنه فيما هو يحتضر أيضًا قد يظن أن عليه مسحة قداسة لأنه يموت تائبًا وحوله كهنة وما إلى ذلك. لا يموت أحدنا متواضعًا، ولكنه المسعى، ولن نترك المسعى، ذلك أنك إن أُعطيتَ أن تذوق شيئًا مِن نزول المسيح إلى الجحيم تستطيع أن تصبح كاهنًا. لأن القسوسية عندنا والأسقفية ما فيهما زعامة. نحن لسنا زعماء على الناس. قلتُها مرارا من الباب الملوكي: نحن ماسحو أقدام، غاسلو أقدام. هذا يتطلب الكثير من الفضائل. هذا لا يأتي من الإرادة. هذا يأتي من قلبٍ منكسر. ولذلك كانت تجربة الإكليروس عندنا، إذا خلا من هيبة ومن وقار، أن يفرض نفسه على الناس بالزعامة، بمجد الرئاسة الباطل، هذا الذي نقضي الصوم الكبير كلّه لنتخلّى عنه في إفشين القديس أفرام. ليس عندك حضور المسيح فيك. تفرض ذكاءك وجمالك وعِلمك وما إلى ذلك، أي تفرض الانتفاخ وقَبْضَ الريح، ولا يصل اليهم شيء، إذ ليس فيك شيء. ولكن إنْ كنتَ متمتّعًا بحلاوة المسيح فيك وأنت لا تعيها، انما تَفيض من نفسها على

الناس.

سوف نُقيمك قسًّا اذا تراءى لنا أنك فهمتَ شيئًا مما قلتُه لك اليوم. اذهبْ على بركات الله، وأنت كما أعرف عاكف على قراءة الكلمة في حينه وفي غير حينه، لأننا من هناك نأتي، وبسببٍ مما قيل لنا نتواضع، وبفضل ذاك الذي انكسرَ على خشبة الصليب نرتفع. ابقَ طوال حياتك في سرّ النزول الإلهيّ الذي يليه سرّ الصعود، آمين.

لا يَخدم إنسان الا اذا كان آتيًا من المسيح

«الروح القدس يأتي عليكِ»

(لوقا ١: ٣٥)

رسامة حنا (هيكل) شماسًا، كنيسة رقاد السيدة في جورة أرصون، ٢٦ كانون الأول ١٩٩٥.

يا بنيّ،

في حنيةِ هذه الكنيسة، فوق أيقونة والدة الاله، ونحن نُسمّيها عذراء الآية -وسأشرح هذا-، فوق الأيقونة إنجيل موضوع على مائدة، وفوق الإنجيل والعذراء معًا الروح القدس، وهذا ما أحاول أن أنقله اليك اليوم بعد أن وُضع عليك نيرُ المسيح مُشدَّدًا.

أنا رافقتُك منذ مطلع شبابك ووقفتُ على ما وهبك الله إياه في سني محنةٍ وأنت تنمو أو تحاول أن تنمو في معرفة المسيح. عندما ألهمك الرب وارتضيت أنت أن تحمل هذا الحِمْل عليك، أي عندما اقتبلتَ أن تكون مصلوبًا، كان لا بد لنا من أن نرفع الدعاء حتّى يحلّ عليك الروح القدس طوال حياتك.

قلتُ إن الروح الالهيّ بشكل حمامة في هيكلكم هنا واقفٌ على الإنجيل، والانجيل موضوع على المائدة. على مائدة أي على «سُفْرة» باللغة العامية لأن الانجيل يؤكل. أما تَذْكُر ما قاله الله لحزقيال عندما سلَّم إليه كتابًا وقال له «خذ هذا الكتاب وكُلْه»، وقال النبي «اني أكلتُ الكتاب» أي إني اقتبلتُ المعاني الإلهية التي يريد الله أن يملأ قلبي منها.

أنت جسد وأنت شاب وأمامك كل مشاكل الشباب والجسد، وكلنا أجساد، ونحن نواجه مسائلها ومِحنها. أن تنتقل من كونك جسدًا لتصير إنجيلاً، هذا ما دُعيتَ أنت إليه. أن تصير إنجيلاً أي أن تصبح كلمةَ الله، ليس أقل من ذلك، بحيث لا يُطلب منك شباب ولا جسد، ولكن تُطلب منك الكلمة وتُعطيها إن أنت كُنْتَها أو صرتها، أي تكون واحدًا مع الله.

لا يقدر إنسان أن يقول كلمة الله باستمرار وفي كل ظرف وأمام كل الاوضاع، أن يقول فقط كلمة الله لا كلمة الهوى والمنفعة، لا يستطيع إنسان أن يقول كلمة الله إلا إذا صار هو كلمةَ الله. وهذا يتطلّب أن ينزل الروح عليه. الروح نزل على الإنجيل لكي يدفعه إلى الناس، لكي يُدخله إلى أفئدة الناس، لكي يتكلموا من الروح الذي فيهم هذا الذي قال عنه الكتاب «ستُعمَّدون بالروح القدس والنار». أي، اذا كنتم تعرفون شيئًا من العربية، هذا يعني تُعمَّدون بالروح القدس الذي هو نار. ثم عندكم على الجدار الشرقيّ هذا الروح الإلهيّ نازلٌ على أُمّ العالم التي نقيم ذكرى جامعة لها اليوم، في اليوم الثاني من ميلاد المخلّص.

ماذا تعني لنا مريم، وماذا تعني لك أنت بالذات في هذا اليوم؟ ما مريم؟ هذه اقتبلَتْ فقط روحَ الله لكي تلد المسيح. اقتبلت فقط عطاءً إلهيًا، هي لم تَقبل زَرْعَ رجلٍ. كل امراة في هذا العالم طبعًا تقتبل زرع الرجل إلا هذه المرأة. في العمق ماذا يعني هذا الكلام؟ في العمق يعني أن مريم كانت مَدينةَ الله فقط. لم يكن لرجل عليها دَين، لم يكن لإنسان عليها فضل، لم تأخذ شيئًا من انسان. أخذت كل وجودها من الله، ولهذا دَفعَتْ ابنَ الله إلى العالم.

كيف أُترجم هذا لك اليوم؟ أنت مديون لله فقط. هذا سهلٌ أن يقال. هذا ليس سهلا أن

يُعاش، لأنك سوف تتعرّض، قبل الرمق الأخير، سوف تتعرّض أن تُحسّ نفسَك مديونًا للناس، مديونًا للمطران، مديونًا للرعية، مديونًا لأساتذتك، مديونًا لأغنياء الرعية، للنافذين في الطائفة الكريمة. اذا مِلْتَ اليهم جميعًا، اذا مِلْتَ إلى هؤلاء وأتيت منهم وانبعثْتَ من عطاياهم، تكون قد مُتَّ نهائيًا، مُتَّ ولا يكون قد بقي منك إلا هذا الجسد التافه. ولكن أن تكون فقط في حضرة المسيح، ولا تُبصر غيره، هذا يعني أن تكون قد صرتَ مثل مريم، أَخذتَ المسيح فقط، عند ذاك يمكن أن تخدم.

أنت شماس. هذه كلمة ليست عربية الأصل. في العربية تعني خادم. لا يَخدم إنسان الا اذا كان آتيا من المسيح. بقية الأشياء ترتيبات في الدنيا، تنظيمات. أما الخدمة الحقّ حيث نُنشئ إنسانًا آخر في المسيح ليتجلّى ويتبلور ويجمُل، فهذا يقتضي أن تكون أنت جميلا ومبَلْورا، أي أن تكون عُذريًّا، أن تكون مريميًا، أن تكون آتيا من الله وليس من الناس، وليس من جسدك.

على هذا سِرْ. احفظْ هذا الذي قلتُه لك. احفَظْه وعِشْهُ كل يوم حتى يراك الله مِن بعد موتك أنك قد صرتَ كلمةً، ويَعرف نفسَه فيك، آمين.

أَتِمْ خدمتَك

«ولما أخذ الخل قال: تمّ. وأحنى رأسه، وأطلقَ الروح»

(يوحنا ١٩: ٣٠)

أيها الحبيب جورج،

تابعْ هذه الكلمات من يوحنا: «لما أَخذ الخل». بعد أن اكتملَتْ مرارته، وبعد أن تكثّفَ حزنه حتى النهاية، أي بعد أن سَحَقوه السحق الأخير كما ظنّوا، «قال: تمّ». وكل هذه النبوءات التي قيلت عنه معناها أن المخلّص سوف يبدو ويكون على أعلى الدرجات الممكنة من الحب في تصوُّر البشر، ويكون الحب كله في ذهن أبيه. ولهذا عندما يَدفع اليك الكاهن أو الأسقف في الخدمة الإلهية الإنجيلَ لتتلوه، يقول: أَتِمْ هذا الإنجيل، أتمم هذه البشارة.

رسامة جورج (مسّوح) شماسًا، كنيسة سيدة البشارة في برج حمود، ٥ أيار ١٩٩٦.

كيف يُتمّ شماسٌ إنجيليّ، وهوغير واعظ، كيف يُتمّ الإنجيل؟ قد يعظ. إتمام الإنجيل هو الخدمة. هناك انتدابٌ للشماس في الكنيسة الأُولى وهو أنه خادم الفقراء، واذا أبان قدرته على خدمتهم يُتمّ خدمة الأسرار. فالسر الذي كشفه يسوع لنا هو أن ليس مِن معنى لصلواتنا وأسرارنا وخدمة سر الشكر نفسها،

وهي الحضور الأكمل، ليس من معنى لهذا إلا إذا انطلقنا من صلاة الجماعة إلى خدمة الفقراء خارج المعبد. الفقراء هم المسيح، هذا ما قاله هو: «كنتُ جائعًا فأطعمتموني». المرذولون هم المسيح، المهجَّرون هم المسيح، الجنوبيون هم المسيح، وهناك المذبح. ما من مذبح إلا حيث الدم. ما من مذبح الا حيث الانسحاق. ولهذا ما كان لكُتُبنا مِن بُعد الا لتُوصِلنا إلى أرجل المساكين نفسها كل يوم.

لقد تعلّمتَ الكثير وسوف تتعلّم، وليس من مشكلة عندي مع العلماء، فإن العلماء الكبار هم المتواضعون. استمِرَّ في هذا فإن هذا أيضًا جانب من الخدمة. ولقد شاء الله أن تُبلّغ إنجيله في الكنيسة وخارج الكنيسة، وأقامك محاورا مع الأُمم. كُنْ على هذا ليرتضي الربُّ خدمتك، ليفرح يسوع بأننا أُمَناء على إنجيله في هذه البقعة العربية من الدنيا، أُمناء على إنجيله حيث نُطِق بالعربية. هذه خدمتك المخصَّصة. ولكن لا تنسَ أن أيّ عمل لا يُرافقه القلب المنكسر المتخشّع يكون هباء، ولهذا أَرَدناك لفترة من الزمن تابعًا مسخَّرًا في الخدمة الليتورجية بلا قول، لعِلْمي بأن هذا الامّحاق في الشموسية أَسلَمُ طريق إلى الوهج.

ستدخل فترة في هذه الخلوة مع السيد وتُناجيه، فأوقات النجاوى قليلة في حياتنا إذا استغرقنا في العمل والإدارة وما إلى ذلك. لا تنسَ أننا نحن معشر المسيحيين نغتذي من هذه الخلوات مع السيد لأن المبتغى أن تسعى بيسوع إلى وجه الآب. كل مبتغانا وجه الآب، لا ننتظر شيئًا آخر. هذا الذي أعلن عن نفسه بوجه يسوع في الجسد، لم نره بعد. لا نستطيع أن نحيا بلا وجه الآب في اليوم الأخير، هذا الذي جئنا منه جميعًا واليه المَعاد. عناصر وجه الآب، أجزاء وجه الآب سوف تنزل عليك بسبيلين: الدعوة الإنجيلية عندنا وعند الأُمم، وأن تَذْكُر -وهو السبيل الأرفع- أن تَذْكُر قول الكتاب الأعزّ «لما أَخذَ الخل، قال: تمّ. وأسلم الروح» وأَطلقَ الروح القدس في العالمين، فيرفع يسوع عنك مرارة الخل بعد مذاقته -ولا بد من هذه المذاقة-. سوف يرفع عنك مرارة الخل ليُطلق منك، مِن بَعد تجلّيك، الروحَ القدس عندنا وفي الأُمم، آمين.

لا تنتظرْ شيئًا من أحد

لقد رضي الله، أيها الحبيب، أن تُقبَل خادمًا لكنيسة المسيح في يومٍ كهذا تَكثَّفت فيه معاني الخدمة. ذلك أنك تَدخُل على أَتعابِ بطرس وبولس لكي تَقتنيها وتسعى في ذلك إلى الخدمة. وددتُ أن أَلفتَكَ إلى قولتَين في التلاوتين المباركتَين. في تلاوة الرسالة، سمعنا عن الرسول العظيم أنه اختُطِف إلى الفردوس، وفي القراءة الإنجيلية سمعنا بطرس يقول للسيد إنه يحبّه، بعد أن سأله يسوع إن كان يحبه أكثر مما كان يحبه هؤلاء، وعند ذاك سَلَّمَ اليه رعاية القطيع.

رسامة ريمون (نعوس) شماسًا، كنيسة مار بطرس وبولس في الحازمية، ٢٩ حزيران ١٩٩٦.

أؤسس على هذا لأقول إنك في المرحلة التي تجتاز، مرحلة الشموسية، عليك أن تتعلّم ما لا يتعلّمه مخلوق، وهو أن تكون متواضعًا. ليس من إنسان متواضع في الوجود، غير أننا نسعى. وهذا يعني أن هذه الفضيلة، إن اقتنيتَها في هذه الحقبة من جهادك، فإنما يكون عليك أن تُلازمها لأنها إن حُرِمْتَ منها تصبح لا شيء. لا تستطيع أن تخدم المسيح ما لم تَتشبَّه به. إنطلاقة ذلك أن تكون مخطوفًا إلى الفردوس، أي أن يكون رأسك

فوق وقلبك فوق حيث المسيح جالس عن يمين الله. وإذا كان الأمر معك كذلك، فهذا يعني أنك لن تُطأطئ الرأس لإنسان، ذلك أن رأسك ليس هنا، إنه اختُطف، ولأنك رأيت أن كل إنسان تراب، ولكن ينبغي أن تتواضع أمامه لكي تُذكّره أنه ليس فقط ترابا، وأنه ضياء، وأنه بدوره يجب أن يقطع رأسه عن جسده ليجعله فوق. هذا شرط أساسيّ لكي تكون صغيرًا أمام الله وكبيرًا أمام الناس. كبيرًا بكبر الله فقط لكونك تحمل كلمته.

الإغراء كبير في أن تصير زعيمًا على خراف المسيح. نحن لسنا زعماء. الإغراء كبير أن تتسلَّط، أن تستغلَّ وظيفةَ الخدمة لتجعلها وظيفةَ رئاسة. نحن لسنا برؤساء. يكفيك قلبك من التذاكي والتلاعُب لكي تُسيطر على الرعية. ولكنك أنت ما فَتحتَ مصلحةً لنفسك، وليس لك في كل هذه الخدمة مصلحة. الإنسان يرتاح في ألا يكون كاهنًا، ويرتاح أكثر في ألا يكون أسقفًا. هذه خِدَم مُضنية من الصباح إلى المساء، ولكنّ أحدًا يجب أن يقوم بها، ويقوم بها الأكبرون لأنهم يستطيعون أن يحتملوا الدَوْس والقهر والشتيمة والافتراء. كذا أَمْرُ الناس مع الناس. ولكونك مؤهَّلا لأن تُقهر اخترناك. هذا الصليب ثقيل، لا بد من كَتف تَحمل.

القولة الثانية قولة المعلّم لبطرس «أَتحبُّني أكثر مما يحبُّني هؤلاء؟». أنت تَذْكُر أن عندنا في الأصل اليوناني كلمتين. في سؤال أول قال له يسوع «أأنت صديقي؟»، ثم بعد هذا يتدرّج به «أأنت تحبني؟»، ذلك لأنك جَحدتَ ثلاثا فأنا أَستميلُك بصورة سهلة. في المرة الأولى «أأنت صديقي؟»، هذا ليس فيه التزام كبير. الصداقة التزام ولكنها ليست التزاما كالحب والعطاء الكامل. اذاً المطلوب أن تُعطي كل شيء، أي أن لا تحتفظ لِنفسك بشيء. حتى متى تعطي؟ لقد سمعتَ منذ أسابيع قليلة «الرجُلُ رأسُ المرأة كما أن المسيحَ رأسُ الكنيسة وبذَلَ نفْسَه لأجلها». نعم تعطي حتى الموت. نحن الذين أُهّلنا للقيادة في كنيسة المسيح نذوق الموت كل يوم. أولاً من زملائنا. الإكليروس أساتذة في إماتة بعضهم البعض. يُتقِنون الكَيْد كما لا يُتقِنُه أحد. هذا يجب أن تعرفه. سيحسُدك واحد أو اثنان من معاونيك. هذا هو الواقع أن القذارة كثيرة في كنيسة المسيح. ولكن تُكمل الطريق لأنك

لست موظّفا أنت عند المطران، ولست موظّفا عند الكاهن ولا عند أحد. لك معلّم واحد، هو يُعلّمك كل شيء، واليه تُقدّم تقريرك. هذا الجالس فوق، بعد أن مات وقام من أجلنا، تأخذ منه تعليماتك، وتمشي وحدك، ويسقط الناس يمنة ويسرة، والأكثرون يسقطون، وأنت تُتابع الطريق لأنك كُلِّفتَ وأُمرتَ وستُقدّم حسابًا عن هذا التوكيل.

شيءٌ واحدٌ أتمنى ألاّ تنساه لئلا تَخُور قواك في الطريق. كل من التزم الكهنوت يضعف في الطريق الا اذا عرف أنه فقير ولا يطلب شيئًا مِن أحد ولا ينتظر شيئًا مِن أحد، لا مِن الذين فوقه ولا مِن الذين على جنباته. أنت حُرّ من المطران ومن الكاهن ومن العلماني، أنت حُرّ. أنت عبد المسيح فقط، ولهذا لا خوف عليك. إن فهمتَ هذا، وإن أَدركتَ هذا، تُعطيهم كل يوم ما يُقيتُهم. أنت خادم عند المائدة. تُعطيهم ما يُقيتُهم، وما يُقيتُهم هو قلبك المذبوح. ليس العبد أفضل من سيده. ذاك أيضا ذُبح قلبه، وجئنا من دمه، وإلى هذا اليوم نحيا بحبّه.

إنْ تراءى عليك ما أقوله الآن، إنْ فهمتَ أنك مهدور من أجل الإنسان بما فيك من محبة، فاذهبْ على طريق الحب لكي تَفرح بك الملائكة، آمين.

لا تَفتخرْ بما وُهبتَ

أيها الأخ المكرَّم الشماس إميليانوس،

لقد شاء الرب أن يكون وضعُ الأيدي عليك يوم عيد متى الإنجيليّ الذي كان أهلُ بلده يعتبرونه سارقاً . فإن جُباة الضرائب كانوا مُستخبَثين ويحتقرهم قومهم. وهذا، عندما كان جالسًا عند نقطة الجباية، اقترب منه السيد وقال له اتبعني، فقام وتبعه.

لماذا تبعه؟ ماذا كان سر يسوع الناصريّ ليتّبعه الناس؟ هذا سؤال هام. كيف ترك متّى مهنته وكان له منها نصيب كثير من المال. ولماذا ترك أهلَ بيته؟ ماذا كان على وجه يسوع الجليليّ حتى يجلب هذا الرجل إليه.

هذا كان البهاء. رأى إنساناً من نوع آخر، من لغة أُخرى، من زخم آخر عن كل ما كان يألفه في موطنه. ولم يفكّر أنه يترك شيئًا للحال، ولكن عندما رأى نفسه ماشيا وراء المعلّم، تلاشى تقديره للمال ولكل شيء آخر. ذهبَتْ هذه كلها ذهاب الظل أو ذهاب الغيم أو ذهاب عِطرٍ إن مررتَ به. بقي أمامه وجه يسوع.

رسامة إميل (أبو مراد) شماسًا، دير القديس جاورجيوس في دير الحرف، ١٦ تشرين الثاني ١٩٩٦.

هذا الوجه هو الذي يستطيع أن يحفظك وأن يُنقّيك. وسوف تتنقّى إن آمنتَ بما قرأناه اليوم من رسالة الرسول الاولى إلى أهل كورنثوس: «قد أبرزَنا نحن الرسلَ آخِري الناس كأننا مجعولون للموت». منذ اللحظة يا أخي ينبغي أن تُحسّ أنك آخر الناس، وأن ما اكتسبْتَه مِن عِلْم ليس بشيء ما لم تَضَعه في خدمة السيد. فينبغي أن تُفكّر أنك تصير شيئًا اذا امّحيْتَ في عينيك. فإن لك قادرين أو سيكون لك قادرون إذا أحسّوا بمواهبك -وعندك بعض من مواهب- ولكن أنت تعتبر نفسك مستودَعا لهذه المعارف ولبعض من فضائل. مستودَعا وليست الفضيلة ملْكا لك. لا يحقّ لك أن تفتخر بنعمة وُهبتَها. هذه مُلْك الله، وأنت جسر تَعبُر منه إلى الناس.

قال بولس «قد صرنا مشهدًا للعالم»، ويعني بهذا مهزلة كمهازل العالم الرومانيّ آنذاك، و«نحن ضعفاء» أو مُستضعَفون لا بأس. واذا استضعفوك فمعنى هذا أنك تستقوي بالمسيح. و«نحن مُهانُون، وإلى هذه الساعة نجوع ونعطش ونَعرى ونُلطَم ولا قرار لنا». لنا قرار. لا قرار لنا بمفهومهم لأن قرارهم هم هو المال أولاً. الدنيا كلها تعبد المال. الدنيا كلها تعبد الشهوة، والشهوة قرار، لا شك أن فيها تمتّعا كبيرا. وإن الأكل شيء عظيم، وإن النساء شيء خلاّب. الناس عندهم قرار. وما من شك في أن المجد أبهى وأبهى، وأنه مُسكِر، ولكن الرسول قال نحن «لا قرار لنا». هذه الاشياء كلها، على ما فيها من فتنة، هذه ليست لنا. نحن ننزل إلى أعماق المسيح، أي كلَّما نعمّقنا، تعمّقناه، نجد أننا بحاجة إلى أن نتعمّقه أكثر فأكثر، فننزل وننزل إلى أعماقه وإلى ذوقه وإلى حبه حتى يخطفنا إلى السماء.

«نُشتَم فنبارِك، نُضطهَد فنحتمل». لعلّك لا تعرف هذا كله، فإنك لن تذوق الشتم والإهانة كما تذوقها في كنيسة الله. عندما كنتَ علمانيا ما كان أحد يهينك، ولكن بعد أن دخلتَ في هذه الخدمة فسوف تُهان، واذا ارتقيتَ بنعمة الله عن هذه الدرجة فسوف تُهان أكثر فأكثر لأن الرعية هي كذلك، ولأن الناس هم كذلك. ولكنها رعية المسيح، فهي حبيبتنا، ولهذا سوف تضربنا اكثر فاكثر ونحن نُمعن في حبها، وهي تُمعن في شتمنا ونَزيد لها حبا. فلتفعل ما تشاء. أنت مكلَّف بالمهمة

وليس لك أن تنظر إلى نفسك وإلى ما يقولون لأنه لا قرار لك، لأنه لا محلّ لك، لأنك لا تستطيع أن تجد مقامًا تسند إليه رأسك.

معنى هذا كله أنه ينبغي أنْ تُحسّ أنك مشلوح في هذه الدنيا. طبعا نحن سنُعْنى بجسدك وبطعامك وبمأواك وما إلى ذلك. ولكن قد تنتظر منّا عاطفة كبيرة، وقد لا تجد. أنا ليس عندي وقت لأُغنّج الإكليروس، عندي مهمّات أعظم من هذه، ولذلك سوف أُهملك كما أُهمل سواك. نحن الأساقفة ليس الإكليروسُ همَّنا، نحن همُّنا خراف المسيح، الإكليروس فليدبّر نفسه لأنه يَعلم ولأنه يصلّي. ولذلك قد تُحسّ بأنه تُعوزك محبوبيّة. دبّر نفسك ولا تنتظر محبوبيةً من أحد. أنت حبيب المسيح وحسبك. إن فتّشتَ عن شيء آخر فقد أضعتَ العنوان. شماس أو كاهن يفتّش عن أن يكون حبيب الناس كان ينبغي أن يكون بائع خيار لا أن يدخل في هذا العمل.

فاذهب اذاً على بركات الله وعلى الهدى وعلى أنك تستقرّ في يسوع الحبيب، له المجد فيك، آمين.

كن مكانًا للسيادة الإلهية

«أما أنت فلا تخشَ وجوههم»

(إرميا ١: ٨؛ حزقيال ٣: ٩)

رسامة عبدالله (الحاج) شماسًا، كنيسة مار الياس في الحدث، ٢٣ تشرين الثاني ١٩٩٦.

أيها الحبيب،

رأى النبي نفسه حَمَلاً بريئًا مسوقًا إلى الذبح وفيه ملء الانسحاق وكأنه ممحوّ، صورة عن السيّد الذي عبر بهذا الانسحاق عبورًا كليًا، ومع ذلك أمرَ اللهُ النبيّ ألاّ يخشى وجهَ أحد، ذلك أننا نُصبح رعاةً بالموت، بإماتة هذه النفس وهذا الجسد حبًا بالإخوة. والطريقة الكبرى للموت هي التواضع مع الوداعة، وقد وَهبكَ الله بعضًا من هذا، ذلك أن اللطف يقول عنه الرسول، في ما كتبه إلى أهل غلاطية، موهبة من مواهب الروح. ونحن ندرّب طوال حياتنا ألا يخرج من ذواتنا نتوء، قسوة حتى لا يُجرح أحدُ هؤلاء الذين جُرح المسيح من أجلهم. هذه هي الرعاية الكبرى، الرعاية باللطف. غير أن هذا لا يكفي لأن اللطف قريب جدًا من الضعف، وقد

يكون قريبًا من الهزالة، فحذار أن تخلط بين الوداعة والضعف. كل فضيلة فينا مُلاصِقة للرذيلة التي تُناقضها، والحدّ بينهما يكاد يكون منظورًا. من أجل هذا نحتاج إلى حكمةٍ من فوق لنُفرّق بين الوداعة والضعف، لنُفرّق بين الشجاعة والتهوّر، لنُفرّق بين التقشُّف والبخل. الفضيلة على حدّ الرذيلة.

من أجل هذا طلب إلينا الروح الإلهي في الكتاب العزيز أن نكون أقوياء. لقد قال الرسول فيما كتبه إلى أهل رومية «كونوا رجالاً، تقوَّوا». كونوا رجالاً أي لا تَحسَبوا أن ثمّة إنسانًا هو فوق الكلمة. كل إنسان هو فوقك أنت من حيث إنك ترابيّ، وليس عليك أن تُدافع عن ترابيّتك وعن حقوقك وما إلى دنياك. أما الكلمة فأُتمنتَ عليها وهي مُلْكُ ربّك أو هي ربّك. ولذلك كُنْ حريصًا عليها وعلى سيادتها. الذي يَملكُ في الأرض عندنا هو الله وحده، والعظيم في دنيانا هذه، على ترابنا هذا هو الرب وحده، ولذلك لا يحقّ لنا أن نجعل إنسانًا يَحسَب أنه عظيم أو أنه إله. ولكن نحن لا نحطّمه تحطيمًا كما هو يفعل. هو يُلغي الناس لكي يسود عليهم. نحن نتواضع أمامه ونرحمه، ولكننا نستقوي بالله لكي يرتدع الظالم ولكي يرتدع الخاطئ لأنه ينبغي أن يُدرِك هو نفسه أيضًا قوة الله.

لاحِظْ أن النبي، لما تكلّم عن الروح الإلهي، قال عنه فيما قال إنه روح القوة. ولهذا نواجه كل امرئ، بل نُجابه كلّ إنسان لكي يعترف بالله. وأنت فيما تفعل تكون راعيًا لهذا الذي تُجابهه لكي تأتي به إلى الله.

تذْكُر في عبادتنا، في القداس الإلهي، أننا نقول لله في مطلع الكلام الجوهريّ، نقول له «نسجد لك في كلّ مكانِ سيادتِك». أنت مدعوّ أن تكون مكانًا من أمكنة السيادة الإلهية أي أنّ مَن رآك يجب أن يراك سيّدًا. صفة أساسية مِن صفات الله أنه سيّد. صفة المسيحي ولا سيما الراعي أنه سيّد. طبعًا هناك طريق إلى هذه السيادة قال عنها الكتاب القيّم أيضًا. عندما مات الرب يسوع، حقّق سيادته على الكنيسة وبها على الإنسانية، رعاها بالموت. فالمطلوب شيئان: لطف لا متناهٍ، وسيادة آتية من هذا اللطف ولكنها ملتحفة بالشجاعة وبالقوة، بقوة الروح وبفاعلية الكلمة. ولهذا لا نستطيع أن نجعل الأشياء تَعبُر، لا يمكننا نحن أن نقول: عندنا هذا الشيء في الرعية، وعندنا هذا

الضعف، وعندنا هذا السارق، وعندنا هذا الكذّاب، ولتبقَ الأشياء كما هي. كلا، هذا ليس دورنا. نحن الإدارة الفاسدة نضربها، نُقوّمها، نُصْلح الناس الفاسدين. لا نستطيع أن نصمت أمام الفساد المستشري إذا استشرى. لا نستطيع أن نَسكُت عن أيّ اعوجاج في كنيسة الله ولا عن أي اعوجاج في أية نفس. نستر خطايا الناس، ولكننا نذهب إليهم لكي يستقيموا ولكي يتقوّموا ويُصبحوا إلهيين. واجبُنا أن نجعل الناس إلهيين، لا أن نُداريهم كما يُدارى السفهاء. نعالج ولا نداري. نعالج، نضمّد الجرح ولكن نواجه.

على هذا سِرْ، وأنت قد حَلّتْ عليك بركات الله، وسوف يأتيك هواه يومًا بعد يوم لتبقى فترة تَقصُر أو تَطُول متواريًا في الشمّاسيّة إذا صحّ التعبير، إذ لا بدّ لأيّ مخلوق مهما علا شأنه في الوداعة أن يتعمّق في التواضع وفي اللطف. ولكن سوف يكون هذا رياضة لك لكي تقتبس، لكي تستنزل عليك نعمة القوّة، آمين.

خَلِّصْهم بلطفِ يسوع

«لما ظهر لطفُ الله مخلِّصِنا ومحبتُه للبشر، خلَّصَنا هو»

(تيطس ٣: ٤–٥)

رسامة الياس (دعبول) شماسًا، كنيسة مار بطرس وبولس في الحازمية، ٢٣ آذار ١٩٩٧.

أيها الاخ الشماس الياس،

بهذه الكلمات خاطب بولس تلميذه تيطس بعد أن أقامه رقيبًا على كنيسة كريت، فحدَّثَه عن ظهور الله لنا نحن البشر. ولهذا نقرأ هذا المقطع من الرسالة يوم عيد الظهور حيث أُعلن الثالوث القدوس للإنسانية فيما كان السيد المبارك يُدفن في نهر الاردن، يُدفن مؤقتا في المياه ليرتفع منها ويبذل الحياة الجديدة في الكون. ما قاله الرسول هو أن لطف الله ظهر للناس، وأن حبه كان هو هذا اللطف، فلما ظهر اللطف خلُصَ الناس، حتى يمنعهم من أن يفكّروا بأنهم هم يُخلّصون بعضُهم بعضا بالجهود البشرية. طبعا يخدمون بعضُهم بعضا، ولكن المنقِذ هو الله نفسه، ومُبْرِز هذا الخلاص هو المسيح نفسه في موته.

كيف يموت الانسان عن الناس؟ كيف يحضنهم؟ تلك هي الخدمة.

لا خدمة بلا حَضْنٍ ورعاية. يَحضن الإنسان الناسَ باللطف، أي انه يتحنن ويرفق، ولا يحتدّ ولا يغضب ولا يحقد. يحملهم كما تحمل الأم رضيعها أيًا كان، جميلا كان أم قبيحا، ثم ترعاه شابًا فكهلا، وقد يكون من أشقى الناس، وقد لا يَرُدّ لها جميلا. قد يضرب الولد أباه وأمه، ولكن الأب أب لأنه أعطى من ذاته هذا الشاب، والأُم أُم لأنها حضنت ورعت وتألّمت وسهرت.

لا عطاء لك يا إيلياس الا اللطف، وهو لا ينفي النباهة واليقظة والرجولة والصمود. لطف مع صمود، ولكن نحن ليس لنا ردة فعل وليس لنا غضب. ومن شأن بعض الرعية، ومن شأن الجهّال في الرعية أن يَغضبوا وأن يظنّوا السوء. هكذا الناس. ولكنّ جهّال الرعية أحباءُنا، ولهم رعايتنا قبل سواهم، لأنهم كالنعجة التي ضلّت في الجبال، فيترك الراعي كل الأغنام ويلحق بها.

لا بد لك أن تُصدَم وأن تُجرَح وأن تُلطَم وأن تُشتَم. والشاتم ابنك. ويبقى ابنَك، ويظلّ محبوبا، ذلك أنك مكلَّف. انت مفوَّض، وليس لك كلمة من فمك، بل عليك بالكلمات التي قرأتها في الانجيل، عليك أن تمضغها وأن تمتصّها وأن تجعلها في شخصيتك.

أنت لست بشيء. أنا أقمتُك خادما الآن لأني عرفتُ انك محب للسيد وأنك لن تضع حاجزا بين الناس والسيد. امحُ نفسك والكلمات التي تأتي من شهواتك. انت لست عليهم بمسيطر، أنت خادم، أُكرّرها حتى أموت. أنت غاسل لأرجلهم. يجب أن تصبح أقدامُهم معطَّرة لا أنت.

اذهب على هذا وارتضِ هذه المهمة صليبًا لك. ولكنك أنت درست أن الفرح جاء مع الصليب. ستحمل فرح يسوع وفرحًا بهم إذا فهموا وإذا عادوا. واذا ما عادوا أعطهم الكأس المقدسة حتى يسكروا بالحب الإلهي، آمين.

احضنهم جميعًا

أخي الشماس مرسيل،

في العلّية حيث كانوا مجتمعين، لا يَذكُر يوحنا العشاء السرّي. هذا تركه للإنجيليين الثلاثة الأوائل. ولكنه يَذكُر أن السيد غسل أرجل تلاميذه. ويقول على وجه التحديد إنه خلع ثيابه وأخذ منشفة وائتزر بها وأخذ يغسل الأرجل وينشفّها. خلع ثيابه لأن الثياب هي المظهر، هي الشخصية التي نصطنعها لأنفسنا. فيها جلال في كل الحضارات، وفيها جمال، وتاليًا فيها بعضُ اعتداد. خلع ثيابه لأنه أراد أن يكون لهم خادمًا، وهذا هو معنى لفظة الشماس، الشماس هو الخادم، والخادم في تلك الحضارة آنذاك هو عبد أي إنه لا يملك شيئًا. ولهذا خلع ثيابه حتى يكون فقيرًا بالكلية وحتى يصبح فقيرًا إلى التلاميذ وهو الغنيّ الغنيّ وإليه الحاجة وحده، ولكنه على هذا أراد في هذه اللحظة أن يكون هو فقيرًا إليهم.

رسامة مرسيل (سركيس) شماسًا، كنيسة المخلّص في ضهور الشوير، ٦ آب ١٩٩٧.

كان يسوع عاريًا بطريقة من الطرق أو شبه عار وائتزر بالمنشفة، هذه التي لا يملكها. هو أصلاً ما كان يملك شيئًا، وأخذ يُنقّيهم، وبعد أن طهّرهم جلس معهم حول المائدة. بعد أن طهّرهم صاروا قابلين أن يجلسوا

مع المعلّم.

لقد أُعطِيتَ يا مرسيل الآن فرصة أن تكون خادمًا، أي أن تكون، حسب الشرع الرومانيّ الذي كان يعيش السيد في ظلّه، أن تكون لا شيء، عساك تفهم أنك من هذه اللاشيئيّة تصير شيئًا في عينَي الله. أنا لا يهمّني أن تكون شيئًا في عين البشر، في عين الرعية، في أعين مجلس الرعية. لا أريدك أن تكون شيئًا في عين المطران. أتمنى أن تصبح كل شيء في عينَي السيد، هذا هو وحده المهمّ. السيد يسوع وحده هو كل شيء.

ستكون إذا رعاك الله قسيسًا، كاهنًا. معنى هذا أنك ستصبح راعيًا لشعب الله. ولكن لا تنسَ أنك، كاهنًا، ستبقى خادمًا. عندنا نحن شيء دقيق في الكهنوت، فإنْ بطل الكاهن أن يكون شماسًا إلا أنه يحتفظ بخصال الشماس أو بفضائل الشماس. ولو أصبح راعيًا فهو لا يزال خادمًا، وكذلك الأسقف ولو صار مسؤولاً عن الرعية كلّها ومعلّمًا وسيدًا، إلا أنه يبقى أيضًا خادمًا وكاهنًا، يحتوي على هذه الأشياء كلّها. لا تنسَ تاليًا أن الرب يسوع أرادك خادمًا.

أتصوّر أن في رعايتك أية رعية، أتصوّر أنك سوف تتعامل مع روح الأرثوذكس، وهذا ليس بالأمر السهل. هؤلاء لهم أمجادهم وخِصالهم وذوقهم، ولهم أيضًا ضعفاتهم، ذلك أن كلّ مَن بلغ المجد قد يسكر من المجد ويُعوّض عنه ويُعوّض عن زواله بخطايا. ليتمجّدَ بذاته، قد ينتفخ. أنت سوف تتعامل مع الروم الأرثوذكس كما هم، على عجرهم وبجرهم، وسوف تعرف حزنًا ما كنتُ أنا أتصوّره قبل أن أصبح كاهنًا، ذلك أني نشأتُ في وسط شبيبة تتعلّم وتريد أن تتعلّم وتحب يسوع، وظننتُ أن الناس محبّون أيضًا ليسوع وأنهم يريدون أن يتعلّموا، وأنهم فهموا حسب قواعدنا أن الكاهن آمِرٌ. ليس من إنسان أرثوذكسيّ يعرف أن الكاهن يأمر -هذا غير موجود حتى الآن- ويأمر باسم الرب، وقد يخطئ طبعًا، والمطران يخطئ. ولكن أنت يا بني، يا روم أرثوذكس، لا يمكن أن تصعد إلى السماء أبدًا إذا لم تُطِعْ. الطاعة هي طريقك إلى المجد. لا توجد طريق أخرى غير الطاعة، الطاعة لأيٍّ كان، «مَن سخّرك ميلاً فسِرْ معه ميلَين، مَن طلب منك ثوبك فأعطه رداءك أيضًا، أطيعوا بعضكم بعضًا».

الروم الأرثوذكس يُطيعون نساءهم، والنساء يطيعون قليلاً. يُطيعون الحكومة ويُطيعون الشرطة. يُطيعون كل الناس إلا الكاهن.

المأساة إذاً أنك تريد أن تربّي الشعب على مفاهيم لم تصل إليه. أنا لا ألوم أحدًا لأنهم لم يربّوه دينيًا. هذه خطايا الذين سبقونا. كان عندنا منذ خمسين سنة وسبعين سنة مجموعة من الكهنة أُتي بهم كما وجدوهم في الضيعة. لم يكن يخطر على بالِ أحدِ ذواتِ الروم أن الكاهن يفهم شيئًا. لا يريدونه أن يفهم، لأن الخوري إذا فهم كثيرًا، لا يعودون هم يفهمون، يحدث نقص في الفهم. إذا أنت تريد أن تتعامل مع شعب يعرف قليلاً من الناحية الدينية -طبعًا هم متخرجون من الجامعة الأميركية، ولكنهم يعرفون قليلاً من الناحية الدينية- إذاً عليك أن تتواضع أمامهم وتكون وديعًا حليمًا كل حين. ليس عندك وقت لنزواتك. نحن الكهنة ممنوع علينا أن يكون عندنا رغبات ونزوات ومراق وطباع. هذا موجود عند الناس ويجب أن تلاحظه. وليس عندك طريقة لتصحيح نزواتهم وانفعالاتهم إلا أن تحبهم، هذه هي الطريقة. لأنك إذا أردت أن تصبح زعيمًا فنحن في منافسة الزعماء، ولا يمكن أن تسبقهم بالمجد الباطل. هم يعرفون كثيرًا. إذاً ليس عندك أبدًا طريقة إلا أن تحضنهم وتخدمهم وتصمت. تعرف أنت أن المعلّم سِيقَ إلى الذبح صامتاً.

يا بني، أنت مكلّف بشيء وحيد: عليك أن تخلّص الروم الأرثوذكس كما هم، على عجرهم وبجرهم، بفهمهم وبقلّة فهمهم، الأغنياء والفقراء، العلماء والجهلاء، كلّهم سوية. عليك أن تُخلّصهم من الموت. عليك أن ترفعهم. أنت مكلّف بهذا، فوّضتُكَ الآن بهذا.

طريقك إليهم أن تخلع عنك كلّ كبرياء وكل نزق. الكهنة أحياناً عندهم نزق، يطلع خلقهم على الناس لأنهم أيضاً يظنّون أنهم إذا صرخوا يصبحون شيئًا. أنت لا تستطيع أن تصرخ. وإذا ظنّوا أنفسهم أسيادًا عليك فليظنّوا ما يشاؤون. أنت تعرف من هو سيدك، سيدك فوق جالس في السماء.

أنت أب عندك ولدان في الطبيعة. هؤلاء كلهم سيكونون أبناءك. والأب لا يوصي قبل أن

يُنجِب. لا يستطيع أن «يوصّي» على الولد كيف تكون طباعه وأخلاقه. يمكن أن يكون ابنُك عظيمًا ورائعًا وفهيمًا وذكيًا وملاكًا وقديسًا، تحبه. يمكن أن يكون ابنك «أزعر» ومشاكسًا ومتمردًا، أيضًا تحبه بنفس الحب وليس أقل، ولكن تُداويه بطريقة أخرى. هناك أسلوب مع الصالحين، وأسلوب مع غير الصالحين. ولكن أنت لا تُقصي أحدًا.

الروم الأرثوذكس من الآن وصاعدًا، كل الجالسين هنا، سيُعطون رأيًا بطولك وعرضك ولونك وبشرتك وصوتك. تَعلّموا أن يتسلّوا بالكهنة. أنت لا علاقة لك بهذا الأمر. لا علاقة لك بهذه القصة. أنت تحضنهم جميعًا وتُقبّلهم قبلة الحب لأن معلّمك قبّلهم على الصليب جميعًا قبلة الحب.

هذا حظّهم أن يرتفعوا وأن يتجلّوا. هؤلاء الإخوة مدعوّون إلى التجلّيات التي لا تنقطع حتى نصير كنيسةً بهيةً عروسًا يتشي المسيح بها، آمين.

أن تَخدم هو أن تَجعل الآخر مَلِكًا عليك

«ورأينا مجده»

(يوحنا ١: ١٤)

أخي الشماس أنطونيوس،

لما تأمّل يوحنا الحبيب في سرّ الكلمة الإلهيّ المولود من الآب قبل كل الدهور، رأى بعد هذا أن الكلمة صار جسدًا وحلّ فينا ورأينا مجدَه مجدَ وحيدٍ للآب.

رسامة أنطوان (شويتي) شماسًا، كنيسة مار الياس في سن الفيل، ٢١ كانون الأول ١٩٩٧.

أنت بعد أن شببت في هذه الكنيسة مع أولئك الذين أَحَبّوا يسوع من جيلك، حاولت أن تسكب مجد الله عن طريق الأيقونة. الأيقونة ليست مجد المسيح، ولكنها صورة لمجد المسيح. فبعد أن كشف الله نفسه في ابنه المتجسد، كان علينا أن نقترب من المجد الإلهي عن طريق تَلَمُّسنا هذا الغير المنظور في المنظور. ولذلك لا نقول: نحن نُصوّر أيقونة أو نرسم أيقونة؛ في اللغة الأصلية نقول نحن نكتب أيقونة، ومعنى ذلك أن الكلام الإلهي ينبغي أن

ينزل علينا، أي الحضرة الإلهية يجب أن تتنزّل علينا لكي نحاول أن نقولها بألوان كما نقولها كلماتٍ وعظًا وتعليمًا أو كما نقولها لحنًا. نحن دورُنا أن نقول الكلمة المنسكبة علينا من فوق لنبلّغ، عسى يَهدي اللهُ مَن يشاء.

تُتمّم أنت إذاً المجد الإلهي، ولكن عليك أن تذهب إلى أبعد من هذا، إلى أبعد من الأيقونة، أن تطلب المجد الإلهي نفسه، أن تطلب يسوع وقد جاء يسوع ليذيع المجد الإلهي، «مجّدْني يا أبتِ بالمجد الذي كان لي عندك قَبْل إنشاء العالم» فقال «مجّدتُ وسأُمجّد» حتى قال «الآن أَتت الساعةُ ليتمجّد ابنُ البشر». معنى كل ذلك أن المسيح تَمجَّد بالموت. ولهذا كانت الأيقونة المُثلى عندنا أيقونة الصليب. عندما ارتضى ابنُ الإنسان أن يموت، عندئذ تمجّد. هذا هو سرّه، وتلك هي المسيحية كلّها. ولهذا قال الرسول العظيم «الذي كان في صورة الله –وفي اليونانية: في أيقونة الله– منذ الأزل لم يَحسَب خِلسةً أن يكون مساويًا لله، لكنه أَخلى نفسَه –أو أفرغ نفسه من المجد– أخلى نفسَه آخذاً صورةَ عبدٍ، صائرًا في شبه الناس، مطيعًا حتى الموت، موت الصليب، لذلك رفعه الله». فالمسيرة هي هذه أن الذي كان في المجد الأزلي، الابن جاء ليعلن مجد الله هنا إلى أهل الأرض. والطريقة التي وجدها أن هذا المجد لا يُعلَن إلا إذا كان السيد الأعظم صار عبدًا وانحنى، هذا الذي يَسطَع مجدُه منذ الأزل، قبل الكون وفي الكون ومن بعد الكون، هذا لم يجد ترجمةً لذاته بين الناس إلا أن ينسحق، فعَلا من بعد هذا. ولذا، بسببٍ مِن ارتضائه الموت، أقامه الله وأعطاه اسمًا فوق كل اسم. هذا البكر من بين الأموات هو الذي نسجد له.

تنتقل إذاً من مهنة كاتبٍ للأيقونة إلى المجد الحقيقي الذي ما كانت الأيقونة إلا تمّمةً له ومحاوَلةً تربوية للوصول إليه. هذا يعني أن العبد ليس أفضل من سيّده. فقد يُذِلّك الناس وقد لا يُذلون. التهذيب ليس شيئًا شائعًا بين الناس، ولكن إذا لم يُذلّوك فالأهم أن تعتبر نفسك مضطرًا إلى الذهاب إلى الموت، أي أن تنسحق مثل المعلّم. ولهذا سُمّيتَ خادمًا، وقيل لك في صلاة وضع اليد هذا الكلام الذي قاله السيد في إنجيل مرقس «من أراد أن يكون منكم أولاً فليكن لكم خادمًا». أن تَخدم

هو أن تُبصر الآخر، وأوّلاً أن تُقيم الآخر في سيادته وفي كرامته. أن تُقيم الآخر في كلّ كرامته وكل سيادته عليك، وإلا فلست بخادم. أن تجعل الآخر، كل آخر مَلِكاً عليك يعني أنك قبلت نفسك عبدًا.

هذا هو السرّ، هذا ما سُلّم إلينا، هذا الذي خارجَه لا نستطيع شيئًا. الخوف على الكنيسة يا إخي أن تصير مؤسسة كالمؤسسات، شيئًا كجامعة أو كثكنة. الكنيسة ليست شيئًا كهذا. إنها مستشفى نقّال فقط يُعالَج فيها المرضى، وكلّنا مريض، ولا دواء عندنا نحن المسيحيين إلا إذا جَعلنا أنفسَنا خدامًا للناس، نتنبه إليهم كلّ يوم في دقائق أمورهم، لكل أمورهم، لكي نجعلهم يُحسّون أنهم ملوك، آمين.

بع راحتك لأجل المسيح

«إن أردتَ أن تكون كاملاً فبع كل ما لك وأَعطه للمساكين وتعال اتبعني»
(متى ١٩: ٢١)

رسامة باسيل (محفوض) شماسًا، كنيسة القديس أنطونيوس في فرن الشباك، ١٧ كانون الثاني ١٩٩٨.

يا أخي الشماس باسيل،

هذه الكلمات الإنجيلية كانت منطلَق أنطونيوس في دعوته الكبرى. هكذا ظهر الرهبان ناسًا ابتغوا الكمال محبةً بإنجيل يسوع المسيح. والكمال دعوة إلينا جميعًا، ولا فرق هنا بين متزوّج وبتول، فكلّ مسيحيّ بتول بمعنى أنه ينفصل عن الدنيا، ينقطع ليلتصق بيسوع المسيح. أنطونيوس الذي نعيّد له اليوم سمع هذه الكلمات الذهبية من الكاهن يتلو الإنجيل يومًا في القرية التي كان يعيش فيها قرب القاهرة، ورأى حوله أن الناس يُحبّون المال، وأن كنيسة الإسكندرية كان فيها جمال كثير وثروات كثيرة وكان فيها تفاخر كثير لأنها كانت قلب العالم المثقّف آنذاك، والناس يتعاظمون بعلمهم وذكائهم إذا كانوا لا يعرفون أن يفتخروا فقط بصليب ربنا يسوع المسيح كما أوصانا الرسول الإلهي بولس حازمًا.

ماذا يعني أن تبيع كل ما لك وأن تُعطيه للمساكين، وأنت لك في الواقع الشيء القليل من متاع الدنيا؟ طبعًا فيك عيوب، وفيك ضعفات، ولهذا أتينا بك إلى المذبح المقدّس إذ «ليس أحد من المرتبطين بالشهوات واللذات الجسدانية مستحقًا أن يدنو إليك». ومع ذلك لا يستطيع يسوع أن يجعل لنفسه خدامًا إلا من المرتبطين بالشهوات واللذات الجسدانية. هذا الإنسان غير المرتبط بشهوة، هذا غير موجود. ولو كنّا غير مرتبطين بالخطايا والضعفات لما احتاج يسوع إلى كنيسة، وجعل الناس في السماء فقط كنيسةً له. أنت إذاً في ترابية واضحة ومن طين. أنت من طين، والطين يمكن أن يُكسر، وكان أنطونيوس عالِمًا بذلك عندما ذهب إلى الصحراء وتوغّل جنوب القاهرة. ويقول لنا مترجمه، القديس أثناسيوس الكبير الذي كتب سيرة عن البارّ الذي نستشفعه اليوم، قال لنا أثناسيوس إن أنطونيوس كانت تُتابعه الشهوات حتى الأربعين من عمره. هو لم يقل إنه سقط فيها، ولكنه قال إنها كانت تهجُم عليه هجومًا صاعقًا مريرًا قاسيًا كل يوم وهو شاب يتجاوز العشرين قليلاً ذهب وحده إلى البرية يصارع الشيطان، ذهب وحده لكي يدعو إليه شبانًا يؤلّفون كنيسة طاهرة هناك. كنيسة الإسكندرية لم تكن طاهرة، كان فيها وجهاء وزعماء وأغنياء وحسناوات -ونعرف تماثيلهن- وعلم غزير وكبرياء كبيرة. كنيسة الإسكندرية لم تكن طاهرة، ولذلك أراد أنطونيوس أن يُنشئ كنيسة طاهرة في الصحراء. أن تبيع كل شيء يا باسيل هي أن تبيع كل شهوة فيك وكل جهل فيك وكل نسيان ليسوع فيك وكل إهمال، أن تبيع كل شيء لتُنشئ في قلبك، في لحمك كنيسة طاهرة.

قلنا امتُحن أنطونيوس امتحانًا مريرًا حتى وصل إلى الهدوء في الأربعين من عمره. أنا أرجو أن تصل أنت إلى الهدوء منذ الآن لأن صبر القديسين هو الذي يخلّص الكنيسة، لأن الهادئين وحدهم يحملون الكنيسة. أما الذين في نفوسهم وعقولهم وأجسادهم وأعصابهم غليان، فهؤلاء يحتاجون إلى صفاء كبير وإلى صبر طويل. رجائي إلى الله الذي هدّأ أنطونيوس أن يقيم هدوءه في قلبك.

وأما بعد فأنطونيوس كان شِبْه أُميّ، أو كذا كانت تقول الدراسات القديمة عنه. كان شِبْه أُميّ، وكان يقرأ مع ذلك الكتاب الإلهي. إذا بقي فيك شيء من الجهل العلميّ أيها الشماس باسيل -وفيك جهل،

وأنا فيّ جهل، وأنا أدرس كل يوم- إذا بقي فيك جهل، فيجب أن تقضي عليه لكي تُعلّم الأُمّة. الأُمّة المسيحية المقدسة يجب أن تتعلّم. الواضح أنها جاهلة وأنها تعرف القليل، ولكنها تبغي المعرفة، والأطفال جائعون، كما يقول الكتاب وليس مَن يكسر لهم خبزًا . يا باسيل ليس مَن يكسر خبزًا لهؤلاء الجائعين إلى محبة يسوع ومعرفة إنجيله. ولذا لا تُوفّرْ عليك الدرس، الدرس الممحّص الدائم الكبير المضني، لأنه يجب أن تبيع راحتك وتسلياتك. أنت تبتّلت. نحن خُدّام الإنجيل ليس لنا تسليات، ليس لنا الوقت لكي تتسلّى. نحن عُمّال في حقل يسوع. وإن تسلّيت، سوف يرفضك كما رفض غيرك. أنطونيوس لم يتسلَّ. جَمَعَ كل هؤلاء الشبان المصريين حوله وكان يكلّمهم عن الكتاب. أنطونيوس لما كان في المئة عام، وقد ناهز المئة عام، كان يمشي في الصحراء، لا يدعو الشبان الرهبان إليه، كان هو يقصدهم في حَرّ مصر لكي يُعلّمهم ما قاله الله على لسان الحبيب يسوع. وكان يحارب الهرطقات، وكان يجادل الفلاسفة. كان أنطونيوس يجادل الفلاسفة وهو بسيط لأنه كان مملوءًا من حضرة يسوع.

أنا لا أريد منك أن تكتفي برعية بسيطة درويشة على طريقة الأرثوذكس. نحن نقتحم المفكّرين يا ابني، نقتحم العالم. نحن نتصدّى للفكر المعادي للإنجيل، ولذلك ينبغي أن ينمو دماغُك وأن يُفصِح لسانك. هذه أشياء لا نستهتر نحن بها . التقوى، إن كانت لك، لا تُعوّض عن الفهم. الفهم الفهم! علينا جميعًا التقوى، كهنةً كنّا أَم علمانيين. هذا واجب الجميع. أما واجب الكهنة فالفهم والتفهيم. هكذا فعل أنطونيوس.

ثم ماذا؟ كيف انتهى؟ قال لتلاميذه: ارموا جثتي في رمال هذه البلاد حتى لا يعرف قبري أحد . معنى هذا أن تكون منسحقًا حتى النهاية، أن يعرفك الله. قد لا تعرفك الرعية. ليس مِن همّ. المهم أن يعرفك الرب. ولهذا كُنْ وكأنك مدفون تحت الرمال. ينبغي أن نموت إذاً، أن نُميت الخطيئة، أن نتلألأ في عينيه هو. بعد هذا ترث اسمك باسيليوس. باسيليوس تعني بلغتنا الملوكيّ. ما يُطلب إلينا أن نصير ملوكًا . شرط هذا، شرط الملوكية أن يكون الإنسان خادمًا ومتواضعًا . فقط المتواضعون يُجلَسون على عرش الآب. اذهبْ بهذا وعِشْ عليه نفرح بك، آمين.

كن إناء للنعمة ولا تفتخر

«بالاثنين يحجبون وجوههم، وبالاثنين يطيرون»

(من قداس القديس باسيليوس الكبير)

رسامة جهاد (أبو مراد) شماسًا، كنيسة سيدة البشارة في جل الديب، ٢٤ كانون الأول ١٩٩٨.

يا بنيّ، أيها الإخوة،

في تشرين الأول ١٩٥٣، قيل لي في دير سيدة البلمند، وأنا أحد المعلّمين هناك آنذاك، قيل لي إن صديقك جورج أبو مراد آت بطفل معه يريد أن يسجّله في البلمند. فخرجتُ ورأيت طفلاً غافيًا، فسألته عمّا كان يريد أن يفعل، فقال لي آنذاك: أريد أن أصبح مطرانًا. لم تُحقَّق هذه الأمنية كاملة، ولكنها حُقّقت جزئيًا اليوم على رجاء أن يُرفع جهاد أيضًا درجة.

استهللت كلمتي إليك بهذا الذي ورد عند إشعياء (٦: ٢) وكررناه نحن في الخدمة الإلهية عندما قال النبي عن بعضٍ من الملائكة السيرافيم إنهم بجناحين يحجبون وجوههم وبالاثنين يطيرون.

«يحجبون وجوههم» لأنه مخيف جدًا أن ينظروا إلى وجه الله وهم

خلائق. خدمة الرب بالإنجيل، وهي المكلّف بها كل مؤمن، تصبح أكثر خشية وأعظم رهبة عندما يُكلَّف إنسانٌ خلاصَ النفوس، خلاص المؤمنين جميعًا. كيف يُنقذهم؟ الجواب تُنقذهم إن حَجبتَ وجهك حتى لا تنظر وجه الله لأنه مخيف، لأننا من تراب. فكيف يقف إنسان ترابيّ ليواجه المجد الإلهي في كل ذبيحة إلهية؟ ولكن النبي قال، بعد أن تكلّم عن الحجاب، «بالاثنين يطيرون»، أي إن استطعت أن تخشى الله خشية كبيرة وأن تضطرب أمام خطاياك وأن تُحسّ بنفسك من طين، إذا اضمحللتَ هكذا في حضرة المخلّص، فأنت تطير وتأخذهم على جناحيك.

كيف نطير؟ كيف ندقّ بالعرش الإلهي إذا ما طرنا؟ الجواب في ألا نرى لنا وجهًا، نحن لسنا أمام مرآة. لا نستطيع أن نقف أمام مرايا وأن نُسَرّ بأنفسنا. هو يرانا وينحت لنا وجهًا. وأما من رأى أنه شيء فهو ليس بشيء وهذا قطعيّ، هذا في الكلام الرسوليّ. إذاً لا نفتخر بقوّة، لا نفتخر بسلطة، لا نتذاكى ولا نتفاخر بذكاء، هذا من عند ربّك، يجعله فيك متى شاء وينتزعه متى يشاء. نحن مجرّد آنية للنعمة. الإناء فيه عطرٌ، يَعبُر العطر للناس، والإناء ليس له شأن بهذا العطر ولا يملكه. من افتخر فليفتخر بالرب، وإذ ذاك يكون خادمًا للرب وللناس.

أَذكر في أيقونة الميلاد هذا الذي نُدشّنه الآن ما نُقل عن حبقوق بتأويلٍ ما، أن الرب يسوع في المذود كان بين حمار وثور، أي بين حيوان غبيّ وبين حيوان ثائر. الناس معظمهم فيهم غباء أو فيهم ثورة أو تمرّد، وأنت تتعاطاهم على غبائهم وعلى غضبهم. هذه مهنتنا نحن في الحياة الإكليريكية أننا نتعاطى الناس كما هم، كما جعلتْهم أُمّهاتهم أو بيئاتهم أو مجتمعاتهم، كما هم، خَزَف مكسور، فيه غباء كثير وجحود كثير وعنفوان كثير وتمرُّد كثير على الكلمة وعلى الله وعلى السلطة وما إلى ذلك. لا تنسَ أنك إذاً موضوع بين حمار وثور كل حياتك. وإذا رآك ربك هكذا، ورآك أنك تُحسّ الأغبياءَ إخوتَك والمتمرّدين إخوتك، هذا بدء رضاه. ولكن يكتمل رضاه عليك إن عرف أنك تعتبر الأغبياء والمتمرّدين أفضل منك. عندئذ تكون قد أدركتَ تواضُع الخادم وأنت خادم، آمين.

كن عبدًا عابدًا

«أنا عبدُك يارب، عبدُك أنا وابنُ أمتك»

(مزمور ١١٥: ١٦)

رسامة جورج (برباري) شماسًا، كنيسة ميلاد السيدة في الدكوانة، ٢٠ آذار ١٩٩٩.

أخي الشماس جورج،

لقد دُعيتَ على مثال المعلّم أن تكون عبدًا، والعبودية والعبادة كما تعلم في العربية واحد، أي إنك إذا استعبدت نفسك لله تكون في حالة العابد، وتعبده «في كل مكان سيادته» كما قالت الخدمة الإلهية، ذلك أن الحب يقود إلى العبودية، إلى عبودية المحبوب، وهناك الحرّية الكبرى بحيث تبتعد عن شهواتك كلّها وتكون أسيرًا للمسيح. في هذا يمكنك أن تصير خادمًا، والخادم عندنا أول كما جاء على فم السيد المبارك واستمعت إليه في إفشين وضع الأيدي «من أراد أن يكون منكم أولاً فليكن لكم خادمًا».

هناك طبعًا مقام للمعرفة، هناك تجنّد للسيد بالمعرفة. على هذا دُرّبت. ولكن المعرفة الكبرى هي أن نذوق المسيح. كان كبير بين

اللاهوتيين في هذا القرن، بل كان من أكابرهم، سُئل مرة: أين تعلمت اللاهوت، وهو لم يكن قد ارتاد جامعة، جامعة في هذا الإختصاص. قال لهم: تعلمتُ اللاهوت من الكأس المقدسة.

ما الكأس المقدسة إلى جانب كونها دم المسيح أي حب المسيح؟ الكأس المقدسة هي التي تجتمع فيها دماء العالم، أوجاع الناس، دماء المظلومين والجائعين، هي إياها دم المسيح. ليس من دَمَين في العالم، هناك دم واحد، دم السيد، دم الفقراء. من أجل ذلك وُضعَتْ أيدي الرسل عليك عن طريق حقارتي لكي ترتفع إلى المجد، إذا أذللتَ نفسك فقط أمام شيئين، أمام المسيح وأمام الفقراء، آمين.

الخدمة تأتي من المعرفة

أيها العزيز الشماس جورج،

لقد قيل في هذه الخدمة إن الإنسان إذا انخرط في الخدمة يُحصّل درجة حسنة، وكأنه يقول إن الذي رُسِم ليس على شيء لمجرد أنه وُضعت عليه الأيدي، هذا مجرد بداءة للطريق، وأنه يحصل بالحقيقة على هذه الدرجة إذا خَدَم. وإذا أردنا تعبيرًا فلسفيًا عن هذا الكلام لقلنا إنك تصير شماسًا ولست شماسًا، تصير في كل يوم. بكلام آخر ليست الدرجة الكهنوتية عندنا إسمنتًا مسلّحًا يكون عليه الإنسان وينتهي هكذا وهو متربّع في الشموسية أو الكهنوت أو الأسقفية ومكتمل ومصبوب هكذا ويعبد نفسه على هذه الدرجة. هذا غير موجود. الإنسان يصير كل يوم. هو في الحركة الدائمة إلى الشموسية أي إلى الخدمة. هذا معنى اللفظة في العربية. ومَن جعله الله شماسًا هو ذاك الذي قالت عنه الكلمة الطيّبة في رسالة اليوم (١كورنثوس ١: ٢٦–٢: ٥) «اختارَ اللهُ مِن العالم مَن كان جاهلاً ليُخزي الحكماء، واختارَ مَن كان ضعيفًا ليُخزي مَن كان قويًا، واختارَ مَن كان

رسامة جورج (متّي) شماسًا، دير مار ميخائيل في بقعاتا، ٢١ آب ١٩٩٩.

خسيسًا وحقيرًا وغير موجود ليُبطل الموجود». ما نعرفه، ما يعرفه كل منا أنه غير موجود، وأن النعمة وحدها تجعله موجودًا وهو ليس بشيء. أنت لست بشيء. أنت قناة تعبر بك النعمة إلى الآخرين، وربُّ النعمة حُرّ بها، يُغني من يشاء ويُفقر من يشاء، لكي لا يفتخر أي ذي جسد أمامه. إذاً حسّك بنفسك ينبغي أن يصير حسًا بالفراغ، وحسًا في الملء الذي يأتي من النعمة. وإذا وصلتَ أن تدرك المسيح وإياه مصلوبًا، وهذه حقيقته الأخيرة، تكون قد بدأت سلوك الدرب.

كيف تصير إلى هذا؟ يُعيننا على هذا قولُ الأعميين: «ارحمنا يارب». أنت في حالة الاسترحام الدائم لأنك فراغ دائم، لأنك غير موجود، لذلك أنت في حال الاسترحام. ماذا طلب الأعميان من يسوع؟ هو قال: ماذا تريدان أن أصنع بكما؟ قالا له: «يارب أن تنفتح أعيننا، أن نُبصِر». لأن الإنسان بلا بصر مسلوخٌ عن معظم الوجود هذا الحسّي الذي جعله الله لمسرّتنا وخدمتنا. والأعمى سجين. «أن تنفتح أعيننا». كل منا يا أخي سجين خطيئته. ليس أحد حرًا قبل السماء، ولكن المهم أن يعرف أنه أعمى، هذا من جهة، وأن يعرف أن ينادي يسوع وأن يقول ليسوع إني أنا أعمى أريد أن أُبصر.

عليك أنت شخصيًا أن تَعبُر طرقًا لم تسلكها حتى الآن، وهذا على كل صعيد، ولن أترك ما هو حميميّ لأبيك الروحي. وهنا نبقى على الدرب، لا يصل أحد إلى نهاية الدرب قبل أن يستردّنا الله إلى رحمته في اليوم الأخير. ولكن ما عليّ أن أقوله لك هو أنك أنت ومَن كان أعلم منك ومَن كان أعلم العلماء عليه أن يقرأ. هذه البلاد لا تقرأ. الأجيال التي سبقتنا في الكهنوت كانت لا تقرأ، فرِحة بنفسها، حاصلة على كل شيء، تعرف أن تُقيم قداسًا وجنازًا وانتهت القضية. لا يقرأون، وكذلك كانوا عميانًا وما كانوا يريدون أن يُبصروا لأنهم ما كانوا عالمين بأنهم كانوا عميانًا. هذا يجب أن ينتهي، حاولنا إنهاءه، نجحنا إلى حد ما، لم ننجح حتى النهاية، يجب أن يَبطُل المسيحيون أن يكونوا عميانًا، وهذا يعني تَبصُّرًا في كل الكلمة وفي كل أمور الكنيسة، وتَبصُّرًا في معرفة الناس ونفسية الناس وأحوال الناس. وهذا يقتضي شيئًا أهمّ من القراءة. عندما طلب الأعميان أن يُبصرا، رقّ يسوع -هذا وارد

في غير محل- رقّ يسوع ولمس أعينهما، وللوقت أبصراه وتبعاه. إن أدركت أن يسوع رقيق، واقتربتَ من هذه الرقّة لتستمدّ منها، إذا لمس يسوع عينيك بحبه، يكون حبّه لك كتابًا، إذ ذاك تُبصر، إذ ذاك يكتمل بصرك. لا ينبغي أن تتّكل على النعمة. هذا ليس من شأنك، هذا من شأنه، يعطيها لمن يشاء. أنت تتّكل على الدرس، على الجهد، على إنهاك نفسك وجسدك في المعرفة، وفي الخدمة طبعًا، والخدمة تأتي من المعرفة. أنت تُنهِك نفسك، وإذا فعلت يلمسك هو، وهذا هو الدخول إلى الخدر. إذا استطعت أن تكون في خلوة مع المخلّص، يكون هذا لك وعدًا بأنك على طريق الكمال.

إذا أَبصرتَ، يبقى أن تُبصر كل يوم وأن تَتبصّر. قال الكتاب الإلهي «للوقت أَبصَراه». ولكن لم ينتهِ عند هذه الكلمة. «أبصراه وتبعاه». لا تبصر أنت وتركن في زاويتك، فرِحًا، كاهنًا فرِحًا بنفسه. أنت لا تركن، أنت تُبصر وتمشي حتّى الموت. هذا هو نصيبنا يا أخي. نحن ليس مكتوبًا علينا شيء آخر: أن تتبعه إلى حيث ذهب، إلى حيث نام. على سرير واحد نام وهو الصليب، آمين.

لا تَسمعْ لأحد غيره

«وكانت واقفة عند صليب يسوع أمُه. . . والتلميذ الذي كان يسوع يحبه»

(يوحنا ١٩: ٢٥-٢٦)

رسامة جان (كحّالة) شماسًا، كنيسة سيدة النجاة في جبيل، ٢١ تشرين الثاني ١٩٩٩.

يا أخي الشماس يوحنا،

أُخاطبك في عيد هؤلاء المؤمنين الذي اجتمعوا إلى العذراء اليوم في تذكار من تذكاراتها، خلاصته أنها كانت تتهيأ في هيكل الله لاقتبال سر التجسّد مطهَّرة ومستهدِفة الأعماقَ التي سوف تحلّ فيها . غير أن العذراء لم تكتمل إلا باكتمال السيد على الخشبة، وقد قال الرسول إن الله «كمَّلَ المسيحَ في الآلام»، لأنه من هناك كانت سيادته على العالم، علينا نحن المؤمنين به، ومن هناك كانت قيامته. أنت دخلت الهيكل منذ المعمودية. سوف تدخل أعمق فأعمق إلى قدس الأقداس الذي أشار إليه الرسول في ما كتبه إلى العبرانيين وقد قُرئ علينا اليوم.

كيف تدخل أعمق فأعمق؟ هذا هو السؤال. وكان الجواب عنه ما جاء في أواخر سفر شفيعك أنه هو كان واقفًا مع مريم أمام المصلوب، أي إن يوحنا هو جاء من هناك ولم يكن له وجود قبل هذا، لأنه قبل هذا ظنّ أو أمه ظنّت أنها ستجعله وزيرًا، أو أن هذا المسيّا المعلّم في الجليل سوف يستوزره. عقل مختلط عنده، مخضوض بأشياء هذا العالم، حتى أوحى له السيد في العلّية أنه سوف يهمس في أذنيه أسرارًا. وما كانت القضية في تسليم يهوذا للمعلّم، لأن المعلّم كان قد قالها بصراحة قُبيل هذا. ولكن بعد أن خرج الخائن عن العلّية وانفصل عن الحب الإلهي، وكان ليل كما يقول شفيعك أيضًا في إنجيله، أي كان ليل في نفس يهوذا كما في الخارج، بعد أن انفصل الخائن عن الجماعة، اتكأ الرسول الحبيب على صدر المعلّم وسمع منه آيات لا يَسوغُ النُطقُ بها. فاستدرجه الرب إلى عمق قلبه حتى كشف له في اليوم التالي أن السر كلّه أن يقف المؤمن عند الجلجلة. نحن ليس لنا كتاب نقرأ فيه إلا هذه الخشبة وهذا الدم الذي خضّبها وخضّب العالم وصبغنا عن طريق الماء والروح.

يُقال لك خادمًا، هذا معنى كلمة شماس. كيف تخدم؟ مَن تخدم؟ هناك مصدر للخدمة. لا يهم مَن تخدم، الناس كثيرون حولك، سوف تخدمهم. ليست تلك هي المشكلة. المشكلة: هل أنت مؤهَّل للخدمة؟ أَعطيتُك الجواب وهو أنك إن وقفت أمام هذا الصليب وجئت منه واستمددت قوّتك منه، تخدم بالضرورة لأن هذا الذي عُلّق على الخشبة هو خادم. فإذا جئت منه، من أي شيء تجيء؟ أنت تجيء من خدمته، تجيء مِن كلمته وحدها. هذا يفتح لنا أبوابًا عريضة. هذا يعني أنك لا تجيء من كلمة إنسان ولا من كلمة مطران إلا إذا أَحسستَ بأن كلمته ليست كلمته، وبأنه يتكلم باسم الله. ولكن قد يتكلم بقوّة شهوته، وبقوة تَسلُّطه عليك وعلى الناس، وبقوة مجده الباطل، عندئذ لا تسمعْ له. إذا، لا سمح الله، كلّمتك زوجتك بما يخالف الشريعة أو بما يعني المجد الباطل، مجد العائلات، وأن تَظهرا معًا كناس من هذه الدنيا، لا تسمع لها. إذا أجمعَتِ الرعيةُ على الباطل، لا تسمع لها فإنها لا شيء. ألوف من الرعية ليسوا شيئًا لأنهم لا يجيئون من الخشبة المعلّقة هناك. قادة

الكنيسة ليسوا بشيء، زملاؤك ليسوا بشيء إذا كانوا لا يجيئون من هناك، من الدم المُراق والكلمة الحلال. أنت ليس عليك دَين لأحد، لا لمخلوق. هناك الذي قال الحبَّ بدمه، هذا أنت خادمُه، ولست خادمَ أحد، وعليك أن تقاومهم جميعًا إذا كانوا ضد الكلمة وضد الإنجيل وإذا أقاموا ممالكهم على حساب الإنجيل. عندئذٍ تدخل إلى الهيكل أعمق فأعمق. وإذا رآك الإخوة شاقًا طريقك إلى قدس الأقداس وإلى وجه المسيح، يعرفون عند ذاك أنك راع صالح، ويفهمون آنذاك أن كلمتك هي كلمة المسيح، آمين.

ادخُلْ في تقشُّف المعرفة

«خذْ هذا الكتاب وكُلْهُ»

(حزقيال ٣: ١)

رسامة الياس (كرم) شماسًا، كنيسة رقاد السيدة في الشويفات، ٢٠ شباط ٢٠٠٠.

أخي الشماس الياس،

بهذا الكلام توجَّهَ الرب إلى حزقيال ليعلّمه أن النبي هو الذي يأكل كلمات الله ليصيرها، لأننا نحن مفوَّضون بنقل الله. ليس أقل من الله هو الذي ننقله للعالمين. وهذا يعني شيئين: يعني أولاً التقوى، ويعني ثانيًا حِفْظ الكلمة. وأما التقوى فلن أُكلّمك عنها اليوم لأنك بدأتها ونَمَوْتَ فيها ونشّأت نفسك عليها ونشّأت الأحبّة عليها. غير أن الرسول اليوم نبَّهنا إلى أن «كل الذين يعيشون بالتقوى بالمسيح يسوع يُضطهدون»، ولعله لا يشير إلى الاضطهاد الذي يأتينا من الخوارج، ولكنه أشار إلى الاضطهاد الذي يأتينا في الكنيسة، فإن كثيرًا من الناس في الكنيسة لا يحبّون التقوى كائنة ما كانت منزلتهم.

أما الكلمة فأنت في حاجة إليها لأن أحدًا في العالم لا يعرف الكلمة إذ

إنها بحر زاخرٌ عميقٌ. ولهذا لا بد لي أن أَستدعي هنا الرسول العظيم بولس لأقول لك بلسانه «اعكُفْ على القراءة حتى مجيئي». هذا ما قاله لتلميذه، فأنت تأخذ هذا الكتاب العزيز لتبتلعه فتعرف، وبهذا ترشد الناس. وإذا أراد الله أن يتكلم من مطلع سفر التكوين إلى خاتمة سفر الرؤيا فهذه فلسفته، ولا نستطيع أن نغيّرها بل نصغي إلى ما قال ونفهمه ونعطيه. ودليل الصحة على ما أقول أن آباءنا كلهم كانوا مفسّرين. أما هذه الجماهير التي تأتي بلا فهم وتخرج بلا فهم فنحن هنا للقضاء عليها، للقضاء على مستواها، لنجعلها فاهمة إذا دخلت وفاهمة إذا خَرجَت، وهذا يحتاج إلى عُمّال، ويبقى هذا حتى تموت. لم يكن أحد من آبائنا يظن أنه يعرف كل شيء. العِلْمُ يا أخي هو كإنسانٍ واقفٍ في وادٍ يرى القليل لأن الوادي محدود، أمّا إذا صعد إلى الجبل فيرى العالم، أي يرى أنه لم يصلْ إلى كلّ هذه المناطق. إنْ أنتَ فهمتَ كثيرًا، آنذاك تفهم أنك لا تفهم. فلذلك كان عليك أن تتأكل ما قاله يسوع، وهذا يُساعدك على أن تكون تقيًا، لأن شيئًا من التقوى يأتي من الفهم.

اعكُفْ على القراءة حتى مجيئي أو حتى مجيئك إليّ. إذاً كان عليك أن ترتبط بالأسقف المسؤول عن الكلمة أولاً، أن ترتبط بكل هذه الكنيسة العظيمة لتردّهم واحدًا واحدًا لأنهم خراف يسوع. أنا لا أُخفي عنك أني قلتُ المرّة تلو المرّة إن الروم الأرثوذكس يزعجونني كثيرًا وأتضجّر منهم، وهم طائفة تعرف القليل. غير أنهم أحباء. إنهم أحباء لأنهم خراف يسوع، ومهما قَسَتْ قلوبهم وغَلُظَت رقابهم فهؤلاء أحباء لأن الدم الأعزّ قد سُكب من أجلهم واحدًا واحدًا.

اذهب بهذا، ومعنى ذلك أن تتقشّف ربع ساعة تقضيها أمام التلفزيون، أهم منها أن تقضيها مع الكتاب. ادخُلْ أنت وزوجتك في تقشُّف المعرفة. المعرفة ثقيلة جدًا تُكلّف كثيرًا، تعبًا كثيرًا. ولكني أعرف أنك فهيم وأنك مُحِب، وأن الله أنعم عليك ببعض فضائله. لقد جمعتَ كنزًا قليلاً من مواهب الله. اذهب واستثمره حتى يستدعيك الله في أواخر حياتك، فتقول له إنك غدوتَ أقل جهلاً مما كنت، وأعظم تقوى مما كنت، وكي تقول له بنوع خاص إنّكَ أكملْت الإخلاص، آمين.

المساكين هم الملوك

«كنتُ جائعًا فأطعمتموني»

(متّى ٢٥: ٣٥)

يا أخي الشماس يونُس،

على هذه القولة سنُدان جميعًا، وأنت تنتظم اليوم في طغمة أولئك الذين أُوكلَتْ إليهم في الكنيسة الأولى مهمّة إطعام الجياع. الشماس كان المُنتدب الأساسيّ لإطعام الفقراء.

رسامة يونس (يونس) شماسًا، كنيسة مار بطرس وبولس في الحازمية، ٥ آذار ٢٠٠٠.

في رومية القديمة، عند مطلع المسيحية، كانت كل هذه الألوف من المسيحيين تأكل وتشرب، مع أن قومًا كانوا فقراء. كيف كان يأكل الفقراء في كنيسة رومية؟ كان الميسورون يصومون، يحرمون أنفسهم من الطعام يومًا أو يومين أو عشرة في السنة ليأكل الجائعون ولا يبقى جائع في كنيسة المسيح. إلى هذه الدرجة كانوا يُعزّزون الفقراء. كنيسة اليوم لا مكانة فيها للفقراء. طائفة الروم الأرثوذكس يسودها الذوات والميسورون، وليس فيها مكانة

للفقير، وليس له كلمة.

نحاول هنا أن يكون للجميع كلمة، وأن يكونوا متساوين في الكرامة. عملك سيكون طوال حياتك أن تفتقدهم، وأن تقول للناس جميعًا إن المساكين هم الأعزّون، وأنهم السادة، وأن السادة ليسوا الذين يجلسون في أرائك المجتمعات المخملية. هؤلاء الحقيرون هم سادتنا. هذا هو الشيء الأول، وهذه وصيّتي إليك. بعد أن أموت، سيُنسى كلامي. أستودعك إياه، هذا الكلام بالذات أن المساكين هم الملوك علّ واحدًا من الناس يفهم.

الأمر الثاني أننا سنُدان يا أخي. هذه المائدة التي في وسط الكنيسة تعني، عند العالِمين، المحكمة. هذه محكمة المسيح الذي سيكون ديّانَ الناس. وإذا انتصبتَ أنت مع المؤمنين أمام المائدة فلكي يُحاكَموا، ليس في اليوم الأخير فقط، ولكن صبيحة كل أحد. عندما يستمع أيٌّ منا للإنجيل الموضوع على المائدة فلكي يجلده هذا الإنجيل. إنه رهيب، الله رهيب، وأنت لا تدخل في سرّ محبته إلا من بعد توبة، فإن الله لا يُغنّج أحدًا، ولا يمزح مع أحد، ولا تستطيع أنت أن تُمازحه. الله جدّيّ كثيرًا، ووضَع أمامك الإنجيل لكي يحاكمك هنا حتى لا تُحاكَم فوق. ووضع الكأس المقدسة على المائدة لكي ترتجف وأنت تقترب إليها.

بعد الإنجيل، عندما تسمعون النشيد الشيروبيميّ، نكون نحن في الهيكل نقرأ هذا: «ليس أحد من المرتبطين بالشهوات واللذات الجسدانية مستحقًا أن يدنو منك أو أن يخدمك يا ملك المجد». أنا، كل مرّة أقرأ هذا الكلام، أرتجف وأقول إن مكاني ليس هذا المكان، يجب أن أترك. «ليس أحد من المرتبطين بالشهوات واللذات الجسدانية مستحقًا أن يتقدّم إليك»، إذًا يجب أن يخرج الكهنة والأسقف والشعب خارجًا لأن أحدًا غيرُ مستحق أن يقترب. ومع ذلك تحَنَّنَ الربُّ علينا، وضمّنا إليه مع ما فينا من شُبُهات وضُعُفات ووحل. ولكن الكتاب العزيز قال: «لنا هذا الكنز في آنية خزَفيّة، في آنية من فخّار». كل منا فخّار هشّ يُعطب، معطوب. مع ذلك، لنا كنز في هذا الإناء الفخّاريّ. سوف تُكسر. أنا أُكسر كل يوم. كِسَرٌ من فخار كل إنسان. يبقى العِطْرُ على هذا الفخّار

الذي نزل عليك من فوق وليس لك فيه شيء.

احفظ نفسك من الدنَس لأن المدنّسين لا يستطيعون أن يقولوا كلام الله، لا يصدّقهم أحد. حتى تجعل الناس يصدّقون الإنجيل، يجب أن تكون أنت طاهرًا، وإلا نكون في حفلة مِزاح.

«خذ هذا الكتاب وكُلْه» يقول حزقيال، لأنك إن صرت أنت الإنجيل -ألا يقول بولس هكذا؟- إن صرت أنت الإنجيل يسمعك الناس، ويأكلك الناس، وتكون عند ذاك صرتَ خادمًا، آمين.

كن بلا عيب لئلا تُلام الخدمة

«احملوا بعضُكم أثقالَ بعضٍ، وهكذا تَمّموا شريعة المسيح»

(غلاطية ٦: ٢)

رسامة فادي (الهبر) شماسًا، كنيسة القديس أنطونيوس في فرن الشباك، ١٥ نيسان ٢٠٠٠.

يا أخي فادي،

لقد ارتضاك الله في هذه الخدمة التي لا يقدر الملائكة عليها لكي تحمل أثقالنا. وتُلحّ الكلمة الرسولية هذه عليك بخاصةٍ لكونك خادمًا. أنت خادم بالمعنى القديم للكلمة حيث لم يكن في الأمم شرائع، أي كان السيد يستبدّ بالعبد. يحق لله أن يستبدّ بنا لأن هذا وجهٌ آخر من رحمته. ولكن سوف يستبدّ بك الناس، وليس بالضرورة تعبيرًا عن عطفهم عليك. وقد دخلتَ جماعةً فيها الكثير من الضوء، أعني جماعة الإكليروس، فيها كثير من الضوء، وفيها بعض من الضعفات، ذلك أن أسقفك والكهنة هم أيضًا من طين، والطين معرَّض للكسر، ومعرَّض تاليًا للرمي، ومع هذا لا بد لنا أن نجمع الخزف المكسور. لا نستطيع أن نرمي أحدًا في الشارع، لأن كلاً من

الخراف ومن رعاتهم افتداهم يسوع بدمه، وكُتب علينا أن نرحمهم جميعًا حتّى النهاية، وأن نصبر على كل واحد منهم، لأنهم قد ينالون بصبرنا عليهم خلاصًا.

أنت ستكون توًا خادمًا للأب عصام وللأب ناجي، وسوف لا تناقش لأنه مكتوب عليك أن تُذبح. أنا أُعطيتُك بنفسي، وللناس جميعًا، نموذجَ الإنسان المذبوح منذ ستّين سنة في هذه الكنيسة. ولكنّي استمررتُ وبيّنتُ لهم أني هنا، وأني لن أَستسلم لأني عارف أني سُلّمت إلى شخص واحد هو هذا الذي رُفع على الخشبة. سوف ترى ضعفاتٍ في الإكليروس يا ابني، وضعفات في الشعب، ولكنك لست عبدًا لكاهن ولا لمطران ولا لعَلماني. أنت عبد لواحد، هذا الذي رُفع على الصليب مرة واحدة من أجلك. قد يكون عليك أن تشهد، كما أشهد أنا، أنّ بعضاً من هؤلاء الناس المحسوبين علينا إخوة سوف يموتون في خطاياهم، وأنا عارف أن منهم من سيموت في خطاياه، ولكني لا أستطيع شيئًا، غير أنّي أُصلّي من أجله في حرارة كاملة. وأنت سوف تجاهد علّهم لا يموتون، علّ أحدًا منهم يُنقَذ.

ماذا يتطلب منك هذا الموقف حتى النهاية؟ يتطلب منك أن تقبل أن تكون نسيًا منسيًا، غبارًا مهملاً في زاويةِ غرفةٍ، لأنك أيقنت منذ البدء أنك لست بشيء، وإلا كيف أَقبلتَ لتصير خادمًا إن كنت تظن نفسك شيئًا.

يا أخي، ليس بطريرك شيئًا، ليس مطران شيئًا، ليس كاهن شيئًا، ليس عَلمانيٌ شيئًا. كلنا غبار مرذول إذا رذلَنا الله، وأنت لا تطلب شيئًا لنفسك لأن المحبة لا تطلب شيئًا لنفسها، ولا تحتدّ ولا تظن السوء. أنت مخلِص، المخلّص يعرف أنه سيُقتل. هكذا السيد له المجد كان عالمًا بأنه سيُقاد إلى هذه الخشبة. أن يكرّموك! من أنت ليكرّموك؟ من أنا ليكرّمني الناس؟ كثَّرَ اللهُ خيرهم أنهم يكرّموننا. هذا مِن فَضْلِ أخلاقهم، مِن حُسْن أخلاقهم. لا تطلبْ شيئًا. دعهم ينسونك، هذا أفضل. إذ ذاك يعرفك الله، وإذ ذاك أنت موجود. إذا كنت تطلب شيئًا لنفسك، فإذاً تظن أنك شيء، لم تنسَ نفسك. تظن أنك شيء، وأنت لست بشيء.

أنا أعطيتُ هذه الكنيسة مثلاً، وبهذا أفتخر أني لم أطلب امتيازاً لنفسي خلال ستّين سنة، ولا امتيازَ واحدٍ، ولا عطفَ أحد، ولا مال أحد، ولا تشريف أحد، وشرّفتُهم ولم يُشرّفوني.

اثبتْ هكذا. لا يستطيع أحد أن يُشرّفك. ربنا سيُشرّفك. تابع بصمت، ولكن تابع بالمعرفة. هناك غلطة رهيبة يرتكبها نصف الإكليروس عندي أو عند غيري، إذ يظنّون أنهم، لكونهم وصلوا إلى مكانة، إلى خدمة، فهُم صاروا يعرفون كل شيء، ختموا كل شيء. ما هذا الجهل؟ نحن ندرس ليلاً نهارًا. نحن لا ننام. ندرس في هذه الشيخوخة لأننا لا نعرف. نحن لا نعرف. لا أحد يعرف. كلنا تلاميذ، وأنت بنوع خاص تحتاج إلى دراسة معمّقة لكي تقوى الخدمة. هذا شرفُ مَن سلّطك على هذه الخدمة. هكذا تُشرّف نفسك بسببِ مَن سلّطك على هذه الخدمة.

اذهبْ على رضى الرب. استرضِ ربك ولا تسترضِ أحدًا. استرضه فيرضى عنك. وإذا هو فقط وحده رضي، يجعلك شيئًا عنده. لن يقول لك ذلك هنا على هذه الأرض أنك بشيء، لن يقول لك. بعد ذلك يقول لك في اليوم الأخير. أنت تستمر في الخوف والرعدة والحب والصلابة في آن واحد. تحب الناس جميعًا ولا تحب خطاياهم. تذوب أنت من أجل الناس. أنا اشتغلتُ بالمعادن، كنّا نذوّب المعادن ومن ثم نجمّدها. أنت تُذيب خطاياهم بالحب، وعندئذ يجمدون هم.

اذهبْ على هذا الرجاء. كن بلا عيب لئلا تُلام الخدمة، ولئلا نُلام معك. كل خطيئة يقترفها كاهن تعود بالسوء على إخوته الكهنة جميعًا لأننا واحد.

اذهبْ على بركة الله. نحن معك وحولك. نحن لا نهمّ، يسوع معك وحولك وقد باركك، وله الشكر، آمين.

حَذارِ أن تَرى نفسَك ترتقي

«بمشقّات كثيرة ينبغي أن نَدخُل إلى ملكوت الله»

(أعمال ١٤: ٢٢)

يا أخي أرسانيوس،

تذكّرتُ هذه الآية، هذا الصباح، فيما كنتُ أسلك هذه الطريق الوعرة جدًا التي تؤدّي إلى هذا الدير. وما كان شيء يوضح أن هذه السيارة واصلة. هكذا موقفك من الملكوت، الطريق شاقة جدًا، ولا تصل إلا برحمة ربك.

طبعًا أوصتنا الكلمة الإلهية بإصرار لا بعد له إصرار أنه ينبغي أن نحفظ الوصايا، وأنه ينبغي أن نقمع شهواتنا كلها. ولكن بعد ذلك تقول إن الذين حفظوا الوصايا وتبرّروا، وتطهّروا لا يدخلون بقوة حفظهم وطاعتهم. لا أحد يدخل بقوة طاعته. الكل يدخل فقط بمجرد الرحمة الإلهية. فإنه هو، من ملكوته، يمدّ إليك ذراعه، ويُدخلك بفضل هذه الرأفة التي فيه. مع

رسامة المتوحد عدنان (دحدل) شماسًا، دير القديس جاورجيوس في حماطوره، ٢٥ آب ٢٠٠١.

ذلك، -المسيحية كلها مفارقات- مع ذلك كل منا مدعوّ إلى أن يسلك دروب المشقّة. وبعد المشقّة الفرح، وفي المشقة الفرح، لأننا إن لم نقضِ على كل شهواتنا، لا نستطيع أن نُبصر النور الإلهي. هذا شيء مبتوت: «طوبى لأنقياء القلوب فإنهم لله يعاينون».

وأما هذا الغارق في ما يعتلج فيه من شهوات، كائنة ما كانت الشهوة، وهذا الغارق في تأمل فضائله، وهذا السكران بطهارته، وهذا المترنّح برهبانيته، هذا أيضًا لا يدخل ملكوت الله. نحن ننتصب أمامه حفاة، عراة نسترحم. غير أنه لا بد أن تتمثّل أمامك أشباح. كل خطيئة تبدأ شبحًا، إغراءًا، وتُصوّر نفسها لنا على أنها جميلة. لا يرتكب أحد خطيئة إلا لأنه يراها جميلة. هذا هو السِحْر الكاذب. فقط الذي أَبصرَ نور يسوع يعرف أن يفضح نفسه. مشكلة الإنسان أنه لا يعترف، لا يحب أن يَفتضح، ويهرب من الملاحظة، يهرب من المواجهة. هو مرتاح بما وصل إليه. العباداتُ وأشكالُها وانتظامُها وما إلى ذلك تُوهِمُ أنك وصلت. الإسكيم الذي أرجو أن تناله يُوهِمُ أنك وصلت. والشموسية التي هي بدء الكهنوت توحي أيضًا بأنك في البدء، وبأنك على الطريق. وأنت لست في البدء ولست على الطريق.

ومع هذا ينبغي أن نجاهد. هذا هو السر الذي لا نستطيع معرفة كُنهه، وهو أننا مدعوون إلى أن نجاهد حتى الدم، وبذلك أوصانا الرسول، وأن نذرف دموعًا، وقد سكب يسوع دموعًا كما يقول الرسول أيضًا. نحن مدعوون أبدًا وفي كل لحظة إلى أن نرى هذا الجهاد الذي ينتصب أمامنا، ومن الجهاد هذا اللاهوت الذي تحاول أن تدرسه، وتظن فيما أنت سائر فيه أنك أدركت شيئًا من السر الإلهي، وأنك عَرفت كثيرًا. الذين يقرأون الكتب يظنون أنهم قبضوا على شيء من هذا الكون، ومن هذا التراب الذي سبقَنا. وفي هذا ما يُفرح طبعًا لأن هذا اقتحام للجهل الذي فينا. غير أن هذا لا يكفي. مسعاك أنت ليس أن تعرف أشياء عن الله استخرجَها الأذكياء خلال ألفي سنة، ولكن مسعاك أن تعرف الله نفسه في عمق حبّه لك وللإخوة، وأن تُبصر ذلك.

لعلك إن رأيت ذلك تُجمّل حُلّتك، وقد يستحليك الله وهو فوق. قد تُغري الله ببهاءٍ فيك

هذا له، ولكن هذا ليس لك. أنت تعرف نفسك لا شيء. ولهذا قيل اليوم إنك خادم. الخادم يَحسَب أنه دون معلمه. ليس من خادم في الكون يظن أنه أفضل من الذي وظّفه. أنت خادم للناس جميعًا، أي إنك دون الناس، وإلا لما سمّيناك خادمًا. عليك أن تقتنع بذلك، أن تُدرّب نفسك حتى تقتنع بذلك في داخل نفسك، في قعر نفسك، أن تَحسَب أنك لا شيء، ليس فقط أمام الله، ولكن أمام الناس.

هذه مشقّة، وُعُورة هذه الطريق، ولكن ليس لنا مسلك آخر. لا نقترب منه إلا بهذا. ولا يوحي إليك سلوكَ المشقة إلا إذا عرفت شيئين: أنك حبيبه، أي إنه هو أَحبَّك مجانًا وليس فيك شيء، وكما قال بولس: «أَحبَّنا لمّا كنّا فُجّارًا». والشيء الثاني أن تحبّ الإخوة لأنهم إخوة ليسوع، ولأنهم بمحبتك إياهم يرتقون على الدرجات العُلى. ولعلك تراهم يرتقون. حذارِ أن ترى نفسك ترتقي. أنت في أسفل السلّم دائمًا. ولكنك تُسْلِم له ولرحمانيته في العراء الكامل. وإذا رضي عنك، يَخلع عليك حُلّةً من نور، آمين.

الإنسان لا يَخدم إلاّ مِن قلبه

رسامة نعمه (صليبا) شماسًا، كنيسة مار بطرس وبولس في الحازمية، ٢٤ كانون الأول ٢٠٠١.

أيها الحبيب،

لما سمّاك ابواك نعمة، أَحسّا بأنك موهوب من الله. ورجَوا أن تكون طيّبا حلوا في هذه الحياة حتى يستحليك الله. وعرفناك في هذه الكنيسة، وبخاصة مع شبابها، وأنت واعٍ معها مسؤوليتك في حقل الرب. وبوركت في زواج، وتظهر أمام الله ويراك.

إن وضع الأيدي عليك لتكون مختارا للرب كان في هذا القداس الإلهي الذي كنّا نقيمه، قبل هذا اليوم بدَتْ البشرية قاسية، حتى جاء الإله طفلا الى العالم فقيرا طريا تستطيع البشرية أن تشتّمه، وشتَمته ولطمته وجرحته، مُعرَضا هكذا على سفاهة الناس، مستلقيا بين حيوانين. لما بسط يسوع يديه على الصليب وضمَّنا جميعا الى صدره، كان هذا هو الميلاد بالذات. لا يختلف هذا العيد عن عيد الفصح. ذاك كان الأفصح والأبلغ، ولكن كل هذا الخلاص كان ملخَّصا هنا في بيت لحم، مرسوما، متمّما، مهجّاً، ليتدرب الناس على الحب. وهكذا تعيّدون.

وهذا، يا أخي، يُذكّرك بكلام الرسول الى تيطس: «لقد ظهرَتْ نعمة الله المخلِّصة جميعَ الناس». وانها لمسؤولية عليك كبيرة أن تُسمّى أنت بما لا يملكه الا الله. «نعمةُ ربنا يسوع المسيح ومحبةُ الله الآب وشركةُ الروح القدس فلتكن مع جميعكم». فإذا سُمّيتَ كذلك باستلهامِ طَيّبيَن كانا في أصلِ وجودك الأرضي، فهذا يستتبع أن تكون على هذه السويّة، ورجائي في ذلك كبير.

هلاّ غدوتَ مثل طفل بيت لحم، طريّا، رقيقا، وديعا، لطيفا بالناس، متواضعا، لأن إلهنا لا يظهر الا بهذه. تلك هي الخدمة، يا نعمة، أن الانسان لا يَخدم الا مِن قلبه وفي قلبه. أي قلب؟ هذا الذي استوعَبَ نعمة الله. غيرُ هذا عضل تافه.

اذا جئت من داخلك الممتلئ ألوهة، تذهب إلى الناس خادما. سوف يُعلّمك الدهر، سوف يعلّمك أن كل ما يقوله كبار العالم من أن الدنيا تنظيم وقوة ومال ونفوذ، أن كل هذا تفه، إن العظمة هي فقط في القلب المحب، لأن القلب المحب هو الله اياه مسكوبا بين الناس، آمين.

لا يقدر أن يَخدم الربَّ إلا من دعاه الربُّ

يا إخوة،

أرجو أن تكونوا قد سمعتم أن يسوع، حسب هذه التلاوة، دعا تلاميذه أولاً، إذ لا يقدر أن يَخدم الربَّ إلا من دعاه الربُّ، وفي مواضع يقول «من بطن أمه». ثم إلى جانب هذا يَمُدُّهم بقوة وسلطان على جميع الشياطين وعلى شفاء الأمراض. نقتحم مملكة الشيطان بالقوة التي أتت من يسوع، هذه التي توّهلنا أن نُبلّغ الكلمة وأن نُعزّي الناس وأن نشفيهم.

وعندما أَطلَقَ تلاميذَه إلى البشارة، قال لهم شيئًا أساسيًا «لا تحملوا في الطريق شيئًا، لا عصا ولا مزودًا ولا خبزًا ولا فضة. ولا يكن للواحد منكم ثوبان»، أي إنكم لا تستطيعون أن تهتّموا بالمال ولا بأجسادكم ولا بأمجادكم. أنتم فقراء إلى الله. أنتم تستلمون الكلمة من الله، وتستلمون قوة الشفاء منه. وهذان يمكن إتمامهما بلا شيء من هذا العالم.

لماذا يأكل الإنسان أكثر مما يحتاج إليه؟ لأنه يخشى الموت. يريد أن يستلذّ. وابتلاعنا اللذات هو نوع من خشية الموت. إذا كنت أنت تؤمن

رسامة المتوحد إسحق (نصور) شماسًا، دير القديس جاورجيوس في دير الحرف، ٢ تشرين لثاني ٢٠٠٢.

بقيامة المخلّص فلا تخاف الموت. وإذاً لماذا الطعام الذي لا نحتاج إليه؟ والطعام لم يبقَ طعامًا. ولكنه صار ولائم. وصار عيد القديس جاوجيوس ولائم جميلة وندعو إليها خير القوم الذين نعتبرهم كذلك. الطعام صار وسيلة إلى المجد. وإذا أنت كنت في حاجة إلى أن تقي نفسك المطر والشمس وما إلى ذلك، فتبني لك غرفة لا يدخلها المطر ولا الهواء، وكفاك هذا. أما إذا ابتغيت قصرًا فأنت تسعى إلى الجمال الذي قد يُفيد وقد لا يُفيد، وأنت تسعى إلى المجد. لا يُقنعْني أحدٌ -وأنا في عمري صرتُ أَعرف هذا العالم- لا يُقنعْني أحد أنه إن بنى بيتًا خلاّبًا لا يطلب المجد.

غير أن ثمة من انتُدب لتبليغ كلمة الإنجيل. وأن تُبلّغها هو أن تعيشها. بكلام آخر لا تستطيع، شماسًا أو كاهنًا أو أسقفًا أو أستاذاً، لا تستطيع أن تجلس معلمًا للكلمة وعندك قصور، أو تسعى إلى أموال، أو تطلب أن يُمجّدك الناس. كيف يمجّدك الناس؟ هذا السؤال طبعًا يدور بين الكتّاب والشعراء والأساتذة: «هل قرأتَ آخِر مقالة لي؟ هل قرأتَ آخِر كتاب لي؟» وما إلى ذلك. هذه البهجة العلمية ليست أرقى من بهرجةِ حسناءَ تتبختر أمامك لتُظهر أناقتها. ما الفرق؟ قد يكون سِحْرُ الجسد مسبّحًا لله أكثر من غطرسة العلماء، وأكثر من تشاوف المطارنة وما إلى ذلك. لا تستطيع أن تبلّغ الإنجيل ما لم تكن إنجيلاً. هذا ما قاله النص هنا. «اشفوا المريض». لا يوجد في الفهم الأدبي المعاصر العصري، لا يوجد فرق إطلاقاً بين المعنى والمبنى، بين الفكر الذي تؤدّيه والشكل الذي تُلبسه هذا الفكر. لا يصدر كلام بشكل لغوي فقط. هذا غير موجود عند الذين قرأوا الآداب. يصدر الكلام من القلب أي من كيانك أنت. فإذا صرت أنت إنساناً جميلاً يكون كلامك جميلاً. وإذا صرت كائنًا حقيقيًا، راهنًا عميقًا، يأتي كلامك راهنا عميقًا. فتقُوم بتطبيب الناس، تشفيهم من خطاياهم. هذا إذا ذكرتَ أنت أنك مدعوّ، أي إنك مُسلَّط.

ماذا يحدث في الواقع عند الذين يشتغلون في الأمور الكنسيّة؟ الذين يعملون في الرهبانية؟ ماذا قد يحدث؟ ينتظمون في النظام، في الطعام والشراب وما إلى ذلك. ينتظمون في الصلوات. المسيحية، في تنظيمها، وفي عمارتها، في فنها، وفي ألحانها، يمكن أن تخنق المسيح. هذا واضح، هذا صار،

ويصير. كانت هذه التعابير الغنيّة الطقوسية عندنا وما إلى ذلك لكي تشدّنا إلى يسوع. هي وسائل تربوية. ليس من شيء في الكنيسة إلا للتربية. ليس له قيمة إلا هكذا. الإنجيل نفسه للتربية، لتهذيب الناس. وإن لم تصل أنت إلى عشق يسوع شخصيًا، حسب العلاقات العشقية المعروفة عند الناس، بمعنى العطاء الكامل والطاعة الكاملة، والاختطاف إليه وحده مثلاً لحياتك، فلست على شيء. ولكن هذا يعني زهدًا دائمًا، زهدًا كاملاً بهذه الدنيا. ماذا يصير عند الرهبان؟ ما هي التجارب التي يتعرضون إليها؟ يظنون أنهم تركوا الدنيا (المال). بعد عشر سنوات، وثلاثين سنة، يلاحظون أنهم لم يتركوا أنفسهم: الأنا. هناك مجد خبيث يأتي عن طريق الدين، يأتي عن طريق التلذذ بالفضائل. هذا يعني أننا لم نعشق يسوع.

أيها الأخ إسحق، أرجو الله أن يمدّك بهذه الرتبة الجديدة، أن يُنزلها عليك، لكي تزداد فهمًا، لكي تحتدم عشقًا للمعلّم. وافهمْ مرة واحدة أن كل هذه الصلوات التي تُقيمها والطاعات والفقر والعفّة، أن كل هذه ليست سوى وسائل لكي يسحرك يسوع فلا ترى شيئًا آخر، آمين.

تصير شماسًا عندما يموت التراب فيك

أخي الشماس ريمون،

عند استشهاد القديس استفانوس، أوّل الشهداء وأوّل الشمامسة، فيما كانوا يرجمونه، «رأى مجدَ الله، ويسوعَ قائمًا عن يمين الله».

الشموسية، في أهم مهامّها، هي أن يرى هذا الخادم –الشماس تعني الخادم– في العبادات مجدَ الله الآب، وأن يرى يسوعَ قائمًا عن يمين الآب، وأن يقتبل الروح القدس في قلبه، ليسير في طُرق القداسة.

غير أني، قبل كلامي على العبادات التي غدوتَ الآن خادمَها، أودّ أن ألفتك وألفت المؤمنين إلى ما جاء في الكتاب العزيز اليوم، في إنجيل الدينونة (متى ٢٥: ٣١–٤٦)، حيث قال السيد المبارك للأبرار «كنتُ جائعًا فأطعمتموني» وما إلى ذلك من كلام.

رسامة ريمون (عبد الكريم) شماسًا، كنيسة مار بطرس وبولس في الحازمية، ٢ آذار ٢٠٠٣.

أنت تذكر أن الشماس كان في الكنيسة الأولى مسؤولاً عن الفقراء، ومسؤولاً في العبادة. واليوم أُوكِلَ الأمر إلى العلمانيين. غير أن الفكرة باقية وهي أن أحدًا منّا لا يستطيع أن يعرف المسيح إلا إذا عرف ثلاثة: الفقير

والمريض والمحزون. هؤلاء هم المسيح أمامنا اليوم، في ظرفنا، في المدينة، في القرية. وإذا لم تعرفهم لا تعرف المسيح. المسيح ليس طائرًا في السماء. هو قائم هنا، في آلام الناس.

لعل انتظامك، يا أخي، في هذه الخدمة يشير إلى انتقالك من نطاق الدراسة وهي عظيمة. لقد ولّى عصر الجهّال في هذه الكنيسة. لعل انتقالك من نطاق الدراسة بالشموسية اليوم يعني أن تُركّز قلبك على الفقير والمريض والحزين. هؤلاء هم إخوة يسوع. ولا بد لك أن تتدارس الكلمة يومًا فيومًا كما فعلت حتى الآن لتزيد خدمتك لهؤلاء الإخوة الأحبّة، هؤلاء الذين يعتبرهم يسوع إخوة له صغارًا. صغارًا أي مدلّلين.

ولعل الوقت قد آن لكي تتعرف إلى العبادات أكثر فأكثر. ذلك أن من ذاق عباداتنا يسير في الله. الناس عند بدء حياتهم الروحية يسيرون إلى الله. ولكن إذا تم نضجهم فإنهم يسيرون في الله. وقد رأت الكنيسة في مبرّات قديسيها وخبرتها الطويلة أن الله يُذاق أولاً في العبادة، فإنها هي مكان الاعتراف بأن الرب جميل وقدير ولطيف بنا، وأننا فيها نغدو أبناء له، ونذوق هذه الألفة بيننا وبين الثالوث المقدس.

والعبادة فيها تقنيات، فيها جزئيات، فيها معرفة، فيها اختبار. وهذه أمور لا بد مِن تفحُّصها، من ممارستها. وسنُبقيك على هذه الدرجة حتى تصبح عليمًا بالعبادات، كما كنتَ حتى اليوم عليمًا باللاهوت. اللاهوت، إنْ لم يَقُدْنا إلى التعبّد الكامل، أي إلى الإحساس بأننا مرتبطون بالرب كارتباط العبد بسيّده، إن لم يَقُدْنا إلى هذه الرؤية يكون اللاهوت محض صفحات مطبوعة في كتاب.

نحن ديانتنا ليست ديانة كتاب. غير صحيح أننا أهل كتاب. نحن أهل وجهٍ هو وجه يسوع الناصري. إن استطعت أن تَدخل في عشقه، تكون قد أَدركتَ المسيحية. عند ذاك لن تبقى في حاجة إلى كتاب. تكون قد صرت أنت الكتاب، ويقرأك الناس، ويفهمون.

لعلّك تعترض عليّ، على كلامي هذا لمّا قلتُ «إننا عبيدٌ لله» لِعلمك بأن السيد المبارك قال «لستُ أُسمّيكم عبيدًا في ما بعد، إنكم أبناء». غير أن واحدًا من العارفين، وهو كاسيانوس البارّ،

قال «نحن لسنا عبيدًا، ولكننا نَستعبد أنفسنا لذاك الذي نحن له عاشقون». في العشق ليس إلا من عبودية. العشق هو الإسلام الكامل لمن أنت تحب. في الشموسية سوف تحتدم فيك عواطف المحبة ليسوع. شرطُ هذا أن يزيد تواضعُك، لأنك فقط، إن محوت نفسك، تستطيع أن ترى وجه الحبيب. أما إذا رأيت إلى وجهك فليس من وجه الحبيب.

إذاً في الخدمة -وأنت خادم- سوف تَمحَق نفسك، سوف تزول لكي يَلبسك المسيح، ولكي تَلبسه أنت، حتى ترتسم أنوارُه على وجهك فلا يبقى لك وجهٌ مِن هذا اللحم والدم، لكي يُبصر الناس أن وجهك هو وجه يسوع. وعندئذ تكتمل. عندئذ يموت التراب فيك، وتصبح ضياء كاملاً، إذ ذاك تصير شماسًا.

تواضَعْ أمام الله والرعية

«ليكُن فيكم هذا الفكرُ الذي كان في المسيح يسوع الذي، فيما كان في صورةِ الله، لم يَحسَب خلسةً أن يكون معادلاً لله، لكنّه أَفرغَ نفسه آخذاً صورةَ عبد»

(فيليبي ٢: ٥–٧)

رسامة سليم (أبو حيدر) شماسًا، كنيسة رقاد السيدة في بسكنتا، ١٥ آب ٢٠٠٣.

أيها الأخ الكريم الشماس سليم، يا أحباء،

لقد أُعطينا في هذا اليوم أن نُقيم هذا الشاب خادمًا لله، فكلمة شماس تعني الخادم. وددتُ أن أَستشهد بهذه الآيات، الكلمات التي اقتبسناها من الرسالة إلى أهل فيليبي، وقد قُرئ هذا المقطع عليكم اليوم، ذلك أن ما أنت مدعوّ إليه يا أخي هو أن تكون عبدًا للمسيح. فالذي كان عبدًا لله –آدم– أراد أن يتنطّح بقوته للألوهة فرُذل، وأما الإله نفسه فقد ارتضى أن يصير عبدًا على صورة بشر لكي يرفعنا نحن العبيد إلى مصف الأبناء على ما قال هو تعالى لتلاميذه: «لن أَدعُوكم عبيدًا في ما بعد، إنكم أبناء».

كيف إذاً دعَوتُك أنا أن تكون عبدًا مع أنك ابن؟ يقول أحد الأبرار، كاسيانوس، «نحن ما بقينا عبيدًا، لقد حرّرَنا المسيح. ولكننا نَستعبد أنفسَنا بالعشق الإلهي، نستعبد أنفسنا له بالعشق الإلهي».

كيف تعشق المسيح؟ هذا هو مُبتغى كل مؤمن. ولكن أنت على وجه التخصيص كيف تدخل في سر محبته؟ لقد قالت سيّدةُ العيد للملاك المبشّر بعد أن أَعلن لها أنها ستَصير والدةَ الإله، قالت له «ها أنا أَمَةٌ للرب، فليكُن لي حسَبَ قولك». أي إنك تُدخلني مشروعًا لا أفهمه، ولا مخلوق يفهمه، ولكنّي أَطعتُ. أن تُطيع هو أن تذهب إلى حيث أراد الله لك كما أراد لإبراهيم بعد أن اقتلعه من أرضه وبيته وعشيرته وذهب به إلى أرضٍ غريبة، فأطاع. وقال له ضَحِّ بابنك الوحيد إسحق، فصعد إلى الجبل لكي يذبح ابنه، وأَنقذَه الله لأن الذبيحة الوحيدة الحقيقية هو ما سوف يُذبح في ما بعد، عنيتُ به المسيحَ يسوع ربّنا. أنت تذهب إلى حيث الله يريد.

ماذا يريد الله منك؟ هذا أيضاً قاله الكتاب العزيز في العهد الجديد لمّا تَحدَّث عن والدة الإله إذ قال إنها «كانت تحفظ كل هذا الكلام، -أي كلام يسوع- كل هذا الكلام وتُردّده في قلبها». أن تحفظ يعني أن تأكل الكتاب كما قال الله المبارك لحزقيال «خُذْ هذا الكتاب وكُلْه».

ما الأكل؟ الأكل أن تأخذ موادَّ الطبيعة لتَتحوّل إلى جسمك، كلّيًا، أن تأخذ كلامَ الله الذي ليس منك وليس من طبيعتك ولكنّه عالٍ وعظيم وخلاّب ومُنقذ، أن تأخذه لتجعله منك، من قلبك، بحيث لا يبقى فاصل بين قلبك وقلب الله. هذا ما عَناه الكتابُ الكريم في قوله عن مريم إنها كانت تحفظ هذا الكلام.

وما يعني قولُه إنها كانت تُردّده في قلبها؟ هذا يعني أنها كانت تشتاق إلى هذا الكلام وتمتصّه يومًا فيومًا لكي يصبح إياها وتصير إياه. وعلى وجه التدقيق، هذا يعني أنك لا تأخذ كلمةً إلا مِن فم الله. أنت لستَ مَدينًا لبشرٍ حتى تُنفّذ كلامهم. أنت تُحبّهم، أنت تحتضنهم، ولكنك أنت تعطي كلامك إذ ليس لك كلام، أنت لست بشيء، أنت وعاء أَخذتَ الكلام الإلهيّ. والرباط بينك وبينهم

هذه الكلمة، إذ لم تبقَ أنت من ضيعةٍ ولا من عائلة ولا من عشيرة. أنت لست منهم. هم سيصيرون ليس منك، هم سيصيرون من الكلمة، من الكلمة التي قد تكون نزلَتْ عليك. ولكن هذا لا يتحقّق إلا بشرطٍ أساسيّ: أن تُصبح أنت الكلمة. لا يتحقّق إلا بشرطٍ أساسيّ عَبّرت عنه والدةُ الإله بقولها «أنا أَمَةٌ للرب».

كيف تصير عبدًا لله؟ هذا الذي وصفه إشعياء أنه قد أَخَذَ عاهاتنا، وكشاةٍ سِيقَ إلى الذبح هكذا لم يفتح فاه. لا يمكنك أن تخدم المؤمنين إلا إذا اقتنعتَ في مُخّك أنك لا شيء. هذا هو الشرط. مِن الداخل ينبغي أن تقتنع أنك لا شيء، وأن الله وحده يجعلك شيئًا كلما ابتلعتَ الكلمة يومًا بعد يوم. هذا يعني شيئين: يعني الامّحاء أمام وجه الله. تمحو نفسك. وما يُسمّى في هذه البلاد «أنا عندي كرامة!»، هذا كلام من الشيطان. لك كرامة العبد الذي كان لا شيء في الشرع الرومانيّ. الله، فوقُ، يُسجّل لك مقدار الكرامة التي عندك. هذا شغله هو.

تمحو نفسك أمام الله، وتتواضع أمام المؤمنين كلهم، بلا استثناء، وأنت لا تدين أحدًا ولا تُفرّق بين الناس. ولكن احذَرْ أن يكون للغنيّ مكانة عندك. هذا مؤمن، له مكانة المؤمن، ليس له مكانة الغنيّ. لن يكون للزعيم مكانة عندك. نحن ليس عندنا هذا. كلهم عبيد الله، ولكنه مؤمن وتُعامله كمؤمن. تواضع إذاً أمام كل الناس. وإذا صرتَ هكذا كبيرَ التواضع، يُحسّون أنك لستَ ضد أحدٍ منهم، وأنك تُحبّهم، وأنك حاضنهم. على هذا سِرْ.

عندك أشياء، عندك بعض الأشياء التي تُؤهّلك لهذا. ليس المقام هنا، بعدَ أن تكلّمتُ أنا عن التواضُع، أن أَذْكُر حَسَناتك. هذه رآها يسوع، ليست لي أنا علاقة بها. أنت سِرْ على هذا الكلام الذي كلّمتُك به فإنك به تحيا وتُحيي، وكان الله معك ومع المؤمنين.

الخدمة هي أن ترى يسوعَ وحده

أخي الشماس أثناسيوس،

لقد دُعيتَ إلى الخدمة، إلى الشموسية، فالخدمة معناها على وجه التخصيص، بعد أن كنتَ في علمانيتك تخدم الرب، وقد اتخذتَ اسم القديس أثناسيوس، الخالد اسمه، الذي كان خالدًا في جهاده العظيم، المذهل من أجل استقامة الرأي.

وها إني أودّ أن أَلفتك إلى مَن رتّبه الرسلُ خادمًا أوّل في العهد الرسولي، عَنيتُ به استفانوس. ومِن سيرةِ شهادته أَقتطف بعض الأشياء علّك تُدركها أنت أيضاً في ذوقك ليسوع. قال الكتاب الإلهي عنه «إنه كان مملوءًا إيمانًا وقوة، وكان يصنع عجائب وآيات عظيمة في الشعب».

غير أن اللافت في ما قرأناه عن استشهاده أنه لم يكن فقط قد نُصّب لخدمة الموائد، وهذا كان الغرض من تأسيس الشمامسة آنذاك. غير أنه كان إنسانًا إلهيًا، أو لاهوتيًا. الكلمتان واحدة (إلهيًا ولاهوتيًا). وهذا ما أنت دُعيت إليه، أن تكون إلهيًا. وأبقى في سرد السيرة، إذ يقول سفر الأعمال عن

رسامة نديم (شهوان) شماسًا، كنيسة الظهور الالهي في النقاش، ٤ أيلول ٢٠٠٤.

استفانوس المكلّل «إنه رأى مجدَ الله، ويسوعَ قائمًا عن يمين الله».

وظيفة الإنسان الإلهي هي أن يرى مجد الله فيما يتصرّف في هذا العالم، ويعيش في مهنته وفي عائلته. يسلك في طريق هذه الدنيا كما هي الدنيا حسب قواعدها. ولكنه يظلّ في كل شيء رائيًا مجدَ الله، ورائيًا يسوعَ قائمًا في وسط هذا المجد، أي متجلّيًا إلى الأبد في الكون، ومتجلّيًا في هذا الإنسان الرائي.

وأَكملَ كلامه أمام اليهود «ها أنذا أرى السماواتِ مفتوحةً وابنَ البشر قائمًا عن يمين الله». أي لا يرى إلا ابن الإنسان قائمًا عن يمين الله. وإذا رأى البشر حوله فللخدمة، وليس لكي يَسْحَره البشر، إذ ليس فيهم ما يَسْحَر. وإذا كان رائيًا لمجد الله، متجلّيًا بالمسيح في السماوات، يستطيع أن يعود إلى البشر حاملاً هذه الرؤية ومحاولاً أن يُشركهم فيها حتى يَخلُصوا.

بعد أن رجمه اليهود –وقد تُرجَم أنت، كل خادم حقيقيّ وكبير للسيد لا بد أن يُرجم على طريقة الناس، وتتغيّر الطرق ويبقى الرجم– استفانوس قال شيئين: «أيها الرب يسوع المسيح اقبَلْ روحي». وفي هذا كان يُقلّد السيد على الصليب لما أَسلَمَ روحه بين يدَي الآب. وأخيرًا تلك كانت كلمته الأخيرة «يارب لا تُقِمْ عليهم هذه الخطيئة»، مرددًا أيضًا معنى الكلام السيديّ على الخشبة.

ليس في الخدمة غير ما أتّمه استفانوس للذياكونيّة، أن يرى يسوعَ وحده، كما رآه الرسل الثلاثة على جبل ثابور. رأوه وحده. من هذه الرؤية تأتيك قوة الخدمة. حتى إذا أتممتها تستحق إكليل المجد الذي أَعَدّه الله للذين يحبّونه. وإذا رأيت وجهَ يسوع ومجدَ الله، فليس لك في ذلك فضل. هذه منّة منه عليك. لأنك إن ظننت أن لك أنت شيئًا يأتي منك في هذه الخدمة، يكون تواضعك قد جُرح وتكون قد مُتّ روحيًا. أَصْلُ العطاء أن يكون الخادم حيًّا بيسوع.

ألا أحياك بنعمته القدوسة كل حين ليزداد فرحُنا بك، آمين.

أنت مذبوح لجميع الناس

«الروحُ القدس يحلّ عليكِ، وقوّةُ العليّ تُظلّلكِ»

(لوقا ١: ٣٥)

رسامة منصور (عازار) شماسًا، كنيسة مار الياس في بيت مري، ١٩ حزيران ٢٠٠٥.

أخي الشماس منصور،

يا أحبة،

نبتهج اليوم بأن هذه الرعية المباركة أفرزت من ذاتها خادمًا للرب. سوف يُنتدب إلى هذا المكان أو ذاك، للخدمة، حتى ينيرني الله على ما يجب ان أَصنع به. وهذا يعني أنه يجيء به للخدمة على ما يقول إشعياء «وكشاةٍ تُساقُ إلى الذبح، هكذا لم يَفتح فاه».

ليس من مسؤول في الكنيسة سُلّط على العباد. هو جُعِل ليكون آخِر الناس. بمعنى أنه خُصّص من السماء ليكون خادمًا للناس. لا شأن له في هذه الدنيا، ولا جاه، ولا مال، ولا مكانة الا تلك التي يكشفها الله له في اليوم الأخير.

كنت أَنتظرك منذ سنوات كما تَعْلَم، حتى أَلححتُ أن تعود إلى لبنان لأننا نريدك موزِّعًا للكلمة الإلهيّة في شعبنا. قلتُ: الكلمة الإلهيّة، اذ ليس عندك كلمة، أنت لست بشيء، تبدأ من الصفر، تنتظر الكلمة الالهية حتى تنزل عليك، وتأخذها من هذا الإنجيل العتيق الذي به كل شيء لخلاص البشر، وتأخذها من بهاء الخدمة الإلهية، وتقولها للناس لكي يَنجُوا، اذ قلّة تعرف أنها تنجو بكل التفاتة من التفاتات يسوع ومن حنان الآب ودفء الروح القدس.

ولكن اعلمْ أنّ الكلمة تبقى مطبوعة على صفحات الكتاب إن لم تتحوّل إلى قداسة في لحمك وفي عظامك. نحن لسنا ديانة كتاب. نحن عُشّاق يسوع الذي هو بما أحب وبما مات وبما قام من بين الأموات.

ليس عندك ما تعطي. فاذكُرْ أن بطرس ويوحنا، لما وجدا متسوّلا التمس بضع دراهم، قال له بطرس: «ليس عندنا ما نعطيك، ولكن باسم يسوع قم وامشِ».

انت جئت لتقول للناس: «قوموا وامشوا مع المسيح». كيف تقول هذا؟ تقولها واعظًا. فقد تعلّمت اللاهوت. ولكن هذا لا يكفي. الكلمة الحلوة العميقة الراسخة في الإنجيل شيء كبير، ولكنها لا تكفي إن لم تتحوّل إلى بهاء فيك.

البشر الذين نحن مكلّفون إياهم تعبوا في هذه الحياة من كل شيء، من الضائقة، من أوضاع عائلاتهم ومن الناس. الناس رازحون تحت صليبهم. كيف تخدمهم؟ كيف تكون شماسًا حقيقيًا؟ والشماس كلمة سريانية تعني الخادم. وستبقى خادمًا في ما بعد اذا جعلناك كاهنًا. تخدمهم باللطف، وهذا من الروح القدس. نحن لسنا «درك» لنؤدّب الناس. هذا واجبنا. نحن نحتضن الناس. هذا سيكون صعبًا، اذ يوجد ناس ثقيلو الدم. ولكن هذا شعبنا. يوجد منه هكذا، ويوجد منه خفيف الروح. ولكن عليك أن تحملهم لأنك خادم. انتَ ما جئت لتدينهم. طبعًا يمكن ان تُعلّمهم ببعض الكلمات من الكتاب العزيز. ولكن تُعلّمهم أولاً اللطف، وتسهر على مصالحهم، على قدر ما يمكنك أن تخدم هذه المصالح.

ثم اذا ذُبحتَ كما سيق المعلّم إلى الذبح، فأنت مذبوح لجميع الناس، لا لهذه الفئة أو تلك، لا لهذه الشريحة أو تلك. أنت منذ الآن ليس عندك عشيرة. جبل لبنان هذا منطقة عشائر أتوا عربًا، وبقوا عربًا بهذا المعنى. انت تنتمي إلى المسيح، وتاليا انت تخدمهم ولا تنظر وجوههم.

فاذهب على هذا التواضع، فالتواضع صعب كثيرًا. يقضي الانسان كل حياته حتى يحصّله، لأن كل انسان يحبّ أن يُظهر نفسه أنه يقدر أن يحكي، واذا كانت امرأة جميلة الصورة، أو شخص معه قليل من المال، كلّ واحد يريد إظهار نفسه. هذا التواضع عليك أن تُحصّله، اذ بدونه لا تقدر ان تخدم. عليك أن تقتنع أنك أنت لست بشيء، وأن الكلمة النازلة عليك من فوق هي تُكوّنك بالمواهب التي تعطيك. عندئذ تفيض أنهار ماء حيّ من جوفك.

اذهبْ على بركات الله وهداه، متّكلاً على نعمة الروح القدس التي أخذناها في هذا اليوم. امتلئ من الروح القدس حتّى تعطيه للناس. الا كان الله معك ومع إخوتنا ومع أخواتنا في هذه الرعية المباركة. التصقْ بيسوع وامشِ، آمين.

الخدمة استقلال عن العالم

«كنتُ جائعًا فأطعمتموني»

(متى ٢٥: ٣٥)

أخي الشماس ديمتري، يا أحبة،

شأنُ الشماس –كما هو معنى اسمه في اليونانية– أن يكون خادمًا. وهذا أعظم شرف يُعطى لإنسان، «لأن ابن الانسان ما جاء ليُخدم بل ليَخدم ويبذل نفسه فداءً عن كثيرين».

أن تخدم الآخرين يعني أن تكون لا شيء، أن تكون عند أقدامهم. هذا شأن الخادم. أن تكون عند أقدامهم يعني أن تغسل أرجلهم. فهذا ما صنعه المعلّم. أن ترفع شأن الناس في يسوع المسيح، أي إنك تضعهم في قلب يسوع المسيح، هذا اذا اعتبرتَ أن المسيح هو كل شيء، لا يُضاف عليه ولا يوضع إلى جانبه شيء، ولا يُقارَن به أحد.

رسامة ديمتري (شويري) شماسًا، كنيسة القديس نيقولاوس في بلونه، ٢٦ شباط ٢٠٠٦.

اذا خُطفتَ إلى يسوع، كل شيء يسهل لك، وعندئذ لن تكون

أسيرًا لشيء. أنت إنسان متزوج. لن تكون أسيرًا للجنس. تعيش حسب القاعدة والشريعة. أنتَ تحتاج إلى مال لإعالة ذويك، تعطيه بلا حساب لذويك وللفقراء، لأنك أَدركتَ أن المال ليس بشيء، وهو الإله الذي يعبده البشر. ينبغي أن نتروّض على أنّ كل ما في أيدينا وفي جيوبنا وفي أدمغتنا ليس بشيء، وأن ربك هذا الذي أَسلمتَ له اليوم مجدّدًا هو الذي يُحييك ويُغنيك عن كل شيء.

تسألني: اما اولئك الذين حولي، عائلتي وأصدقائي، وأبناء الرعية؟ فمن هم؟ تبدأ بأن تستغني، بأن لا تتعلّق، بمعنى أن لا تُقيَّد، ولا تؤسَر بأحد، عندئذ تفهم أن الناس هم الدنيا، هم الكون، هم كل شيء، لأنك بتَّ غير سجين لهم. عندما تستقلّ فقط عن إنسان تستطيع أن تخدمه. واذا استقللتَ عن المال تستطيع أن تعطيه للمعوزين بدءًا من عائلتك والرعية. ولذلك قال السيد في إنجيل اليوم: «كنتُ جائعًا فأطعمتموني (وبقية الكلام الشبيه) كنتُ عريانًا فكسوتموني». أي إنك، يا مسيحيّ، اذا أطعمت الجائع، فهذا يكون ممثلا للمسيح، يكون المسيح قد حضر أمامك. المسيح اليوم في السماء ولا نراه. غير أنه قال: كنتُ جائعا فاطعمتموني، أي إنك ترى السيد المبارك في وجه هذا الفقير الذي يموت أولادُه جوعًا أو لا يستطيعون أن يذهبوا إلى المدرسة.

أنت تُعامل المسيح بالصلاة وما إلى ذلك. ولكن أنت تُعامله أولاً اذا جعلتَ نفسك عند أقدام هذا المتسوّل الذي هو في حاجة اليك، وهذا العريان وهذا السجين وهذا المريض وما إلى ذلك. تتوجد انت من العطاء، من الانتباه، من الالتفاتة إلى الآخرين. ليس عندنا سبيل لنتعاطى مع المسيح الا اذا تعاطينا مع الجائع ومع السجين ومع المريض، هؤلاء هم أصدقاء يسوع بالدرجة الأولى، هم المميَّزون عنده.

هكذا، ديمتري، تستطيع أن تكون خادمًا لتستحقّ هذه الدرجة التي أُعطيتَها الآن. هكذا تُلامِسُ قلبَ المسيح. واذا شاء، ففي اليوم الأخير يُجلسُك قريبًا من العرش. اذا أَردتَ أن تَدنو من العرش الإلهي بعد قيامتنا، لن يكون عندك عرش هنا، تَقْبَلُ أن تكون لا شيء هنا. واما اذا احتجّت عليك الرعية أو شتمَكَ فلان –هذا موجود عند الروم–، فتُحسّ انك مُكرَّم لأنك تكون قد قُربتَ من ذلك الذي شتموه وسحقوه وعلّقوه على خشبة، ولكن لم يكونوا يُدركون أنه بعد ثلاثة أيام يقوم، آمين.

أنت مَدعوّ إلى الانصلاب

«ومسَّتْ هُدبَ ثوبه»

(لوقا ٨: ٤٤)

أخي الشماس روبير،

رسامة روبير (سيمون) شماسًا، كنيسة ميلاد السيدة في منصورية المتن، ٢٩ تشرين الأول ٢٠٠٦.

في إنجيل اليوم (لوقا ٨: ٤١-٥٦)، جاء أن هذه المرأة الكنعانية الوثنية لم تجرؤ أن تتقدّم إلى السيّد وبقيت خَلْفَه، ومسّت هُدْبَ ثوبه، فبرئت في الحال. تلك هي الخدمة: أن نلمس السيد. الذين دعاهم يسوع ليتبعوه متخصّصين، مخصّصين أوقاتهم وروحهم لخدمة كلمته، هؤلاء لن تقوم لهم خدمة ما لم يُلامسوه من خلف، متواضعين. ولكن ينبغي أن يلمسوه لئلا يكونوا على لا شيء. كل عمل في هذه الدنيا وفي الكنيسة إما يكون خارجيًا سطحيًا، تنظيمًا، قانونًا، أو يكون روحًا مسكوبةً على قدمَي المصلوب لتنعتش هي بدورها وقد تَمُدّ المؤمنين بالروح القدس، فينوجدوا.

لقد عرفناك طوال سبعة عشر عامًا خادمًا معنا في المعهد والمطرانية

بكل أصولية وأمانة وإخلاص، وما كان عليك شكوى تُذكر. خِدمَتك اليوم نرجو أن تكون استمرارًا لهذا الإخلاص. فإنك قد رأيت يسوع. ومن رآه لن يقدر أن يغضّ الطرف عنه. إنّ عينيه مصلوبتان على هذه الخشبة الخلاصيّة، لكي يبقى ويستبقي الآخرين في عبادة المصلوب.

لقد سمعتَ الصلاة التي تلوتُها، فيما كانت يدي على رأسك، تقول: «لكي يصير هذا - الشماس الجديد- خارجًا عن كل خطيئة». من يقدر أن يكون خارجًا عن كل خطيئة؟ ولكن الأمر موضوع أمامك وأنت مأمور لكي تصير خارجًا عن كل خطيئة. الذي ربَطَ نفسه بيسوع فقط يستطيع أن يحاول أن يكون خارجًا عن كل خطيئة ليُعطي الحق الذي تَنزّل عليه، لكي يَمُدّ الآخرين بالطهارة، لكي يُغذّيهم بالكلمة الذي كان في البدء، حتى يصير كلٌّ منهم كلمة، حتى يَبطُل أن يبقى جسدًا، ويصير كلمة، أي كلمة يسوع السائرة في العالم لتُحييه.

ولكن اذكُرْ أن في تصنيف الفضائل عند آبائنا لا شيء يعلو التواضع. نحن لسنا أصحاب سلطان. لأهل الدنيا سلطة. فقد قيل في الكتاب العزيز: «ما جاء ابنُ الإنسان ليُخدم بل ليَخدم ويَبذُل نفسه فداءً عن كثيرين». إنِ استطعتَ أن تصِل إلى رؤية التواضع هكذا يرفعك الله، وتصبح صاحب سلطان التواضع، وليس سواه من سلطان، أي إنك تغدو قادرًا على المحبة. المحبة تعني القناعة بأنك لست بشيء وأنّ نفسك مسكوبة هكذا لإعلاء الآخرين وإنعاشهم. هذه وصية الكتاب العزيز.

واذكُرْ ما قاله الله لحزقيال: «خذ هذا الكتاب وكُلْه». أي صِرْ أنت كتابًا. كُلِ الكتابَ من الدفّة إلى الدفّة ليصير كلّ مؤمن كتابَ الله. وهكذا تكون قد حقّقت الشموسيّة الخادمة إلى أن يكشف الله لك خدمةً أعظم. وفي كل حال، لا تنسَ أنك لستَ أفضل من السيّد، وأنك تاليًا مدعوّ إلى الانصلاب حتى ترنو إلى القيامة، آمين.

الخدمة قدوة

«تكفيك نعمتي، إنّ قوّتي بالضعف تكمن»

(٢كورنثوس ١٢: ٩)

رسامة ميشال (أبو حيدر) شماسًا، كنيسة ميلاد السيدة في منصورية المتن، ١١ تشرين الثاني ٢٠٠٦.

أخي الشماس ميخائيل،

أرتجف مرتين عندما أُقيم الخدمة الإلهيّة: المرة الأولى، عندما أقرأ: «ليس أحد من المرتبطين بالشهوات واللذات الجسدانيّة مستحقًا أن يتقدّم إليك أو يدنو منك أو يخدمك يا ملك المجد». وكثيرًا ما راودتني الفكرة، عند تلاوة هذه الكلمات، أن أترك المذبح وأخرج إلى خارج. والمرّة الثانية، أرتجف عندما أقرأ عن السيّد المبارك في الكلام الجوهري «إذ أَخذَ (هو) خبزًا بيديه المقدستين الطاهرتين البريئتين من العيب». وعند ذاك، أُحسّ بأنّ يديّ أنا لا تستطيعان أن تُقرّبا القرابين الإلهيّة.

إسمك «ميخائيل» ورد في سفر دانيال، وهو يعني «مَن مِثْلُ الله؟». وحامل هذا الاسم أمام تحدٍّ ودعوة. أما التحدّي فهو أنّ يدَيك

غير بريئتين وغير طاهرتين، وأنك لا تزال من تراب، فكيف تدنو من جسد الرب؟ أما الدعوة في هذا الاسم فهي قول الرسول العظيم لمّا تعبَ وقال: «طلبتُ إليه ثلاث مراتٍ أن تُفارقني ، فقال لي، إنّ قوتي في الضعف تكمن» .

والانسان تراب أي لا شيء، ومع ذلك تأتي به الكنيسة لتجعله خادمًا لها، مخصَّصًا . أن تصير مثل الله –ولن تصير–، هذا هو التحدّي. غير أنّ الذي قال «من مثل الله» هو إياه الذي قال: «كونوا قديسين كما أني أنا قدوس» . «قدوس» تعني باللغة العربيّة المنفصل عن هذا العالم والمأخوذ إلى حظيرة المسيح ليكون فقط للمسيح. ينبغي أن يتروّض المؤمنون عندنا أنّ الكاهن إنسان خاطئ مثلهم، وأنهم مدعوّون إلى أن يغفروا له خطاياه. وينبغي أن يفهموا أنّ صِلَتهم هي بالمسيح، كائنًا من كان هذا الأسقف أو الكاهن. ومع ذلك، أَمَرَنا الرسول الأكرم بأن نتشبّه به كما تَشَبَّه هو بالمسيح، وكأنّه يوحي بأنّ الناس يأتون إلى السيّد بواسطة الناس أو بقدوة الناس، أو لأنهم يَرَون بشرًا طاهرين أمامهم أو يحبّون الله ولو لم يكونوا طاهرين بالكليّة. ولا يَقبلون بالشِرك. كل الخطيئة هي هذه أنّ كُلاً منّا تُخالطه أفكار من هذا العالم ويشتهي هذا العالم، هذا بطريقة، وذاك بطريقة. ولكن المؤمن الجيّد هو مَن اذا خاطبَ قلبَه يقول له: كُفَّ هذه الأشياء التي أتتك مِن جسدك ومِن شهواتك ومِن هذا العالم ومِن حُبّ السلطة ومِن حُب الأغنياء . كُفَّ هذا، اذ ليس من شِرك، لأنّ الذي يتحدّانا باسم ميخائيل، «مَن مثل الله»، هو أيضًا يقول «كونوا قديسين –أي انفصِلوا– كما أنا قدّوس» .

أجل، ستقول: هؤلاء المسيحيون عندهم الخدمة الإلهيّة، ويتقدّسون بها . لماذا يضغطون عليّ لكي أكون إلهًا ؟ لماذا يُحاسبونني كل يوم لأني لست إلهًا ؟ لماذا ينظرون إلى عيوبي؟ انت لا تستطيع أن تتّكل على فهمهم. فمنهم مَن فهِم، وأكثرهم لا يفهم. وينتظرون منك أن تكون إلهًا . لذا يجب أن تكون، وإلا هَلكوا في خطاياهم.

هذه –اذا صحّ تعبيري– المغامرة التي غامرها السيّد . هو يعرف أنّ البشر فاسدون –بدءًا من المطارنة–، ومع ذلك سَلّمَهم نفسَه إلى الأبد . سلّمهم إنجيلَه، وليس أحد يعرفه. سَلّمَهم جسده

ودمه ليقتربوا إليه باستحقاق، وليس أحد منّا مستحقًا أن يتقدّم منه. وهم يقتلونه. المسيحيون يقتلونه. ورأى هذا بولس. عليك أن تعلم، أن تُعلّمهم أن يحاولوا ألا يقتلوا المسيح.

مختلط أنت بأوساخهم وبأوساخك، ولكن اذكُرْ أن ليس حقٌ في الشِرك وأنّ يسوع هو وحده الحبيب، آمين.

استقِلَّ عن الأرض وما فيها

«إنّ عينَي الأَمَةِ إلى يدَي سيدتها»

(مزمور ١٢٢: ٢)

رسامة أسعد (اليوسف) شماسًا، كنيسة سيدة النجاة في جبيل، ٢٦ تشرين الثاني ٢٠٠٦.

أخي الشماس يوحنا مرقص،

أردنا أن نُسمّيك باسم ذلك الرسول الذي أنشأ المسيحية في هذه المدينة، لتخدم المؤمنين فيها. والسؤال هو كيف تخدمهم؟ أو بأية روح تخدم؟ قد يكون الجواب عن هذا في هذه الآية من الكتاب العزيز «إنّ عينَي الأَمَةِ إلى يدَي سيدتها». يعني أن الخادمة تنظر إلى معلّمتها التي تصنع لها إشارة بإصبعها كي تُنفّذ. عمل الخادمة في المنزل أن تُنفّذ. وهذا ينقلني إلى تأمّل والدة الإله التي تحتضن هذه الكنيسة منذ قرون طوال، وترعى هذه الرعية. وقد أردنا أن تكون رسامتك أياما معدودات بعد عيد دخولها إلى الهيكل لأقول في هذا شيئين:

إن مريم، ولئن دخلت إلى هيكل أورشليم، الا أنها كانت هي

الهيكل. وهُدم هيكل أورشليم في السنة ٧٠ بعد الميلاد، وبقيت هي هيكل الله معطية المسيح إلينا إلى الأبد. هذا يقود إلى تأمُّل بشارتها حيث قال لها الملاك إنها ستحبل وتلد ابنا. كيف ستحبل؟ هذا لم يحصل للبشرية إطلاقا أن تحبل امرأة بلا مشاركة رجل. كيف سيكون هذا؟ قال لها الملاك إن هذا سيكون بحلول الروح القدس عليك ولكون نعمة الله تظللك، أي تجعلك مظلّة، خيمة للمجد الالهي. لم تفهم، وأُكرّر أنها لم تفهم، وأنتم وأنا لا نفهم. ولكنها قالت أنا عبدة للرب، فليكن لي حسب قولك.

أنت عبد للرب، وسيكون لك كل ما طلبته حسب مشيئته، أي اذا استعبدتَ نفسك للسيد، وما كانت لك إرادة غير إرادته المحفوظة لنا في الانجيل.

الشماس لفظة من هذه البلاد تُترجِم الكلمةَ اليونانية «خادم». كيف تخدم؟ هل ستكون خادما؟ مِن المرجوّ عند هؤلاء الإخوة الذين اجتمعوا اليوم، وبعضهم كان هنا لتكريمك أو لشكر الله الذي أكرمك. ستُطيع أنت الله اذا فتحتَ هذا الإنجيل من الدَفّة إلى الدَفّة، وتبنَّيت كل حرف فيه لكي تُفكّر حسب الإنجيل وليس حسب رغباتك. فاذا فكرت حسب الإنجيل تصبح أنت بدورك إنجيلا طاهرا، أي يقرأك الناس، يقرأك الناس حسب سلوكك، يقرأونك فيعودون إلى يسوع.

هذه هي الخدمة أن تكون لاشيء. أن تكشف المسيح من قلبك وفي تصرفاتك وكلماتك وعفّتك ونزاهتك عن كل الأرض. استقلالك عن الأرض وما فيها، اذ المقول في الخدمة التي أَقمناها ونُقيمها في كل أحد: «ليس أحد من المرتبطين بالشهوات واللذات الجسدانية مستحقا أن يدنو منك يا ملك المجد».

اذكُرْ، ما وقفتَ هنا أمام المائدة الخلاصية، اذكُرْ أنك غير مستحق. لقد قلناه الآن من أجل التمنّي والدعاء، ومن أجل مصادقة الرعية المباركة على هذه الرسامة. ولكن اذكُرْ انك اذا ارتبطت بالشهوات العالمية والمجد الباطل وأية شهوة أخرى، اذا ارتبطت فلستَ مستحقا أن تدنو من المذبح المقدس. طبعا أنا مسنّ جدا حتى أفهم أن الانسان مرتبط باللّذات وبالمجد الباطل، ويحب هذه الدنيا

ونفوذها . ولكن علينا أن نسعى اذا عاهدنا يسوع أن نرتبط به وحده. واذا ضَعُفْنا أو سَهَونا أو نَسِيْنا أنه هو العريس الوحيد، نعود ونتذكّر أننا ارتبطنا به وحده. وبذا تكون خادما . الخدمة في النفس، فالنفس تتجلّى. لذا أدعو الله الآن بعد أن أُقمتَ رسوليا شماسا في كنيسة الله، أدعو الله أن يعضدك ويحتضنك ويُباركك في كل حين لكي تكون بلا عيب. هذا طبعا غير موجود، ولكن الرسول قال فيما كان يكتب إلى تلميذه تيموثاوس: «ليكن الأسقف بلا عيب، بلا لوم». جاهِدْ لكي تصبح بلا لوم. أرجو أن تصل إلى هذا عندما تموت، لأننا عندئذ نستر وجهك بستر القرابين لنوحي على الرجاء أنك صرت قربانا لله، وهذا لا يُدركه أحد . ليس أحد منا قربانا لله، ولكننا نسعى، نسعى. اسعَ أنت، حتى اذا نظر اليك يسوع المبارك عند موتك، لا يرى فيك ترابا، ولكنه يرى أنك صرت ضوءه، آمين.

كمّلِ النقصَ الذي فيك

أخي الشماس نقولا،

أَلهَمَني الله أن أُعطيك هذا الاسم لتتشبّه بشفيع هذه الرعية، لتصبح قانونا للإيمان، ومثالا، بحيث تُورِثُ إيمانا يوما فيوما، بحيث تتعلّق باستقامة الرأي وتَدحض البدع والأفكار المغلوطة الشائعة بين الناس، ثم تصير مثالا في الإمساك والعفة.

وما أقوله للكهنة في موضوع العفة، أقصد، أُريد بالدرجة الاولى العفّة عن المال. فالمال يُبعد الانسان عن الله حسب قوله المبارك. عليك أن تتصدق بقدر إمكاناتك على الفقراء.

رسامة ضاهر (جرداق) شماسًا، كنيسة القديس نيقولاوس في شرين، ٦ كانون الأول ٢٠٠٦.

ثم لا تنسَ أن كلمة شماس تعني الخادم. ثلاثة رتب في الكنيسة للخدام: رتبة الشماس، ثم القسيس أي الكاهن، ثم الأسقف. كل هؤلاء مَدعوّون إلى الفضائل على أنواعها، ومَدعوّون إلى العلم. لم يبق في عصر العلم هذا من إمكانية أن يؤتى بكاهنٍ لا يعرف أن يُعلّم وأن يُرشد، لأن هناك أفكارًا مغلوطة عند الناس. الخدام مَدعوّون إلى رفع فهم الإيمان

وشرحه. فأنت مدعوّ أن تُكمل النقص الذي فيك، أن تقضي ساعات من النهار في هذا.

قبل كل شيء، وفوق كل شيء، المسيحية هي التواضع. هذا لا يصل اليه الانسان بصورة كاملة في حياته، لأن التواضع الكامل أن تقتنع أنك لا شيء، لأن الرعية لن تصير متواضعة وتتنكّر للكنفشة. لا تقدر أن تُهذّب الرعية إلى أن تقتنع أنك لا شيء. أريد أن أُذكّر بالخدمة التي قمنا بها. قال لك الاسقف: «أنت أيها السيد احفظ بالتهذيب الكامل عبدك هذا». يعني هذا عفّة اللسان، اذ يوجد في الكنيسة مَن يَشتُمون بعضُهم البعض. أنت تتكلّم عن كل إنسان كأنه ملاك.

طلبنا لك ضميرًا طاهرًا. طلبنا من اجلك نعمة الخدمة: «واجعلْهُ عبدا لك كاملاً». ماذا يعني عبدًا لك؟ في نظام العبودية، العبد ليس له إرادة. هو يُنفّذ إرادة معلّمه. أنت تُنفّذ كلمة الإنجيل. ليس لك رأي خاصّ. رأيك يأتي من الإنجيل، تفسّره، وتُلطّفه. وطلبنا لك ايمانا ومحبة وقداسة. طلبنا لكي يصير هذا ايضا خارجا عن كل خطيئة. هذا مثال أعلى تصبو أنت اليه. ليس من عذر للخاطئ. عليك أن تتمسّك بكل أنواع الطهارة.

لا نقدر أن نراعي أصحابَنا وأهلَنا. منذ هذه الساعة، كل هذه الرعية هي أَهلك. طبعا تُعنى ببيتك. فأنت خادم للكل وخارج عن كل خطيئة. تحفظ العدل حيث تكون، والباقي مفتوح أمامك. الشماس نقولا سيبقى فترة شماسا ليعرف أن يصير كاملاً في الخدمة الالهية، وتامًّا في الأخلاق، فهو حاصل على هذا. الله معك.

أنت مملوكٌ مِن الله

«المجد لله في العلى وعلى الارض السلام وفي الناس المسرة»

(لوقا ٢: ١٤)

أخي الشماس الياس،

نشيد الملائكة للرعاة هذا فيه شيئان، أوّلهما: «المجد لله»، وثانيهما: «وعلى الارض السلام»، مما يعني أن بدء تَنَفُّسنا هو أن نُمجّد الله، أن نُعليه، ليس فقط فوق كل مخلوق، ولكن أن لا نُعلي مخلوقا إزاءه. أن نكون في دوام التسبيح ودوام الدعاء لأننا نجيء من صلاتنا، «لأن الروح القدس هو يشفع فينا»، هكذا يقول الكتاب. الإله الذي استدعيناه لحظةً هو الذي يدفعنا إلى التوجُّه اليه في كل صلواتنا. ومعنى ذلك أنك مختلٍ فقط مع الله، ولست مختليًا مع مخلوق إلا لإعطائه المحبة. ولكنك في خلوة دائمة مع الله، زاهدا بكل هذه الدنيا إطلاقا أي غير متعلّق بمخلوق، ولكنك مبذول حبا للخلائق كلها. انت حر منها تستعبد نفسك لها بالمحبة.

رسامة ايلي (ضاني) شماسًا، كنيسة رقاد السيدة في الحيدثة، ٢٤ كانون الأول ٢٠٠٦.

بعد هذا يأتي كلام الله: «وعلى الارض السلام». الدنيا معظم تاريخها حروب، ليس فيها سلام. نطلب مع ذلك السلام لأنه في البدء كان القتل. قتل قايين أخاه هابيل. ما تستطيع انت أن تُقدّمه لهذه الإنسانية القتّالة المجرمة هو السلام الذي في داخلك، سلام المسيح، علّها تفهم وعلّها تهتدي. وسلام المسيح يعني أن نُصالح الله. أن نُصالح الله يعني أن لا نكون مُصالِحين لأية خطيئة. وهذا ما قلته لك في الصلاة: أن لا نكون مُصالِحين أية خطيئة تأتي أو لا تأتي، تَدخُل سهوًا، واذا دخلَتْ تَقطعها، لأننا عاهدنا الله على أن نكون له.

في هذا اليوم المعَدّ لميلاد السيد، سمعنا ان المرأة التي وَلدت يسوع عذراء، لأن ابن الله ما أراد أن يكون في خلاصه مديونًا لأية شهوة بشرية. ما معنى عذرية مريم بالنسبة اليك؟ العذراء هي التي لم تتقبّل عطاءً جسديا مِن رجل. اذا أَسقطنا هذا على المستوى الروحي، نقول: إنك لن تتقبّل شيئًا من هذه الدنيا، لا تزرع الدنيا فيك شهوة، وتتقبّل كل شيء من الله لأنك عاهدتَه أن تكون فقيرا اليه. الفقير هو الذي لا يملك شيئًا . وانت مملوك من الله، وحسبك من بعد هذا أن تحاول ألا تشتهي شيئًا من هذه الدنيا، لا مالاً ولا مجدًا ولا سلطة، وأن لا تكون حسّاسا لأيّ مديح. يجب أن تقطع ألسنة الناس الذين يمدحونك لأن هذا من الشيطان. فلتمشِ أمام الناس في هذه العذرية لتصل إلى حيث وصل. هو وصل إلى موضع واحد، إلى الصليب الذي عنده نبتدئ. نحن ابتدأنا في الجلجلة. واذا استطعتَ أن تصل إلى تلك التلة في روحك المجاهدة، سوف تذوق القيامة.

أَدهشَني منذ بضع سنوات ما نقوله في الخدمة الإلهية لله: «إنك أعطيتَنا مُلكَك الآتي». كيف يأخذ انسان شيئًا لم يوجد بعد، آتيا؟ طبعًا، هذه مفارقة المسيحية أنها تقول قولاً يفوق العقل. تقول: يكتمل الملكوت بعد مجيء المسيح الثاني. ثم تقول: هذا الذي سوف يأتي، نأخذه نحن من القرابين المقدسة. هذا هو الملكوت. وحسب ما قال أحد القديسين: هذا هو النهار. القربان هو النهار. ومعنى ذلك في المصطلح اللاهوتي أنه النهار الذي لا يَليه ليل. بعد القربان ليس من ليل. ولكن هذا له شروط، أن تسلك في التواضع، في الغربة عن هذا العالم، في معاهدة الثالوث القدوس أنك تبقى له.

بكلمةٍ، أن تصبح خادما بالمعنى القديم الإغريقي للكلمة: أنّ الخادم ليس له إرادة، يشير اليه سيده بأصبعه فيأتي ويذهب.

بعد أن تتقبّل المناولة الالهية في كل ذبيحة تعرف انك عبد، بمعنى أنك استَعبدْتَ نفسك ليسوع، ولن تبقى فيك -وهذا يتطلب سنوات عديدة من الجهاد- رغبةٌ في هذه الدنيا، ولكنك من أجل كل واحدٍ منها، تموت اذ كانت الجلجلة هي المنطلق.

قائدك هو المسيح

أخي الشماس نعيم،

لما كان يوحنا ويعقوب ابنا زبدى ظنّا، أو ظَنّتْ أُمّهما، أن يسوع الناصري جاء ليكون مِلكًا محررًا لبلاده من نير الرومان، طلبا إليه أن يكونا وزيرين، واحدًا عن يمينه، وآخر عن يساره. فقال لهما: عُظَماءُ الأُمم يسودونهم، وملوكُهم يتسلّطون عليهم، وأما أنتم فلا يكون فيكم هكذا، بل مَن أراد أن يكون الأول فليكن للجميع خادمًا.

رسامة نعيم (حداد) شماسًا، كنيسة القديس جاورجيوس في عين داره، ٩ أيلول ٢٠٠٧.

وأنت جعلناك اليوم شماسًا، وهي تعني الخادم. خادمًا في العبادات، طبعًا هذا واضح، ولكن خادمًا في قلبك، وهذا لا يعرفه الأكثرون. أي إن نظْرَتكَ للناس تأتي من رؤيتك للحياة الأبدية وإلى مصير الناس للملكوت. ولذلك أكابر القوم لا يَعنُون لك شيئًا سوى أنهم أبناء رعيتك. طبعًا لا تُهملهم، وتُعنى بالكل العنايةَ الواحدة. ولكن قلبك لن يكون مسحورًا بهم. بمن تُسحَر؟ تُسحَر بالفقراء والمرضى والمقهورين والمسحوقين. إنك خادم لهؤلاء بالدرجة الأولى لأن سيدك قال: المساكين يُبشَّرون. غيرهم لا يرى

حاجةً ليُبشّره أحد. ولكنك ستَجعل في الكل حاجةً إلى أن يُبشَّروا بكلمة الملكوت. وقد خَتَم ربُّنا قولَه في هذا الإصحاح من مرقس: «ما جاء ابنُ الإنسان ليُخدم بل ليَخدم ويبذل نفسه فداءً عن كثيرين».

في المقام الذي صرتَ أنت فيه اليوم، قد لا تكون أمام إغراءات كثيرة. ولكنك ستعرف الإغراء إذا صرت كاهنًا. ستعرف إغراء المال، وتدفعك شهوتك إلى أن تتقرَّب من أغنياء الرعية، وليس لهم امتياز فيها. في ملكوت يسوع الناصري ليس من امتياز لأحد. إنه للفاضلين من القوم.

إغراء المال كبير لأن الإنسان يَصطَنع لنفسه أوهامًا. يجب أن يرتاح وترتاح عائلته وأولاده إذا كانوا كثيرين، وأن يدخلوا الجامعات الخاصة وما إلى ذلك من وسوسات الشيطان. ولأن الكاهن مبدئيًا ضعيف الموارد تنشأ هذه الوسوسة في قلبه حتى يتقرّب من ذوي المال. سوف تُبعِد هذه التجربة عن نفسك لأني أَعرفُك، وأنت جئتَ إلى هذه الخدمة محبةً بيسوع المسيح.

هذه ليست الإغراء الأكبر. الإغراء الأكبر في الحياة، عندنا جميعًا، هو إغراء السلطة -أُريدُ بذلك إغراءَ التسلُّط على الناس-. مرة كنتُ أُكلّم جنرالاً في الجيش. قلتُ له: أنت جنرال في الثكنة، ولستَ جنرالاً في عائلتك. إذاً لستَ متسلّطاً على أحد.

والإغراء الذي أُلاحظه هنا وهناك -والحمد لله ليس كثيرًا عندنا- هو أن الخوري يريد أن يصير مطرانًا. وضعْفك العائليّ لا يسمح لك بأن تصير مطرانًا، فلا تشتغل مطرانًا، بل اعمَلْ بشكل بسيط، ككاهن بسيط عاديّ قائدك هو المسيح.

قيل لي مرة: متى رُسمتَ أسقفًا؟ قلتُ للذي سألني: لا يصير المرءُ مطرانًا برسامته. يصير مطرانًا يوم يموت، بمعنى أن كل حياته خبرة يتعلّم فيها كيف يخدم الناس، كيف يَعِظُهم، كيف يُبشّرهم ويرفعهم إلى يسوع وما إلى ذلك.

هذا بدء خدمتك. الخدمة تتطلب منك حياتك كلها. ليس في الإنجيل كلمة سلطة بمعنى الحُكْم على الناس، بل في الإنجيل كلمة سلطان بمعنى القدرة: «كل سلطان أُعطيَ لي من السماء،

فاذهَبوا وتَلمِذوا . . .» . نحن لا نتحكّم بالناس. فلا تقُلْ للمؤمنين كل ساعة: أنا خوريكم فاحترموني وأَحبّوني! لا تطلبْ لنفسك مديحًا ولا تعظيمًا ولا شيئًا . إذا استمرّوا في ألاّ يحترموك، هذا شأنهم. أنت تُرشدهم شيئًا فشيئًا بكل نعومة وبكل لطف، وتصلّي من أجلهم وتحتضنهم وتغفر لهم دائمًا . ليس كل الناس يعرفون شرف الكهنوت مع أنهم وُلدوا في كنيسة الرب. لا تطلبْ شيئًا لنفسك.

إذًا أنت هنا معنا في هذه الخدمة الشاقّة. عليك أن تحتَمل. ليس بالقدْر الذي أَحتمله أنا، لأنك، كلما علَتْ رُتبتُك، عليك أن تحتَمل أكثر. عليك أن تتحمّلهم لأنهم خراف المسيح. فهموا أَم لم يفهموا، صاحوا أَم صرخوا، هذا لا يهمّ. اغفِرْ لهم كل هذا. أنت تُنير وتُرشد باستمرار، وتحبّ باستمرار. أَحَبّوك أَم لم يُحبّوك، هذا شأنهم. إذا وصلوا إلى درجة معيّنة من الفهم، يحبّونك، وإذا كانت الدرجة صغيرة، لا يحبّونك. أنت ليس المطلوب منك أن تدعوهم ليحبوك، بل المطلوب أن تُحبّهم أنت. يتقبّلون هذه المحبة أو لا يتقبّلونها، هذا شأنهم. الله يدينهم. ولكن ليس عندنا سلوك غيرُ سلوك يسوع الذي قال: «ما جاء ابنُ الإنسان ليُخدم بل ليَخدم ويَبذل نفسَه فداء عن كثيرين» .

باركَكَ اللهُ تبريكًا كبيرًا مع زوجتك وطفلتك ومع الذين سوف تخدمهم في هذه الرعية مؤقتًا إلى أن أخطفك عن أهل عين داره وأُقيمك مسؤولاً في مكان آخر .

ألا كان الله معك إلى أبد الآبدين، آمين.

لا تستطيع أن تحب أحدًا ما لم تكن محبًا ليسوع

أخي الشماس عماد،

في القراءة الإنجيلية اليوم (لوقا ٥: ١-١١)، بعد أن أخذوا هذا الصيد العجيب، قال السيد لسمعان بطرس: سأجعلك صيادًا للناس. وبعد هذا، قال الكتاب: وتركوا كل شيء وتبعوه.

أنت الآن مزمع أن تترك كل شيء في عشق الدنيا وتتبع المعلّم. طبعًا هذا نداء لكل مسيحيّ، لأن المسيحيّ له حب واحد وهو يسوع. محبّات هذه الدنيا في الصداقة والعائلة وما إلى ذلك، هذا أمر مفروغ منه، وطبيعيّ، وقدّسه الله. ولكن المركز ليس العائلة ولا الأصدقاء. المركز هو يسوع.

أكّد أهلك وعرّابك في المعمودية أنك له، وها أنت تعي هذا الأمر الآن، وصمّمتَ بوعيٍ كامل أن تكون له. وهذا يتطلّب عطاءً كبيرًا، ألاّ تُشرك فيه شيئًا من هذه الدنيا، إذ لا يضاف شيء على يسوع. زوجتك وابنك وأهلك والرعية التي ستُنتدب لها، كل هذا هو تحت المسيح، هو دون المسيح. ولكونك أحببتَ المسيح، تحبهم. لا تستطيع أن تحب أحدًا

رسامة عماد (معوّض) شماسًا، كنيسة القديس فوقا في كفرحلدا، ٢٣ أيلول ٢٠٠٧.

إن لم تكن محبًا ليسوع. ليس صحيحًا أن الرجل يحب امرأته إن لم يكن محبًا ليسوع. بلا يسوع، هو يستغلّها ويستخدمها . من المسيح ننطلق إلى محبة الناس. وتكون محبتنا لهم صافية ومباركة وطاهرة. وهذا عليك أن تغذّيه طوال حياتك.

في المرحلة التي فيها أنت الآن، أعني المرحلة الأولى في الخدمة، دأبك أن تقتنع أنك لا شيء. مَن ظنّ أنه شيء فهو لا شيء. معنى ذلك أن المسيح يصبح هو كيانك. ترمي الأنا هذه القتّالة لتجعل السيد في داخلك فيوجّهك ويُنميك ويحبّك وتحبه. وفي عمق الحب الكبير، تصبح إياه، ويصبح إياك.

المطلوب إذاً أن تتروض على التواضع، لأن مَن تواضَع فقط يستطيع أن يصبح خادمًا للناس. وأنت صرتَ الآن -منذ الآن- خادمًا لكل الناس، أي تُحاول أن تجعل منهم عاشقين للمسيح.

في المرحلة التي ستبقى فيها، عليك أن تدرس. أنا حتى هذه السن أدرس كل يوم. عليك أن تدرس. لا يأتي الإنسان من بيت أبيه، وهو غير متعلّم، ويُصيَّر كاهنًا . هذا كان من الماضي، وكان يحصل قبل ستين أو سبعين سنة بسبب الجهل. وهذا لم يعد مقبولاً. معنى ذلك أنك تنكبّ على الدرس، على تمحيص الكتاب الإلهي والكتب الروحية الأخرى. ومعنى ذلك أن تتعلّم اللغة العربية أيضاً، فالكاهن يعظ فيها . فبلدنا يتكلم العربية، وأنت تتكلم مع الناس بالعربية. لا تقدر أن تتكلم بعربية رديئة ليس لها معنى. فتقرأ الكتب الأدبية، وليس فقط الكتب الدينية، لكي تتعلم أن تعظ. ليس صحيحًا أن كل مطران وكل كاهن يعرف أن يعظ. هذا ليس صحيحًا . هذا يتعلّمه الإنسان. طبعًا هناك من عندهم قابلية أكثر من غيرهم للوعظ. أرجو أن تكون فيك. ولكن، حتى ولو كانت قابليتك للوعظ ضعيفة، تجاهد أنت نفسَك لكي تعرف. عليك أن تعرف أن تتكلم. وهذا يَطلبه الناس منك لأنهم خراف المسيح، وعليك أن تُقرّبهم من المسيح، وأن تسعى إلى أن يكونوا كاملين في المسيح. لا تقدر أن تكون كاهنًا على رعية فيها واحد يضرب امرأته مثل الوحوش، وهذه موجودة في هذه البلاد، إذ عليك أن تُهذّبه. إذا كان الناس متخاصمين في ما بينهم، لا تقدر أنت أن تَقبل، في الضيعة التي ستكون فيها، خلافات ضمن العائلات وما إلى ذلك. الناس شكّلوا قبائل في هذه البلاد.

لا يمكنك أن تقبل القبائل. هؤلاء كنيسة وليسوا قبيلة يتخاصمون بعضهم مع بعض مثل البدو. عليك أن تهذّب هذا الشعب، وانتُدبتَ من أجل ذلك. ولكن احفظْ في مرحلة الشموسية في الدرجة الأولى أنك خادم. المسيح كان خادمًا وغسل أرجل تلاميذه. الإله كان خادمًا.

فاذهب إذاً على بركة الله وأدعية القديسين لك وأدعيتنا نحن الخطأة. اذهب وثابر على الحب الإلهي وعلى التوبة لكي يكرمك الله في ملكوته، آمين.

كل عيب في إكليريكي يدمر كنيسة الرب

رسامة ميشال (حلاحل) شماسًا، كنيسة رقاد السيدة في حامات، ١٤ تشرين الأول ٢٠٠٧.

أخي الشماس ميشال،

اذكُرْ كلام الرب لتلاميذه عندما أراد اثنان منهم أن يصيرا وزيرَين عن يمينه وعن يساره. فقال لهم جميعًا: «من أراد أن يكون أولاً فليكن لكم خادمًا» (مرقس ١٠: ٤٤).

لقد جعلتْكَ النعمةُ الإلهية اليوم خادمًا للأُمّة المقدسة. ولست سوى خادم. ليس واحدٌ منا، أيةً كانت درجته في الخدمة، إلا وهو خادم فقط. ليس رئيسٌ عندنا. نُسمّيه رئيسًا لأنه قادر أن يخدم أكثر من الباقين. وأما النفوذ والمجد والعظمة فهذه أشياء لا وجود لها في المسيحية.

واذكُرْ أيضًا بقية كلام السيد عن نفسه: «ما جاء ابنُ الإنسان ليُخدم، بل ليَخدم ويبذل نفسه فداءً عن كثيرين».

وإذا ذكرتَ صلاة الرسامة، قلنا في آخرها: إننا نرجو أن تكون طوال حياتك بلا لوم ولا عيب. لا ينبغي أن تدع مجالاً لأيّ مؤمن أن ينتقدك وأن يرى فيك خطيئة. هذا غير مقبول، لأنك إذ ذاك تُدمّر كنيسة الله. كل عيب في

الإكليريكيّ يدمّر كنيسة الرب. ولذلك يريدك يسوع أن تكون طاهرًا عفيفاً في كل شيء، وديعًا، لطيفًا بالناس، محبًا للفقراء، غير كارهٍ للأغنياء، ولكنك محب للفقراء، لكي يرى فيك المؤمنون أيقونةً للمسيح. المسيح بات غير منظور بعد صعوده إلى السماء، ويترك المؤمنين، ولا سيما المسؤولين فيهم، أن يكونوا أيقونات له. أي من رأى إلى تصرفك، إلى سلوكك، من رأى إلى ذلك وكأنه سلوك المسيح، فعندئذ يمجّد الرب، ويندرج في الكنيسة. الناس، بعض الأسباب لتخلُّفهم عن الكنائس وغيابهم، بعض غيابهم سببه خطايانا نحن الإكليروس.

إذا استلمتَ مسؤوليةً عند انتهاء دروسك، يكفي أن تكون ضوءًا للناس حتّى يقولوا في نفوسهم: نحن نريد أن نذهب إلى كنيسة هذا الرجل لنتلقّى الضوء. الناس محتاجون إلى نور، إلى ما ينير قلوبهم، ويُعزّيهم، ويجعلهم أفضل مما كانوا. إلى حدّ ما -طبعًا لهم خطاياهم- ولكن إلى حدّ ما، سوف تكون مسؤولًا عن إعادتهم إلى كنيسة يسوع.

على هذا أرجو أن يكون الرب يسوع معك وفي قلبك وإلى جانبك. وأكرر: إن معظم القضية أن تكون عفيفًا. ومعنى ذلك أنك تدعس على المال دعسًا. ما من مال في حياة الكاهن، بمعنى أنه لا يُقيم وزنًا له. هذه موجودة لأن عليك أن تأكل خبزًا وخضارًا ولحمًا... ولكنهم هم يُعطونك إياها لأنهم يُحبّونك. فلا تشحدْها منهم، ولا تتسابق، ولا تحبَّ الغنيّ على الفقير لأنه يعطيك أكثر. هذا كله نرفضه نحن. ولكن إن كنت عفيفًا، ومتواضعًا، ووديعًا، فإنهم يُحبّونك، ولا يَدَعونك تموت جوعًا. وأنت عندك عائلة، وإن شاء الله تكبر. فإذاً أَحببهم، يحبّوك. هذا كل سر العملية.

إن شاء الله تمشي هكذا. أنا أعرف أن عندك استعدادات حتى تكون هكذا. وتسلّح بالصلاة والإنجيل باستمرار، حتى يفرح بك المؤمنون، ويمجّدوا أبانا الذي في السماوات، آمين.

أنت تنتمي إلى المسيح

أخي الشماس نجيب،

تذكُرُ كلمات الكتاب: «ما جاء ابن الإنسان ليُخدم بل ليَخدم». فأنت جعلناك، أو بالحريّ جعلتْك النعمةُ الإلهية خادمًا لكنيسة الله. وأنا عرفتُك منذ سنوات بعيدة في دار المطرانية بالحدث حيث كنتَ لنا زميلاً، وعرفتُك على طيبة قلب واستقامة في الخدمة. وتَذْكُر أننا أحببناك. وأرجو أن تُحبّك هذه الرعية إذا أتممتَ ما قلناه لك الآن في الرسامة: أن تكون مستعدًا للحضور أمام الله في اليوم الأخير بلا خطيئة وبلا عيب. طبعًا هذا مستحيل. ولكن الكنيسة تطلبه تشجيعًا وتذكيرًا لكي نقاوم الخطيئة، ذلك أنه يُطلب إليك أن تعطي المسيح لهؤلاء الإخوة. وإذا لم يكن المسيح فيك، فأنّى لك أن تعطيه؟

رسامة نجيب (عازار) شماسًا، كنيسة مار الياس في بشامون، ٩ كانون الأول ٢٠٠٧.

ما معنى أن يكون المسيح فيك؟ هذا يعني بالدرجة الأولى أن تكون وديعًا ومتواضعًا، لأنه هو الذي قال: تعلّموا مني فإني وديع ومتواضع القلب. هذا الاستعلاء الذي نراه، لسوء حظنا، عند بعضٍ ممّن يخدمون الهيكل، هذا الاستعلاء يُهدّمك ويهدّم الذين تَخدمهم. وليس الشماس وحده هو الخادم –

هو سُمّي كذلك باللغة اليونانية- ولكن هذه الخدمة ترافق كل إكليريكيّ، فالأسقف أيضاً خادم، والبطريرك خادم. وإذا قيل إن لنا سلطاناً، فليس هو تسلّطاً على العِباد. إنه ذلك السلطان الذي يأتي من المحبة. مَن أَحَبَّ هو سلطان. طبعًا هذا يُغذّى. أن تكون وديعًا ومتواضعًا أمرٌ يُغذّى بشيئين: بصلاتك الدائمة في المعبد، في البيت، في السيارة. أن تكون في حالة صلاة هو أن تكون في حالة نجوى، مناجاةٍ مع الرب لأن الحبيب يناجي الحبيب.

الشيء الثاني، وقد يكون أصعب، ولكن لا بد منه لتستضيف يسوع في قلبك، هو أن تقرأ الكتاب المقدس كل يوم، وأن تدرسه وتُمحّصه، وتمتصّه وتأكله. والقصد من هذا الكلام أن لا يكون في رأسك فكرٌ غير فكر المسيح، بحيث تصير أيقونة، صورة للمسيح في هذا العالم، ويُطلب فكرُ المسيح من لسانك.

أنت لست من الضيعة، وليس لك علاقة بالعائلات إن اختلفَتْ بعضُها مع البعض. الروح القدس سوف يحلّ عليهم ويُصْلحهم. أنت لا تنتمي إلى أب أو أم أو أخ أو أخت. لا تنتمي إلى أحد من ذوي الجسد . أنت تنتمي إلى المسيح، والكل إخوة لك في هذه القرية التي دلّت على محبتها للمسيح بوسائل مختلفة ولا سيما في بناء هذه الكنيسة المقدسة. أنت تحبّ كل الناس، وإذا وجب التخصيص في المحبة فالفقراء هم أخصّاؤك، لأن السيّد له المجد تَحزّب لهم، وهذا واضح في الإنجيل اذا كنتم تقرأونه. إذاً هم في خدمتك الأولى، وهم الأسياد عندنا، هم أسيادنا . هكذا قال آباؤنا القديسون. معك شيء، أو ليس معك شيء، مع أبناء الرعية شيء من المال، تُشجّعهم على بذل ما يمكنهم منه لكي لا يتعذب أحد من الجوع أو ما يشبه الجوع. وإذا كان عندك شيء من التواضع -وأنا أعرفه فيك- انزل أكثر وأكثر، واستمرّ على أن تنزل بالتواضع، عندئذٍ يرفعك الله.

وعلى رجاء أن تتقدّس يومًا فيومًا، وتتنقّى أكثر فأكثر، كلّفَني الرب أن أضع يدي على رأسك، وخُذْها على أنها يد الرب لتُحلّق في الأجواء، في أجواء السماء هنا، ولا يبقى لك رباط مع الأرض، آمين.

تعال إلينا من الأزل لنتبرّك بك

«أنتم نور العالم»

(متى ٥: ١٤)

لماذا سمّاك أبوك وأمك «عبدَ النور»، وما سمّياك «نور»؟ مع أن السيد قال لتلاميذه: «لن أدعوكم عبيدًا في ما بعد، أنتم أحباء». وفسّر البارّ كاسيانوس، الذي نُعيّد له مرة كل أربع سنوات، أي في التاسع والعشرين من شباط، قال: نحن لسنا عبيد الله، ولكننا بالعشق نَستعبد أنفسنا لله.

رسامة عبد النور (عبد النور) شماسًا، كنيسة سيدة البشارة في جل الديب، ٢٣ آذار ٢٠٠٨.

أنت سلكت طريق العشق الإلهي مطوّعًا نفسك للنور الإلهي حتى لا يبقى في كيانك شيء من العتمات، ذلك لأنك تشتهي الملكوت. ولكنِ اعلمْ أنك لن تدخله بجهادك فقط. هذا ما قاله المجاهدون الكبار، آباؤنا في النسك، أنت تدخل الملكوت بالرحمة فقط، برحمة يسوع لك. ولكن ينبغي أن تشتهي الرحمة هذه كل حين، لتكون ابنًا للنور.

ماذا قالت الرسالة اليوم؟ الرسالة إلى العبرانيين (١: ١٠-٢: ٣)

قالت عن الملائكة إنهم أرواح مرسَلة للخدمة. الشمّاس هو خادم، ممحوّ، غائب عن أنظار الناس، مرئيّ عند الله، لأن الله روح، والشماس نرجوه أن يصبح روحًا لأن «المقيّدين بالشهوات الجسدانية لا يستحقّون أن يدنوا منك يا مَلِك المجد».

إذاً، بالاسترحام، ينبغي أن تصير روحًا، وعند ذاك يرى الآب أن يُرسلك إلى الخدمة. مَن كان من هذه الدنيا لا يستطيع أن يخدم الله. مَن بقي ترابًا لا يقدر أن يخدم الترابيين. ولكن مَن صار روحًا يستطيع أن يُلامس الترابيين بالروح الذي فيه.

التلاوة الثانية الإنجيلية (مرقس ٢: ١-١٢) هي أن قومًا أتوا بمفلوج، بمخلَّع، ليشفيه يسوع. وعملوا ما لا يُعمل، إذ نقبوا السقف -وهذا ممكن في بلادنا، سقف خشبيّ عليه تراب-، عملوا كل شيء لكي يلمس يسوعُ هذا المريض. الذي تبحث أنت عنه هو يسوع، وتجتهد اجتهادًا كليًا لترفع العراقيل التي كانت حاجزة لك دون رؤيته، ودون الدنوّ منه. قاومْ إذاً هذه الحواجز التي سوف تَبين في نفسك إنْ بانت. ورجائي أن تبقى عبدًا للنور لا علاقة لك مع الظلمة.

واذكُرْ أننا في هذا اليوم نُقيم الذكرى لذلك القديس العظيم غريغوريوس أسقف تسالونيكي المكنّى بالاماس الذي كان منشِدًا للنور الإلهي كما لم يُنشِدْه آخر، وقال إن النور الإلهي نور النعمة الذي يقذفه الله في النفس إنما هو قوة غير مخلوقة. هل تُدرك ذلك؟ هل أحد منا يستطيع أن يدرك ذلك، أنه يستنزل بالرحمة إلى نفسه قوةً غير مخلوقة، وكأنه هو غير مخلوق، كأنه يأتي من الأزل؟ هذا ما قاله آباؤنا.

أخي الشماس عبد النور، تعال إلينا من الأزل لنتبرّك بك، آمين.

إذا أنت متّ عن الخطيئة يقوم الناس من موتهم

أخي الشماس رومانوس،

هذه الكلمة «الآن مُجّد ابنُ الإنسان» قالها السيد قُبيل ذهابه إلى الموت، ما يعني أن مجده هو كان على الصليب عندما دُقّ بالمسامير، وطُعن جنبُه بحربة، وكُلّل بإكليل الشوك، أي عَرَف كل خطايا البشر قائمة فيه، وهو لم يرتكبها. ولذلك، لما رأى الله أبوه هذا المشهد، اعتبر أن المسيح صار لعنةً من أجلنا، وكما قال الرسول «بات خطيئة» مجمّعة في ثنايا جسده وقلبه.

أنت ذاهب إلى الموت. ليس في هذه الخدمة سوى الموت، إذا أراد الشمامسة والكهنة أن يَصِلوا هم إلى المسيح، وأن يوصِلوا الرعية إلى المسيح. ما من قيامة لأحد إلا من خلال موت الرعاة. أما إذا هم تربّعوا على كراسيهم واطمأنّوا إلى سلطتهم فلا تقوم الرعية.

رسامة رمزي (الخولي) شماسًا، دير سيدة البلمند، ٢٦ أيار ٢٠٠٩.

ندخل إذاً معك في مشروع موت. هذا هو السبيل الوحيد للخدمة، وأنت خادم، وهذا تعنيه لفظة الشماس. ولهذا قال ربك: «ما جئتُ

لأُخدم بل لأَخدم، وأَبذل نفسي فدية عن كثيرين».

الخدمة يا صاحبي هي أن ينسى الإنسان نفسه، ومَصالحه، وكِبْره، وأن يَمنع الناسَ من أن يَمدحوه. فإذا قيل لك مثلاً إن صوتك جميل تُسكت هذا القائل. هذا واجب عليك أن تُسكته لأنك لا تحتمل مديحًا. المديح كبرياء لمن يسمعه. أنت خادم فقط.

من استطاع خدمةً بسيطة يُسلَّم الدرجة الضرورية لإقامة هذه الخدمة. ما الفرق بين القندلفت وبين المطران؟ لا فرق عند الله. هذا يعرف أن يُمسك المبخرة ويخدم الكاهن في الهيكل. والمطران مبدئيًا يعرف أن يحكي، ويعرف أن يبشّر، ويرعى. كل هذا خدمة. ليس المطران أعلى من القندلفت.

وأنا أعلم، مِن وعيك معموديتك الأولى، ومن وعيك معموديتك الثانية وهي حركة الشبيبة الأرثوذكسية، أعرف أنك لا تدّعي ضد الآخرين ما لم تقتنع بنهوض نفسك أولاً بالنعمة.

شغلنا نحن هو بالنعمة فقط. ليس عندنا رأسمال آخر. ليس شغلنا بأمور هذه الدنيا وتفاهاتها، ورشواتها، وما إلى ذلك. أنت لا تقدر أن تخدم ما لم تَقبل أن تُميت شهواتك الضارّة. هناك شهوات شرعية، وهناك شهوات مؤذية. وإذا -لا سمح الله- أصابتك نزوة مؤذية، فهي تمنعك من الخدمة. لا تستطيع إطلاقًا أن تُفتّش عن مصالحك ومنافعك وكبريائك، وأن تخدم الناس. هذا غير موجود. ولذلك تذهب من إماتة نفسك، مِن سَحْقِ نفسك عند قدمَي المصلوب إلى رفعة الناس الآخرين. الناس يقومون من موتهم إذا أنت متّ عن الخطيئة.

أَتركُ لك هذا لأن هذا هو الإنجيل. الإنجيل موت وقيامة بسبب ارتضاء المسيح الموت. هذا ما رتّلناه هنا. اذهبْ إذاً حاملاً صليبك، وواعيًا أنك، إن تطوعْتَ له، فإنك قد وُعِدْتَ ببهاء القيامة، آمين.

المسيح هو المعشوق وحده

أخي الشماس رامي،

في الرواية التي تتحدّث في أعمال الرسل عن استشهاد أول الشمامسة استفانوس، جاء في الكتاب العزيز «فنظر اليه جميعُ الحاضرين في المجلس، فرأوا وجهَه كأنه وجهُ ملاك» (أعمال ٦: ١٥).

لماذا تحوّل وجهُه هكذا؟ لأنه كان يعرف أنه ذاهب الى الشهادة. وفي الحقيقة، فيما كان يُرجم، نظر إلى السيد فقط، ومات.

مسيرتك في الشموسية -وهي خدمة قليلة في كنيسة هذه الأيام، وكانت أعظم في ما تعرفه في الكنيسة الأولى- هذه الخدمة يجب أن نملأها بشيء عظيم، وهو أن يُصبح وجهُك كوجهِ ملاك، أي أن تَنظر إلى يسوع وحده، أن تُحوّل نظراتك عن كل مخلوق بحيث يبدو لك أن المسيح هو المعشوق وحده. وإذا مكّنتْك النعمةُ مِن هذه، تقدر بعد هذا أن تعود إلى البشر، حتى إذا رأوا وجهك كوجهِ ملاكٍ يؤمنون أن هذا ممكن، وأنهم هم بدورهم يستطيعون أن يُبصروا وجه يسوع فوق كل وجه ومستقلا عن كل وجه.

رسامة رامي (ونوس) شماسًا، كنيسة ميلاد السيدة في المنصورية، ١٧ نيسان ٢٠١٠.

أن يُصبح وجهك كوجه أول الشمامسة وأول الشهداء، يتطلّب هذا

التحوُّلُ أن تعفَّ عن كل الشهوات. وأريد بذلك ليس فقط الشهوات المؤذية، ولكن الشهوات المفيدة بحيث تقوم بالرغبات التي يطلبها هذا الجسد من مأكل وغير مأكل فيما أنت سيد على كل رغبة فيك، أي إن رغباتك أنت تتحكّم بها، ولا تتحكم هي بك. فأنت مُقْصٍ المؤذيات وسيدٌ على الحلال. هذا شاقّ جدا. هذه مصلوبية. ونحن جئنا إلى هذه المصلوبية لمّا قُلنا للمسيح في المعمودية، وبعد أن تبنّينا المعمودية في الرشد، لما قلنا له: إننا متنا معه عندما غُرِّقْنا في الماء، وحَيينا معه لما انتشلَنا الكاهنُ من الماء، لأنه هو الحياة، ولأن المخلوقات وأطيبَ المخلوقات وأَعزَّها هي فقط محبوبة بسَيرنا إلى عشقِ المسيح. هي مُدْرَجة بهذه المسيرة. ليس أحد منكم يُحَبّ بسببٍ من ذاته، ليس فيه شيء، فإنه ذاهب الى التراب. ولكننا نفتّش عن هذا النور الذي اقتبسَه هذا المخلوق من المسيح. وإذ ذاك نحبُّه.

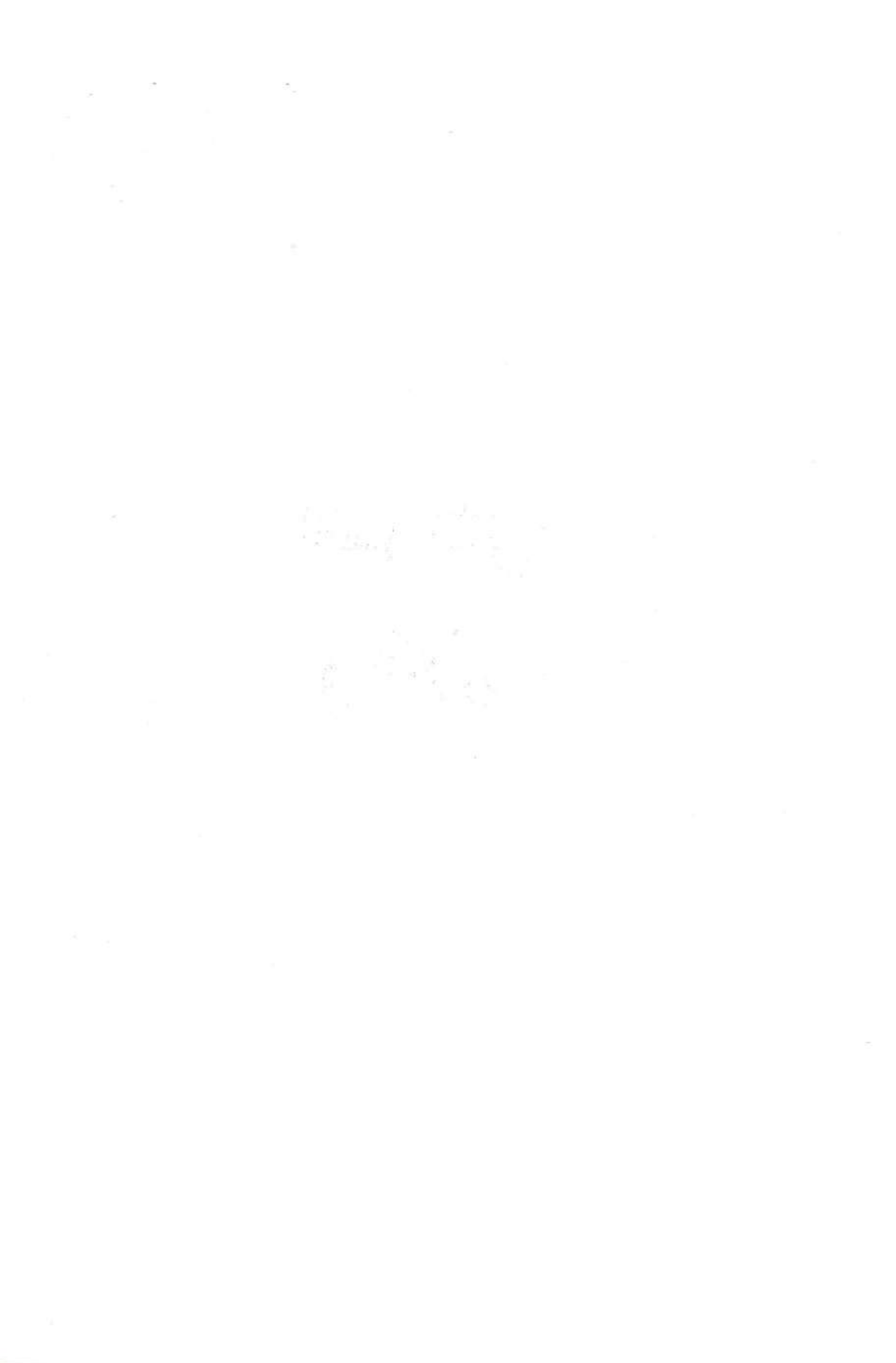
إذاً خريطة الطريق الروحية معروفة، وهي أنك تُعطي نفسك للسيد. والزوجة والأولاد والأهل وما إلى ذلك كلهم مرافقوك في هذه المسيرة، وليس لأحد حب في نفسه، إذ ذاك نكون عُبّادَ وثن. وإذا شئتم أن أُبسّط هذا الكلام أقول: أنت خادم. هذا معنى الكلمة في اليونانية. الشماس هو الخادم. نستعمل هذه الكلمة العادية في الحياة.

تَذكُر في المزامير أن الخادم أو الخادمة هي التي تنظر إلى يدَي سيدتها. وحين تُشير اليها بحركةٍ، تطيع. أنت تنظر إلى يد يسوع، وتفهم، إذا حرّكَها، ما يريد منك. ليس لك رغبة أخرى، ليس لك هاجسٌ آخر إلا أن تنظر إلى يده يحرّكها ليأمرك، فأنت مأمور لخدمة الناس جميعا، وبخاصة لخدمة الفقراء.

لستُ متأكدا، حسب المنهج التفسيريّ الدقيق، أن يسوع متحيّز للفقراء، ولكني أُريده متحيّزا للفقراء. هم إخوته الصغار. هذه تسميةُ تَحبُّبٍ: «إخوتي هؤلاء الصغار». وتذْكُر أن الشمامسة في الكنيسة الأولى كانوا يخدمون الموائد، يخدمون المحتاجين، فإن القدّيس العظيم البطريرك يوحنا الرحيم كان يقول عن الفقراء إنهم «سادتُنا» في الكنيسة. هؤلاء يكونون حبَّك الشرعيّ، ولكنك لن تتمكن مِن حُبّهم إلا إذا جَذَبك يسوع إلى وجهه، ورأيته وحده. وبعد هذا يستطيع المؤمنون أن يُبصروا، أن يروا أن وجهك كوجه ملاك، آمين.

الفصل الثاني:

في الكهنوت



كلْ إنجيلك كل يوم، حتى تَكون أنت كتابَ الله

لقد جئتَ يا بنيّ من الخفاء ولمستَ الحجر وتداولت التراب، ولكن ربك رفعك عن التراب وأجلسك مع عظماء الأرض مع قافلة الشهادة الكبيرة. لقد انتدبَتْكَ الكنيسةُ المقدسة لهذه الخدمة المضنية وهي تقول لك على لسان النبيّ: «خُذْ هذا الكتاب وكُلْهُ»، تَسلَّمْ إنجيلَ ربك لتصير بدورك إنجيلاً يقرأه الناسُ فيما أنت تعيش بموجب الانجيل، وحقُّ الانجيل مسلَّط عليك.

رسامة الشماس جورج (الصوري) كاهنًا، كنيسة القديس جاورجيوس في برمانا، ٢٦ آب ١٩٧٣.

وكأني أمام كل مشهد كهذا أذكرُ كلمات الله لحزقيال النبي عندما ذهب به ربه إلى البرية، وهناك شاهد عظاما، عظاما مَرميّة في الصحراء. والعظام عظام المؤمنين الذين نهشَتْهم الذئاب العقلية فدبُّوا على الأرض وقُتلوا وانتهَوا إلى عظام منثورة، وإذ ذاك تَساءَل النبيُّ: «أتُرى تحيا هذه العظام؟» (حزقيال ٣٧: ٣).

وأنت، أمام مشهد العظام الأرثوذكسية المطروحة في القفز، لك أيضاً أن تُردّد كلمات النبيّ «أتُرى تحيا هذه العظام؟»، حتى يجيئك صوتٌ من

فوق يقول: «هكذا يقول السيد الرب: ها إني أُدخِل روحي في هذه العظام فتحيا»، والناس كل الناس في التماس عنصرة جديدة، في طلب الروح القدس يأتي لطيفا بنا ليُنعشنا ويجعلنا من جديد في ملكوت الآب.

«أتُرى تحيا هذه العظام؟»، اذ ذاك تنبأ حزقيال فقال الكتاب العزيز: «اذا بزلزالٍ يأتي على العظام فيشتدّ العظم على العظم، والله يُنشئ عليه العَصَب ويكسو العظام لحمًا ويَبسُط عليها جلدًا».

يا إخوة، نحن في حاجة إلى كهنة يُزلزلون الارض، والناس نيام، وقد شبعوا نومًا، ولا يكفي أن يأتي مَن يُلامسهم بضعف. البشر في حاجة إلى زلزال ينقضّ عليهم ليستيقظوا. ولكن الروح لم يَدخل بعد في الناس، وهم يؤمنون بأمجادهم ولكنهم أموات.

اذ ذاك يقول النبي: «هلمّ أيها الروح، هلمّ أيها الروح من الرياح الأربع واخفُقْ على العظام، فهَبّ الروحُ على العظام فحَيوا. وبعد أن حيوا قاموا على أرجلهم جيشًا عظيمًا جدًا جدًا».

لقد انتُدِبتَ لكي تُجنّد إخوةَ المسيح جيشًا كبيرًا يفتح أبواب الجنة. ولكن ينبغي أن تَعْلَم، ينبغي أن تَعْلَم أن العسكر لن يَرتضيك قائدًا دائمًا عليه، ويجب ألاّ تنسى أن رؤساء الشعوب دائمًا في عزلةٍ يعيشون. ولكن ما لك ولهم! أنت اذهبْ واعلَمْ أن الروح سوف يجيئك، وأنه سيهبّ على العظام، ولها أن تتحرك، وانت سيقتلونك لأنك انتُدِبتَ رئيسًا عليهم، والرئيس يُرمى على الصليب. ولكن ما لك ولهم! رأيهم ليس برأي، وأغراضهم ليست أغراضك. إنهم سيعودون إلى شياطينهم وإلى مغرياتهم وإلى منافعهم، وسوف يضربونك. ولكن ما لك ولهم! أنت لست عبدًا لهم. أنت عبد لمن انتدبك إلى الخدمة، وله وحده تؤدّي الحساب.

يا أيها الأخ الكريم: كُلْ هذا الكتاب، كُلْ إنجيلك كل يوم حتى تكون أنت كتاب الله. وامشِ ولا تَسَلْ عن أحد. وامشِ لأنك حامل يسوع. وأنت تمشي إلى المسيح ولا تنظر إلى اليمين ولا إلى اليسار، فالناس لن يُعطوك شيئًا، ولن يستطيعوا خلاصك ولكن أنت تعرف مخلّصك، فكلْ إنجيلكَ

وأطعِم الناسَ، وليصِر بالناس ما يشاؤون. واذا أكلت الإنجيل، فسوف يقتلونك أيضاً، وسوف تموت. بهذا أَعِدُك. ولكننا نَعلَم أن الذي يُقرأ يومَ دفنه هذا المقطعُ من حزقيال، بعد أن دُفن في الأرض ثلاثة أيام، قام في فجر اليوم الثالث بمجد الله أبيه.

كلَّ مرةٍ تَضرِبُك الرعية وتُجرّحك بألسنتها السامّة، كل يوم تتلقّى ذلك بصبر ووداعة وتواضُع وانكسار لأن هذه هي أهدافك، كل مرة تتلقّى الضربات التي تلقّاها المعلّم تقوم وأنت سيّد عليهم لأن ربك سيّد عليك. اذهب وبركات الله عليك، والقيامة تنتظرنا في اليوم الثالث.

لا تحنِ رأسك إلا للمسيح

«أيها الشاب، لك أقول قُمْ»

(لوقا ٧: ١٤)

رسامة الشماس نقولا (كرم) كاهنًا، كنيسة المخلّص في بخشتيه، ٦ تشرين الأول ١٩٧٤.

الذي قام من بين الأموات، رئيسنا الحيّ إلى الأبد هو القائل لك اليوم «يا بنيّ، قم من بين الأموات». قم من خطاياك، من كلّ شهوةٍ لك حتى تكون حرّا، حرّا من الموت ومن الفساد. وإذا انت صرتَ كذلك، فإنّك قادرٌ أن تُحيي الأموات وأن تُنعش هذه الرعيّة التي يدبّ فيها الفساد حينًا بعد حين. فإنّك قد جُعلتَ خادمًا لهذه الرعيّة، وخادمًا قد تكون مسحوقًا، فإنّ الرعيّة حسب أصول علم النّفس قاتلةٌ لسيّدها. هذا أمر التّاريخ، وهذا ناموسٌ لا مفرّ منه. وإذا صُلبَ سيّدُك، فالعبد ليس أفضل من سيّده. نحن ما أَعددناك للراحة ولا للزّعامة ولا للغنى، فهذه أمورٌ تتركها لسواك. ولكنّك أُعددتَ للموت بعد أن أَخذت عار المسيح عليك، وسوف تُرمى عليك كلُّ معصيةٍ، وسوف تُلصَق بك كل تهمةٍ، أو هذا ممكنٌ في كلّ مكان، لأنّ العبد ليس افضل من سيده. فلذلك لستُ أَعِدُك بأن تَسْعَد،

فأنا قد رميتُكَ على الشّقاء. وكلّ من ذاق المسيح وأَسلَمَ إليه، كلّ من أَحبَّ يسوع حبًا كثيرًا، حبًا لا زغل فيه، فهو مصلوبٌ على التّعب ومصلوبٌ على الغربة. في يومٍ من أيام النّاس، سوف تُحسّ نفسك غريبًا في وطنك وفي القرية. فالإيمان قد يضعف، وهو الآن ضعفَ، والذين لا يؤمنون لا يحبّونك، ولن يحبّك إلاّ المؤمنون. ولكن لك دربٌ واحدٌ وهو الذي سَلَكَه السيّد، وآخِرُ الدّرب الجلجلة، ولكن آخر المطاف القيامة.

وفيما يبقى النّاس في موتٍ، وأنت تسعى إلى إقامتهم، سيقومون أو لا يقومون، ولكنّك أنت قائمٌ من بين الأموات إنْ سمّرتَ عينيك على عينيَ يسوع ونَسيتَ كلّ شيء ما عداه وكنتَ مواليًا له وحده، لا يسودُك أحدٌ ولا يتمرجل عليك أحد، ولا يأمرك ولا يُوجّهك إلاّ إنجيلك، والإنجيل صَدّاع، والإنجيل كَسّار. وشأنك مع النّاس أن تجعلهم أمام إنجيله، فإنّ الأطفال جاعوا ويطلبون خبزًا، وليس مَن يَكسره لهم. فقد يصيرون إلى يومٍ لا يريدون أن يتغذّوا ولا يريدون أن يسمعوا الكلمة ولا يحبّون إنجيل ربّنا يسوع المسيح. هذه الأيام نعيشها. ولذا سوف تَشُقّ العتمات بالنّور، والنّور فيك. ومع ذلك عِظْ في الوقت المناسب وغير المناسب، فالنّاس لا يريدون أن يتغيّروا وأن يَهتَدُوا. ولكن الكلمة ملقاةٌ عليك صخرةً تُحطّمك أنت، فمن وقعَتْ عليه الصّخرة يتهشّم، ومن وقع هو على الصّخرة يترضّض. صخرة الكلمة هي بين يديك لتُرضّض بها النّاس لكي يحيوا من بعد موت، من بعد سَحْقٍ.

المسيح ساحقٌ ولكنّه يُحيي، ولكن يجب أن نقبل ضربةً منه لنعيش. كاذبةٌ هي تلك الدّيانة المسايِرة التي نستعملها وكأنّنا في دكاكين أهل السّياسة أو عند حجاب محكمة. المسيح ساحقٌ ويمشي ويطوف ويركض، وأنت تسعى وراءه ولا تلتفت يمنةً ولا يسرة، ولكن مع ذلك سوف ترى المهشّمين على الطّريق، الذين يستغيثون. اولئك تلتفت إليهم لأنهم يستغيثون، لأنّهم يريدون رحمةً مِن ربّهم. ولكنّهم ضعفاء، وأنت أخو الضّعفاء، ولا تُحاكمهم، فإنّهم ينتظرون منك أن تسمعهم، أن تسمعهم كثيرًا، لأنّهم يريدون أن يتململوا أمامك ويريدون أن يتعزّوا بك.

دعهم يغضبون ودعهم يتضجّرون ودعهم في أنينهم وفي جراحهم، فأنت مُضمّدِ الجراح وأنت

سامعُ الأنين. وإذا عادوا إلى رشدهم، حسبُك ذلك. وإذا أخذوا بلسمًا منك، فيكفيك ذلك. وأنت تكمّل الطّريق. سوف يعرفون جميلك أو لا يعرفون. ولا فرق بينهم. كلّهم عيال الله، كلّهم إخوةٌ لك إذا فهموك أو لم يفهموك، إذا أنصفوك أو لم يُنصفوك. أكثر النّاس لا يُنصف، أكثر النّاس قتّاك. أنت لم تطلب إنصافَ أحد. هناك مَن يُنصفك في اليوم الأخير. نحن ننتظر من بعد أن نموت أن يقول فينا أحد شيئًا جميلاً. ولكن قبل ذلك لا تنتظرْ مدحًا، أو رُدَّ مَدْحَهم لأنّه تجربةٌ لك ولأنك أنت غير موظّف عندهم.

أنت غير موظّف عند هذه الرعيّة، وأنت سيّدها، وتَصرَّفْ تَصرُّفَ السّادة أي تَصرُّف الذين ينطحون رؤوسهم بعرش الله ولا يحنُون رأسًا أمام كبير. الكبار تدعوهم إلى التوبة لأنّهم أَحوَجُ النّاس إليها، وتدعوهم إلى التّواضع وهذا غذاؤهم. ولكن أنت لا تحنِ رأسك إلا للمسيح. أنت لست صغيرًا أمام واحدٍ من هؤلاء النّاس، ولكنّك صغير جدًّا أمام ربّك الذي يَسحقُك هو أيضًا بدوره بالكلمة، كما أنت تسحق النّاس بالكلمة. أنت غبارٌ أمام الله الآب، وأمام هؤلاء أنت سيّد، فعلّم الأرثوذكس أنّ الكاهن سيّد.

أيّها الرعيّة المباركة -فالله مباركك-، هذا رجلٌ صار أبًا لكم الآن، وأنتم تتصرّفون تجاهه تَصرُّف الأبناء، أي إنّ الأب يُغفر له: يُغفر له إذا شاخ، يُغفر له إذا مرض. الأب لا يستطيع إلا أن يكون أبًا. لن يكون غريبًا. والأب يضعف، وقد يكون عنيفًا. والذي يعرف الكلمة عنيفٌ. وإذا أنتم أردتم كاهنًا غير عنيفٍ، فهذا يعني أنّكم غير جدّيين وأنّكم تطلبون مجدًا بعضكُم مِن بعض. اتركوه عنيفًا لكي يكون فاضحًا. اتركوه عنيفًا لكي يُطهّركم فإنّكم بحاجةٍ إلى تطهير. اسمحوا له بأن يأخذ السّوط وأن يَصرف باعةَ الحمام والصّيارفة من هياكل قلوبكم، أي لكي يَطرد الخطيئة بشدّةٍ من قلوبكم. البنوّة تُكلّف. البنوّة تكلّف احترامًا وطاعة. بيعت البنوّة في طائفة الأرثوذكس. بيعت البنوّة لأنّ النّاس صاروا أسيادًا بعد أن صاروا أغنياء، وصاروا يُملُون على الرّعاة كلماتهم وأقوالهم وآراءهم الخاصّة وآراءهم الآتية من شهواتهم. بيعت البنوّة وصرنا نحن عبيدًا للناس. الكبير طبعًا يَستعبد نفسَه للناس

لأنّه يعرف نفسه كبيرًا ولا أحد يقدر عليه، وهو في ملكوته كبير. ولكن لا تجعلوا الكاهن عبدًا لكم، فهذا سيّد، وقد جعلناه سيّدًا بوضع اليد عليه. هذه اليد الرسوليّة وُضِعَتْ على رأسه، وبها نزَلَتْ نعمة الله عليه فانسكَبَ فيه الرّوح القدس. فلذا أنتم مدينون له، وأنتم تأتون منه، وهو يَلدكم بالرّوح القدس بنعمة جاءته اليوم لتستمدّوها. وإذا كنتم أبناء، فلن يبقى أبوكم في الشّارع أي إنّكم تُلازمون هذه الكنيسة التي هو أبوها، تُلازمونها كما لازمتموها اليوم بهذا العدد، حتى إذا ضاقت بكم نهدمها لتتّسع إلى عددٍ أكبر. هذا الرّجل سوف يجعل الكنيسة في بيوتكم وفي نفوسكم، ولهذا كان حقّكم عليه، كان حقّكم عليه أن تحثّوه لكي يبقى نظيفًا كما عرفناه، عفيفًا كما عرفناه، واعتبرناه مع الرّوح القدس، بإلهام الرّوح القدس، مستحقًّا لهذه الخدمة الكبيرة. حثّوه لكي يبقى فاضلاً، ولا تجرّبوه لكي يرضى عن كلّ سيّئة من سيّئاتكم لئلاّ يضعف. إذا قال لكم الأمر فيكون، لأنّ مِن فم الكاهن تُطلب الشّريعة. وهذا دُرِّب لكي تُطلَب منه الشريعة، وسيُدرَّب بنوعٍ خاصّ لكي يعطيكم الشّريعة. تأخذونها من فمه كما يأخذها هو من فم رجلٍ آخر. هكذا الأرثوذكسيّة.

وإذا كنتم أبناء، فإنّه يعطيكم الرّوحيّات، وأنتم لن تبخلوا عليه بالزّمنيّات لكي يعيش كما يعيش الأكثرون منكم، بالمستوى اللائق بكم وبكرامتكم، فإنّ كرامته من كرامتكم. ولذلك لا تجعلوا المال همًّا من همومه، إذ ذاك تكونون غير أبناء، ويكون هو منشغلاً بالعيش في حين أنّه يجب أن ينشغل بالإنجيل. إذاً، نترك لكم كلّ همٍّ ماديّ، ولن يبحث عن ذلك، وأنتم تبحثون إذا شئتم أن يتصرّف بالعزّ المسيحيّ الذي في نفسه، وأن يتصرّف بالاستقلال المسيحيّ الذي في نفسه. اجعلوه إذاً مستقلاً، مستقلاً من كلّ واحدٍ منكم، سيّدًا على هذه الرعيّة خادمًا للإنجيل، محبًّا للكلّ، وغير مفرّقٍ بين كبيرٍ وصغيرٍ، بين رجلٍ وامرأةٍ، يَقطع كلمة الحقّ باستقامةٍ لكي تصبح هذه القرية كلّها مَرتعًا للإله، ولكي يصير كلّ وجهٍ مسحةً من يسوع.

ألا بارك الله فيك يا بنيّ، وبارككم به، وجَعلنا معتزّين بنشاطكم وغيرتكم فإنّكم قد اخترتم الذي حَسبتم أنّه موافقٌ لقلب الله. ومن هنا أسمح لنفسي بمديحٍ على الأقلّ لكم، أنّكم عَرفتم مَن

تختارون، وأنّ قلوبكم بالتّالي كانت متمشّيةً مع قلب الله.

بسبب هذا أرجو أن تظلّوا مُسايرين لله ولكلمة الله ولإرشاد أبيكم لكي تذوقوا جمالات المسيح يومًا بعد يومٍ وتتعزّوا لأنّ ربّكم مُجلّيكم، فقد اخترتم التجلّي اسمًا لهذه الكنيسة لأنّكم قصدتم أن تستنيروا بنور المسيح، وأن تتغيّروا كما تَغيَّر وجهه وثيابه.

ألا كان الله معكم وجعَلكم عائشين في كلّ لحظةٍ على جبل التّجلّي مع هذا الأب الوقور من الآن إلى أن يُعيده الله إليه بالرّحمة، ويُعيدكم أنتم بالتّوبة إلى قلبه الأبويّ، آمين.

الكلمة لا تُتلى، ولكنها تُرى جرحًا في الصميم

«من فم الكاهن تُطلب الشريعة»

(ملاخي ٢: ٧)

رسامة الشماس افرام (كرياكوس) كاهنًا، دير سيدة البلمند، ١٥ تشرين الأول ١٩٧٨.

أيها الأخ الكريم،

لقد أقامتك هذه الكنيسة المقدسة راعيًا في وسطها، أي إنك مواجه لهذا الإله الذي في وسطها ويجعلها لا تتزعزع، وإنك مستمِدّ من ربّك تلك القوة التي تجعلك انت بدورك صخرة لكنيسة الله. وأنت غدوت أساسًا لشعب الله اذا عَرفت أن تكون كلمة. فأنت، اذا اقتبلتَ في نفسٍ عذرية هذا الزرع الذي تحدّث عنه الإنجيل الطاهر اليوم، تصبح بستانًا للمسيح فيه رائحته الزكية وفي الناس انتعاش.

والكلمة، في العربية، مِن كلم، والكَلْمُ الجرح. انت ستصير كلمة المسيح اذا جُرحتَ في قلبك بجرحٍ عيسويّ. هذه هي الكلمة التي تقال. الكلمة لا تُتلى، ولكنها تُرى جرحًا في الصميم. فإذا رآك الناس مصدوعًا

هكذا، نازفًا، يلتفتون إلى ذاك الذي ينزف إلى الأبد على خشبة معاصينا. وإن انت غدَوْتَ إنجيلاً طاهرًا يُقرأ فيك الله، فالناس في سلام ربّهم والناس على ايمان ربّهم لأنهم يصبحون على ايمان المَلِك الذي انت ستصير.

عندما سلّمتُ اليك جسدَ الرب مِن بَعد الاستحالة، قلتُ: «خُذْ هذه الوديعة، واحفظها سالمة إلى مجيء ربنا يسوع المسيح، وأنت مزمع أن تُسأل عنها». نحن أقمناك في مسؤولية الشعب الحسَن العبادة لكي تُحسِن عبادتك ويَروقك هذا الشعب المبعثر على الجبال والمضروب، حسب قول الله: «أَضربُ الراعي فتتبدّد خراف الرعيّة». هذا الشعب محتاج إلى راعٍ غير مضروب كي يعود سالمًا مضمَّد الجراح. انت تأخذ على نفسك الكلمة لأنك دُعيتَ إلى أن تبقى جريحًا على الدوام حتى لا يبقى في كنيسة الله جريح.

وهذا يعني بعض الأمور التي لا نزاع فيها. هذا يعني أنك لن تقدر أن تُبلّغ أحدًا شيئًا ما لم تتراقص كلماتُ الله في ذهنك وتصبح هي مُطرباتك، أي إن الكلمة تلتهب بالحب فتُسمَع. وهذا يعني أن النسك عندنا ليس بجفاف ولكنه تأهّب، وليس انقطاعًا عن وجوه المؤمنين ولكنه انفصال عن شهواتهم وشهواتك. فإن المخلّص عندما انفرد عن الجموع أخذ يباركهم، أي إنه استقلّ وبعد ذلك التصق. ومن أجل هذا، ما يريده السيد منك هذه الأُبوّة الحاضنة الباكية والواعية بآن، لكي يتعرّف السيدُ وجهَ الحبيبة، لكي لا يندم المسيح على كنيسةٍ أنشأها. انت تردّ اليه العروس كي لا تتيه وراء الأصنام والآلهة الكاذبة.

لقد أراد مولانا صاحب الغبطة البطريرك الياس الرابع راعي هذا الدير وهذا المعهد أن أنتدبك للتدريس فيه وللإشراف عليه. فكانت رغبته لديَّ خير أمر. وجعلناك في معهد القديس يوحنا الدمشقي مديرًا لشؤونه. وهو قائم الآن في شقّين: شقّ يتدرّب فيه على الإنجيل والخدمة الالهية المستعدّون للكهنوت، وشقّ يتثقّف فيه المعَدّون للمعرفة اللاهوتية. فكأننا، في استهلالنا، اليوم، للسنة الدراسية، أوحَينا للطلاب أن الطريق التي سيسلكون إنما هي الطريق التي سلكتَها. فدعَونا لك وندعو

مع هذا الشعب المؤمن أن تستمرّ في العطاء لكي يصبح أبناؤنا كهنةً، إذا نَظرْنا اليهم وإلى تصرُّفهم، نقدر أن نقول مع النبي المرنّم: «هذا هو تغييرُ يمينِ العليّ».

هذه الكنيسة الجريح إنما هي بحاجة إلى مسحة من الروح القدس جديدة. كلكم مسيح. ولكن كهنتكم، بالدرجة الاولى، مَدعوّون أن يكونوا مُسحاء. غير أن المسحة القدسيّة لا تتمّ في طائفة جاهلة ولكنّها تتنزّل على العارفين. ولهذا أردنا أن تقوم هذه الكنيسة الأنطاكيّة العظيمة على الكتاب تخلقه وتُسهم في الفكر الأرثوذكسي الكبير خِدمةً للانسان المعذّب وحوارًا مع الانسان في هذا المشرق الذي نحن منه وكنّا فيه أصيلين ولا نزال. وإن كان أمامنا هذه التطلعات، نمدّ الأيادي إلى يوحنا الدمشقيّ شفيع هذا المعهد الذي كَتَبَ آخِر كتاب لاهوتيّ في الكرسي الأنطاكيّ. لقد مات الفكر في كنيستنا بسببٍ من الظروف التي تَعلمون. وبعد أن أَطلق الدمشقيّ يوحنا فكره في كتابه «الإيمان الأرثوذكسي»، استمررنا على الايمان ولكننا لم نكتب شيئًا كبيرًا.

عندما أَعطتِ الكنيسة لهذا المعهد اسمَ هذا الأب العظيم، ونحن اليوم عَيّدنا لآبائنا القديسين، أرادت كنيستُك، يا أيها الأخ الكريم، أن ترجو أن يقوم فيها مَن يتابع المسيرة في فكرٍ حلال. هذه هي الوديعة التي سَلّمناها اليك لكي يستطيب الله عملك ويرضى عنّا جميعًا وعن هذا الشعب المؤمن.

ألا اذهبْ على هُداه واجعلْنا على غير خيبة ومُدَّنا إلى الرجاءات الكبيرة لكي يستقرّ علينا الرضى. ألا كان ربنًا فيك وفي تلاميذك وأصدقاءِ هذا المعهد وكل الشعب المؤمن أمينًا مظفّرًا إلى الأبد.

كل نفسٍ تُساوي الدم الإلهي الذي بُذل من أجلها

يا أيها الأخ العزيز القسّ نقولا،

فيما كنا نستمع إلى هذا الإنجيل الكريم الذي قرئ اليوم (لوقا ١٢: ١٦-٢١)، لفتني قوله تعالى «ألاَّ ندّخر لأنفسنا بل نستغني بالله». أن يستغني المؤمن بالله، وأن يصير الكاهن غنيًا بالله، هذا هو كل الشرط. فإذا أَحسستَ في يوم من أيام حياتك أن النعمة الإلهية تتنزّل عليك بحيث إن الشوق إلى المسيح يأخذك إلى السماء وأنت في الأرض، عند ذاك تستطيع أن تقول إنك سعيتَ السعي الحسَن وأَكملْتَ المسيرة.

رسامة الشماس نقولا (حداد) كاهنًا، كنيسة القديس جاورجيوس في عين داره، ٢٣ تشرين الثاني ١٩٨٠.

لقد جعلكَ الربُ اليوم، بدعائنا جميعا، وبوضع اليد عليك، راعيًا لرعية المسيح، والله هو الراعي منذ بدء الخليقة، فإنه يوزِّع الحياة كما يشاء ويعطي كل إنسان المقدار الذي يحتاج إليه من الحب. وهكذا يكون الله في آن معا قائما في جوهره ومُعطى للناس بأفعال إلهية نورانية. الله يتحرك ويؤخذ، والإنسان على هذا المثال يتحرك، وإذا أخذه المؤمنون فهو موجود. ومعنى ذلك أنك تُوزَّعُ على عِباد الله لأنك أَخذتَها وديعة وأَخذتَ رعية

المسيح وديعةً لتحفظها حتّى يوم مجيئه الثاني لكي تَرُدّها إليه عروسًا بِكرا لا عيب فيها ولا غَضَن.

أيها الحبيب، كنيسة الله، هذه التي افتداها بدمه، مُسلَّمة إليك مكسورة لكي تجبرها أنت، والناس فيها خاطئون وأنت رادُّهم من ضلال، وكل نفس في كنيسة المسيح تُساوي الدم الإلهي الذي بُذل من أجلها. النفس المسيحية غالية جدًا، فإنها كلّفت حياة الله. وكل نفس تستدعي انتباها كبيرًا، وكل نفس يجب أن تعرف أنت المقدار الذي تحتاج إليه من العناية حتّى لا يحسّ أحد في الرعيّة أنه مُهْمَل وأنه وحده. فإذا أنتَ أعطيتَ، تجدُ نفسك، وتجِدُ نفوسُ المسيح مخلّصَها. المسيح لا يُعرف إلاّ بالناس، من وجوه الناس، ويُعرف أيضا بالدرجة الأولى من الكهنة الذين يحبّون الرعية، ولذلك أنت مسؤول.

وبأي مقدار أنت مسؤول؟ النموذج الذي أمامك هو السيد نفسه، هذا الذي لم يدّخر شيئًا لنفسه. ولذلك حذّرَنا الرسول من أن نكون ساهرين فقط على أن نشرب من لبن الرعية. نحن لسنا هنا لنمتصّ لبن الرعية، ولكننا هنا لكي تمتصّنا الرعية وتأخذَ حياتَنا، أي إنك لا تستطيع أن تدّخر شيئًا لنفسك ولا تستطيع أن تدّخر حياتك، ولكنك تقول للمؤمنين: «اشربوا منه كلكم، هذا هو دمي». دمك هو المبذول، والرعية دائما تُميّز بين الكاهن الذي يُعطي دمه والكاهن الذي لا يُعطي شيئًا. وإذا أنت أَعطيتَها كل وقت وكل فكر وكل صمتك وكل قلبك، حتى لا يبقى في قلبك منزل لغير الرعية، هي تملأ قلبك كله. إذا أنت أعطيتها قلبك إلى هذا الحدّ، لن يَدَعَك الله مهمَلاً على الطرقات، ولكنه ينتشلك ويجعل نفسه ذخرا لك وكنزا، وعندئذ تحسّ بأنك إن كنت غنيا بالله فأنت تستغني عن كل شيء آخر.

سوف تواجهك صعاب. نحن لم ندرس كل شيء، ولا نعرف كل وضعٍ للرعية. وسوف تَظهر لك الصعوبات، وسوف يضعون صعوبات في طريقك، لأن الرعية لا تخلو من بعض الأشرار والمشاكسين، وسوف يُعرقلون حياتك. هذا شيء نعرفه في تاريخ الكنيسة وفي خبرتنا. لو كانت الرعية مرنة، سلسة، طيّعة، لما كان عليها رعاة، ولكن كلَّفَنا المسيحُ بها لأنها تَشْرُد في الجبال وتتيه،

ولا بد من واحد يَرُدُّها، وقد لا ترضى أن يردّها أحد لأنها تحب خطاياها وتريد أن تترعرع في خطاياها. وأنت بضاعتك هي الله. تأتي إليها بالمسيح، وهي لا تريد المسيح في كل حين. ولكن لك أن تصبر، فهؤلاء هم أبناؤك. والإنسان قد يغضب على بنيه، ولكنه لا يقودهم في الشر. لك أن تغضب في الرعية. هذا شرط من شروط القيادة. القائد الذي لا يغضب هو قائد لا يحسّ. اغضَبْ كما الله يغضب، لأن الله متحرر وله قلب. ولكن اغضب ولا تخطئ، بل اغضب عليهم واحفظهم في قلبك في آن واحد حتى يُحسّوا بأن لهم فاديًا أَحَبَّهم حتى الموت. وهكذا تبقى في الصراع، والرعية بالمؤمنين الكبار فيها والمؤمنين الصغار، بالراضين ربَّهم والمشاكسين، الرعية كلها مدرسة لك، فإنك لا تزال تحتاج إلى مدرسة، ولا يزال كلٌّ منا، مَهْما بلغ من العمر والخبرة الروحية، يحتاج إلى ترويض. فالصدمات يسمح الله بها لكي يجعلك متمرّنا على كلماته ومستوعِبا رسالته.

هكذا سوف تسير، وأكثر نصيبك أنهم يُهملونك، ونصيبهم هم ألا تُهملهم أنت، وهكذا تتسايران حتى منتهى الطريق. وإذا أعادك الله إليه في آخر عمرك، نرجو أن تتمكن من أن تقول لله: «ها أنذا والأولاد الذين أَعطانيهم الله». إذا جعلتَهم حقا أولادك، يصبحون أولاد الله.

فاذهبْ على هذا الهدى. هذا هو إنجيله. فاذهب واحتضنهم جميعا حتى يعرفوا أن المسيح حاضنهم، وهكذا يذهبون في التسبيح، آمين.

أنت قربانٌ دائمٌ تقريبُه

يا بنيّ،

لقد جاء في التلاوة الإنجيلية الكريمة، في هذا اليوم (متّى ٤: ١٢–١٧)، أن بشارة السيد بعد ظهور الثالوث الأقدس على الأردن كانت: «توبوا فقد اقتربَ ملكوتُ السماء». إنها عينها البشارة التي أنت تحمل إلى هذا الشعب المفتدى. فلا رسالة لك إلا أن تقول لهم، بالقول والقدوة، أن توبوا.

فالشيطان يُجرّبنا في كل حين ويُهاجم الكنيسة بأعضائها، وإنهم لمجروحون، ولن يلتئم جرحهم إلا إذا حاولوا أن يعودوا إلى وجه هذا الرب الذي ظهر على الاردن. ولا توبة لنا ما لم ننتشِ برؤية هذا الاله العظيم الحبيب الذي اشترانا بدمه.

رسامة الشماس جورج (عبد) كاهنًا، دير سيدة البلمند، ١١ كانون الثاني ١٩٨١.

توبوا أو تحوّلوا لأن الرؤية خلاّبة، لأن حياتكم هي أن تشاهدوا هذا الرب الذي أحبّكم وأسلم نفسه عنكم. واذا أنتم شاهدتم فإنكم تتحدّثون عن الرؤية بعد أن تكونوا قد نزلتم من الجبل. واذا رآكم الناس مسحورين بهذه

المشاهدة التي حصلت، فإنهم بدورهم راجعون لأن السِحْر الإلهيّ لا يُطاق، والسِحْر الالهيّ لا يقاوَم، ولذلك نُسْلِم له.

دورك يا عزيزي أن تقول لهم هذا، بشكل أو بآخر، بقَوْلٍ كريم تُعطاه وبِمَثَلٍ صالح تُعطاه.

ولعلَّهم ينتظرون أن تكون أنت هذا الجبل الذي تحصل عليه الرؤية، أي أن تكون بدورك متحوّلا إلى يسوع لكونك قد أخذت، ولكونك قد أَسلمت، ولكونك قد أُحببتَ وأَحببتَ.

ومعنى ذلك كله أنك مدعوّ لتكميل القديسين، كما قال الرسول أيضا في هذه الخدمة الالهية، لبنيان جسد المسيح. وأن تَبني جسدَ المسيح يعني أن تقول للناس إن المسيح حيّ وفعّال بالروح القدس، وأن الله الذي أَحبَّهم هو هنا، وهو مقيم في قلوبهم، وأن ليس عليهم الا أن يقرأوا، على صفحات قلوبهم، هذا الحب الذي سُطِّر عليها، أن تُكمل القديسين بالدم، بالدم الجاري من الجنب الإلهيّ المطعون، أن تُكملهم بالمعمودية، أي أن تُقنعهم بأن يُميتوا شهواتهم حتّى يستيقظوا في حضرة المسيح. واذا هم اقتنعوا بذلك كله وبأن المسيح حياتهم، تكون أنت قد تَممت الخدمة، وتكون قد قَبلتَ النير الموضوع عليك.

أيها الحبيب،

لقد ذقتَ شيئًا من هذا العالم. سوف تذوق الكثير، وسيجعلك ربك في البوتقة ليمتَحن صبرك، ولكنك على مثاله كاهن إلى الأبد. وهذه تعني فيما تعني أنك قربانٌ دائمٌ تقريبُه، دائمٌ ذَبْحُهُ حتّى تصل إلى ذلك اليوم في آخر عمرك حيث يتعرّفك المسيحُ كاهنا قد أَكملَ شوطه، ولا ينتظر إلا الإكليل المعَدّ له مِن قَبل إنشاء العالم.

نحن الرعاة قوم مُضَحُّون، ولا فضل لنا بذلك لأنه المضحّي، ولن نَزيد على جَمال المسيح شيئًا. ولكننا نستطيع، إن توارَينا بالتواضع والخدمة، أن نجعل وجه السيد مرئيًا محبوبا.

على هدى هذا الكلام الإنجيليّ الرسوليّ سِرْ ببركات الله، وبأدعية الإخوة، حتّى نرى كنيسة المسيح في هذه البلاد متلألئة بضياء عروسها الإلهي، وهي سائرة في دعوتها إلى قِمّة الجبل لتبقى بالمسيح سَكرى.

ليس من عظيم إلا هذا الذي أَذَلُّوه على خشبة

أحبائي،

تنطبق رسالة اليوم (١كو ٤: ٩-١٦) أيما انطباق على ما حدث الآن في حضوركم، إذ قال بولس العظيم عن الرسول «إن الله أَبرزَنا نحن الرسل آخِرَ الناس كأننا مجعولون للموت» .

رسامة الشماس ميشال (قطريب) كاهنًا، كنيسة القديس جاورجيوس في البترون، ٤ أيلول ١٩٨٣ .

صحّ أن هذا الكلام قد يكون حقيقيا عن كل المؤمنين، ولكنه ينطبق بنوع أخصّ على أولئك الذين أوكل الله إليهم رعاية الخراف، فكانوا خلفاء للرسل، فهم مجعولون للموت، ويَحسبهم الناس جهّالا من أجل المسيح، بلهاء. نعم في البدء كان هذا كلاما صادرا عن الوثنيين. من هم الذين يقدّمون حياتهم كلّها بغير شرط، بلا حساب، بلا رجاء مكافأة، بلا مجد، بلا نفوذ؟ من هم هؤلاء؟ من أين لهم هذه القوّة حتى يكونوا مشهدًا للناس، يستخبثهم الناس، يهينهم البشر أجمعون؟ ولعلّنا اليوم لا نجوع ولا نعطش ولا نعرى ولا نُلطم، كما كان يحدث للرسل، ولكن ألا يصحّ للكاهن المتجرّد، المؤمن برسالته، غير المرتزق، غير المتجبّر، ألا يصحّ له أن يقول مع الرسول:

«لا قرار لنا، لا مستقرّ لنا، لا موضع لنا، نُشتَم فنبارك، نُضطهد فنحتمل، صرنا كأقذار العالم وكأوساخ» . هذه المواقف السيئة، كان ينتظرها بولس من أهل الأمم، لأن الأمم جميعًا قامت على المسيح وعلى محبّيه.

ولكن ألا يصحّ لنا في دهرٍ بات المسيحيّون عموما يجهلون فيه كل شيء وباتوا لا يمارسون الحياة الدينية، ألا يصحّ أن يأتي هذا الكلام عمّن حُسب مؤمنا وهو ليس بمؤمن؟ وهو يقول عن كاهنه ما يقول، يَشتمه عندما يشاء، ويضطهده إذا شاء، ويُشنّع عليه في المجالس نامّا، ويكشف عورته عندما يجب أن تُستر عورات الناس جميعا، لأننا لو شئنا أن نفتح سجلاّت العورات لما بقي إنسان. ولكن هذا هو نصيب الكهنة في كثرةٍ من الأحوال. إنه يُشنَّع عليهم ويُنَمّ ويُعتبرون كأقذار العالم.

ومع ذلك، وبعد أن يقدّم الرسول هذه اللائحة من التشنيعات، يقول لأحبائه أهل كورنثوس «مع ذلك أَعِظُكم كأولادي الأحبّاء لأني أنا وَلدتُكم في المسيح يسوع بالإنجيل» .

هذه الجماعة المسيحية التي سوف يوكَل أَمرُها إليك أيها الحبيب ميخائيل، أنت لا ينبغي أن تنظر إلى شفاهها، إلى أقوالها التي يمكن أن تكون قذرة، ولا ينبغي أن ترزح تحت ظلمها الذي يمكن أن يكون شديدا، وأرجو ألاّ ترزح تحت إهمال رؤسائك إن كانوا مهمِلين. أنت عندما اقتبلَكَ الروح القدس خادما له، شرّفك بالخدمة ولم يُشرّفك بالسلطة، وشرّفك بالفقر ولم يُشرّفك بالغنى، وشرّفك بالنسيان ولم يُشرّفك بالنفوذ.

وأنت على قدر ما تكون منسحقا أمامه، وهو الذي سُحق على الخشبة، يرفعك كما رفعه الآب، ويرفعك إلى النور وإلى تعزيات الروح القدس. ولكن لهذا شرط. لا يرتفع الإنسان بقوّةٍ من عنده. الشرط كَشَفَه إنجيل اليوم (مت ١٧: ١٤-٢٢) بقوله عن هذا المريض المصروع أن الشيطان الذي كان فيه لا يُطرد إلاّ بالصلاة والصوم. يرفعك الله أولاً بالإمساك، بالإمساك عن كل دناءة في الدنيا. احفظْ نفسك وجسدك من الدنس، ولا تتوغّل في ما يَحسَبه الناس شيئًا عظيما. ليس من عظيم إلاّ هذا الذي أَذَلُّوه على الصليب. هذا اجعلْه أمام عينيك في كل حين لئلاّ تتزعزع. ولكن إن

شئت أن تُداري الرعية والأقوياء فيها والأثرياء وأن تكون خادما لهم ذليلا، تكون قد انتهيت. تُردّد جُمَلاً من الطقوس، ولكنك لن تبقى نبيّ الله العليّ وراعيا للنفوس.

كن مُمسِكا وارفض برجلك كل مجد وكل مال، إذ ذاك أنت سيد في الحب وبالتواضع عليهم جميعا، وأنت قائدهم إلى خلاصهم، وهم في كافّةٍ من الأحوال لا يريدون خلاصهم. اضطررهم على الدخول كما تقول الكلمة الإلهية. أنت لستَ للرعية، أنت سيّد عليها.

وإذا لم ترَ في تكوينك النفسيّ، وأنت طريّ العود، إذا كنت لا ترى في تكوينك النفسيّ ما يجعلك سيّدا، فتسلّح بالشرط الآخر لطرد الأرواح بالصلاة. هذا حديث طويل لأنه غنيّ، دسِم، ولكن رجل الصلاة هو الذي يتّخذ قوته من هذا الذي يناجيه. تكون أنت قد انقطعت عن رؤية أيّ إنسان وعن سماع أيّ إنسان، وتَبَتّلتَ في الدعاء الطويل لهذا الذي تُبصره نفسك وتَستمدّ منه كل حياة «لا أنا بل نعمة الله العاملة فيّ». أنت وما جئت به من نسلك وما جئت به من بيئتك وما جئت به من تقصيرك، هذا كلّه يُرمى. ليس من تقصير بشريّ يمنعنا من أن نكون رجال صلاة مرتفعين عن كل شيء وشاخصين إلى الرب. فإذا به نحن أقوياء، وإذ ذاك نقول مع الرسول «لا أنا، لا أنا بل النعمة الحالّة فيّ».

فإذا أَصبحتَ رجل النعمة فقط، هذه التي تُكمّل الناقصين وتَشفي المرضى، فأنت أمام الرعية رسولُ الله. المهمّ أن يروا الله من خلالك مذكّرا بكلامه وحقيقته فيرتشدون ويَصْحُون.

وإذا صنعتَ هذا على ما يُلابسك من ضعف، إذا صنعتَ هذا، فبنهاية عمرك تستطيع أن تقول «أكملتُ سعيي، حفظتُ الإيمان، ولا يبقى إلاّ أن أرث الإكليل المُعَدّ لي قبل إنشاء العالم». فإذا عرفَتْك الكنيسةُ حافظا للإيمان، تَسْتُر وجهَك في التّابوت بالستر المقدس سائلة على أنك صرت قربانا مقبولا لدى المسيح، آمين.

اذا شئتَ لنفسك سلطة، فستكون سلطةَ الموت

يا أخي،

نشأتَ في البادية كما ينشأ الناس. ثم تجيء من حركة الشبيبة الأرثوذكسية وهي موضعٌ من مواضع الله. وكنت في حنين إلى وجه يسوع، حتى وجدتَ معالم وجهه مرتسمة على وجوه إخوتك. ثم استقررتَ في الإخوة، ليس لكونهم من لحم ودم ولكن استساغةً لأمور مشتركة. ولكن لما استقررتَ فيهم، ما ذهبتَ عن السيد لأنك التمستَ أنواره في كل نور، وأحببتَ أن تَسكُن اليه.

رسامة الشماس الياس (ناصيف) كاهنًا، كنيسة سيدة البشارة في برج حمود، ٢٥ آذار ١٩٨٤.

غير أنك فهمت أن الأهم عند من بَلَّغ الرسالة أن يلاحظ نفسه، قبل أن يلاحظ التعليم. فالتعليم قبل كل شيء إشراق. واذا استشرقَتِ النفسُ فلها من ذاتها كل غنى. وما كان الغنى الا ليتبدّد. ولقد أردتم انت ورفقاؤك أن تُحبّوا كنيسةَ الله مِن بعد موت. ولا تزالون ذلك المشتل الذي تَنبُتُ فيه النفوس. ومن أراد ضَرْب هذه الشتلات فكأنما يقول إنه عدوّ للنفوس، لا يريدها أن تتجمّل، وأنه يريد إطفاء الروح. أَظنُّك تدرّبت على

أن المعتبَرين صغارا بين الإخوة يُعلّمونك. وأَحسبُ أنك فهمتَ أن الروح يَهُبّ حيث يشاء، وأن طغمة من البشر لا تحتكره، وأن الكبير الكبير هو من أصغى إلى تمتمات الروح القدس، يلتقطها في كل نفس ويُسجّلها وينشأ عليها.

ما الكِبَر عند من ذاق حلاوة الروح القدس؟ ما الكِبَر إلاّ أن تتعلّم من الأطفال، من الرُضّع. فإن الخليقة كلها تُسبّح الله. فإذا شئتَ لنفسك سلطةً، فستكون سلطةَ الموت، سلطةَ إماتتك لنفسك، لتحيا بالآخرين الذين جَمَّلهم الله، وانت لهذا الجمال عبّارة. ولكنك إن كنتَ جادًّا في ملاحظة نفسك، فمعنى هذا أنك أَدركتَ أنك سوف تموت غير كامل، وانك ستصل إلى عتبات الملكوت مهشَّما لأن الصراع رهيب، ولأن أعداءنا في كل مكان، ولأنهم قرّروا أن يقتلوا هذه الكنيسة، وقرّروا ألا تكون لها فرادة، وأعداء الإنسان أهل بيته.

سوف يحاول أهلنا أن يعذّبوك. هكذا صنعوا بالأنبياء فقتلوهم. ولكن لا تُلاحظْ أولاً أعداء الكنيسة والأعداء المقيمين في الكنيسة، ولكن لاحظْ قبل كل شيء نفسك. فإنها إنْ أَسلمَتْ لغير الله تصبح انت لا شيء. المؤمن هو مَن اعتبر أنه يقدر أن يصبح الكون. هو وحده الكون. ولكنَّ شرطَ هذا الانسحاقُ الكامل أمام الكائنات جميعا. فإذا أَدركتَ أنك غدوت لا شيء، يجيئون اليك ليصبحوا منك شيئًا. والذي كان على هذا الايمان لا تُزعزعه رياح هذا العالم ولا تهزّه رياح نفسه، فإن المسيح أقام في وسط العاصفة وهدّأها. نفسك في آن معصوف بها والمسيح فيها. لذلك لا تَخَفْ، فقد جاء نصرُ الله بقيامة المخلّص، ونحن قادمون في هذا النصر وعلى هُداه نسير.

لاحظْ نفسَك والتعليم. أنت كاهن. أي إنك مُقام في وسط شعب الله معلّمًا. وشرط الكهنوت كما جاء في تراثنا، أن يكون الكاهن عارفًا المزامير والكتب المقدسة، لا معرفة بسيطة، بل معرفة تفسيرية.

الكنيسة الأرثوذكسية شاءها كسَلُ الأجيال أن تُنفّذ عباداتٍ فقط. وتَغنَّوا بطقوسها، وهم على حق في ذلك. إلا أنها مُعرّضة لتصبح عبادات جوفاء ما لم يرافقها التفسير. نحن ما استغنينا عن

عقولنا . نحن روّاد فهم، ويجب أن نعطي جوابا عن كل مَن سألَنا حتى نُدرك أعماق الثقة التي لنا بالله. فإذا كنّا كنيسة كاشفة لأسرار الكتاب العزيز، فمعنى ذلك أنك ستُرهِق نفسك بالدراسة.

نحن لسنا موزّعين لإعاشة. هذا ليس شأننا ولئن اضطرّنا كسلُ هذه الدولة أن نقوم بهذا الدور. نحن لسنا كُتّابا لمعاملات زوجية. نحن أصحاب الكلمة، ونحن أصحاب التفسير، ونريد أن نكون أهل فهم، ليفهم الناس في أذهانهم لماذا نحبّ يسوع المسيح؟ لقد دُعيتَ أن تكون عاشقا ليسوع، ولكن ينبغي أن تُدخل الناس في سرّ هذا العشق، وينبغي أن تكون قادرا أن تقول لهم لماذا مسيحك يمكن أن يكون محبوبا .

لاحِظْ نفسَك والتعليم. لن أُكلّمك عن الإغراءات التي تُواجهك وهي كثيرة. حسبي منها إغراءُ وجاهةٍ كاذبة في هذه الطائفة، وإغراء أثرياء، وإغراء أقوياء . الكاهن الهزيل يتقوّى بالوجهاء العلمانيين. والعقل الركيك يتشدّد بذوي النفوذ . اما أنت فلن تستجدي عطفهم، ولن تسعى إلى مركز في الكنيسة مرموق. ولكنك تُلازم أهل الكلمة وتُلازم المجاهدين في الروح القدس وتُلازم كل موضع من مواضع الله. السيادة لمن تَحرّك بالروح ولمن استلهَمَ الروح. إن انت سمّرتَ نفسك على حُبّ السيد فلن يأتيك الباطل من خلفك ومن بين يديك.

لا تخشَ أسقفًا أو زميلاً أو وجيهًا في هذه الطائفة. كلُّ ترابيّ غبار وهباء ريح. أنت نفسك ستبقى حتى العتبات مشدودًا بين ترابيّتك وملكوتيّتك. انفُضِ الغبار عنك واذهبْ دائما إلى باب الملكوت، وهو مفتوح، ومن ورائه ينزل عليك ضياءُ الله. اذكُرْ هذه الكلمات وتنشّأ عليها لكي يتعرّفك المسيح إذا أنت مثُلتَ في حضرته مِن بَعد موت.

ليس عند الله محاباة الوجوه. فهو لا يَعرفنا، ولو قضينا في خدمته مئة عام. لا يَعرفنا إلا إذا لازمْنا الطاعة شخصيا . وقد تَقضي كل أوقاتك في خدمة الشباب وفي خدمة الرعية، ليل نهار، ولكن إن لم يكن المسيح ساكنًا قلبك وحده لا شريك له، سيرْذُلُك في اليوم الأخير. ولكني عرفتُك محبًّا لطاعته ومحبًّا لحبه وراغبا في كلمته.

لاحِظْ نفسك والغزوات الداخلية التي تنتابك، واقضِ عليها بفضله ونعمته. وإن كنتَ صادقاً في هذا النضال، تصل إلى العتبة، وهو من وراء الباب يمدّ إليك يده ليُدخلك على فقرك ويُلبسك ثوب المجد، آمين.

أنت كاهن على الرجاء

رسامة الشماس سمير (غلام) كاهنًا، كنيسة مار الياس في الحدث، ٢٩ تموز ١٩٨٤.

يا أخي سمير،

إني بارتعاد كثير قد أكملتُ هذا السرّ مع الرعيّة الملتفّة حول المائدة الإلهية لأننا لا نستطيع أن نقف أمام الرب إلا بخوف ورعدة، ذلك أن هذا الجسد من تراب وأن النفس تتلقّى ترابية الجسد. من يستطيع؟ من يستطيع أن يأتي بهذا اللحم والدم أمام وجه الله إذا رفع الذبيحة؟

أنت كاهن على الرجاء. أنت كاهن على الرجاء لأن لنا فقط كاهنًا واحدًا. ذاك الذي استطاع بالطاعة لأبيه أن يكون جسده كلاهوته، قَدِرَ أن يقدم مرّة واحدة ذبيحة عن خطايانا واقتُبلت. هذا الذي يستطيع اليوم أن يُقدّم نفسه للأُمّة المقدسة هو وحده قادر أن يقدّم الخبز والخمر عن خطايا وجهالات الشعب.

كاهنًا ستكون إذاً في بيتك، في العالم، مع الناس، منسحقًا ليس أمامهم ولكن منسحقًا في حضرتهم، أمام ربّك باللطف المتناهي والتواضع العظيم، لأنهم يستطيعون أن يتّخذوا من لطفك وتواضعك درجات إلى وجه

الآب وهو المبتغى. ولكي تتمكّن من أن تكون كذلك، لك أن تعكف على الكلمة الإلهية في كل حين فإنها هي التي تُكوّننا، وما عداها فنحن من طين هشّ.

ولكني أَعلم أنك ذهبت منذ نعومة أظفارك إلى هذه الكلمة لكي توجد. فإنها هي التي ينتظرون من فمك، وما خلاها ففذلكة بشرية وسياسة من هذه الأرض، وما خلا الكلمة ترتيبات فصيحة بين البشر. واللحم والدم يا أخي يستطيعان أن يجلسا في الكنيسة وأن يسوساها، ولكن اللحم والدم لا يقدران أن يَدخُلا إلى ملكوت الله.

وإذا ذهبتَ إلى الرعية التي تنتظرك من بعد هذه التهيئة الكبيرة التي هيّأتكَ بها الكنيسةُ المقدسة، فسوف تجد المحبَّ للمسيح، وسوف تجد المتزعّم التافه، وهناك منزلة بين المنزلتين. ولكنِ اعلمْ أن الصالحين والتافهين معًا والخطأة أبناء لك، لأنهم وإن كانوا لا يحبّون ربّنا يسوع المسيح إلا أن ربنا يحبّهم وأنت مثله لا تحابي الوجوه، شأنك مع كل عضو في الرعية أنه مُفدّى وأنه كريم لدى الرب وأنت تُعامله على هذا الأساس، فهمَ أَم لم يفهم.

وسوف يكون لك شأن مع المطارنة، والمطارنة من لحم ودم أيضًا ولهم شهواتهم. غُضَّ النظر عن شهواتهم فالعورة تُستر. ولكنهم سيُلقون عليك طيبًا ثقيلاً، فتَقَبّلْه بالطاعة والهدوء لأنك بالطاعة لهؤلاء الأجلاء، الذين أَجَلَّهم الله بكهنوته ولم يُجلّهم بشهواتهم، بالطاعة لهؤلاء سوف تتدرّج إلى ملكوت الله مجرّحًا ذبيحا. سيذبحونك في الكنيسة. بالدم المهدور فقط نستطيع أن نتصاعد إلى وجه الآب.

اعلمْ هذا ولا تيأس، فالكنيسة في الأزمنة الرديئة معذّبة بالزمان الرديء، ولكن تَقبَّلْها أنت بتحنان المسيح نحوها وبامتثالٍ حتى تكون في المجد.

ألا رافقك يسوع في حنانه ورضاه في تطوافك الكبير، آمين.

حذار أن تخلط شهواتك بكلمة الله

«أَكِبَّ على القراءة حتى مجيئي»

(١تيموثاوس ٤: ١٣)

أخي ديمتري،

لقد ربّاك محبّو المسيح في ميناء طرابلس، ومن بعد ذلك ربّتك الكلمة، والكلمة هي وجه يسوع بالذات، وأنت مسمَّر على هذا الوجه طلبًا للعشق الإلهي الذي عليك. باتفاق هؤلاء المؤمنين، قال لك الله إنك محمول على أكتاف القديسين وعلى أدعية الأبرار، فإنك لست وحدك في مشقّات الدعوة. وما دعاك الله إليه لما لحظك وأخذك إليه أنْ سلّم إليك هذا الصليب الذي به تدعو الناس إلى القيامة، أي إلى محبة يسوع المسيح، هذا إذا كنت عاكفًا على القراءة يوم دعاك حتى تُدخل المؤمنين في تعاليم الكلمة وفي مودّتها، لأن ما يُطلب إليك هو إرسال روح الله إلى الناس، لأن الأرواح الشريرة كثيرة والكلمات الباطلة كثيرة ولأن البدعة متفشّية. ولذا

رسامة الشماس ديمتري (بارودي) كاهنًا، كنيسة القديس أنطونيوس في فرن الشباك، ٥ آب ١٩٨٤.

كان لا بد من تقويم المؤمنين بما جاء على فم الله وحده، فالرب هو المعبود وما أنت سوى مُذكِّر، ولستَ مُذكِّرًا بنفسك ولا جاذبًا الناس إليك ولكنك مجرد جسر يَنقل الناس من الموت إلى الحياة. والحياة فيك صورة الله ومثاله ونعمته. وهم يكتشفون ذلك بالتذكير وببشرى لا تنقطع. ولكن دراسة الكلمة ليست هي بسهلة، فإنها تقتضي منك تبتُّلاً كاملاً أي أن تنقطع عمّا سواها لتُقيم فيها وتغتذي بِدَسَمِها وتعطيها للناس. وليس لك رأي خاص، وما لنا في الكنيسة رأي خاص ولكنه الرأي المستقيم الواحد الذي أُعطيَ مرة واحدة. غير أن العارفين يعرفون كيف يحملونه وكيف يُقنعون به، ولكن حذار أن تخلط شهواتك بكلمة الله.

الله لا يرضى لنفسه شريكًا فيك، والإخلاص له وحده والسجود له وحده وهو يملؤك من ذاته. وإذا رأى المؤمنون ذات الله فيك يتعرّفونه ويسجدون. ومعنى ذلك أن هذه الكلمة يجب أن تسكن فيك بغنى على ما قال الرسول. ها إنك تتعرّفها من كل جوانبها كما سُلّمت إلينا في التراث بحيث لا تتهاون في تَعرُّف كل ما قاله آباؤنا في اللاهوت والنسك لكي يأتي الإنجيل إلى الناس مزهرًا محييًا ضابطًا لهم وآخذًا إياهم إلى وجه الآب.

أيها الأخ الكريم، عندما تصبح أنت كلمة يقرأها الناس، أي إذا صرت إنسانًا لا ينطق عن هوى ولا يتصرّف عن هوى، إذ ذاك يفهمون أنهم إذا صلّوا وراءك فإنما لا يرونك أنت منتصبًا أمام المذبح ولكنهم يرون قامة المسيح. اليوم الذي يعرف فيه المؤمنون أن لا يُميّزوا بين وجهك وبين السيد، اليوم الذي يقولون فيه لعلّ وجهك هو أيقونة يسوع، في هذا اليوم تصبح أنت إمامًا. وقبل ذلك أنت رجل الرغبات والشهوات، وما كنتَ معلّمهم الكلمةَ إلا لتقودهم إلى طهارة السلوك.

وشعبنا بعامة يتغنّى بطقوسه ويعتزّ، ولكنه كثيرًا ما يُعرض عن طهارة السلوك. ليس شغلك أنت أن تُغنّيهم فالترتيل جيّد ويقودنا إلى الله، ولكن ما هو مطلوب منك، إمامًا للجماعة، أن تَصرفهم عن الخطايا لكي يعرفوا المسيح مصدرًا للحياة. وإذا التفّوا حولك وحول المائدة المقدسة فاستطاعوا أن يقولوا معك «ليس أحد من المرتبطين بالشهوات واللذات الجسدانية مستحقًا أن يدنو منك أو

يخدمك يا ملك المجد»، إذا انسحقوا حتى هذا التواضع، تكون قد حقّقتَ هذا الكهنوت الذي أنت أخذته. وأنت قس وكاهن على مقدار مساهمتك كهنوتَ ذلك الذي عُلّق على خشبة والكاهن الأوحد. وإذا استطعتَ أن تأخذ منه تكون أنت بدورك ذبيحة، إذ ذاك تلمس سرّ الشكر بالمقدار من الاستحقاق الذي تُرك للبشر.

أنت مصلوب على حُبّهم

أيها الإخوة المحبوبون بالرب،

في اليوم الذي قرأنا فيه أن «ابن البشر ما جاء ليُخدم بل ليَخدم»، جَعلْنا في هذه القرية خادمًا. وفي هذا الأحد بالذات الذي تحدّث فيه السيد يسوع عن خدمته للبشرية بالموت، أقمنا ذكرى لتلك المرأة العظيمة في النساء أُمّنا البارّة مريم المصرية التي كلّما تحدّثتُ عنها أو ذكرتُها تَحكَّم بي الخشوع، لكونها كانت صبيّة انساقت إلى الخطيئة ثم رفعها الله من الجبّ وأقامها ناسكة بالقرب من أورشليم، عظيمة في النساء، حتى سجد لها القديسون في برية الأردن.

رسامة الشماس أنطوان (صليبا) كاهنًا، كنيسة القديس جاورجيوس في بتغرين، ٣١ آذار ١٩٨٥.

في يوم التوبة هذا ويوم الخدمة هذا، في يومٍ اقترنَ فيه ذكرى الصلب وذكرى الامتحان، جعلنا هذا الشاب كاهنًا لله العلي، أو بالحري لاحَظْنا أن ربّه، كما قالت صلواتنا، عرفه منذ البدء خادمًا وجعله قسًّا من بطن أمه. هذا هو إيماننا بالكهنوت، وأنا وأنتم ما جئنا إلاّ لنلاحظ هذه الدعوة الأزلية وأعلنّاها. أنا لا أَجعل الناسَ كهنة، ربُّهم يجعلهم كذلك. أنا أُلاحظ الشيء

وأُعلنه. سَجّلنا هذا الفتى كاهنًا لله، أي داخلاً في مسؤولية ثقيلة، ثقيلة حتى الموت، لأن البشريين لا يتحمّلونها. مسؤوليةٌ تُميتهم لو كانوا واعين، مسؤوليةٌ تُحوّلهم رمادًا لو كانوا مدركين.

فمن هو المؤهَّل بهذه الطينة البشرية التي هو منها، من هو المؤهَّل بهذا اللحم النتن أن يقف أمام مذبح الرب ليعلن قداسة الله ويجبل نفسه ورعيّته بهذه القداسة؟ كيف يجيء الرب إلى هذا اللحم والدم؟ لقد جاء، لقد جاء مرّة ونزل في أحشاءِ فتاةٍ ليقول لنا إنه لا يَحيد عن هذا اللحم والدم وأنه هو هنا معنا، هنا معنا في الإنجيل. وقيل لهذا الرجل، فيما كنتُ أصلّي عليه، أنِ ادرسِ الإنجيلَ وعَلّمْه للناس.

كيف يواجِه الإنجيلَ أي كلامًا أزليًا هو كل الحقيقة وكل النور، كيف يواجِه الإنجيلَ رجلٌ خاطئ مثل هذا الرجل؟ إن آباءنا قالوا لنا والكتاب قال لنا: إن هذا الكلام الإنجيلي هو الذي يُطهّر مِن كلّ دنس. «إن الكلام الذي أُكلّمكم به نور وحياة». سوف يتنازل الله إلى ضعف هذا الرجل، سوف يتنازل إليه، ولكن الأب أنطونيوس يستطيع أيضًا أن يركع -والركوع تواضُع- أن يركع أمام الرب ليقول له: إن أهل بتغرين، بعضهم يسمعون، وأكثرهم لا يسمعون، وأنه حاول تقديسهم، وبعضهم قَبِل التقديس وأكثرهم لم يقبله. يجيء هكذا إليه، أمام المذبح، صفر اليدين ليقول له: هذه الرعية المكسورة الخاطئة أُقدّمها إليك، فتنازَلْ أنت إليها بالإنجيل عساها أن تَطْهُر، وتنازَلْ أنت إليها بجسدك الكريم عساها أن تفهم.

كن كذلك يا بنيّ إلى أن يستردّك الله إليه كل يوم من أيامك. إن هذا صعب، الرعية صعبة، كل يوم صعب، وبعضٌ منهم يحاولون هَدْمَك، وبعض منهم يشكرون الله أنك جئت إليهم ويفهمون. حاول يومًا بعد يوم كجنديّ صالح للمسيح أن ترفع هذا الشعب إليه. حاول كل يوم. فهموا أم لم يفهموا، أحبّوك أم كرهوك، أنت مصلوب على حبهم. ليس لك في ذلك حيلة، أنت أبوهم، تحبّهم جميعًا. أهل هذه الرعية، ككلّ رعية سوف يُثرثرون، سوف يتناولونك في مجالسهم. أَحببهم، ليس لك في ذلك حيلة. أَحببهم حتى تنقل إليهم عدوى المحبة، علّهم يفهمون.

وحتى تتمكن من ذلك أنت بحاجة إلى شيئين: أن ترتمي في حضن السيد بَعد تعب ليتقبّلك هو لأن بعض الناس لن يتقبّلوك، ومهما كان من أمر فَرِضاه هو الأهم. تعال إليه بالركوع والصلاة كل يوم حاملاً صليبه، وفي نيتك زلّتُك كما دلّت عشيرتُك على الصليب. وإذا لم تُصلَب معه فلست على شيء ولن تكون.

والأمر الثاني، هو أن تكون عفيفًا. شعبنا إلى الآن لم يتعلّم العطاء الكثير. ربما كان هذا نقصًا في تربيتي أنا لهذا الشعب. ولكن عُفّ، عُفّ عنهم وعن أموالهم حتى يفهموا. وقد تكون فقيرًا، هذا شأنك مع الله. شأنهم هم معك أن يحملوك ويُعززوك في دنياهم لأنهم بذلك يرفعون أنفسهم ويُطهّرون ذواتهم. ولكن شأنك أنت ليس معهم، شأنك أنت مع المسيح وهذا المسيح يقبض الشيء الكثير. هو يطلب إليك العفّة، ولذلك لن تُعنى أنت بالمال. هو التجربة الكبرى والمحنة الكبرى. لن تُعنى أنت بالمال ولن تَذكُره وإلا زالت عنك النعمة وجاز عنك بهاء الكهنوت.

سوف يفهمون إن أَحببتَ. تمسَّكْ أنت بنزاهة القديسين عن المال، هو الإغراء الأكبر لأنك رجل لا يَحسَب كيف يعيش أو كيف يموت. لغيرك أن يَحسَب كيف يعيش أو لماذا لا يموت. ولكن لا فرق عندي ولا فرق عند ربّك بين أن تعيش أو أن تموت، لأنك قد تحيا، قد تحيا من بعد موت ويبقى ذِكْرُك أبديًا في هذا الشعب، ليس عليك أن تسأل.

اذهبْ في بركات الله. منذ اللحظة، أنت أبوهم وأنت احتضنتهم وهم في قلبك. ارفعْ هذا الشعب على مذبح الرب. قبِّلْ هذا الشعب واحدًا واحدًا حتى يعيشوا، حتى يحسّوا. قَبِّلْهم بالحب فإنهم مَفديّو المسيح. لقد سقط على كل منهم دم المسيح، لذلك هم حبائب. ارفعهم كلّ يوم حتى يتقدّسوا، وقلْ عليهم السلام، آمين.

القوة هي الإنجيل

يا أيها الأخ الكريم،

لقد اختارك الله مثل سرجيوس وباخوس، جنديًا للمسيح على طريقة الوداعة واللطافة، وقد أراد وجهَك أن يكون أيقونة، فإنك بذلك وحده تستطيع أن ترعى شعب الله. نحن لا نتسلط على الرعية، ولكننا نحبها، وإذا عَرفَتْ نفسها محبوبة تصير للمسيح. هذا هو سلطاننا الوحيد، إنه سلطانُ مَن استطاع أن يحب أولاً. من كان كثير المحبة، تُسلَّم إليه الرعاية. ليست لنا وسيلة غير هذه أن نكون في تضحية دائمة ليعرف المؤمنون أنهم أُحبُّوا مرة لما بُذل ابنُ الله على الخشبة. وإذا أَحببت، تكون رئيسًا. الكاهن رئيس، ولعلّ شعبنا يعرف ذلك قليلاً، وليس لنا نحن أن نناقش رئاسته لأن الله سلّمه إياها، نحن ننطلق منها ونُبنى عليها. والطاعة واجبة لمن سُلّم عصا الرعاية، ولذلك يجب أن تَعرف نفسَك رئيسًا. نحن ليس عندنا في المسيحية تواضُع كاذب. من بعد قوة نتواضع، والقوة هي الإنجيل، ولذلك لستَ عليهم بمسيطر. أنت سيد ولكنك لست مسيطرًا.

رسامة الشماس أنطوان (حداد) كاهنًا، كنيسة مار سرجيوس وباخوس في المنصف، ١٢ تشرين الأول ١٩٨٦.

ومعنى ذلك أيها الأخ الحبيب أنه يجب أن تكون نُسْكيَّ السلوك كشفيعك أنطونيوس، غيرَ متعلّق بشيء من هذه الدنيا. وينبغي أن تَذْكُر، وأنت متزوّج، قول الرسول الإلهي: «وليكن مَن لهم نساء كأنهم لا نساء لهم، ومَن يستعملون هذا العالم كأنهم لا يستعملونه، لأن هيئة هذا العالم تزول».

أنت تتجاوز كل وجه إلى الأيقونة الوحيدة، أيقونة السيد. تستعمل الأشياء في هذا العالم، ولكنك حُرّ منها. أنت قابض المحجّة الوحيدة حيث الآب والابن والروح القدس. وإذا رآك أهلُنا في الجنوب ذاهبًا إلى الآب، يتبعونك. وإذا أَقمتَهم هناك في حضن الآب والابن والروح القدس، تكون قد أَكملتَ سعيك وحفظت الإيمان، ولا يبقى لك إلا أن تُوهَب إكليل المجد الذي أَعدَّه الله للذين يُحبّونه، آمين.

مجدك أن تموت

أيها العزيز الأب الوقور استفانوس،

لقد كان اسمُك في الدنيا «جهاد»، والجهاد ينتظر صاحبُه الإكليل. سَمَّيتُك استفانوس أي المكلّل. شاء الرب بلا تصميم مني أن تقع هذه الرسامة في عيد ثانٍ لشفيعك، فنحن اليوم في عيد نقل رفات القديس الشهيد استفانوس، وكأن الله أراد مني وضع اليد الأول الذي كان في الشموسية، وفي وضع يدي الترابية اليوم أن يوحي اليك أنك مكلّلٌ، وهذا بالطبع غير ممكن في الدنيا، فنحن لا نزال في النضال ذاك الذي قال عنه الرسول العظيم، مستعملاً اسمك الاول، «إنني جاهدتُ الجهاد الحَسَن، وحفِظتُ الإيمان، وأكملتُ سَعيي، فلا يبقى لي إلا أن أنتظر الإكليل الذي أعدَّه الله لأحبائه».

رسامة الشماس استفانوس (كرم) كاهنًا، كنيسة سيدة صيدنايا في الدكوانة، ٢ آب ١٩٨٧.

سوف تُكلَّل على الرجاء في اليوم الأخير. وقبل ذلك أنت في جهاد مضنٍ، حتى، إذا رأى الله في رحمته الواسعة أنَّ له أن يُشرّفك بالنصر، يضعُ هو، لا هذه اليد الحقيرة، إكليلَ المجد الذي أَعدَّه الله للذين يشتهونه. وقبل

ذلك نُطلقك في خدمةٍ دؤوب يوميّة عظيمة الشرف بأصلها وميراثها وقصدها . ولكن يكون عليك أن ترث أنت عظَمتها وتشريفها اذا لم تُدنّسها بالمخالفة أو الإهمال. فلذلك قلتُ لك في الخدمة الإلهية، لما سَلّمتُك القربانة الإلهية، قلتُ لك: «خُذْ هذه الوديعة واحفَظْها حتّى مجيء ربنا يسوع المسيح». وكان القصد من ذلك، اذا سُلّمتْ اليك القرابين، أنّ الرعية مُسلّمة اليك، فالقرابين صورة عن الرعية، عن هذا الجسد الإلهي الذي فينا. سوف يُسلّم المؤمنون إلى رعايتك لكي تَطلبُهم واحدًا واحدًا وتفتقدهم واحدًا بعد واحد، وأنت في كل ذلك لا تنظر الا اليهم وإلى منفعتهم وإلى بنيانهم، فلا تنظر إلى مجدٍ لك أو راحة لأن كل مجدك أن تموت.

هوذا سرٌّ أقوله لك في هذه الخدمة الكهنوتية، السر العميق الذي في كل خدمة وفي كل الحياة التي لنا من المسيح. أودّ أن ألفتك إلى قول السيد: «تَعلَّموا منّي أني وديع ومتّواضع القلب». فضيلتان دَلّ عليهما المسيح متحدّثًا إلى تلاميذه. والمسيح حامل مئات الفضائل، وكان بإمكانه أن يُسمّي كل مزاياه. ولكنه قال، لما أراد لهم وصية: «تَعلَّموا مني أني وديع ومتّواضع القلب». ولم يلفظ كلمة «الوصية»، حتى تلفَّظ بها في موضع آخر في بشارة يوحنا «وصيةً جديدة أُعطيكم أن تُحبّوا بعضُكم بعضًا كما أنا أَحببتكم». واذا أَقرنّا متىّ بيوحنا، فكأنه يقول إن طبيعة المحبة التي أَوصيتُكم بها هي في الدرجة الأولى أن تكونوا ودعاء ومتّواضعي القلب. فأنت لا تستطيع أن تصبح خادمًا للناس ما لم تكن غاسل أرجلهم. وأنت لست فوق انسان، أنت تحت كل انسان. وبسببٍ مِن هذا، اذا كنتَ تمسح جبينك بأقدام الناس، فالله رافعُك وحده في يوم الدينونة إلى المجد.

ليس من طريق أخرى إلى المجد الإلهي من أن نغسل أرجل الناس. فإذا أَحببنا أن نتعمّق في التّواضع، فإنه يعني أنك واعٍ في قرارة نفسك وفي خلوتك أنك لست بشيء، فإنك إن ظننتَ انك شيء يُحوّلك الله إلى لا شيء ويعدمك. إذا ظننتَ أنك شيء، يحسّ المؤمنون بأنك مستعلٍ ومستكبر وأنك أعظم منهم بالكبرياء، في حين أنه يجب أن يفهموا أنك أعظم منهم بالانسحاق والامّحاق. فإذا رأوك عند أقدامهم، فهُم رافعوك فوق عيونهم. في كل حال، ليست لنا طريق أخرى. هذه هي التي سلكها

المعلّم لما سحقته الإنسانية تحت خشبة الصليب ولما داسته دَوسًا وأنكرته نكرانًا. فإنه لما وُضع في قبرٍ استطاع أن يقوم من بين الأموات لمجد الله الآب.

سوف توضع في قبرٍ بين هؤلاء الأرثوذكسيين. سوف يَنسونك. سوف يُهملونك. سوف ينمّون عليك. سوف يضطهدونك. هذا أَمرُ الرعية. هذه هي كما نعرفها. ولكن هذه الرعية الخاطئة كثيرًا هي التي افتداها بدمه. ولذلك إذا رأينا اليها، لا نراها الا مصبوغة بالدم الكريم، عظيمة بالقيامة. لا تُبصرُ أنت خطاياها إلا لتُعالجها. ومن بعد ذلك عليك أن تُبصر إلى المجد الذي تحمله وُعودًا بسبب الكلمة من القرابين. لهذا لا يبقى مِن حَدّ للحب. فاذهبْ به إلى اللانهاية، حتى اذا رآك الله قد أَدركتَ حدود التواضع والوداعة، يقبضك في رحمته إلى المجد، آمين.

كن راعيًا لفضائلك

لقد اجتمعنا في هذه البيعة المقدسة اليوم لنرفع إلى الله هذه الرسوم الجدارية المقدسة التي قَدَّمتم لمجد الله، فأكرمكم الله وألهمكم أن ترفعوا الأيقونات قربانا لمجده. وما شئناه حقا هو أن يُطلّ القديسون علينا بوجوههم النورانية علّنا نُدرك أن آخر المطاف هو وجه المسيح الحبيب، وأن كل مسعى على هذه الارض إنْ هو إلا اشتياق اليه.

الأرثوذكسيون القدامى كانوا يَبسُطون القديسين أيقوناتٍ ورسومًا كهذه على كل جدران كنائسهم وسقوفهم لعِلمهم بأنهم يسكنون مع القديسين في المجد. والكنيسة ليست، في الفهم الأرثوذكسيّ لها، معبدًا ذا جدران، ولكنها رسوم جدارية. انها مجموعة من القديسين واقفة ومتراصّة، ولكن يؤتى بالحجر سندا ليقينا الأمطار والشمس. الكنيسة ليست حجرا، إنها إطلالات قديسين. ولا بد من الحجر لنجتمع، ولكننا في أعماقنا نجتمع بأصحاب تلك الوجوه.

رسامة الشماس ألكسندروس (شويري) كاهنًا، كنيسة رقاد السيدة في الشوير، ٢٦ تموز ١٩٩٢.

ما أقوله يا أخي ألكسندروس ليس غريبا عن رسامتك، ذلك أن

الروح القدس انتدبك لتصير أيقونةً للسيد. ولكن أحدًا لا يصير هذا وهو في الجسد، ذلك لأن الجسد واللحم يتأكلاننا، ولكنه مسعى. اذكرْ أنك أُقمت قسًّا في اليوم الذي رَفعنا فيه الأيقونات قربانا لله لعلّك تصبح بدورك أيقونة. ولكن أودّ أن أَلفتك إلى قولتين كريمتين في الكتاب العزيز. أولهما قول فيليبس لنثنائيل عندما استغرب نثنائيل أن يَظهر في الناصرة شيءٌ صالح. كانت كلمة رفيقه اليه: «تعالَ وانظُرْ». إن هذا المعلّم الجليليّ الذي يدعونا شيءٌ آخر عن كل ما رأينا وسمعنا، وشيءٌ آخر عن الأنبياء تَلَوْنا كلماتهم في مجامعنا.

يا ألكسندروس، لك العمر لتصبح كاهنا، ولن تصبح، أي إن أبعاد الكهنوت غير متوفرة لمخلوق، ولكن الرب فوَّض إذ لا بد له أن يُفوّض الناس ليكفلوا أحوال الناس. وبالتالي انت كاهن على الرجاء، غُرسَتْ فيك البذرة الروحية الآن، من بعد المعمودية، عسى أن تَنبت فيك عطاء كبيرا.

ستصير كاهنًا إذا استطاع واحد من الرعية أن يقول لأخيه: «تعال وانظر، هذا كاهن». ما شرط ذلك؟ كيف تصير؟ قلتُ سوف أُذكّركم بقولتين في الكتاب: «تعال وانظر» و«ليس لابنِ الانسان موضعٌ يسند اليه رأسَه». وكأن الكلمتين متناقضتان. فكيف تجيء يا نثنائيل لكي تنظر إلى المجد الذي حَلّ في يسوع، ومن جهة اخرى هو القائل لك: «ليس لابنِ الانسانِ موضعٌ يسند اليه رأسَه»؟ التناقض رُفع على الصليب، لأنه عندما استطاع أن يسند رأسه على الخشبة ارتفع في المجد. تعالَ وانظرْ هذا الانسان المدمّى، أو تعالَ وانظرْ هذا الكاهن المدمّى. فإنك إنْ جاريتَ الرعية فيما هي حُكْمُ القبائل –وجبلُ لبنان قبائل–، إن ماشيَتَهم في شهواتهم وطغيانهم وانقساماتهم وبغضائهم التي لا تنتهي، فأنت في هذه الأرض، ولم أكن قد رفعتُك لتُجالس الملائكة. ستُحوّلهم إلى أن يكونوا في حُكم المسيح وليس في حُكم خطاياهم. كيف يكون هذا؟ يكون هذا إن أَصبحتَ أنت وجهَ المسيح.

يا إخوة، لقد صعد الرب واحتجب جسدُه عنا لكي يَصير كلٌّ منا وجهَ المسيح إلى الخليقة. وهذا تأكيدنا على القديسين وشفاعتهم أنهم هم أَمسَوا أناجيل. ليس الإنجيل كتابا. الإنجيل شخص

حيّ أمامك يحيا بيسوع، وإلا لما قدرتَ أن تقرأ يسوع. يسوع لا يُقرأ صحائف، يُقرأ وجوهًا.

أذكُر كلمةً نسكية جاءت في أدب الرهبان عن رجل كان في جهنم يصف حالة الجحيم ويقول: نحن الذين أُلقينا في النار مربوطون ظهرًا إلى ظهر بحيث لا يَرى أحدُنا وجهَ الآخر، ذلك لأن الآخر وجه. الجحيم عدم، ظلمة كاملة، لأن الوجوه معدومة فيها. ماذا يعني ذلك؟ في الرعاية، هذا يعني أن تفتقد كل أخ لنا، في كل أتعابه –والأتعاب الجسدية ليست الأعظم–، وفي فقره الروحي، ذلك أن الحاجة المادية ليست الأعظم. أن تفتقدهم أي أن تَعي نفسك لا شيء، وأنك محصلة هذه النعمة الهابطة عليك، وإذا أنت دفعتَها عليهم تكون قد سَلَّمتَ الوديعة. «خُذْ هذه الوديعة واحفَظْها سالمة إلى مجيء ربنا يسوع المسيح حيث أنت مزمع أن تُسأل عنها». أنت تصير. أنت لست بشيء، ولكنك تصير إن نسيتَ نفسك وأَحببتَهم. إن أَحببتَهم، هذا حظُّهم الوحيد أن ينتقلوا من حُكم العائلات والقبائل والانقسامات والشهوات إلى حُكم المسيح. الكاهن والرسول العلماني اليقظ، همٌّ مِن همّه توطيدُ حُكم الله في الارض بلا سياسة دنيا.

أنا أعرف أن النعمة أَهّلَتْكَ أن تكون وديعا. ليس من فضيلة أعظم من هذه. يقول آباؤنا: إن التواضع هو الذروة، ولكن التواضع مستحيل بدون وداعة. أَهّلَتْكَ النعمةُ أن تصبح وديعا. أُريدك أن تكون، إلى جانب هذا، أن تكون عالما بالأمور. الكلمة تنتقل ليس فقط من قلب إلى قلب –وهذا هو الأجلّ والأفعل–، ولكنها ايضا تنتقل بتواضع من عقل إلى عقل.

الأرثوذكسيون يحتقرون العقل لأنهم لا يقرأون. هم أهلُ طرب، وقد يكونون أهلَ الجمال الروحي، ولكنهم لا يدرسون. والله قال: «في البدء كان الكلمة»، هذا الذي عَبّر عن نفسه بالرسالة، بالإنجيل، بعباراتٍ كُتبت كلمات. والكلمة يجب أن تَعبُر من عقل إلى عقل.

لقد رفعك الله وأَجلّك مع عظماء الأرض كما يقول داود، وفي فهمنا مع عظماء السماء. طبعا، لقد أَجلّك الله مع أكابر السماويين لتكون كلمةً دارسةً منقولةً إلى العقول. على فضائلك الإنجيلية أَتوكّل. كن راعيا لها لأن الشيطان يُغرينا كل يوم. كن راعيا لفضائلك لكي لا تتزعزع، ولكن

تَعرفُ إذا وقفتَ أمام مذبح الرب أنك واضعٌ هؤلاء الإخوة على كتفيك لكي يرتفعوا هم، لا أنت. وانت ليس لك موضع تسند اليه رأسك، حتى يستدعيك الرب في اليوم الأخير ويُكرمك، لأنك تكون قد انسحقتَ واستغفرتَ وعَمَّدتَ نفسك من جديد بالدموع. عند ذاك، يرتفع الإخوة. إذ ذاك تكون قد وصلتَ إلى آخر درجة من درجات الكهنوت.

أَحبِبْ تُطَع

أحبائي، أيها الأخ الكريم الخوري جريس،

لقد وُلد لنا اليوم المسيحُ الرب لكي نعرف أننا صرنا أحياء ومخلَّصين، لكي ندرك أن شيئًا من هذا العالم لا يستطيع أن يَقهرنا، أن يُكبّلنا، أن يُميتنا، لكي نفهم أننا ناهضون أبدًا من بعد كبوة، أننا مغفورة لنا خطايانا، أنّ شيئًا في هذا العالم مهما عظم، أنّ كارثة كبيرة لو حلّت، أنّ غضبًا كبيرًا لو جاء، أنّ عاصفة مهما هاجت، أنّ مرضًا لو تفشّى، أنّ موتًا لو حلّ، ليس شيءٌ من هذا يقدر أن يَفصلنا عن المحبة التي لنا في المسيح يسوع بعد أن عَرفْنا أننا أُفتقدنا وأننا أُحببنا وأنّ المسيح هو بآن معًا فوقنا ومعنا وفينا ونحن لا ننتظر أحدًا أو شيئًا سواه ولا نتعزّى به، ولا نرجو إلا عودته إلينا بالغفران والحنان.

رسامة الشماس جريس (بو سابا) كاهنًا، كنيسة الصليب في النبعة، ٢٥ كانون الأول ١٩٩٣.

يا أخي الخوري جاورجيوس، لقد انتبهتُ إليك منذ أن جئتَ تَطلب عِلمًا واستعدادًا للكهنوت. لقد انتبهتُ إلى أنك تفهم هذه الأشياء التي قلتُها الآن للرعية التي أَحببتُ أن نُقيم معها هذا الميلاد الطيّب. إنك

كنت فاهمًا هذه الأشياء وزادك الله فهمًا. هذه الأشياء يا أخي هي الكهنوت. الكهنوت خدمة مخصَّصة ليس فيها شيء فريد، فكل الرعية حاصلة على الكهنوت الملوكي، إنها أُمّة مقدّسة. ولكنك، في هذه الخدمة العامة، أنت مخصَّص، لأنك خادم بالعمق وخادم بكل نفسك وبكل جهودك. وبالحقيقة إن هذه النعمة التي أُوتيتَ إنما هي الخادمة فيك.

انتبهْ إلى هذا، أنْ ليس للإنسان شيء صالح إلا هذا الذي أُودع. لقد سلّمتُك جسدَ الرب، وقلتُ لك: «خُذْ هذه الوديعة واحفظْها سالمة حتى مجيء ربنا يسوع المسيح، وأنت مزمع أن تُسأل عنها».

خذ هذه الكلمات التي تُغذّيك وتنشلك وتحميك وتُعيدك من بعد سقطة. نحن يا أخي نعيش بكل كلمة تصدر من فم السيد، بكل كلمات الكتاب، وبكل كلمة يوحيها إلينا في الضمير. نحن نعيش بالكلمات التي نسمعها من الأبرار، من الأطفال، من الخاطئين إذا أَردتَ. وأنت تحيا من هذا الجسد الإلهي تتناوله أحدًا بعد أحد وعيدًا بعد عيد، لأنك أدركت أن الانسان لا يستطيع وحده شيئًا، وقد سمعت قول الرسول: «إني أستطيع كل شيء بالمسيح الذي يُقوّيني».

النبعة التي أَوكلتُها إليك، بعد أن نادت أنك مستحق، هذه الرعية لها مقام خاص عندي لأنها جاهدَتْ جهادًا كبيرًا وبقيَتْ واستقرَّت. حافظَتْ على الوديعة وشهدَتْ للمسيح، وهي تشهد له اليوم. لازِمْها تُلازِمْكَ، أَحببها تُحبَّك، ولقد أُعطيتَ أنت من المحبة مقدارًا كبيرًا.

يا أخي، المؤمنون لا يؤخَذون غِلابًا. الحب هو وحده القهّار، السلطة لا تقهر أحدًا. أَحببْ تُطَعْ، تواضَعْ يرفعوك. الربُّ رافعُك بتواضعك. هذا هو سر المسيح، هذا هو سره فينا أننا نحن لسنا أذكى من المسيح. فإذا ما هو ارتفع بتواضعه، فهذه طريقتنا. واذا ما قام من بعد أن مات، فهذه طريقتنا. لا نستطيع أن نقوم، أن نحيا، أن نعطي، أن نبشّر إلا اذا أَمَتْنا فينا كل كبرياء وكل شهوة مؤذية. لقد فتَحَ المسيحُ العالم باثني عشر رجلاً من الجليل كانوا صيادين، ومعظمهم أُميين، وعلّمَهم الروحُ القدس كيف ينطقون.

لا نستطيع أن نخترع وسيلة أذكى من التي أَوجَدَها السيد . هذه هي الوسيلة. خُذْها، تمَرَّنْ عليها، ضُمَّهم جميعًا، رجالاً ونساءًا وأطفالاً، بانتباهك لكل غرض من أغراضهم، لكل حاجة من حاجاتهم. حاجتهم الأولى أن يعرفوا المسيح، هذه هي الحاجة الأولى عند كل انسان.

عَلِّم، ولكن أَحبِبْ. لن يسمعوك ما لم تُحبَّهم. المحبة هي طريق الوحيدة لإيصال التعليم. اذهبْ وبَشِّرْ وعمِّدْ. «بَشِّرْ وعَمِّدْ» هما وظيفتان محمولتان على طراوة يسوع هذا الذي جاء طفلاً وبقيَ طفلاً، بمعنى انه بقيَ رقيقًا وطريًا . احملْ طراوته تُقدِّسْ بها شعبَ المسيح.

أيها الإخوة، من أَجل ان تتجدّدوا بالحق، بالروح، بالمحبة، من أجل أن نسموَ جميعًا بلطف المسيح، أَحببتُ أَن أُقيم هذا العيد لكي نَفرح معًا ونبقى معًا، ولا سيما معًا إلى القيامة، آمين.

سيطِرْ على الناس بالتواضع

رسامة الشماس يوحنا (ضاهر) كاهنًا، كنيسة رقاد السيدة في حامات، ٢٩ أيار ١٩٩٤.

أخي الخوري يوحنا،

قال لها الرب: «لو كنتِ تعرفين عطيةَ الله ومَن الذي يقول لك أَعطيني لأشرب، لطلبتِ أنتِ منه فأَعطاكِ ماءً حيًّا». يسوع بالسامرية يُعيدنا جميعا من كل انحراف الى وجهه الأكرم لأننا نحن ماكثون في وجهه. ومعنى ذلك أن من سوف ينظر اليك ينبغي أن يرى وجهَ السيد مُرتسما على مُحيّاك. واذا لم يستطع أن يرى يسوعَ في عينيك تكون قد عُدتَ إلى التراب.

والشيء الآخر أني أُريدك أَن تُعلّم أحباءنا في هذه البلدة الطيبة العزيزة عليّ -وهي تَعلم- أن تُعلّمهم أن الله روح، وأن الساجدين له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا. ذلك أن الانسان يسجد لأصنامه، يسجد الإنسان لشهواته، لرغباته، لخواطره، لعقله، لثقافته، لجماله، لمودّاته. يسجد الإنسان لما صَنع. وأما أتباع يسوع الحقيقيون فإنما بالروح، بالقلب المستنير، بدفقات الروح القدس يسجدون للآب.

الناس وثنيون في حامات يا يوحنا. الناس وثنيون في كل مكان،

لأنهم لو رأوا الله روحا لتركوا كل ما يتعلّق بأجسادهم وأموالهم وأمجادهم وسياساتهم وعائلياتهم. الله روح والناس يعبدون خرافاتهم وكبرياءهم وصَلَفهم وتَرَفهم. الله روح، علِّمْهم هذا. علِّمْهم أن يسجدوا له بالحق، بكل جوارحهم المستنيرة، لا أن يسجدوا حسب رغباتهم ورغبات أقوامهم وكبرياء قبائلهم. هل نحن كنيسة؟ هل الروم كنيسة أم الروم قبائلُ بدوٍ لم يتعلّموا أن يصبحوا روحا؟ هُم حتى الآن أجساد مفلفشة. علِّمْهم. علِّمْهم أن يَقتُلوا القبليّة وأن يصيروا روحا، أن يصبحوا كنيسة ليسوع المسيح تربطها المحبة، بحيث يصير كل ذي جسدٍ قامةً نورانية. ذلك أن المسيح يُترجَم بأحبائه. إن لم يكن للمسيح أَحبّة في الأرض، فهو محجوب في السماء، أي إنه غير معروف.

هل تعلم كيف تُعرّفهم أنت أن ينتقلوا من ترابيتهم إلى روحانيتهم؟ اذكُرْ أن المرأة السامرية بعد أن قَبضَ عليها السيد، بعد أن تركَتْ خطيئتها عند قدميه، بعد أن فهمَتْ أنه النور الآتي إلى العالم، هل تَذكُر ماذا فعلت؟ قال الانجيل الطاهر إنها «تركَتْ جرّتها». هذا ما يلاحظه السامعون. وهذا رئيس في هذا الفصل الإنجيلي. إنها تركَتْ جرّتها. إلى أي شيء جاءت؟ لماذا جاءت إلى بئر يعقوب؟ لتستقي؟ كان هدفها من المجيء أن تشرب. ولكن بعد أن شربَتْ يسوع، نسيَتْ كل شيء آخر وذهبتْ لتُبشّر قومها. ولهذا كانت السامرة مبشَّرة قبل أن يَفِدَ اليها فيلبّس بعد العنصرة.

سوف تجرَّب لأن الكاهن إنسان يَرُوق للكثير من المؤمنين أن يتلاعبوا به، أن يُسيطروا عليه، أن ينتقدوه. بين المؤمنين مؤمنون غير صالحين. ليسوا كلهم صالحين. أتمنّى أن يكونوا كلهم صالحين. ولكن منهم الضعفاء، ومنهم النمّامون، ومنهم المستكبرون. أنت لن تقف عند خطيئة. أنت ليس لك كرامة. كرامتك الوحيدة أن تنحني عند أقدام المؤمنين الذين يحبّونك والذين يبغضونك. قد تُسوّل لإنسانٍ نفسُه أن يشتمك. شاتمُك حبيبٌ عليك كقريبك، كالصديق. نحن لا نميّز بين مُحبٍّ ومُبغِض. هؤلاء كلهم مُسِحوا بالروح القدس عند معموديتهم. وكلهم أَعزّة. سيطِرْ عليهم. هناك وسيلة وحيدة للسيطرة على الناس. سيطِرْ عليهم بالتواضع تجعلهم جميعا أكابر يكتسبون كِبرا جديدا بحبك أنت، وتصبح هذه الضيعة لا ضيعة بل ملكوت الله، آمين.

أنت سيد بسبب المسيح

«لا يَستهِنْ أحدٌ بفتوّتك، بل كُنْ مثالا في الكلام، في التصرُّف، في المحبة، في الايمان، في العفاف»

(١تيموثاوس ٤: ١٢)

رسامة الشماس غسان (حداد) كاهنًا، كنيسة القديس جاورجيوس في عين داره، ٣ أيلول ١٩٩٤.

أيها الأخ الكريم،

عندما أقام بولسُ تيموثاوسَ الشاب على منطقة في آسيا الصغرى ليرعى كنيسة الله، كان هذا التلميذ شابًا، والشباب في ذاكرة الجماعة مرتبط بالخفّة أو قلة النُضج أوالطيش. مع هذا، بعد أن دعت النعمةُ تيموثاوس، كان عليه أن يرتقي كل المراقي ويقتحم باب القداسة والفهم والرعاية في إخلاص وتفانٍ ونسيان للأنا. رأى ذلك فيه بولسُ، وقال له: «لا يَستهِنْ أحد بفتوّتك»، ولكن اسهَر، لا يصير الإنسان راعيا. هذا أمر صعب. ذلك أن الأمر يقتضي أن يكون الراعي ليس جيدا في الكلام والتصرف والايمان والمحبة، ولكن أن يكون مثالاً في كل كلام طاهر وبخاصة

في كلمة الله. ولذلك قال الرسول العظيم توًّا بعد هذا: «اعكُفْ على القراءة حتى مجيئي»، أي حتى تستشير الأسقف. «اعكُفْ على القراءة وعلى الوعظ والتعليم» حتى نَخْلُص من هذه المهزلة القائمة في أوساط الأرثوذكس أن الدين هو كلّه قدّاس. هذا جُرْم ارتكبناه طوال ألف عام، وقد آن الأوان لننهي آثار العدوان علينا. الكاهن الذي يكتفي بإقامة العبادة كاهن كسول. كان ينبغي ألا يكون. هذه مكتوبة في الكتب. أيُّ إنسان يستطيع أن يؤدّيها. واما المسجَّل في القلب الطاهر والعقل النيّر الفاحص أعماقَ الروح والداخل إلى صلب الثالوث، هذا هو الكاهن، ذلك أن الرعية يجب أن تعرف وأن تنجو بالمعرفة. نحن لسنا مُغنّين. هذه أمور تُزيّن الإيمان وتُظْهره. ولكن الإيمان هو الكلمة التي نُطق بها. ولهذا قال: «كُنْ قدوة، كن مثالاً في الكلام».

أنا يَجرحني أن أرى أئمّة الأديان الأُخرى يعرفون، ورؤساء الارثوذكس لا يعرفون، هكذا يَتغنّون بالطقوس البيزنطية. «كُنْ مثالا في الكلام» -وليس العالِم كالجاهل- «وفي التصرُّف». لقد أَعقب على كلمة «تصرُّف» بقوله «في المحبة»، ذلك أنك مدعوّ إلى أن ترى وجه المسيح مرسوما على وجه كل مؤمن ومؤمنة في رعيتك والجوار وحيثما حَلَلْت. أنت لستَ ابنًا لأبيك ولأُمّك، ولا أخًا لإخوتك، ولست عضوًا في عشيرتك. أنت منذ الآن انتزعناك من هذا الجسد ومن كل انتساب، وصار كلُّ هؤلاء أَحبّاء في عينيك لأنهم أَحبّاء يسوع. ولهذا بِتَّ أنت خادمَهم بلا شرط. انا لا أستطيع أن أُهذّب الارثوذكسيين تهذيبًا كاملاً، ولا يستطيع ذلك أحد، ذلك أنهم ما بلغوا القداسة، وأنت تحتضنهم كما هم. فيهم شراسة أحيانا، في بعضهم شراسة، وفي بعضهم استكبار. الشرس والمستكبر واللطيف والوديع كلهم أبناؤك على السواء. طبعا لن تظن أنك تستطيع أن تُعالج المتفلّت كما تُعالج المنضبط لئلا تكون غبيًا. هناك أدوية مختلفة لمختلف الناس، ولهذا لا بد لك من حكمة. ولكن، أقاسيًا كنت أم ليّنًا، فأنت أب وحاضن باستمرار بلا شرط.

ثم أنهى الرسول كلامه إلى تيموثاوس بذِكْر «العفاف». عُنصُرًا أَودّ أن أتّخذ من العفاف، وأنت فتى ومعرَّض للتجربة. ولكني الآن أَتخذ عُنصُرًا واحدا من العفّة ألا وهو عُنصُر المال. يجب أن

تُظهر للإخوة أن كل مالهم يُلقى عند أقدام الرسل، وأنت لا تُطالبهم بشيء، وهذه القرية فيها الكَرَم الكثير، وقد رأينا ذلك. ولكن حذار أن تتكلم عن مال إلى أن تموت. لا تَقُلْ انه قليل، ولا تَقُل انه كثير. ينبغي ألا يدخل المال إلى دماغك. هذا شرط القيادة. هذا شرط القيادة في كنيسة المسيح.

لو أردتُ أن أفترض -وهذا لن يكون في هذه البلدة المعطاء- ولكن لو أَردتُ أن أفترض أنه طرأ علينا طارئ وأَلّمت بنا محنة، لا تَقُلْ لأحد إنك محتاج. اذا أَحسّوا بذلك يُكتَب لهم، واذا لم يُحسّوا به فهُم أحرار. أنت لا تُطالِب.

كيف تستطيع أن تصل إلى ذلك، أن تُصبح مثالا بالكلام، بالتصرُّف، بالمحبة، بالايمان، بالعفاف؟ من أين تأتيك هذه القوة؟ لقد قرأنا عن السيد المبارك من فترة وجيزة كيف أنه مشى على الماء وذهب إلى الرسل في سفينتهم ، وقال الكتاب العزيز إنه «بعد أن صرف الجموع صعد وحده إلى الجبل ليصلّي» . معنى هذا في وضعك أنت: اذا أَردتَ أن تستقلّ عن الناس وتستقلّ عن شهواتك، إن أَردتَ أن تتحرّر، أن تَصرف أهواءك عنك والنزوات، فاصعد إلى الجبل، أي إلى خلوة مع يسوع. وكما كان السيد المبارك يُناجي الآب طوال الليل ليتمكّن من أن يمشي على المياه، اعلَمْ أن نجيّك هو الله. ولكن لا تستطيع أن تتعاطى النجوى الكبرى إلا اذا استقَلتَ وعفَفتَ وكان وجهُك إلى يسوع وحده في اللحظات المباركة في أُويقات الرضا. زوجتُك ليست شيئًا، وليس أحدٌ من هؤلاء شيئًا. أنت وجهُك إلى الآب من حيث يأتي عونُك، وأنت سيّدٌ بسبب المسيح.

إخوتنا في عين داره لا يهمّهم شيء من غسان حداد. يهمُّهم أن يعرفوا المسيح منك، أن يقرأوا أيقونته على مَلامحك. لم تَعُدْ غسان حداد، هذا ليس بشيء. صرتَ أيقونةَ المسيح. عن هذا يُفتّشون. وإن استطعتَ أن تَكشف لهم سيدك، فهُم في خلاصٍ، ونحن في فرح، آمين.

الكاهن راعٍ ومرعيٌّ

«أمّا كل الذين قَبلوه فقد أَعطاهم سلطانا أن يكونوا أولادَ الله، أي المؤمنين باسمه، الذين ليسوا مِن لحمٍ ولا مِن دمٍ ولا مِن مشيئةِ رجلٍ بل مِنَ الله وُلدوا»
(يوحنا ١: ١٢)

رسامة الشماس أنطونيوس (سعاده) كاهنًا، كنيسة مار يوحنا في وادي شحرور، ١١ أيلول ١٩٩٤.

أخي الخوري أنطونيوس،

نحن جميعا جئنا من أُمّهاتنا أي من التراب. بعضٌ يَلدهم الله. اما وقد دعاك الرب نفسه بوضع يدي، فأنت لستَ مِن بعدِ هذه اللحظة ابنًا لأحد أو أخًا لأحد أو أبًا لأحد في الجسد، أنت أَمسيتَ مولودًا من السماء، ولذلك سوف تحاول أن تجعل الذين حولك في هذه البلدة مولودين من السماء أيضا. هذه أُمنية. لا يولَد أحد من الله ميلادا كليا. كل منّا عنده الكثير من ترابيته، من انفعالاته، من دنياه، من هذا الجسد النتِن الذي نحمل، وسنبقى كذلك حتى يجيء الأجل. غير أن الذين أَحبّوا يسوع يُجرِّبون بالدموع والدم أن يولَدوا من فوق، أي أن يكونوا مَدينين للمسيح فقط

ومنحدرين من نعمته. لذلك لن تكون مِن وادي شحرور ولا مِن حيّ من أحيائها، أنت حاضِنٌ سماويّ لوادي شحرور، الله رئيسك، ولهذا ينبغي أن يكون رأسك ناطحًا العرش الإلهي. لكن من أجل الحب سوف تحني رأسك أمام المؤمنين والناس جميعا علّهم يفهمون أنه يجب أن يُعلوا رؤوسهم حتى العرش. هذه هي المفارقة أننا نحن أَتباع المسيح أعزّة ومتواضعون بآن. نحن لسنا متواضعين حتى المَسكَنة، نحن نتواضع لأننا رأينا الجمال، لأننا أبصرْنا مجد الله، ولهذا نرتفع اليه ونركع امام البشر.

كيف يحصل لك هذا؟ هذا عطاءُ النعمة يا أخي، هذا لا يُشترى من الدكاكين ولا يُفهم من الكتب. اذا انسكبَتْ عليك النعمة، تصير شيئًا، ولكنها تنسكب باستعطافك الله، فإذا ارتميتَ في حضنه فهو عاطف. لهذا سوف تُقيم الذبيحة الإلهية فيما يختصّ بك لتنكسر، لتُفتّت كل كبرياء وكل عنفوانِ قوّة. أنت عندك قَدْر من اليونانية حتى تَعلَم أن الكاهن باللغة الأصلية هو الشيخ أي ذلك الإنسان الناضج الذي لا يمشي وراء غَرض ولا يتأثّر بوجهِ مخلوقٍ، ولكنه يحبّ البشر، وبسبب مِن هذا يوزِّع عليهم الحقيقة، تلك التي تَشفي وحدها، وما عدا ذلك محاباة وجوه، والوجوه كلها تافهة.

حتى تتمكّن من ذلك، ينبغي أن تقرأ جيدا هذا المقطع من الخدمة الإلهية، ذلك الذي لا يسمعه الشعب ونستّهله هكذا: «ليس أحدٌ من المرتبطين بالشهوات واللذات الجسدانية مستحقًا أَن يتقدّم اليك أو يَخدمك أو يَدنو منك يا مَلِك المجد». ليس أحد يستحقّ أن يقف أمام المذبح. وكلّما قرأتُ أنا هذه الكلمة، يدور في خاطري أن أترك المذبح، فإنّ هناك تناقُضًا بيني وبين المائدة المقدسة. كيف نتجاوز هذا التناقض؟ كيف نبكي ونرتل بآن؟ كيف نعرف أنفسنا دودًا وتُرابا، ومع ذلك في الكهنوت نحن أعظم من الملائكة، وفي هذه اللحظة نحن أكبر من القديسين لأننا وظائفيا نحن رفقاءُ يسوع في المجد؟ أَحَفَلةُ جنونٍ هذه التي نُسمّيها القداس الإلهي؟ تَذكَّرْ ما تقرأه في قداس باسيليوس بعد أن تكون الاستحالة قد تمّتْ، حيث يقول الكاهن لله: «لا تَمنَعْ بسببِ خطاياي نعمةَ روحك الكلي قدسه». كأنه يقول إنه يجب أن أتقدّس يومًا بعد يوم لأتمكّن من تلاوة هذه الكلمات، فإن شفتيّ

دِنستان ويديَّ دِنستان وعينيّ دِنستان، كيف أقف؟ مع ذلك لا بد لك أن تقف، لأن هؤلاء الأحبّة لا يستطيعون أن يعيشوا بلا جسدِ يسوع، لأنهم بدون دمه يعودون ترابا. ينبغي أن تقف علهم يَحيَون. عشتَ أنت أَم لم تعش، أَحَبّوك أم لم يُحبّوك، حسبُك أن تكون حبيبَ المسيح. بسببٍ من ذلك، احفَظْ ما قاله الرسول العظيم: «راقِبْ نفسَك والتعليم». يجب أن يتعلّموا وأن لا يبقى شعبُنا على هذا الجهل الموروث الفاتك. يجب ان يَحيَوا بالكلمة. لكنك لن تقدر عليها أنت إن لم تُراقِب نفسك كل يوم حتى لا تبقى عيناك مدنَّستين ولا يداك مدنَّستين. هم إذا قبّلوا يدَك فلا ينبغي أن يُقبّلوها بسبب النظام أو ما أَلِفوه في تقاليدنا، ولكن ينبغي أن يُحسّوا يومًا أن هذه اليد صارت يدَ المخلّص. أنا أُصلّي لكي تمشي على هذه الطريق ولكي لا أرى كثيرا من ترابيتك.

يا أحبة، راعُوا كاهنكم لكي يَرعاكم. نحن في كنيسة يسوع لسنا غنما تابعا، نحن خراف يسوع. ولكن عباداتنا تقول إننا خراف ناطقة أي عاقلة أي حكيمة. قد يكون عند بعضٍ منكم حكمة أعمق من حكمة هذا الكاهن، ولعلكم تكونون أتقى منه، وهذا ما أتمنّاه، ولعل الكثيرين أطهر منه، وهذا ما أَرغب فيه. واذا كنتم على هذه الفضائل فأَحيطوا الأب أنطونيوس بها، أَحيطوه بفضائلكم لكي ينتعش، لكي يفرح وليتعزّى، ولا تكونوا له بالمرصاد لأنكم أنتم أيضا مرصودون وكلكم ساقط. كلنا تحت الغربال يا إخوة، ولذلك لا تُحصُوا على الكاهن خطاياه لأنها اذ ذاك تُحصى عليكم وتموتون. راعوه يَرعَكم. الكاهن راعٍ ومَرعيّ، هذه قاعدة الحب. نحن لا نبدأ من الصفر، فهذه رعية أصيلة في تراثها. قلتُ لكم غير مرة مُعزّيا غير مادح، قلتُ لكم إني أَفتخر بكم وبحفظكم للتراث.

أَودّ أن أقول شيئا آخر قبل أن أُودّع هذه الحياة: اذا جئتُ وأَقمتُ آخِر قداس لي في وادي شحرور لأني أُريد أن أتغنّى بتقاليدها للمرة الاخيرة، أُريد أن أقول: أنا أَعطيتُكم كاهنا، فأَحبّكم وأثار فيكم المحبة، وأَحببتموه، فصار أعظم تقوى مما كنتم تنتظرون، آمين.

كن في حضرة الله

«كن في حضرة الله، ذا فضيلةٍ مجرَّبة، وفصِّلْ كلمةَ الحق على وجهٍ مستقيم»
(٢تيموثاوس ٢: ١٥)

رسامة الشماس ملحم (الحوراني) كاهنًا، كنيسة رقاد السيدة في الحيدثة، ٢ تشرين الأول ١٩٩٤.

قدس الأخ الخوري ملحم، أيها الحبيب،

«كن في حضرة الله». هذا هو الكلام الذي توجَّهَ به الرسول إلى تلميذه تيموثاوس في الرسالة الثانية عندما أقامه مسؤولاً، أسقفًا، في آسية الصغرى. أسقفًا أي مسؤولاً عن الإنجيل، عن حُسْن تبليغه إلى الخليقة كلها حتى يُحضِر كلَّ انسان كاملاً في المسيح يسوع حسبما علّمَنا الرسول الإلهي بولس ايضاً. اي إن الذي فُوّض إليه الأمر بتبليغ الإنجيل إنما يقدر على ذلك فقط اذا كان في حضرة الله وذا فضيلة مجرَّبة.

«في حضرة السيد»، أي إنك مسؤول أمام السيد فقط. والذين ائتُمنت عليهم من الخراف انما هم أيضا مسؤولون أمام ربّهم، وأنت ترعاهم بكونك في حضرة المسيح. هذه الحضرة إذا تنزّلت عليك يراها الخراف

الناطقة –المؤمنون– ويلتحقون بها لأنها هي النور.

أن تكون في حضرة الآب يعني أن تكون عادلاً في الرعية بحيث لا تُحابي أحدًا لأن الحُكم لله. ولكونك محبًّا قد يكون بين يديك مِبضَع، وقد تكون كلمةُ لطفٍ. والكلمة في العربية هي الجرح. إذا أَردتَ أن تجرح مؤمنا عميقًا، إذا أَردتَ أن تجرحه، فالطُفْ به لطفا شديدًا. تلك هي وسيلتنا نحن أتباع يسوع.

ولكنك قد تكون محتاجا، ليس فقط إلى النصح، ولكن إلى التأديب، في حزْم دائمًا، وفي لطف دائما. هاتان فضيلتان تتماشيان. لا تَلْطَف حتى الضعف، ولا تحزَم حتى القسوة. كن في الحضرة هكذا. العبْ في حضرة الله، ومنها تأتي إلى المؤمنين.

«كن ذا فضيلةٍ مجرَّبة»، وأنت تَعلَم أن ثمة حركة ثنائية بين الإيمان والفضيلة. فإذا قويَ إيمانك تزداد فضيلتك، وإن تَجمَّل قلبُك بمزايا الإنجيل يَعمُق أيضا إيمانك. هي حركةٌ في اتجاهين.

اشهد بكلمة الحق، «فصّل كلمة الحقّ على وجهٍ مستقيم». نحن أبناء هذه الكنيسة ابتُلينا بتاريخٍ قسا علينا جدًا. أُهملنا إهمالا كثيرًا. أُهملنا خلال ألف عام على الأقل. ظَنَّ القوم أن الكنيسة هي هذه العبادات الخلاّبة التي تعلمون، وأنها فقط هكذا. هذا وجه من وجوه المسيحية. العبادة ليست كل شيء. هناك الكلمة التي كتبها الله بين سفر التكوين وسفر الرؤيا. لقد أَهمَل المسيحيون، شرقا وغربا، قراءة الكلمة الإلهية، فإذا بهم يتعبّدون بلا فهم. يتعبّدون بلا فهم، لأنهم لم يتفقّهوا بكلمة الله. انت هنا معلّم. انت لست فقط خادما للأسرار، مقيما لهذا القداس الرائع. وانت لست فقط معلّما، ولكنك أبٌ روحيّ، اي إنك معطي الفضائل لهذا الشعب. الفضائل أُهملت ايضا، بمعنى أن الناس طبعا يعرفون الوصايا العشر، ويظنّون أن المسيحية معلَّبة بهذه الوصايا العشر. ولكن من ينقل الفضيلة؟ من يدرّب الناس عليها؟ من يلد المؤمنين على محبة يسوع منذ طفولتهم؟ هذه عملية طبّ. الكاهن ليس فقط معلّما، ولا خادما للأسرار. إنه طبيب. انه طبيب لرعية هي تحديدا ناقصة لأننا لم نَبلُغ بعدُ ملكوت الله.

كيف ينعكس كلامي اليك على الرعية –وأرى بعضا منها هنا–؟ كيف تصرَّفَ شعبُنا خلال الألف عام الأخيرة؟ شعبنا يريد قدّاسًا حسنًا، وأن يُعمّد أطفاله، وأن يتزوّج، وأن يُدفن. فأتى بشخص جعلوه كاهنا لكي يقوم بهذه الواجبات. ابتَغوا تقديس أنفسهم، فكان لهم هذا، ولم تكن لهم الكلمة إلا نادرًا، ولم يكن عندهم طبيب يُطبّبهم إلا قليلاً. شعبنا لم يألف أن يكون الكاهن معلّما، مرشدا، قائدا، لأن الكلمة اذا قلتها يجب أن تُطاع من أجل الخلاص.

اذا نظرتُ إلى شعبنا وابتغيتُ تحليل سلوكه خلال الألف عام الأخيرة، يُزيَّن لي أنه يفهم الكاهنَ هكذا: هذا رجل موضوع هكذا في بيته أو على الرفّ. نحن نريد أن يتنصّر أولادنا، نأتي به. نريد أن نتزوج، نستدعيه. نُدفن، لا بد من بركة على الجثمان. يُستخرج الكاهن هكذا استخراجا لأعمالٍ تقديسيّة.

هذه كانت الصورة. ولكنّنا نريد صورة جديدة هي القديمة: الكاهن معلّم، رئيس –مَن رئسَ يُطاع–، مرشد، طبيب، يقول للناس ما يجب أن يؤمنوا به علّ بعضهم يعرف –ولكن الأكثرين لا يعلمون–. يجب أن يقال للناس بم ينبغي أن يؤمنوا به، أن تميّز بين الصحيح والغلط، بين الايمان المستقيم والبدعة الغازية. لا بد من أن تقول، وأنت فتى، للبالغين، للأشداء في الذكاء والفطنة والثقافة، وقد يكون عند الكثيرين منهم مقدار من الثقافة كبير، ولعلك تتوجد صغيرا بينهم، يجب أن تقول لهم ما الصحيح وما الغلط في سلوكهم، لأنهم بهذا يَخلُصون، وبذا يحيَون. نحن نريد رعية كما كانت في القرن الرابع والخامس والسادس والسابع والألف الأول، أي رعية متّقدة، ملتهبة بالإيمان الحيّ، نقيّة، عروسا للمسيح.

ما واجبك يا أخي؟ الرعية دائما خاطئة، ودائما فيها أدناس. هذا وضع البشرية. تأخذ ماء وتغسلها كل يوم. وكل يوم سوف تتوسّخ، وكل يوم تغسلها. ولعلك تحسّ بما لك من حذْق سيكولوجيّ وإدراك للطبع البشريّ، لعلك تُحسّ أنها ستبقى ملطّخة بخطاياها، ومع ذلك تغسلها كل يوم. ليس شأنك أنها أخطأتْ أو لم تخطئ. شأنك انت أن تأخذ هذه الرعية لكي تستحمّ كل يوم

بكلمة يسوع، ومُتْ بعد ذلك. ليس غرضك أن تعرف إذا صارت مقدّسة. ليس من رعية مقدّسة. ليس أحد منا مقدّسا بصورة كاملة. هذا لحم نَتِنٌ، سيذهب إلى الدود . شغلك انت، شغلك الأول والأعظم أن تسكن في حضرة المسيح بالكلمة، بتطهير ذاتك، بالرقابة على ما فيك من رغبات، أن تبقى هادئا صابرًا، أن تبقى لطيفا امام التقى الأرثوذكسي، محتضنا، حاضنا، عاشقا لهذه الرعية، غاسلا أقدامها بحبّ. نحن لا نتقزز، لا نقرف. نحن نحملهم جميعا على أكتافنا نعاجا طيّبة محبوبة عند المخلّص. إذا تركتُك هنا إلى المخلّص، لن تبقى محتاجا إليّ ولا إلى أحد .

يا أحبتي أهل المحيدثة، أنا تركتُ لكم هنا رجلا محبا للمسيح، عرفته منذ بدء صباه. كان يسوع حبّه الوحيد . أرجو أن يبقى كذلك على المحبة الأولى، وأرجو أن تُعايشوه بهذا الذوق الرفيع الذي أعرفه فيكم، ولكن أيضا بهذه التقوى التي أتمنى أن تزداد، وبهذا اللهب الإنجيليّ الذي سيدفئ قلوبكم.

أنا واثق بأن المشوار سوف يكون حلوًا، وبأن المحيدثة سوف تكون فرحي، آمين.

أنت راعٍ لمن تلتقيه

رسامة الشماس باسيل (دبس) كاهنًا، كنيسة القديس جاورجيوس في الميناء طرابلس، ٢٧ آب ١٩٩٥.

يا أحبة،

لو كنتم حاضرين جميعًا صلاة السَحَر اليوم، لَسمعتم سؤال الرب لبطرس «يا سمعان بن يونا أتحبّني أكثر مما يُحبني هؤلاء؟ قال له يا رب أنت تَعلَم أني أُحبك، قال له ارعَ حِملاني» (يوحنا ٢١: ١٥). لعلّه ليس بعيدًا عن هذه المناسبة، مناسبة وضع اليد على رأس الشماس باسيليوس، لعل هذا الكلام قريب جدًا إلى المناسبة. كان السيّد قد سمّى هذا الرسول بطرس قبل ذلك، حسب ما ورد في إنجيل متى، لما أَعلن التلميذُ إيمانه بالسيد، فقال له: سوف تُسمّى بطرس، أنت بطرس، أي أنت صخر بسبب هذا الايمان الذي أعلنتَه، أنت قُلتَ إني أنا المسيحُ ابنُ الله الحي. لماذا الآن بعد القيامة لا يُسمّيه بالاسم الذي أَطلقَه هو عليه ولكنه يُسمّيه كما كان مُسمّى قبلاً من قِبل والديه؟ القديسون يقولون لنا إن بطرس، لكونه جحد ثلاثًا، سأله الرب بعد القيامة ثلاثًا إذا كان يُحبّه، فجعله بسببٍ من هذا الحب راعيًا لقطيعه.

ما أقوله في تأمّلي بهذا الكلام أن الانسان يبقى على طبيعته كما خُلق عليها أي عاريًا، لا شيء، إن كان لا يحبّ. فهذا مجرد سمعان ابن أبيه، ابن يونا. عندما أَحبَّ جُعل راعيًا، عندما أَحبَّ صار بطرس، صار صخرًا. ماذا يعني لنا هذا الكلام في حياتنا المشتركة في الكنيسة؟ في الجماعة المسيحية؟ هذا يعني أولاً للرعاة أنهم يَرعَون بالمحبة. ليست لنا وسيلةٌ أخرى. نحن لا نرعى بالفلسفة، أو بغرور هذا العالم أو بالسيادة على الناس أو بالنفوذ أو بالقوة أو بالسياسة وما إلى ذلك، نحن لا نرعى بهذا. ليس أحدٌ منكم يرعى بيته بالسياسة والقوة والجبروت. مَن وُهِبَ محبةً يصير زوجًا. ومن لم يوهَب شيئًا يبقى ذَكَرًا، واحدًا من جنس الحيوان. الحيوانات ذكور وإناث. وأما مَن أَحبَّ فهو يصبح إنسانًا، عندئذ يصير زوجًا. ومَن أَحبَّت تصير زوجةً. قبل هذا كانت أُنثى من جنس الإناث في عالم الحيوان. صارت قرينةً أي صارت مُحبّةً ومحبوبة، صارت واحدًا مع رجل يُحبّ.

أنت مبذول في سبيل الآخرين، أنت مُعطى، أنت مسكوب. تصير راعيًا في هذا الانسكاب. ولهذا قالت الكتب المقدسة إن يسوع لمّا صار حَمَلَ الله، خروفَ الله، بالذبح، بالمذبوحية، بالمصلوبية، لما جُعل خروفًا لله، صار راعيًا لشعب الله. هل تقدر أن تنسكب، أن تنسى نفسك، أن تُبدّد نفسك ووقتك وصحّتك وعقلك في سبيل الآخرين؟ هل عندك قدرة على العطاء الكبير، فتكون عندئذ مذبوحًا؟ عندئذ يَجعلك الله راعيًا. أكاهنًا كنتَ أم زوجًا أم والدًا أم إنسانًا في الطريق، أنت راعٍ لمن تلتقيه. تلقى إنسانًا في الشارع، تلتفت إليه، تهتم به، تخدمه، تصبح راعيًا له، لأنك تكون قد انسكبتَ عند قدميه. أتذكرون كلمة الله القائل عن المسيح انه الحَمَل المذبوح قبل إنشاء العالم؟

ما معنى هذا الكلام، أن المسيح مذبوح قَبل أن يولد بالجسد، قبل أن يولَد من مريم؟ قالت كتُبنا إنه الذبيح قَبل كَوْن العالم. إخوتنا أهل الغرب قالوا إنّه سُمّي ذبيحًا بسببٍ من الخطيئة التي كان الإنسان سيرتكبها، أي إن الله كان عالِمًا بهذه الخطيئة، فأَعدّ المسيحَ ليكون مذبوحًا من أجل العالم.

هذا كلام أهل الغرب. أما كلام أهل الشرق، أي نحن، فغير هذا. زعيمهم القديس مكسيموس المعترف، الذي عاش في هذه البلاد منذ ألف و٣٠٠ سنة، قال: الله الآب يحبّ الانسان، أَخَطِئ أم لم يخطئ، بصرف النظر عن خطيئةٍ ممكنة. الله يحبّ الانسان، وأراد منذ الأزل وليس فقط منذ ألفي سنة، أراد الله منذ الأزل أن يقول للانسان إنه يحبه. وكيف يمكن أن تقول له إنك تُحبه؟ عليك أن تُرسِل واحدًا يموت، عليك أن تُرسِل الإلهَ الابنَ لكي يموت حتى يَرَوا أنهم محبوبون. أي منذ الأزل، في برنامج الآب، المسيحُ معَدٌّ للذبح لكي نعرف أننا محبوبون. مَن يقدر أن يكون هكذا، هذا يجعلونه كاهنًا. الذي يستطيع أن يفهم أنه سيموت وأنه سيتبدد وسيُنسى ويُقهر وسيُظلم وسيُنَمُّ عليه وسيتناولونه بالألسن، وسيُنسى وسيُفقِرونه.

هذا لا ينطبق فقط على الكاهن ولكن على كلّ إنسان راعيًا. كل إنسان حاضنٌ للناس الآخرين بالحب. عليك أن تلتفت إلى الآخرين. تكون راعيًا ومتوثّبًا باستمرار. ماذا تريد هذه الجماعة مني؟ كيف يمكن أن أخدمهم الآن وليس غدًا؟ كيف يمكن أن أموت في سبيل زوجتي وأولادي وفي سبيل أهلي وأعدائي؟ كيف يمكن أن أَصرف اهتمامي؟ كيف أَطحَنُ قلبي وأَرميه على الناس؟

إذا استطعتم أن تفهموا هذا، فأنتم رعاة، آمين.

سعيُك أن تصير نورا

أخي الخوري عيد،

لقد سَمح الله وباركنا حتى تُجعَل خادمًا له مكمِّلاً بنعمة القسوسية في مطلع هذا العيد. وهنا أُلاحظ أن اسمك «عيد»، وقد أَردتُ أن أُحافظ عليه لتبقى أنت متلألئًا كما تتلألأ الناس في الأعياد، ومعنى ذلك لمن تعاطى الفلسفة أو العلوم الاجتماعية أن العيد هو ذلك اليوم الذي يَكسر رتابة الأيام العادية، الذي يُدخِل إلى مسيرة الزمان شيئًا من الفرح الإلهي عندنا وعند كل الشعوب. أنت ستكون شيئًا إذا شكّلك الفرح.

رسامة الشماس عيد (حبيب) كاهنًا، كنيسة ميلاد السيدة في منصورية المتن، ٢٤ كانون الأول ١٩٩٥.

اذكُرْ في عشية هذا الموسم أن الرب إنما ظهر لنا نورًا، كان نورًا بإعلان الملائكة للرعاة، وكان نورا بالتقاط المجوس لسرّه وإن كان نورُه في ذلك اليوم خفِيًا. ولكن بعد أيام سنُقيم عيدَ الظهور الإلهيّ الذي يَسطَع فيه حينها المسيحُ على نهر الاردن.

ما وددتُ أن أقوله لك بإيجاز اليوم هو أن المسيحيّ إنسان ككل

الناس متحيّر بين الظلمة والنور اذا رأيناه هكذا في مدينته، في قريته، في أعماله، في عائلته حيثما حلّ. تارة عنده ضوء، تارة عنده ظلمة، تارة متردّد بين الاثنين، بين السماء والارض، بين المسيح وهذا العالم، يتردَّد بين المسيح وبين مصالحه المادية، ونفوذه ومجده وما إلى ذلك. الناس هكذا كلهم، أنا أيضًا هكذا. سعيُكَ أنت منذ هذه اللحظة أن تصير نورا فقط، أن تختار النور على الظلمة فإنك قد أَحببتَ المسيح، وبنفحاته جئتَ إلى الخدمة. غلب النورُ على الظلمة حتى تَطرد العتمات كلها ولا يبقى في قلبك إلا نور المسيح. هذا سوف يَظهر في الرعية كما ظهر نوره هو على نهر الاردن. الناس ليسوا أغبياء، الناس تعرف الكاهن. فإذا كان فيك ضوء، سيُبصرونه. وإذا أَطفأْتَ الضوء، سيعرفون أيضًا. وأما بقية الأشياء فهي طبعًا تُزيِّن الكاهن: الخدمة، الرعاية، الافتقاد، الزيارات، الجهود. كلها عظيمة، ويجب أن تكون. ولكن هذه لا قيمة لها، هي فقط تُزيِّن. الأصل هو الضوء اذا كان في قلبك.

فاذهبْ مع ضوء عيد الميلاد حتى يرى الناس أعمالك الصالحة ويُمجِّدوا أباك الذي في السماوات، آمين.

تبتّل للسيد

«نحن سفراء المسيح»

(٢كورنثوس ٥: ٢٠)

رسامة الشماس جبران (فيعاني) كاهنًا، كنيسة القديس نيقولاوس في بلونه، ٢ آذار ١٩٩٦.

أيها الأخ الحبيب،

السفير في الدول إنسان مندوب ليس له كلمة من ذاته، وما له موقف من ذاته، انما يعمل مُخْلصًا لمن انتدبه، وينقل الكلمات التي فوّض بنقلها ولو كان له شعور آخر وتحليل آخر عن أحوال الدولة التي أُرسل اليها. ولو قادته رؤيته للأمور أن يقول شيئًا غير الذي كُلّف به، فليس له هذا وتُلغى سفارته. كل مسيحيّ سفير المسيح في الدنيا، غير أن الرب رتّب في كنيسته أناسًا رسلاً وأنبياء ومعلمين، كما يقول الرسول، لكي يحملوا تفويض الإنجيل بنوع خاص وبمسؤولية كاملة. كيف يستطيع مواطن أن يصبح سفيرًا لدولته؟ أنى له هذا؟ لماذا يختارونه دون سواه؟ هذا لأنه أُشبع حبًا للأمّة التي ينوب عنها، هذا لأنه يعرف تاريخها وثقافتها ودورها في العالم، ويريد أن ينصُرها. أنى لك يا جبرائيل أن تكون سفيرًا للمسيح أمام الناس، أمام المؤمنين أولاً وأمام الأمم؟ من أين لك أن تُبلّغ هذه الرسالة؟ هذا يتطلب

منك أن تُسلِم للمسيح بالكلية، بحيث لا تبقى فيك كلمةٌ تأتي من جسدك، وعنيتُ بهذا كل الكلمات والفكر والإيحاءات والوسوسات التي تأتي مِن شهواتك ومِن أغراضك ومِن تحيُّزك. أنت منذ اللحظة تَبَتَّلت للسيد المبارك تبتُّلاً عنيدًا حصريًا، بحيث لا تؤثّر فيك عاطفة بشرية ولو نبيلة.

أنت لست لزوجتك إن كانت على خطأ، ولا لأولادك إن كانوا على خطأ، وأنت خرجتَ من عشيرتك ومن كل عشيرة ولن تنضمّ لأحدٍ بعد أن انضممتَ إلى الحبيب، ومنه تأتي وتُكلم الناس مِن علوّ هذه الكلمة علّهم يَخضعون ويذوقون ما أنت ذائقه ويتجمّلون بما جُملّتَ به علّهم يدخلون إلى خدر الحب الذي أنت مقيم فيه. أنت لن تترك عرس نفسك مع المسيح لتُزاوج قضية أخرى أو وجهًا آخر. وإذا ما ضمّك يسوع إلى صدره، تسمع منه نبضاتِ قلبه كلماتٍ لا يَحلم بها الناس ولا يَسوغ النطقُ بها. واذا ما عُدتَ إلى الناس من فوق، فهذه الفوقية –وتلك هي المفارقة– هذه الفوقية الطّيبة هي التي تُمكّنك بأن تصبح متواضعًا لأنك لا تَنقل رسالةً منك، ولا عاطفة منك، ولا خلجة منك، ولكنك استُودِعْتَ كلَّ هذا لتُبلّغه، لتحياه وتُحيي القوم به. فاذا كنتَ أنت فقيرًا وليس لك شيء، فلا تحتاج إلى رضا الناس ولا تبريكات الناس. ومن بعد أن يستلموا الكلمات التي وضعها يسوع في فمك، ومن بعد ان يستلموا، يصبحون أنوارًا في العالم. عشيرتك عشيرة الذين استناروا. لن يبقى فيك لحم ودم. هؤلاء الإخوة، اذا كُلفتَ بشأنهم، دأبك أن تُضيئهم لكي لا تظلّ فيهم عتمةٌ ولا ظلال. وعندئذٍ، اذا نظرَتِ الأُمم إلى رعيتك، تراها مؤلفة من قامات نورانية، وتَعلم الأُمم بذاك أننا بتنا سفراء المسيح.

المسيح يترجَم، يترجِمه الأحبّة. أنت عرفتُك واحدًا منهم، ولهذا أقمتُك عند مذبح الرب لكي تُكمل الرسالة مع إخوتك الكهنة وأبنائك العلمانيين. ولعل لي في هذا ما أُرضي به نفسي، ذلك أنك إن أكملتَ الرسالة مع زملائك القسس في أبرشية هذا الجبل، لعلّك اذا أكملتَ الرسالة، يغفر لي ربي خطاياي ويَقبَلني اذا ما حضرتُ عند عتباته، لعلّه يجعلني أَعبُر العتبة لئلا أكون منفيًا من وجهه. وجهُه يا جبرائيل، وجهُه هذا كل الوجود. الشمسُ ضياءَ وجهه، الشمسُ نوره يُذكيك هو ويحتضنك، وهو وحده الكاهن العظيم، كان له فيك وفي رعيتك المجد من الآن وإلى الأبد، آمين.

أنت أمام جسد المسيح لست بشيء

رسامة الشماس جورج (صافيتي) كاهنًا، كنيسة بشارة السيدة في دير النورية، ٣١ آذار ١٩٩٦.

أيها الأخ الحبيب،

من كلمات إشعياء عن المخلّص، وقد ردّدَهَا متى، «لم يَكسر قصبة مرضوضة، ولم يُطفئ سراجا مُدخّنا، ولم يَسمع أحدٌ صوتَه في الشوارع» (إشعيا ٤٢: ٢-٣). كذا ظهر يسوع، وكذا ينبغي أن نظهر نحن أيضًا إن شئنا فاعلية المسيح في الارض. أجل لقد قال الرب في منتهى طوافه على الأرض لتلاميذه: «لقد أُعطيتُ كلَّ سلطان في السماء وعلى الأرض، فاذهَبوا وتَلمِذوا كل الأمم». وقد قال عنه الكتاب العزيز في موضع آخر: «كان يتكلّم كمن له سلطان».

الكاهن ليس مندوبًا عن الشعب، هو واحد من الناس يُشاركهم ضعفهم ويتوحّد بهم بالمحبة، ولكنه ليس موظفًا عند أحد وليس موظفًا عند الأسقف. هو أيقونة الله ويعمل باسم الله، وقد لا يعرف شعبُنا هذا كثيرًا. إن روح الشورى المتفشّية في كنيستنا، وهي تُعبّر عن محبة بعضنا للبعض الآخر، إن روح التعاون فيما بيننا كهنةً وعلمانيين لا تعني أننا نحن

نُصوّت ديمقراطيًا، نحن لا نُصوّت، نحن عندنا كلمة أُمِرْنا بها نُبلّغها تبليغا، وعلى الناس أن يُطيعوا أو أن يخرجوا، وهم أحرار.

طبعًا هذا يفرض أن المعلّم قد تعلَّم الكلمة وتمرَّس بها وأنه مطيع لها بمقدار كبير. ولكنه يأمر لأن الكلمة الإلهية آمرة، هي غير معروضة عليك لتُناقشها. لا نقاش في الكلام الإلهي، هناك نقاش حول التفاسير أو التأويلات وما إلى ذلك أو بعض من التقاليد. ولكن اذا تكلم الله، فأنت عبد للكلمة أو تُعلن نفسك عدوًّا لله، ولك هذا. وهناك من يُذكّرك بهذه الكلمة لأنه رسول، وما على الرسول الا البلاغ، وليس له كلمة من عندياته أو يأتي بها من بيت أبيه. الكاهن لا أب له ولا أُم ولا عائلة ولا عشيرة، ينزل من فوق لأنه يحمل الكلام الإلهي. وهذا ينبغي أن تفهمه، وللناس أن يُباحثوك في ما كان شخصيًا عندك، في ما كان من رغباتك وأهوائك ونزواتك ومزاجك. أنت على هذا الصعيد مثل الناس. ولكن، في ما كان لله أبيك، فأنت مؤمن، لذلك قلتُ لك في الخدمة الإلهية لما سلّمتُ اليك الحَمَل الإلهي «خُذْ هذه الوديعة واحفظها سالمة إلى يوم مجيء ربنا يسوع المسيح»، وهي وديعة الكلمة ووديعة الحب ووديعة السلام.

أنت رجل قائم في سلطان. السؤال الذي يطرح نفسه الآن هو: كيف تمارس هذا السلطان؟ ما هو سلاحك؟ هنا يُسعفني متّى بعد إشعياء: «لم يَكسر قصبة مرضوضة». ومعنى ذلك أن قصب البساتين في بلادنا قد يَرضُه هذا أو ذاك اذا مَرّوا أمام البستان، ويأتي ولد مشاكس ويريد أن يكسر القصبة المرضوضة حتى النهاية، والنبي قال عن المخلّص «لم يَكسر قصبة مرضوضة». ثم «لم يُطفئ سراجا مدخّنا»: الأقدمون منكم لعلّهم يَذكرون الأسرجة في بلادنا التي توضع على الجدران أو قرب الجدران، وهي مؤلّفة من زيت ومن فتّيل، والفتّيل يدخّن عندما ينطفئ، ويأتي شاب قويّ ليدلّنا أن أصابعه لا تحترق ويطفئ الفتّيلة المدخّنة. يسوع يقول: اتركوا الأشياء هكذا، لا تقمَعوا الناس.

وذروة الكلام «لم يَسمع أحدٌ صوتَه في الشوارع». نحن كلامُنا همسُ القلوب ولا نَضجّ في المسيحية. تستمدّ سلطانك وهو كبير من كون أنّ أحدًا لا تَقمعه أنت، وأنّ الناس لا يسمعون صوتك

في الشارع، وأنك تُضمّد جراح المؤمنين، وأنك ساهر عليهم في المحبة وحاضِنُهم باللطف. تلك هي أسلحتنا لكي نُمارس سلطانا إلهيا، وإلاّ يكون هذا كمِثْل سلطان الزعماء. السلطان الذي من فوق لن تقدر على ممارسته إلا إذا عشتَ في الوداعة على أعظم مبلغ ممكن منها. ولهذا قال الكلامُ الإلهي في ما تلَوْناه اليوم من إنجيل مرقس (١٠: ٣٢–٤٥): «الذين يُحسَبون رؤساءَ الأمم يَسودونهم»، وكان السيد يتكلم هنا بسخرية، فليس من أسياد على الأُمم، ولكن مَن يظنّون أنفسهم أسيادًا فهُم يَسُودون على طريقتهم بالكبرياء والتسلُّط والقمع. «اما أنتم فمن أراد أن يكون فيكم أولاً فليكن للكل خادمًا». في المسيحية هناك من كان أولاً طبعًا كما في كل قوم. ولكن هذا لا يشتري أوّليته من السوق، ولا يأتي بها من بيت أبيه. من استطاع أن يجعل نفسه عبدا للناس مستمرا في خدمتهم، ناسيا نفسه نسيانا كليا، ليِّنًا رؤوفا حليما، فهذا يكسب الأوّلية، وهذا ينزل عليه السلطان من فوق.

وكلمتي الأخيرة اليك أيها العزيز هو ما تَشبَّعنا منه في هذه الخدمة الإلهية حيث سمعنا فيها أن كل شيء من الروح القدس، ولهذا قال الكاهن: لا تمنعْ بسبب خطاياي نزولَ الروح القدس على هذه القرابين. أنت ذو سلطان، ولكنك أمام جسد المسيح لست بشيء. هنا أمام المذبح يجب أن تعي نفسك ترابا، وأن تعرف أن يديك خاطئتان، وأن الله وحده يستعمل يديك لتحويل القرابين. أنت لست بشيء. ولكن لكي تُدرك نفسَك لا شيء، لا بد من ممارسةٍ وعرة لصلوات الإنجيل، فإنك إن كسرتَ قصبة مرضوضة تظن نفسك شيئا، وإن اطفأتَ سراجا مدخّنا تظنّ أن فيك قوة، وإن سمع الناس صوتك في الشوارع لتُقنع نفسك انك زعيم تنحلّ فورا. لا تستطيع أن تصبح رئيسا روحيا، ليس على طريقة الأمم، الا اذا صرت عبدا روحيا لكل الناس.

خُذْ الكلام وعِشْ عليه فتحيا وتحيا بك الجماعة، آمين.

الوجود هو المحبة

«لا أحد يتجنَّد ويرتَبكُ بأمور الحياة»

(٢تيموثاوس ٢: ٤)

رسامة الشماس أنطونيوس (نصر) كاهنًا، كنيسة الصليب في النبعة، ١٠ تموز ١٩٩٦.

أيها الحبيب،

لقد جَعلَك الروح الإلهيّ في هذا الموسم من الزمان كاهنا لله العليّ لنستعيد الجبل المهجَّر إلى المسيح، ولهذا انتدبتُكَ. وسوف تدخل الصحارى هناك. الجبل خال، وأَخذ أهلُنا يعودون قليلا قليلا، ولكنه صحراء وموت. الله يريدك أن تنقُل الحياة اليه أي أن تَنقُل أولاً المسيح إلى أهلنا العائدين، أي أن تُلازمهم بالحب والتواضع والخدمة. وبقَطْع النظر عن المناسبة، عن الظرف الذي دعاني أن أُشَرْطِنك اليوم، وأنت داخلٌ في خدمةِ كرْم الرب بصورة أكثر فعالية مما مضى، أو كذا ينبغي أن يكون بحيث تكون مسؤولا مع إخوتك الكهنة وفي رعاية الأسقف، ولكنك وحدك مسؤول عن قطيع السيد المشتَّت على الجبال. «طوبى للمبشِّرين على

الجبال، المبشّرين بالسلام» . أَحسَبُ أنك تَذْكُر هذا من إشعياء . فاذهب اذاً لتُبشّرهم بسلام المسيح ولتُبشّر الآخَرين بسلام المسيح . هذا ما نُقدّمه نحن . هذا ما أخذناه مجّانا . لقد أخذْنا سلام المسيح، وسنُعطيه لمحبّيه وللآخرين على السواء في خدمة دؤوب، لأن الرعية تكون مجروحة إذا أُهملتْ وإذا أَحسَّت انها لا تُفتَقَد، فتظن أنك غير موجود، وأن الكنيسة بعامة غير موجودة. الوجود هو المحبة، من أعطاها يكون قائمًا . انه بحر هائج، وعليك أن تسبح فيه وأن تكون إزاء العاصفة لا في العاصفة. أنت نفسُك مدعوّة إلى الهدوء، وقد أعطاك الرب شيئًا من هذا، ومدعوّة إلى أن تبقى في صفاء المسيح. نحن سِرُّنا كله في الهدوء وأعني به سلام النفس المطمئنة إلى يسوع، العائشة منه، المتغذية من كلمته، والتي لا يخضّها شيء من هذا الوجود . ذلك أنك تعرف الذي جنَّدك وأنت له، إذ تقود حربا روحية رهيبة تتطلّب كل أسلحة القتال، وتذكُر أن الرسول ذَكَرَ هذه الأسلحة واحدًا واحدًا . ومَن لم يتسلّح أنّى له أن يقاتل؟

غير أني وددتُ أن أقول لك شيئًا واحدًا في استهلال هذه العظة اليك، «مَن تجنَّدَ لا يَرتبِكُ بأمور الحياة» . نحن نعرى ونُلطم، كما قال الرسول، ونجوع. وقد تكون معرَّضا لكل هذا . لن تكون الأوّل في هذا . ونحن نُداس كل يوم، وقد ديسَ القديسون قديما . وهذا الذي نُعيّد له اليوم –يوسف الدمشقيّ– قتلوه تقتيلا لأنه كان للمسيح. واذاً نَصيبُك نَصيبُ هؤلاء بطريقة أو بأخرى. هذا يُستشهَد دمويا، وذاك لا يُستشهَد . ولكننا جميعا شهود لهذا الذي أَرسلَنا إلى هذا العالم. والشهادة الاولى التي حملتني اليوم فيما أنا توجّهتُ اليك هي أن يُدرِك الناس، أن يُحسّوا أنك مجنَّد، أنك مخصَّص للسيد، وأن شيئًا آخر لا يُلهيك. طبعًا تستطيع أن تُجالس العائلات، وفي الظاهر تؤاكلهم وتُشاربهم وتتنزّه معهم، ولكنهم يعلمون أنك لستَ تلهو، وأنك في سبيل هذا الذي تجنَّدتَ له، أي تأكل وتشرب وتزور الناس من أجل غرض واحد وهو أن تُبشّر بطريقة أو بأخرى. هذا يتبع النعمة التي أُوتيتَ ويتبع انفتاح العقل الذي أرجو أن يكون كبيرًا لكي تزداد أسلحتك عليك.

والسؤال الذي يفرض نفسه هو هذا: كيف لا تَرتَبِكُ بأمور الحياة؟ لماذا نرى ناسا غارقين في

هموم الحياة؟ هذا لأنهم بلا رؤيةٍ لوجه المسيح. يجذبهم كل شيء. طبعا هذه الدنيا مليئة بما يجذب ابتداء من الجسد، ومرورا بالمال، ووصولا إلى السلطة وإلى القدرة وإلى التحكُّم بالناس. الدنيا فيها ما يُلهينا عن الله إلهاءً كليا. ولكن اذا هزّك المسيح وأدركتَ أنه الجميل الأوحد والغنيّ الأوحد والقدير الأوحد، فإذ ذاك تتهاوى عند قدميك الأجساد والاموال والسلطة. المهم أن يأخذك المسيح. والسبيل إلى ذلك أن تقرأ الكلمة. وأَقولُها ببساطةِ المسيح -وليس في هذا إنقاص من شأن أحد-: هناك مَن قرأ، وهناك مَن لم يقرأ. ليس مَن قرأ أفضل ممن لم يقرأ. هذه ظروفُ حياةٍ أُعطيت له. ولكن قد انخرطتَ انت مع شباب هذه الكنيسة بين الذين يُطالِعون كلمة الله وإنها همُّك. غير أنه لا بد لك من أن تحصّل الكثير لتُعطي مما عندك.

أتمنى ألاّ يكتفي شعبنا بكاهن تقيّ، هذا لا يكفي، كل الناس أتقياء أو بمعنى أنه يُطلب من كل الناس أن يكونوا طاهرين وأنقياء، هذا ليس شرطا مخصوصا للكاهن. ما هو شرط الكاهن اذاً؟ التقوى شرط عموميّ وليس شرطًا خاصًا. الشرط الخاص هو أن يعرف، وأن يحبّ طبعًا. لأنه، إذا لم يكن يحبّ، لا يقدر أن يعطي ولا أحد يستقبله، ولا أحد يتقبّله في القلب. ولكن اذا لم يكن يعرف، لا يمكنه أن يعطي. هناك شرطان للعطاء: المحبة والمعرفة. والمحبة نَصقُلها بالتواضع أمام كل الناس وتنزل من فوق، ولكن المعرفة تُكتسب. المعرفة تكتسب بالدراسة اليومية. طبعًا يُحييها الله. نحن لسنا كُتبًا، نحن شهود أحياء. ولكن، بالله عليك، لا تكن كاهنًا من أجل الأكاليل والمعموديات والمآتم. هذه يجب أن تُتمّمها. ولكن هذا ليس كل شيء. ما هو رئيسيّ أن يكون الكتاب الإلهي في دماغك. الشيء الثاني الذي لا يَقلّ عنه أهمية، ولعله الأعظم، أن تحبّ بلا حدود وبلا شرط كل يوم، وهذا لك منه الشيء الكثير. قلت هذا لأُذكّرك بما انت عليه. اصعدْ إلى هذا الجبل وحوّل صحاراهم جنّات، آمين.

الرعية لا تُنقَذ إلا بالحب

«مِن أَجْلك نُماتُ النهارَ كلّه»

(مزمور ٤٣: ٢٢)

رسامة الشماس أغابيوس (نعوس) كاهنًا، كنيسة مار الياس في المطيلب، ٢٤ تشرين الثاني ١٩٩٦.

يا أخي الخوري أغابيوس،

ما ينتظرك، كما ينتظر كل مؤمن، ولكن عندك في صورة حادّة، هو أن تموت. من أجل هذا نَصّبناك كاهنًا. فالعبد ليس أفضل من سيّده. أليس هو المقول عنه في إشعياء قديمًا «كشاةٍ سِيقَ إلى الذبْح، وكنعجةٍ أمام جازّيها، هكذا لم يفتح فاه»؟ ولكن كيف يُساق إلى الذبح؟ هنا أَكمَلَ النبيّ قوله: «بتواضعه رُفع حُكْمُه، وأما مولده فمن يصفه». مع أنك ابن امرأة، إلا أنك مولود من فوق أيضًا أو يُرجى أن تبقى على ولادة من فوق وأن تُوغِل فيها، أن تأتي إليهم من السماء.

«وأما مولده فمن يصفه، لأن حُكْمَه قد ارتفع عن الأرض». سوف تسير إلى الصليب، فالأرثوذكس مثل كل الناس صالبون للمسؤولين عنهم،

هذا أمرُ كل مَن تولّى الحُكم أو الرعاية أو السياسة أو أمور الناس بعامة، أن يكون مُنتقَدًا وأن يُعذَّب، ذلك أنه يَحمل الناسَ على كتفيه، وهم يُريدون دائمًا الأفضل، وهو أبدًا مقصّر.

إذا وقفتَ في الخدمة الإلهية وشرعتَ بتقديم الذبيحة، سوف تقول «ليس أحدٌ مِن المرتبطين بالشهوات واللذات الجسدانية مستحقًا أن يتقدّم إليك أو يدنو منك أو يخدمك يا مَلِك المجد». ماذا قلت؟

قلت عن السيد إنه مَلِك المجد، وقلت عن نفسك أنك مجبول بالشهوات الجسدانية التي لا تؤهّلك للخدمة. ومعنى هذا أن الرب يريد منك أن تُحسّ حتى الموت أنك غير مؤهّل للخدمة، وهذه هي المفارقة أن تَدنوَ مِن رب المجد، وأنك في وعيه هو مستبَعَدٌ.

كيف نَجمع المنفيَّ عن المجد إلى المجد؟ كيف نضعك في المجد وأنت واقع في الشهوات الجسدانية؟ هذا هو المسعى، وهذا لن تُدْركه إلا عند مماتك، ولن يكون في يدك تذكرة دخول إلى السماء. ليست السماءُ مُطوَّبة لأحد، إنما نحن ندخل إليها برحمةٍ من عند الآب فقط، برحمة من قلبه. فاذكُرْ إذاً أنك من طين، وأن الطين لا يُوضَع أمام القرابين الإلهية، ومع ذلك ارتضى الحبيبُ أن يَنزل إلى هذه الأرض وأن يُجبَل مِن طين ليقول لنا نحن الترابيين إننا قادرون أن نتعمّد بالضياء. المعمودية دعوة تكتمل كل يوم، نسير بها كل يوم إلى وجه الآب. ولكن اعلَمْ، إن صرتَ، أنك غير واصل الآن، ومع ذلك ينبغي أن تحبّ الوصول.

أنت أمام وجه القاضي. هذه المائدة التي تُقام عليها الذبيحة هي في الفهم اللاهوتيّ في كنيستنا محكمة، هي كرسيّ القضاء كما نقول في المصطلح اللاهوتي. ماذا نضع على المائدة المقدسة؟ نضع الإنجيل في المرحلة الأولى من القداس، ثم الكأس في المرحلة الثانية. الإنجيل يُحاكمنا لأنه مطلوب أن يكون كلّ منا كلمةً من الإنجيل، وأن يَقتبس هذا الإنجيل، وأن يَجعله في عينيه وجسده وروحه. من يقدر أن يصبح إنجيلاً؟ ولكن هذا هوالمطلوب. أنت هنا أمام الإنجيل لتُسبّحه. اذكُرْ كيف نرسم الأسقف، نضع على رأسه إنجيلاً مفتوحًا لنقول له إن كلمات هذا الإنجيل تنزل عليه، وإنه ليس له

كلمة أخرى وليس له كلمة مِن عنديّاته. هو مطيع لهذا الإنجيل. فالإنجيل يدينك. وإن اقتربْتَ من القرابين المكرَّمة في المرحلة الثانية من الخدمة الإلهية، فأنت تقول إنك لن تعطي المسيح قبلةً غاشة مثل يهوذا، ومَن منّا ليس يهوذا في مرحلة من مراحل حياته أو في لحظة من لحظات يومياته؟

لماذا كل هذا؟ لماذ هذا الموت؟ لماذا إماتة الشهوات كلّها إلا ما يُشرّعها الله في عائلتك؟ لماذا كل هذا؟ لماذا التجرّد عن كل منافع الأرض؟ لأنك مُخلّص للرعية، لأنك أبوها ومُحبُّها وحاضنها، ولأن الرعية لا تُنقَذ إلا بالحب. هذا ما قاله مُعلّمك. ولهذا أَحببتُ أن أُسمّيك أغابيوس، ليس فقط لأنك مُحبّ لهذا الشيخ الجليل جدّك الذي شاركَنا في هذه الخدمة الإلهية، ولكن لأقول لك وللناس، إن أغابيوس هو اسمٌ يونانيّ يعني المنذور للمحبة، المخصّص للمحبة، من أغابي Αγαπη.

إذاً ستأخذ هؤلاء الأرثوذكس على عجرهم وبجرهم، وفيهم ما يُتعب كثيرًا ككل الناس، ولكنك تَتعب عليهم كما يتعب الأب، والأب يُحبّ ولده اللامع المتألّق الخلوق، ويحب ولده المشاكس حبًا واحدًا. والأرثوذكس قومٌ يتذمّرون، وهذا حقّهم إن كنّا مقصّرين، ولكن حقّنا عليهم أن يُنبّهونا حتى نُصلح أنفسنا. تُعلّمهم، تفتقدهم، تُعزّيهم، ترفعهم على كتفيك، ولكن أيضًا تَلومهم وتُوبّخهم.

هذا في كتابكم. أنا لا أصنع لكم ديانة جديدة، هذا في العهد الجديد. شعبنا قد يحتمل اللوم، ولكنه لا يُطيق التوبيخ. أَوصانا الرسول في حالات استثنائية أن نقوم بهذا لأننا نحبّ، لأننا نريدهم عظامًا، لأننا نريدهم ملائكة. من أجل هذا يوبِّخ الأب، يريد أولاده ملائكة.

سرْ على هذا حاملاً المحبةَ اسمًا ومُسمّى، ومضمونها التواضع والوداعة واللطف، وكُنْ عند أقدامهم واغسِلْها، ترفعهم وترفع نفسك، آمين.

وزّعِ المحبةَ على جميع الناس

يا بنيّ،

تذكّر ما قال الرسول لمّا تحدّثَ عن آلامه في غلاطية، قال شيئين: «لا يَجلِبْ أحدٌ أتعابًا عليَّ في ما بعد لأني حامل في جسدي سِماتِ الرب يسوع»، والشيء الثاني الذي قاله «ما عزَمتُ أن أَعرف بينكم إلا المسيحَ وإياه مصلوبًا».

رسامة الشماس جورج (مسّوح) كاهنًا، كنيسة القديس جاورجيوس في عاليه، أوّل حزيران ١٩٩٧.

لقد أتى الله بك يا جورج إلى هذه الخدمة لكونك عبدًا، وليس العبد أفضل من سيّده، ولذلك ستكون حسب القاعدة الإلهية الموضوعة منذ الأزل ذبيحًا، وأنت لستَ أفضل مِن ذاك الذي قيل عنه «إنه ذبيحٌ قَبْل إنشاء العالم». الذين يقدرون أن يُذبَحوا يأتي الله بهم إلى المذبح، وهذا يَفرض عليك أن تكون للمسيح فقط. كل أحد من الناس يريد أن تكون أنت له. هكذا الأرثوذكس. وسوف تقول لهم بوداعتك إنك للذي انتدبَك وهو الجالس فوق عن يمين الآب. أنت طبعًا خادمُهم جميعًا بتواضُع وانكسار، ولكنك تتلقّى أوامرك من الإنجيل ومن الأسقف. الشعب لا يُعطي أوامر.

جئتُ خصّيصًا إلى هذا المكان لأني أُريد أن أُحيي الإنجيل في بلاد الشوف. هذا الإنجيل، عندما يُرسَم أسقفٌ، يوضع مفتوحًا فوق رأسه. قمتُ تقريبًا بالشيء نفسه عندما وضعتُ يدي على رأسك لأقول لك إنك أنت تأتي من الإنجيل وتأتي من مواكب الشهداء ومن القديسين الذين سبقونا وروّضونا على البرّ وألّحوا علينا بالطهارة.

كنتُ أُكلّم واحدًا من الأصدقاء المسيحيين الذين لا يسلكون حسب تقليدنا، قلت له: أنت تفحص الإنجيل، ولكنك أنت وحدك أمام هذا الكتاب. هل تعرف من أنا؟ قال: أنت جورج خضر. قلت: لا، بل أنا أَحمل على كتفيّ إغناطيوس الأنطاكي ويوحنا الذهبيّ الفم وغريغوريوس... أنا هم، وهُم أنا، ولذلك أنا عتيق. أنت عتيق مؤصَّل في العمق، وهذا ما قد يَجرحك، هذا يُثقل عليك الصليب. ليس لنا طريق آخر يا حبيبي. الذي سُمّر على الخشبة هو قال لنا ذلك. ولكنك بنعمة الله ستُصبح قادرًا على تَحمُّل صليب ربنا يسوع المسيح إذا قَبلتَ أن تكون مصلوبًا من أجله. وأن تكون كذلك يعني أن يكون هو الحبيب. وأن يكون هو الحبيب يعني أن تصبح متعبّدًا له، وليس من خيار، لأن العاشق يَستعبد نفسَه للمعشوق.

سَيَراك أهل عاليه مصلوبًا لأنهم إذا رأوك متحكّمًا بهم سيموتون روحيًا. الكهنة يا أخي، الكهنة والأساقفة أولاً هم الذين يَقتلون الناس روحيًا أو يُحيونهم بالروح القدس. لا تستطيع أن تُنعش أحدًا ما لم تكن عند قدميه كبيرًا، والكبار فقط يستطيعون أن يُحنوا رؤوسهم أمام الناس، أمام الإخوة وأمام جميع الناس. فأنت لست فقط رقيبًا باسم الله على الأرثوذكس في عاليه. أنت رقيبُ عاليه جميعًا، وقد سَلّحناك من أجل ذلك. وأُريدك أن تغسل أقدام جميع المواطنين بلا استثناء ولا تمييز. في المسيحية واضح أن العقيدة لأبناء الإيمان، يعرفونها ويحفظونها كاملةً، ولكن المحبة لجميع الناس، واحدة لجميع الناس بالزخم الواحد، وأنت تكون على أبناء رعيتك إن كانوا ظالمين، أنت دائمًا مع المظلوم أيًا كان. هذه الكنيسة لا تتحيّز.

قلتُ: الشيء الثاني الذي قاله بولس «ألّا تَعرف في رعيتك إلا المسيح وإياه مصلوبًا». ماذا

يعني هذا القول؟ يعني أنه يهمّك أن تُنقّيهم وأن تُطهّرهم وأن تُضمّد جراحهم حتى يكونوا أعزّة بالمسيح، أن يَراهم الناس على نور يسوع، أن يُبصر القوم أن هؤلاء في رعيتك إنما انسكب عليهم نور المصلوب فأصبحوا مثله عظامًا قديسين أحياء آلهة.

أنت لا يهمّك أن تكون ملازمًا للأغنياء. نحن على كلّ حال طائفة من المهجّرين، ولا يهمّك أي زعيم وأيّ مَن استعظم. يهمّك الفقراء بالدرجة الأولى. هذا ما نُلحّ عليه كثيرًا في هذا الجبل. كان عندنا في الأردن أبرشية تدعى أبرشية الخيام لأن أُسقفها كان بدويًا مع الأرثوذكس البدو، وقلايته كانت خيمة. نحن أتباع الناصريّ. إذًا تعرّف رعيتَك على أنها محبوبة، مصلوبة وتَسمّى عليها نور السيّد، وهكذا تحتضنها وتحملها.

لن أُذكّرك بأن تعكف على القراءة، على قراءة الكلمة، فأنت في هذا خبير. استمرَّ طبعًا. أُذكّرك بشيء آخر في إنجيل يوحنا لما قال السيد عن الخراف إنها تسمع صوت الراعي. قُلْ هنا إنجيلَ يسوع المسيح، قله بالحب، تَرجمْه بسلوكك، وسيقول أهلُنا الذين من عاليه والمشتّون على الهضاب والساحل، سيقولون «يا قوم تعالوا نُسرع إلى الجبل ليس فقط صبيحةَ الأحد ولكن طوال عمرنا، تعالوا نسكن في عاليه لأننا نستطيع أن نسمع صوت الله». لقد شُرّدنا لأن قومًا لم يَسمعوا صوت الله. نحن فقراء إلى يسوع، آذاننا فقيرة إلى صوت المسيح، تعالوا نتصاعد إلى عاليه ونسكنها لأن هناك رجلاً في صوته نبرات المسيح، آمين.

الأسقفية مجدٌ باطل لمن اشتهاها

«طوباكم أيها الفقراء»

(لوقا ٦: ٢٠)

رسامة الشماس إميليانوس (أبو مراد) كاهنًا، كنيسة مار يوحنا المعمدان في وادي شحرور، ٢٩ آب ١٩٩٧.

أخي الأب إميليانوس،

هبطَتْ عليك نعمةٌ ولا أعظم. مع ذلك أنت إناء من خَزَف، إناء خزفيّ. يعني، إذا جاز التعبير، أن فيه كنزًا كبيرًا، أو أنه ينقل كنزًا عظيمًا، يحمل الإله، ويبقى فقيرًا إليه. يحمل الإله ويعتزّ بالله، لا بيدين خزفيّتين.

مثالنا يا أخي، مثال المخلّص العاري المرفوع على خشبة. أنت لا تزيده مجدًا. إنه يهبك مجدًا من عنده في اليوم الأخير، وقبل ذلك أنت فقير إليه. أي إنك لست فقيرًا إلى أحد. وستصبح كاهنًا بالفعل إن لم يكن لمخلوق حضورٌ يُلهيك. ربُّك ملحاح ليأخذك إليه في كل حين، أي ليفصلك عن الناس الذين تُحسّ أنت، بترابيتك، أنهم هامّون. كل إنسان هامّ. تجعله أنت هامًّا إن كنت تطلب مِن ربك أن يُجمّله وأن يجعله كالإله. أنت فقير

إلى يسوع لكي يُغني الناس بنعمته، وأنت تَعبُر هذه الدنيا ولا يَعلق عليك منها شيء، لأنه إن عَلقَ من دنياك عليك شيء فأنت من الدنيا ولست من الملكوت.

هؤلاء المؤمنون والناس جميعًا في هذه الدنيا ماذا يظنّون؟ يظنّون أنهم بحاجة إلى خبز، والرجال إلى نساء، والنساء إلى رجال، وكلٌّ إلى مجد وإلى هذه المكتشفات البديعة التي صارت بين أيدينا وفي عقولنا، ومع ذلك فهُم أشقياء لا يعرفون مَن هو هذا الذي إليه يجوعون. إنهم جائعون إلى المسيح ولا يَعلمون، وعليك أنت أن تقول لهم إن أشياءكم جميلة ما في ذلك ريب، كلّ هذا خير، ولكن ليس هذا كل شيء.

أن يكونوا محبّين، هذه حاجتهم، وأن يكونوا فقراء إلى يسوع يلطف بهم، تلك كانت حاجتهم الحقيقية. الكاهن هو مَن يفكّر بالحقيقي، بالثابت. الناس يحبّون المتغيّرات، الزخرف، ما يلمع. الكاهن يُذكّر بالحق.

وأما أنت بالذات فستحتاج إلى أن تتروّض على ما لم تَنَلْه بقدْرٍ كاف. وكلٌّ في الفضيلة له رياضته الخاصة. لسنا كلنا تنقصنا كل الفضائل، كل منا تُعوزه بعض الفضائل. ماذا يعوزك أن تتعلم يا إميليانوس؟

يُعوزك أن تتعلم أن إنسانًا واحدًا في الوجود لا يُقهر. إن شئتَ أن تكون رجُلاً، فاقبَلِ الظلمَ عليك لأن الدنيا كلها ظالمة وأنت دُعيت لترفع عنها ظلم نفسها. لا يَظلم أحد إلا نفسَه وهو لا يَعلم، ويعتقد أنه قهّار للآخرين. سوف تَطلب الرعية منك الكثير، وهي على حق. الأطفال جائعون وليس مَن يُطعمهم خبزًا. الأطفال جائعون، الرعية لا تعرف الإنجيل، تلتهي بما ليس يسوع. هكذا كانوا، وألمُكَ أنت أنك تراهم جياعًا ويَقبلون جوعهم. ستظلمك الرعية، أنت اخترتَ المظلومية وكلّفناك بها. سيَظلمك السيئون في الرعية، وهذا أمر طبيعيّ. ولكن سيظلمك الصالحون في الرعية لأنهم سيطلبون منك الكثير الكثير. ويعرفون أنهم هم من طين ولا يَحسَبونك من طين. ولن يغفروا لك، أنا لم أعرف أرثوذكسيًا يغفر للمسؤولين. ولكن ظلم الرعية «دح» بالنسبة إلى ظلم الإكليروس. سيظلمك

هؤلاء كما ظلموا أنفسهم. من أجل ذلك لا تشتهِ أنت ما يشتهون. إنهم يشتهون الغلط. شيئان في الأقل –وأعرفك عفيفًا– شيئان في الأقل ينبغي ألا تفتقر إليهما وأن لا تنظر إليهما هما المال والسلطة.

ما هي تجربة الكاهن المتزوج؟ إنها مشكلة إطعام أولاده. أما تجربة الكاهن البتول فهي أن مؤسسة واحدة في هذا الكرسيّ الأنطاكيّ المسكين غير موجودة لإيوائه في شيخوخته...

كثير من الكهنة المتبتّلين يشتهون الأسقفية. أنا أقول لك: اشتهِ أسوأ شيء في الحياة، ولا تشتهِ الأسقفية لأنك تخسر نفسك. الأسقفية مجدٌ باطل لمن اشتهاها. يُكلَّف الإنسان بها. يُرغَم عليها، يحمل الأسقفية على كتفيه، لكن أحدًا لا يشتهيها لأنها مجدٌ باطل.

أخي، لا تسعَ أن تملأ يدك من دنياك لأن دنياك ستُفسِد يدك. أنت افتح يديك للسماء، ولتنزل عليهما حكمة من الروح القدس. هذه الدنيا مغرية كثيرًا. فإذا رأيتها، فحِدْ وأكمل طريقك. بعد سنوات، في أية سنّ، سوف تحسّ، بتولاً، أنه يُعوزك إنس، لطفٌ بشريّ، وهذا جميل. ولكن هذا رتّبه الله لسواك. طوبى للرجال الذين وَهبهم الله نساء طيّبات، وهذا حسَن، ولكنه لغيرك من الناس. أنت سينزل عليك لطفٌ آخر، لطفٌ من هذا العاري المعلَّق على الخشبة. إن غسلتَ أنت قدميه، وسال دمك مثل دمه، يكون قد أخذك على صدره وأسمعَك كلماتٍ لا يجوز النطق بها.

احفَظْ نفسَك من الأصنام

«كان إنسان مرسَلٌ من الله اسمه يوحنا، هذا جاء للشهادة ليشهد للنور ليؤمن الكل بواسطته»

(يوحنا ١: ٦-٧)

رسامة الشماس يوحنا (هيكل) كاهنًا، كنيسة القديس نيقولاوس في بلّونه، ١٦ تشرين الثاني ١٩٩٧.

أخي القس يوحنا،

هذا ما جاء في مطلع الإنجيل الرابع حيث يستهلّ يوحنا الحبيب بشارته بالحديث عن الله منذ الأزل «في البدء كان الكلمة»، وبعد ذاك يأتي إلى ذاك الذي صار من أجلنا هنا على الأرض فيفتتح هذا الكلام المتعلّق بالتدبير بقوله «كان إنسان مرسَل من الله اسمه يوحنا». الرسول يحاول أن يكون كمرسِله. لا يستطيع أن يكون كليًّا كمرسِله، ولكنه يحاول ويستمدّ تعليماته مِن مرسِله. عندك دولة وتبعث بسفراء إلى الخارج. ليس للسفير أن يُبدي رأيه الخاص بسياسة البلد الذي يعيش فيه، ولكن مهمته أن يُبلغ رأي حكومته إلى هذه الدولة الأجنبية. قلتُ ليس للرسول

رأي. إنْ عليه إلا أن يُبلّغ. وفي المسيحية ما نُبلّغه هو الكلمة الإلهية ولا يُضاف عليها شيء. ليس لإنسانٍ مِن زيادة يقولها عن الكلمة الإلهية. هو يشرحها، يفهمها لكي يفسّرها، يذوقها، يحياها مع الذين تعاقبوا على خدمة السرّ، ولكن آباءنا ما ادّعوا أنهم أضافوا شيئًا على كلمة الله.

أنت في خدمتك الكهنوتية سوف تُجرَّب بأشياء عديدة. سوف تُجرَّب بأن تلمّع، بالخطابة، بالفلسفة، بالآداب وبما إلى ذلك. أنت لا تلمّع. ليس عليك أن تلمّع. عليك أن تنطفئ كي تستمدّ هذا النور الذي جئتَ أنت تَشهد له. أنت مجرّد شاهد لا تملك شيئًا. «ما سمعناه، ما رأيناه، ما لمسَتْه أيدينا من جهة كلمة الحياة، فإن الحياة قد ظهرت ونحن نشهد». لست أنت بشيء، وليس فيك شيء. أنت تأتي من هذا الذي تُبصره إن أبصرت. وقد تَعمى عيناك لأنهما مشغولتان بالفكر، بالفلسفة، باللمعان، بالظهور الإكليريكي، بالقيافة. وإذا سمح الله أن تتبوأ مسؤولية أعلى، سوف تُجرَّب بكل ما في الأسقفية من خطايا ممكنة، أيضًا بالظهور، بالتمظهر، بالسيادة على الناس. وإذا اشتغلتْ أفاعي الشيطان في دماغك، سوف تنفخ في أذنيك أنك أسقف وأنك سيد تاليًا، وإذا كنت سيدًا فعليك أن تسود على الناس وعليهم أن يُطيعوك. هناك قفزة بسيطة حتى ينتقل الشماس والكاهن عندك، حتى ينتقل من خضوعه لله إلى خضوعٍ لك. الخضوع للأسقف ليس بالضرورة خضوعًا لله. إذا كان الأسقف إلهيًا فقط، فالخضوع له يكون خضوعًا لله.

ستبقى كاهنًا مدّة طويلة، كاهنًا عالمًا، وسعى إلى زيادة في المعرفة. ستتغلّل الأفاعي عندئذ إلى صدرك من العلم. العلم سيادة، فيه قوة، وفيه سيطرة، وفيه لمعان. والكبرياء كامنة في العلم، يمكن أن تنفجّر في كل حين ويمكن ألا تنفجّر. ولكن حذار من كبرياء العلماء. يجب أن تنتبه إلى كل ذلك. سوف تُسَرّ بأنك لقيتَ أشياء جديدة في علم اللاهوت لم يَقلْها أحدٌ قبلك، وسوف تفتخر بهذا، ولعلك تنتفخ. هذا أيضًا من حيّات الشيطان المتغلّلة في صدرك. أنت مرسَل، تُبلّغ ما سمعت. ولكن هذا لا يكفي لأن المسيحية ليست عقلاً وحسب، ليست كتابًا. المسيحية هي فقط يسوع المسيح الذي أوصانا الرسول ألا نعرفه إلا مصلوبًا. هذا يعني أن تعرف المسيح مصلوبًا. هذا يعني أولاً

أن العلماء عندك تراب وكُتُبهم تراب. وهذا يعني بنوع خصوصيّ أن الأغنياء تراب. نحن الإكليريكيين بعضُنا يدبّ عند الأغنياء لكي يعيش لأن الرعية بخيلة، ولكي يوجد، ولكي يظهر، ولكي يُعرف، ولكي يُجالسهم على أرائك المجد. إذا صرت عبدًا للأغنياء، فقد رفسك يسوع المسيح. أنت سيّد عليهم جميعًا. الأغنياء والفقراء كلّهم تراب، ويجب أن تقول لهم لأنهم لا يعرفون ذلك. ليس أحد يعرف أنه تراب. أن تعرف يسوع مصلوبًا، هذا يعني أن تكون أنت مصلوبًا. للأرثوذكسيين كل الأسباب وكل الأعذار لكي يَسُبّوك ولكي يشتموك. هذا ما فعلوا بالذين جاؤوا قبلك، وهكذا سيفعلون لأنهم بلا تهذيب. ولكن الأرثوذكس خراف المسيح، هؤلاء على ضعفهم مات المسيح من أجلهم، إذًا هم أعزّاء وهم أعظم منك. أن تموت عنهم كل يوم. هم لا يستحقّون شيئًا، كُلِّفنا بأن نموت عنهم. لو كان الرأي لي لما كنتُ مُتُّ عن أحد، ولكني كُلِّفتُ وأُمِرتُ بهذا. أنت أُمِرتَ.

إذا صُلبتَ واقتبلت الانصلاب، يبدأ فهمك للكلمة، يبدأ فهمك ليسوع، لأن الإنجيل يجب أن يأتي من صدرك ومن أمعائك ومن كبدك. إن قرأته فقط على صفحاته، إن قرأته كتابًا، يحسّ المؤمنون بأن شفتيك تُتمتمان كلمات. يجب أن يحسّ المؤمنون أن الإنجيل يأتي من أمعائك وإلا لن تكون كاهنًا، تكون إنسانًا مقيمًا للطقوس. يفرح الأرثوذكس بالطقوس والعبادات والألحان والأصوات الجميلة والمراسيم. هذا ليس بشيء. هذا يصير شيئًا إن عرفوا أن يكونوا مصلوبين وأن يأتوا من الإنجيل، الإنجيل النازل من لحم هذا الذي كان معلقًا على الخشبة.

أنت رسول، ولكنك تتعلّم هذه المهمة شيئًا فشيئًا، تتعلم أن تصبح رسولاً بإلهام النعمة. احفَظْ نفسك من الأصنام لكي يحيا يسوع فيك، لكي يؤمن الذين أُرسِلتَ إليهم، لتصبح يوحنا أي «الله حَنّ»، آمين.

لا تلعب لعبة السلطة

«يارب عرّفْني فأعرف، وأنا كحَمَلٍ بريء من العيب مسوق إلى الموت، مسوق إلى الذبح»

(إرميا ١١: ١٨-١٩)

رسامة الشماس عبدالله (الحاج) كاهنًا، كنيسة رقاد السيدة في المحيدثة، ٤ نيسان ١٩٩٨.

يا أخي عبدالله،

إرمياء النبي، في هذا الكلام الذي نقرأه يوم الجمعة العظيم، رأى نفسه حَمَلاً بريئًا من العيب مسوقًا إلى الموت، ورأى من خلال آلامه آلامَ السيد المبارك، هذه التي كان يرتقبها النبي منقذة للعالم. ولكنه، فيما كان يتعذب في قريته عناثوث التي كانت متهيئة لذبحه، ناجى ربّه قائلاً «يارب عرّفْني فأَعرفَ كيف أَسلُك بينهم، وهم بيتٌ ممرمر»، كما قال نبي آخر.

كل رعية للمسيح بيت ممرمر. «عرّفْني فأَعرف كيف أَسلُك». ذلك أن المعلّم عرّض خدّيه للّطمات وجسمه للضرب وكلّه للصلب. هو وحده كان يعرف أن بعد الصلب قيامة، قيامة للعالمين، فإنه كان هو دائمًا

قائمًا. أخذ من الآب هذه القيامة ليعطيها للناس. أن تكون يا أبت للناس وأنت مُقام من أجلهم، أن تكون للناس، هذا ما تعرفه أنت، وتَعلم أيضًا أنك مدعوّ لإحيائهم بسبب المحبة التي فيك.

نحن الكهنة الأرثوذكسيين ليس عندنا صراع مع المتسلّطين في الرعية. نحن لسنا أغبياء. لا نقيم سلطتنا إزاء سلطة يدّعونها. نحن نُبطِل سلطتهم بالحب. هذا ليس سهلاً، وهذا يوميّ. لا تلعب لعبة السلطة، أي لا تستند على أحد لمكافحة أحد. في النهاية كلّهم يتحالفون لذبحك. طبعًا رعية المسيح فيها كثير من الذين يحبّونها، وفيها كثيرون حالفوا الرب يسوع وهم سوف يحالفونك. ولكن لتعملَ في عمقٍ مع حسبانك أن للمسيح حلفاء، اعتبر أنك وحدك وأنك مسؤول وحدك، واعتبر أنك المنارة إذا باتوا في الظلام، وقد يبيتون جميعهم في الظلام، ولكن إن أطفأنا المنارة فكيف يستضيئون.

لا بدّ من منارة ولو واحدة حتى لا تنتشر الظلمات. أي لا يحقّ لك إلا أن تُجابه كل قسوة وكل تمرّد بحبّ، لكونك مكلّفًا. وهذه الكنيسة ليست ملكك، وليس أحد منهم عبدًا لك، أنت مكلّف بالمجيء بهم إلى المسيح. اضطَرِرْهم على الدخول. هذا ما يقوله كتابك في أحد الأمثال، اضطَرِرْهم على الدخول.

المحبة وحدها تَحسُم في أمر الدخول. كيف ستحصل على ذلك؟ كيف لا ينطفئ النور فيك؟ هذا الذي عُلّق على الخشبة، وحده نور العالم. النور ينزل من جسد هذا الذي عُلّق مرة واحدة وإلى الأبد ليقول لنا إنه كل شيء، وأنك لن تزيد عليه حرفًا واحدًا، وأن كل هؤلاء القوم لن يزيدوا عليه شيئًا، وأنك أنت ومطرانك وشعبك لستم بشيء، ولكن المعلّق على الخشبة هو كل شيء. فإن استطعت أن تجثو عند قدميه وأن تدخل وإياه في خلوة العشق، يجعلك هو سيدًا لأنه لا يكون قد أبقى فيك عتمة ولا أبقى فيك ذَرّة تراب وحوّلك كلك قمّة من نور. عندئذ أنت مثله سيّد العالمين.

اذهبْ بهذا، وافهمْ أنك إذا كنت في عزلة بسبب منهم أو بسبب من خطاياك -الخطيئة تعزل عن المسيح- إن كنت في عزلة فارتمِ عند رجليه. رجلاه هما الموضع الوحيد الذي يمكن أن تسند عليه رأسك. إذا لامسَ وجهُك قدميه يصبح لك وجه، آمين.

اذهبْ وازرع

«خرج الزارع ليزرع»

(لوقا ٨: ٥)

رسامة الشماس الياس (دعبول) كاهنًا، كنيسة مار بطرس وبولس في الحازمية، ١١ تشرين الأول ١٩٩٨.

يا أخي الياس،

هذه كل مهمّتك من الآن إلى اليوم الذي يَقبضك الله. أنت لن تعرف شيئًا عن الحصاد. الزارع لا يعرف مسبقًا كم تعطي الحبّة حبّات، ولا يعرف مسبقًا إن وقعَ القمح على الأرض المِنبات أم على أرض فيها شوك أو محجَّرة. نحن الكهنة لسنا إلا أمام وعد، أمام وعد الملكوت. نحن نزرع، وسوف يقول الله للإنسانية في اليوم الأخير ماذا أحصد. مهنة بلا تعزية إذا شئتم، عطاء كلّها، وتُقابلها بعض فلوس، في كثير من الأحوال تعطى في المنّة. ولكن لا فرق، فرح الزارع أن يزرع.

كيف تَزرع؟ من أين لك الحنطة؟ اتّفقَ أن سيامتك وقعت في ذكرى الآباء القديسين المجتمعين في نيقية دفاعًا عن الأيقونات. معنى ذلك

لك اليوم أنك، إن صرت أيقونة للمسيح، يكون بين يديك حنطة ترميها في الأرض، وأما إن بقيتَ كما أنت –وأنت على شيء من البهاء الروحي– فلا تعطي ما فيه الكفاية، وإن أفسدتَك الرعية لن تعطي شيئًا أو أفسدَتْ نفسك بالتسلط عليها والكبرياء.

مسبقًا، مَن قَبِلَ الكهنوت يَعتقد أن الرعية فوقه وليس هو فوقها. ومسبقًا يعتقد أنّها كلها مقدّسة أكثر منه. وإن اعتقدتَ لحظة، لحيظة، بأنك أطهر مِن أيّ مخلوق، فأنت لست على شيء، ووقَع الحَبّ من يديك، ولست أنت بزارع.

أن تكون أيقونة أي عليك الكثير من مسحة المسيح، أي عليك بصماتُ المسيح بحيث أن من رآك يرى المسيح. الكاهن الذي لا يستطيع أن يوحي للناس بأنهم باتصالهم به قد اتصلوا بالسيّد ليس على شيء. كيف يكون هذا؟ يكون هذا إن التهبْتَ حُبًا –فالحب ملهِب– حسب قوله المبارك في سِفْر الرؤيا «كن باردًا أو ساخنًا، لا تكن فاترًا لئلا يتقيأك فمي». كن ساخنًا لأنك إن فَتَرْتَ سيموتون بعدم الحُب، لا يعرفون أن أحدًا يُحبهم، أن حامل المسيح يُحبّهم. إن لم يُحبَّهم الكاهن أو الأسقف، قد لا يُدركون أنهم أحبّاء الله، إذاً هم معزولون، إذاً هم في البرد، في الصحراء.

ما حظك في أن تلتهب؟ لك أقول، لك أعطي مفتاح السرّ، هناك فضيلتان أودّ أن أذْكُرْهما ذِكْرًا ألا وهما طول الأناة والوداعة. أنت تُعامِل الروم الأرثوذكس. من هم الروم الأرثوذكس؟ مشكلتك أنك مع الروم الأرثوذكس. هؤلاء قوم أكثرهم لم يستلم تعليمًا أرثوذكسيًا. هذه حالة الاستعمار والمدارس الاستعمارية وما إلى ذلك التي نشأنا فيها. نحن أنقذتْنا عائلاتُنا أو كهنةٌ مقدّسون. أي إنه عليك أن تُدرّبهم من الصفر. يأتون إلى القداس ويظنّون أنهم يعرفون شيئًا، عليك أن تُدرّبهم من الصفر. هذا يفترض طول أناةٍ لا حدّ له. أنت تتكلم لغة لا يفهمها معظمهم والكثيرون منهم –الآن أصبحنا أفضل– سريانية بالنسبة لهم. إذاً هذا يتطلب طول أناة، رحمة واسعة، صبرًا كثيرًا. لماذا؟ لأنهم أحباء يسوع. الروم الأرثوذكس ليسوا بشيء أي لا يعرفون شيئًا، ولكنهم أحبّاء يسوع وهذا يكفي. إذاً أنت تضمُّهم إلى صدرك، جميعًا بلا استثناء. ليس عندك مزاج. أنت ليس

لك علاقة بخفة الروح وثقل الدم، هؤلاء كلهم أولادك تحتضنهم بنفس الحب ودون تفريق.

بالدرجة الأولى تحضن الفقير، لأننا كنيسة يسوع يا بنيّ ولسنا كنيسة المطارنة. نحن كنيسة يسوع، ويسوع فقير. إذاً هؤلاء بالدرجة الأولى تكون في خدمتهم -الآخرون يبقى مَن يخدمهم-، والمريض أيضاً لأن المريض فقير بشكل رهيب. أنت حاضن إذاً.

الفضيلة الثانية قريبة منها وتُمكّنك من الفضيلة الأولى وهي الوداعة. الوداعة هي أن تَميل كالقصب دون أن ينكسر. لا تسمحْ لأحد أن يَكسرك، ولكن مِل، لاطف واكسَب. معنى ذلك أنه لا يوجد كبرياء عندك لأن أحدًا لا يستطيع أن يؤذيك، كل شرير يؤذي نفسه. أنت مسطّح، ولذلك عليك أن تحتمل ثقل دم الروم الأرثوذكس. سيأتون الساعة العاشرة ليلاً وبعد ذلك، وعليك أن تهتم بهم. لا يجوز أن «يطلع خلقك على أحد». بالأوقات المتعبة تريد أن ترتاح لأنه عندك إكليل، سيأتوك ولا يمكن أن تفعل أمرًا آخر، لا يمكن أن تُعلّمهم التهذيب. هم هكذا نشأوا، وعليك أن تحملهم حملاً كبيرًا حتى النهاية بوداعةِ تَعامُلٍ بلا غضب.

إذا كنت وديعًا وصبورًا، يأتي المسيح ويضع الحنطة في يديك، ويقول لك: يا بنيّ، اذهبْ وازرعْ، آمين.

صيّرهم كلمة

أخي الخوري أنطون،

أَذكرُ دائمًا، عندما يؤهّلني الرب أن أضع يدي على رأس مشرطَن، أَذكر كلمة الرب في الكتاب العزيز «المسيح ذبيحٌ قَبْلَ إنشاء العالم»، أي إن مقاصد الله منذ الأزل كانت أن يَخلق الإنسانَ وأن يُحبّه، وأن يُحبّه بإرسال الحبيب الأوحد. الناس يا أخي، كما هم، على ضعفاتهم، من شأنهم أن يُقزّزوك ومن شأنهم أن يجرحوك. أنت لست أفضل من هذا الذي أُعِدَّ للذبح قبل إنشاء العالم. غير أن تعزيتك قد تكون في النفوس التي يُنشئها يسوع لتحبّه. أنت مجرّد أداة، أنت مجرّد أداة لتبليغ الحب. ليس لك رسالة من عندك ولا كلمة من فمك. اذكُرْ ما قاله الله لما كلّم حزقيال وقال له «خُذْ هذا الكتاب وابتلِعه». نحن ليس لنا أقوال من عندنا. إذا امتصصتَ الكتاب الإلهي وصرته، عندئذ يرى المؤمنون فيك إيقونة.

رسامة الشماس أنطوان (شويتي) كاهنًا، كنيسة ميلاد السيدة في الدكوانة، ٢٠ آذار ١٩٩٩.

ما الأيقونات التي أنت تكتبها -وأريدك أن تستمرّ في كتابتها-؟ هي أن نحاول نقل المجد الإلهي بالصورة، أن نوحي بوجود مجدٍ إلهي. هذا حَسَن، وهذا فيه تعليم، وهذا كله تخشّع. ولكنك تعلم أنت أن المسيح هو

أيقونة الآب كما قال الرسول العظيم، المسيح ارتسم عليه، على وجهه مجدُ الآب. الأيقونة إذاً إيحاء. ليست هي منتهى الطريق. منتهى الطريق لك أن تصبح أنت أيقونة المسيح كما كان هو أيقونة الآب. هذا ليس كل شيء، فإنك إذا نسيت نفسك -والكاهن ينسى نفسه، وليس له منفعة في هذا الوجود، وما له من غاية لنفسه-، تبقى خادمًا وتبقى على موهبة الخدمة التي كانت لك شماسًا.

ليس هذا كل شيء. كل شيء أن يصبح المؤمن الذي أنت تربّيه في الرعية هو أيقونة المسيح، وهذا مسعاك. نحن الزارعين لكلمة الله لم نُعطَ موهبة الحصاد، لم نُعطَ لذّة الحصاد، لا نعرف. نحن نعرف أن نزرع، دُرِّبنا من أجل ذلك وترُوّضنا النعمة كل يوم على ذلك لأنه ينبغي أن تزرع الكلمة فقط، وتزرعها إذا صرتَ أنت كلمة، إن عرفتَ أن تُطلع من أحشائك هذا الكتاب كالذي دفعه الرب إلى حزقيال فابتلَعَه. في كنيستنا كما في كل مكان في العالم إغراءات، إغراء رسّام الأيقونات أن يفرح ببهائها. كل بهاء مغرٍ. لن تقف أنت عند جمال الأيقونة. أنت أعمى طبعًا عن جمالك. هذا قد يكون إغراء الإغراءات، أن يعرف الإنسان جماله. أنت تفرح فقط بجمال المؤمنين الذين سُلّموا إليك لما قرر الثالوث القدوس أن يجعل المسيح ذبيحة. تحاول أن تُجمّلهم بالكلمة. ليس لنا أداة أخرى بكل تبليغاتها ومظاهرها في الكنيسة، وأنت لا تعرف إن كنت ستصير كلمة. فقد عَلّمَنا يوحنا الدمشقي أن الكلمة صار لحمًا لكي يصير اللحمُ كلمةً. صيِّرْهم كلمة، صيِّرْهم هم كلمة. هذا عزاؤك. وعند موتك سنغطّي وجهك بالستر الذي تُستر به القرابين، وفي هذا نقول للسيد: هذا الرجل نرجو أن يكون قد أصبح الآن بالموت قربانًا مقبولاً لديك. سيقول هو وحده في اليوم الأخير إن كنت قد غدوت كلمة أو أصبحت قربانًا. على المرء أن يسعى بالنعمة التي وُهب مدعومًا بأدعية المؤمنين الأحباء. على هذا الرجاء نحن استهللنا خدمتك اليوم.

ألا اسلُكْ طريقًا وحيدة، التي أنت قادر عليها. اتبعِ المعلّم حيثما يسير. ولا يسير هو إلا إلى الجلجلة، ولكنه بعدها بلغ القيامة. سِرْ على ذلك عساك تصبح كلمة، فيصبح بك المؤمنون مقرًّا للبهاء الإلهي، آمين.

ابقَ راهبًا بعد أن أمسيتَ كاهنًا

يا أخي الأب يوحنا، أيها المؤمنون،

في مطلع الرهبانية ما كان يجوز أن يُجعل راهب كاهنًا. وقد اعتقد القدماء أن هاتين المهمّتين غير قابلتين للانسجام، وهذا صحيح إلى حد كبير اليوم على رغم أننا نضع اليد ونُشرطن رهبانًا. كان فكر الأقدمين أن الكاهن منظور، معروف، على شيء من الأهمية في الكنيسة، وهذا يُناقض وضع الراهب الذي هو تحديدًا غير معروف، غير مرئيّ، غير منظور لدى نفسه، ممحوّ. على ذلك سمحَتِ الكنيسة عبر الدهور أن يُجعل بعضُ الرهبان كهنةً لخدمة أهل الدير إذا تعذر أن يؤتى بكهنة من القرى والمدن. وقد يُنتدب الراهب الكاهن أحيانًا إلى الرعايا الخالية من الخدّام. ولكنه أصلاً يخدم في الدير. وأحيانًا قد يُتاح لك أن تُرشد ضمن سر التوبة، وهذا نرجو أن يحلّ عليك موهبةً، ولكنّا نطلب أن تدرس أيضًا. إلى هذه الساعة لم يقتنع الأرثوذكسيون أنهم يجب أن يدرسوا. لستُ أرى هذا التيار مهيمنًا على الكنيسة. يحبّون العواطف، أن يتأثروا بالعبادات وما إلى

رسامة الشماس المتوحد يوحنا (سمعان) كاهنًا، كنيسة القديس جاورجيوس في دير الحرف، ٢٥ أيلول ١٩٩٩.

ذلك وكأنهم أَلغَوا الرأس. الرأس ليس له مكانة عند الروم الأرثوذكس.

ولكن الكتاب الإلهي كلمات. المسيحية عُرفت كلماتٍ تُعرَب، نصًّا يُتداول. بلا كلمات ليس من مسيحية. ولذلك ينبغي أن تَدرس ما أَمكنك ذلك، وأرجو أن يُفهم هذا هنا وقد أراد الدير أن تصير أنت كاهنًا. نحن نغوص على الكلمات وعلى القواميس وعلى اللغة. بلا هذا يُبلَّغ المسيح بصورة طبيعية. طبعًا القديسون يبلّغونه، ولكني لستُ أرى كثيرًا من الواقفين الآن على جبل التجلّي. أَترُكُ لك هذا ولرئيس الدير ولا سيما أنك ستُضطر إلى إرشاد بعض العلمانيين الذين سيأتون إلى هنا للاسترشاد. وتدرس لنفسك لأن في هذا فرحًا، ولست أعرف بعد القداسة فرحًا يوازي أو يضاهي فرح المعرفة حيث نتغلّب على الجهل ونقتحم الدنيا بكل أسرارها وهي كتاب الله. لولا الله لما همّتنا المعرفة.

الشيء الثاني والأهم هو رجاؤنا جميعًا أن تبقى راهبًا بعد أن أَمسيتَ كاهنًا، وأُريد بذلك ألا تظنّ نفسك قد صرت شيئًا. ليس أحد شيئًا يا أخي، لا أنا ولا أنت، ولا أحد من الحاضرين. ولذلك عندما طلب الرسول الكبير أن نكون ذبائح حية مرضيّة لله، أراد أن نكون ميّتين. في الأديان القديمة عندما كانوا يقدّمون ذبائح من الحيوانات، ماذا كان يعني هذا؟ كانوا يقتلون الحيوان، وعند قتله يصبح ذبيحة. هذا يعني أنك لم تصر ربما ذبيحة حتى الآن -لستُ أعلم اللهُ يَعلم-، بمعنى أنك إن لم تمت، إن لم تنسَ نفسك، إن لم تتنازل عن عنادك -إذا كان لك عناد، لستُ أَعلم، أنا لا أَعرفك- إذا لم تتخلّ عن كل شيء من ترابيّتك، ومن انفعالاتك، ومن آرائك الخاصة، فأنت موجود في عينَي نفسك، إذًا أنت لست بذبيحة. يجب أن تُلغى من عينيك، أن تُلغى أهميتك، أن لا تعي أهميتك.

شيء آخر أن نعي الرسالة. هذه ليست لنا، نحن مكلّفون بها. وأما أهميتنا الخاصة وبهاؤنا وفهمُنا وذكاؤنا وما إلى ذلك وقداستنا -وهذه تجربة عند الرهبان وعند كل مسيحيّ- أن نعي أننا شيء. هذا يعني أننا لم نصر ذبائح حيّة، فكيف إذ ذاك نقدّم الذبيحة غير الدموية؟

هناك ارتباط يا أخي بين ذبيحة سر الشكر والكاهن. طبعًا القربان الإلهي يعمل في النفوس،

بكاهنٍ فهيم وكاهن غير فهيم، بكاهن مقدّس وكاهن شقيّ، والحمد لله أن الله فعّال في الكنيسة. لو كانت القداسة معلّقة على الكاهن، لماتت الكنيسة. الله يعمل مباشرة في الناس، يستعمل هؤلاء الذين نُسمّيهم كهنة ومطارنة. مع هذا ينبغي أن تعي أنه ينبغي أن يكون نوع من القربى بينك وبين القربان، فإذا كان هذا القربان قد قُرِّب لكوننا أَسقطنا موت المسيح عليه، فهو قُرِّب لأنه أُلغيَ مادةً أرضيةً ليصبح الجسدَ الحيّ للمسيح. ما يصير على المائدة يجب أن ينعكس فيك، أي أن تكون أنت ميتاً، حيًّا ومُحيًّى من موت، لكي يقرأك الله شيئًا، وحذار أن تقرأ نفسك شيئًا، هو يعرف ويقول هذا في اليوم الأخير.

تواضع هنا، تُكمل رسالتك الرهبانية، تنسحق، تصمت، تطيع، وفي حدود المهمة التي أُوكلَتْ إليك تُقيم هذه الذبيحة الإلهية أمام أربعة أشخاص، وحسبك ربك.

سوف تصير راهبًا. ليس من راهب، هذا كلّه رجاء. ليس من مطران، ليس من كاهن، ليس من إنسان. نحن على الرجاء فقط. ستصير راهبًا إن اقتنعت. بدء طريقك إلى الرهبانية أن تقتنع أنك تراب، وأنك أُعطيتَ هذه الكرامة الرهيبة أنّ يديك الترابيتَين تحملان جسد المسيح. تلك هي الكرامة الكبرى. حاولْ ألاّ يكون تناقضٌ كبير بين يديك وهذا الجسد العظيم الإلهي الذي تحمله لتُقدّمه للمؤمنين حياة أبدية، آمين.

لا يمكنك أن تُعلّم إلا مِن فضيلةٍ فيك

رسامة الشماس جهاد (أبو مراد) كاهنًا، كنيسة القديس جاورجيوس في برمانا، ٢٤ تشرين الأول ١٩٩٩.

أخي الخوري جهاد،

في تشرين الأول من السنة ١٩٥٣، جيء إلى دير سيدة البلمند، حيث كنتُ أُعلّم، بصبيّ عمره عشر سنوات أو إحدى عشرة سنة يحمله رفيق لي قائم هو الآن بيننا، يحمله لأنه كان نائمًا. فأَيقظتُه وقلت له: يا ولد، ماذا تريد أن تعمل؟ كان هذا جهاد. قال أن أصير مطرانًا. فأدخلناه إلى هذه المدرسة، ورعيناه على قدر ما وَهبَنا الله. وصرتَ إلى ما نحن عليه الآن، على شيء من الأسقفية حسب قواعد هذه الكنيسة.

والآن أمامك كل الكتاب العزيز الذي تُتابِع قراءته كل يوم، الذي نُطالعه جميعًا كل يوم عسى نتدرَّج مِن ضعفنا البشريّ إلى ما يُرضي الله، لأننا نصير يومًا بعد يوم على صورة المسيح، ولن ندركه بالكليّة، لن ندركه بسبب هذا اللحم والدم اللذين فينا حتّى يستردّنا إليه في رضاه. ولكنك ستحاول. أمامك ما ورد في إنجيل يوحنا عن أن الراعي الصالح يَبذل نفسه عن الخراف. هذا ما قاله المعلّم الإلهي عن نفسه فقط. الراعي الصالح

يبذل نفسه عن الخراف، إذ ليس من راعٍ صالح على هذه الأرض. نحن نحاول وننكسر، ونخون، أو يخون بعضُنا. كلّنا نضعف، ولكنّ بعضَنا خان. ستحاول أن تكون أمينًا في حدود جسدك. هذا أنت قادر عليه. وستحاول أن تتشبّه براعي نفوسنا العظيم الذي بذل نفسه عن الأحبة. إن السيد المبارك ما صار كاهنًا على الصليب إلا لمّا سُفِكت آخرُ قطرة من دمه. إذا استطعتَ أن تعيش مع الإخوة غاسلاً أقدامهم وكأنك تبذل دمك، إذ ذاك تبدأ بأن تصبح راعيًا.

لقد جاء في الكتاب العزيز، على لسان بولس، عن ملكيصادق الذي اعتبره الرسول نموذجًا للمسيح في العهد القديم، وما كان يهوديًا، وقال عنه إنه لا أب له ولا أُمّ ولا بدء أيام ولا نهاية حياة. ومعنى ذلك، فيما يختص بك، أن ليس لك أب، وليس لك أم، وليس لك عشيرة، وليس لك نسابة، لأن الذين يُنسَبون هم من هذه الأرض، وأما الله الذي هو فوق الأزمنة والأمكنة فلا يُنسَبُ إلى شيء، هو قائم بنفسه. إن قدرتَ أن تكون، ولو بصورة باهتة، غيرَ منسوب إلى الناس وإلى تفاهة الناس وسخافة الناس وبُغض الناس، إن استطعتَ ألا تُنسب، تكون مثل الله، فوق الأمكنة والأزمنة ومصالح الناس. أي إن كنت معلّقًا بهذا الجالس فوق، لا تنظر إلى جنباتك. تنظر إليه فقط، وتتكوّن من رضاه، من نعمته، وتجيء من هذا الصليب.

«أن تجيء من هذا الصليب» ماذا تعني؟ أن تجيء من هذا الصليب تعني شيئًا واحدًا أَعلنَه الرب قبل أن يموت: «تَعلّموا منّي أني وديع ومتواضع القلب». إني وديع ومتواضع القلب. في ممارستي للمسيح، في ممارستي للسيد لا يمكن أن نصفه بأعلى من هذا، إذ لا يوجد أعلى من هذا. هو وصفَ نفسه هكذا. إن أدركتَ هذا، وهذا متعذِر، يكون قد أدركَ جسدُك الترابيُّ هذا الألوهةَ منذ الآن على هذه الأرض. أن تكون وديعًا ومتواضع القلب. وهذا يعني، فيما يعنيه، أن يدوسك الناس. هذا من شأن الروم الأرثوذكس. أن يدوسك الناس. وأنت تَعلم أنهم قد يفعلون. الآن تَحسَّنوا بالنسبة إلى الماضي. أنت تَعلم أنهم، إنْ فعلوا، فعن جهل، لأننا لم نُعلّمهم نحن بالقدر الكافي. نحن لم نبذل نفوسنا، لم نبذل أجسادنا حتى آخر قطرة من الدم كالمعلّم. لا تقُلْ لهم: أنا رئيسكم فاحترموني.

هذه كلمة سخيفة يقولها السخفاء من الأساقفة والكهنة الذين ليس عندهم رئاسة في شخصيتهم. أنت ارتمِ عند أقدامهم لِعِلْمِك بأنك، إن فعلتَ هذا، تكون مرتميًا في أحضان السيد فوق. لا علاقة لك أنت بهم. علاقتك أنت فوق. إذ ذاك يجبلك من جديد، يجبلك بدم صليبه وضياء قيامته، ولن تُنسَب إليهم، وتُنسَبُ إليه.

اقبَلْ أن يَنعتوك بكل ما في نفوسهم مِن سيئات. هذا يَزيدك حبًا لهم لأنهم لا يَعلَمون ماذا يفعلون. وعلّمهم. ولكن خطر الأذكياء على أنفسهم أنهم يظنون أنهم يُعلّمون من ذكائهم، مِن عِلْمِهم. هذا شأن الإغريق والفلاسفة بعامة. هذا ليس شأننا نحن في المسيحية. لا يمكنك أن تعلّمهم إلا من فضيلة فيك ومن نور ينبجس فيك، يتفجّر منك. الينبوع الواحد للتعليم هو أن يروك وديعًا، متواضعًا، محبًا لهم، والكتب تأتيك زيادة.

هذا يحتاج إلى شغل، إلى صقل، إلى تعبٍ يوميّ، إلى سهر دائم، إلى صلاة مستمرة، إلى ممارسة التواضع أمام الجهلاء والسخفاء والسفهاء من قومنا. أنْ تُمارِس هذا، أن يضربوك بكلامهم ومواقفهم، وأن تَرحم وأن تَغفر، وأن تَغفر حتى تَدخل التابوت، لأنه إذ ذاك لا يَرى ربُّك إلى تابوتٍ، يرى أن هذا التراب التفِه قد تحوّل إلى نور، آمين.

وظيفة الكاهن أن يُشعل الكونَ بيسوع

«في البدء كان الكلمة»

(يوحنا ١: ١)

أيها الحبيب،

رسامة الشماس يوحنا (كحّالة) كاهنًا، كنيسة رفع الصليب في وجه الحجر، ٢٩ تموز ٢٠٠٠.

لقد اتخذتَ يوحنا الحبيب شفيعًا لك. هذا يفرض مسؤوليات كبرى. لن أُكلّمك اليوم عن المحبة التي هي مدى إنجيله، فلك منها قدر، وأرجو أن يصبح لك منها قدر أعظم، ولكني مُكلّمك اليوم عن الكلمة التي يُهملها الكثيرون بعد أن رُتّبت عباداتنا ترتيبًا عظيمًا خلاًبا يَحسَب به الناس أنهم لا يحتاجون إلى الكلمة وأنهم مثقّفون بطقوسنا فقط. هذه خديعة كبرى. لا شيء يُغنيك عن الإنجيل كما هو مدوّن، وعن الكتاب العزيز كلّه لأنّك أنت نُصّبت لكي تأتي الناسَ ربّا، لكي تأتيهم بهذا الرب المظنون أنه فيك. كيف يكون الرب فيك إن كنت أنت جاهلاً للكلمة؟ هذه أكذوبة. يا أخي إن لم تُخصّص ساعات في النهار لتقرأ، لتقرأ كل

شيء، ولكن لتقرأ كلمة الله بالدرجة الأولى -بقية الأشياء تُجمّلها وتوطّرها-، إن لم تُخصّص ساعات لتدرس كلمة الله، تبقى كما أنت، كما جئت مِن أُمك، أي لا شيء. أنت لست ابن أبيك وأُمك. أنت ابن الكلمة أو لست بشيء. تبقى كومة من لحم تافه.

عندما سَلّمتُ إليك القربانة المقدّسة قائلاً: «خُذْ هذه الوديعة واحفظها سليمة إلى يوم مجيء ربنا يسوع المسيح، وأنت مزمع أن تُسأل عنها»، ماذا عنى هذا الكلام؟ خذ هذه الوديعة، هل يعني هذا الكلام أنك تحفظ القربان. لا، في السماء ليس قربان. يزول القربان في السماء. ما معنى احفظْ هذه الوديعة؟ القربان يا أخي هو الذي يُكوّن الكنيسة، لأننا نكون طائفة مبعثرة خاطئة في ستة أيام، ثم نجيء من اللاشيء الذي نحن كنا فيه إلى هذا الشيء الذي نصبحه إذ نتناول جسد الرب ودمه. خذ وديعة الإنجيل. خذ وديعة الإنجيل واحفظها لأنك مسؤول عن سلامة العقيدة في الرعية التي تُنتدب عليها في هذه القرية الآن. ثم احفظْ هذا الشعب. هو أيضاً وديعة. كيف تحفظه؟ بأي شيء تحفظه؟ في بلادنا يقولون: فليدخل الكاهن ويفتقد الرعية في بيوتها. هكذا يحفظها. هذا صحيح. ولكن ماذا يقول لها إذا دخل؟ إذا قال لكل الناس: مرحبًا، نهاركم سعيد، كيف الأولاد؟ كيف صحة الأولاد؟ انشالله قدّموا سرتيفيكا؟ انشالله أَنهَوا الجامعة؟ يعني إذا عمل حديثاً مثلما تعمل نساء الضيعة، ماذا يكون قد عمل؟ كيف يكون دَخَلَ؟ كيف يعني افتقَد؟ إذاً عندما نقول «الكاهن يفتقد الرعية» لا نقصد أنه يعمل صبحيّة عند الناس، هذا شيء تافه. نقصد أنه يعطيها الكلمة، يُقوّمها بالإنجيل. والرعيّة فيها كل الأفكار الحزبية وغير الحزبية، الصالحة والطالحة، وتأتي من الجرائد ومن الناخبين ومن المنتَخَبين ومن النواب ومن كل هذه التفاهة المنتشرة في البلد. الرعية تأتي من كل شيء، من كل حال، من كل كلام، كلام تافه أكثر المرّات. ما صُنْعَتُك أنت؟ ما مسؤوليتك أنت؟ أن تُبدّد عنها الكلام التافه المغلوط، وأن تغرسها في الإنجيل.

طبعًا، كي تتمكن من الكلمة، من استمدادها، من حفظها ومن إعطائها -وهاتان مسألتان:

تأخذ الكلمة ثم تعطيها-، كي تتمكن من هذا، تحتاج إلى القداسة، أي تحتاج إلى أن ترى الرعيةُ أنك حافظٌ لوصايا الله. فهُم يكذبون. الرعية تكذب طبعًا. فإذا سمعوا مرة واحدة أنك كذبت، ضعتَ أنت ورعيّتك، انتهيتَ، راحت القضية، انهارت القضية، ما عاد عندك قضية تعطيها، لم يعُد معك شيء. إن لم يكن الصدق فيك، فالكلمة ليست فيك، وأنت لست كلمةً، أنت رجعتَ لحمًا ودمًا من البترون. ما تُبشّر به يجب أن تكونه وإلا لا تُبلّغ، لا شيء يَصلُهم، لا يقبلون شيئًا منك، وأنت عبثًا تُضيّع وقتك. إذا أَسمعتَهم لحنًا حلوًا للقداس، ينبسطون، وينتهي الأمر. وإذا خرجوا تكون انتهت القصة. واعٍ، واعٍ أنت ما نقوله في القداس «ليس أحد من المرتبطين بالشهوات واللذات الجسدانية مستحقًا أن يتقدّم منك أو أن يدنو منك يا ملك المجد»؟ طبعًا أنا واعٍ أننا من طين. واعٍ أنا طبعًا أنني من طين، وسنبقى من طين، وسنموت في الطين. ولكن نحن المسيحيين جئنا لنتحدّى هذا التراب الذي فينا. يسوع يقف أمامنا بنوره ليضرب الطين الذي فينا. طبعًا هذه عمليّة عمر. أنا لست متوهّمًا أنه يمكننا أن نكون كاملين على الأرض، ولكني مؤمن مع غريغوريوس النيصصي أن «الكمال هو اشتهاءُ الكمال». ولكن انتبه ألاّ تَصِل إلى موقف القائلين: الذين يطلبون بعض قداس نُعطيهم قداسًا؛ والذين يطلبون بعض إكليل نُجري لهم بعض إكليل؛ بعض أمور؛ نلاحظ ما يطلبه هؤلاء، ما يحتاجون اليه: إكليل، ومأتم، وعمادة، وكذا. إذا تّمتَ لهم الخدمة المطلوبة، وأَقفلتَ الكنيسة، ورحتَ إلى بيتك عند الخوريّة والأولاد، واستلقيتَ مستريحًا، تكون انتهيت يا ابني، تكون انتهيت كخوري، أنت لم تعُد خوري.

الكاهن نار، نار، باستمرار نار، لا يهدأ، لا يستطيع أن يهدأ حتى يُشعل الكون. عليك أن تُشعل الكون بيسوع. أنا أعرف أنك تريد هذا، وأعرف أن عندك بعض كبريت. عندك بعض كبريت. اذهَبْ وأَشعِلها في وجه الحجر، آمين.

أعطِ ذاتك للمؤمنين

رسامة الشماس باسيليوس (محفوض) كاهنًا، كنيسة القديس أنطونيوس الكبير في فرن الشباك، الخميس العظيم المقدس ١٢ نيسان ٢٠٠١.

أخي الخوري باسيل،

طالما يعجز فمي اليوم عن أن يتكلم كما ينبغي، يخاطبك قلبي ليقول إنك الآن أخ كريم طيّب في رعاية أبنائنا وفي تقديسهم. أنت تحمل المسيح الآن لكي تُعطيه هؤلاء المؤمنين.

واتّفقَ أن سيامتك كانت في ذكرى العشاء السريّ لتَفهم من هذا أنك لست تعطي فقط جسد الرب ودمه للمؤمنين، ولكنك تعطي ذاتك هؤلاء المؤمنين. أن تعطي ذاتك هو أن تحاول الكمال. لا تقدر أن تُعطيهم عيوبك وشوائبك، فهذا يُدمّرهم ويُدمّرك. ولكنك تحاول أن تُعطيهم الحب الذي أَحبَّك به يسوع ليعرفوا أنهم أحبّاء الله، ويتدرّجوا على سُلّم الفضائل، حتى يتكئوا هم وتتكئ أنت على صدر المسيح، آمين.

أنت موظَّف عند ربِّك

«لنا هذا الكنز في آنية خزفية»

(٢كورنثوس ٤: ٧)

رسامة الشماس ديمتري (جرداق) كاهنًا، كنيسة رقاد السيدة في الحيدثة، ٢٨ تموز ٢٠٠١.

أخي الخوري ديمتريوس،

بعد أن جَعلَك ربك من الشيوخ الأربعة والعشرين المتحلّقين حول عرش الحَمَل، ينبغي لك أن تَذكُر أن هؤلاء الشيوخ إنما يطوفون حول المسيح في السماء بسبب من نعمته وليس لهم شأن.

فاذكُرْ إذاً أنك إذا انتصبتَ على مائدته الأرضية هذه فهو الذي صَنَعَك، وانت لست بشيء. هذه هي المفارقة أننا نحن الكهنة نقوم بخدمة لاحظَ الذهبيُّ الفم أنها مُنعَتْ عن الملائكة، ومع ذلك نبقى ترابا. أرجوك أن لا تُذكّر المؤمنين بأن يحترموك. إن كان فيك شيء محترم فهُم يلاحظونه. فإذا كانوا لا يحترمونك، فعلى الأغلب أن فيك شيئًا لا يُحترم. هذا القول العاميّ التافه «احترِم الثوب ولا تحترم الثوب»، هذا ليس فيه شيء.

قال الرسول: «لنا هذا الكنزُ في آنيةٍ من فخّار». قد يُكسر هذا الفخار، ولكن إن استوعَبَ عطرا ذكيا، ستُلازم رائحةُ العطر الفخّار. كيف نجمع بين هذين الأمرين، أنّ المسيح هو كل شيء وأننا لسنا بشيء؟ هذا ما يُسمّى تواضعا. ما معنى التواضع بالعربية؟ لغةً هي أن يجعل الانسانُ نفسَه مع الأرض، أن يَمسح نفسَه مع التراب. رُبّ سائل كيف أكون أنا اذاً معلّما، بوصفي كاهنا، وأكون على مستوى التراب؟ الجواب في حزقيال: «خُذْ هذا الكتاب وكله». اذا امتصصْتَ الكلام الإلهي في كلّ جوفك، واقترنتَ به، يطلع من نفسه على المؤمنين وعلى الناس. هم ما جاؤوا ليطلبوك، لم يجيئوا ليطلبوك. هم ماذا يريدون؟ هم جائعون الى المسيح. هل عندك مسيح لتعطيه؟ أَم تقول له: أنت فوق، أنا هنا أُمثّلك؟ أنت لا تمثل كل شيء. لا أحد يَقبلك. المسيح لا يحتاج إلى من ينوب عنه. نحن أدوات له فقط، أيادٍ، أصابع له.

هؤلاء جائعون وعطشى إلى المسيح لأن هذه الدنيا ليس فيها مسيح. الناس والاهل والعائلات والتجارة والحكومة. ليس في ما يُرى مجتمعٌ مسيحيّ. يجيئون اليك لكي يقتاتوا. وقد قال المرنم للنبي: «الاولاد جاعوا وليس من يكسر لهم خبزا». هل نحن الكهنة في الحقيقة نكسر خبزا للجياع؟ أم أننا لبسْنا هذه المهنة القائمة على الأكاليل والمآتم والوجاهات والافتقادات والصلاة؟ هل نكسر خبز الحياة للناس؟

عليك ان تختار بين أن تعطي الناس ما تحسبه مزايا فيك، كلمات لك، جمالات على لسانك أو قلبك، أن تُبرز نفسك، أن تدعو الناس إلى التحليق حولك. عليك بهذا، أو عليك أن تقول لهم «لقد كسرتُ نفسي بالتواضع. خذوا كلوا هذا هو جسدي». عندئذ يجدون ربك. انت موظف عند ربك، جسدك ليس بشيء. عقلك ليس بشيء. ثقافتك ليست بشيء. انت عبد له، والعبد ليس له رأي. في نظام الرِقّ، هو يُنفّذ ما يشاء السيد. وقد يُذبحُ العبد -وذُبحَ في النظام الروماني-، يُذبح ويُرمى.

وحتى لا أَدعَك بلا أمثال: إذا شتمك أحدٌ من الرعية -الرعية فيها شتّامون. الروم

الأرثوذكس ليسوا كثيرا مهذّبين، ليسوا كلهم هكذا. فيها شتّامون-، طبعا عليك أن تتحرّق، أن تزعل، ليس لأنك شُتمت. قد قلتُ لك انك لست بشيء. عليك أنت أن تتحرّق لأن الآخر أخطأ وآذى نفسه، ليس لأنه صدمك. لستَ بشيء، لا تنصدم انت، انت فارغ. هو جَرَحَ نفسه بالشتم.

وتذهب اليهم مرة أو مرتين أو عشرا لتستغفر، ليس لانك أخطأت -هم يعتقدون انك أخطأت اليهم- تستغفر لكي يصيروا أرقّ. نحن قامات من نور نحيلة منتصبة بين الارض والسماء.

حاول ان يقرأوا على وجهك ملامح من وجه يسوع. عندما تنجح في ذلك، تكون قد صرتَ كاهنا، آمين.

عالجهم بالكلمة

«تكفيك نعمتي»

(٢كورنثوس ١٢: ٩)

رسامة الشماس يونس (يونس) كاهنًا، كنيسة ميلاد السيدة في المنصورية، ١٤ تشرين الأول ٢٠٠١.

أيها الحبيب،

في وسط الضيقات التي كان فيها بولس، التمسَ من الله أن يموت، فقال له الله «تكفيك نعمتي، إن نعمتي في الضعف تكمل». لست أقول إنّ كل كاهن يتعب. الكاهن الحسّاس، المؤمن، العميق يتعب. يتعب أولاً من نفسه، اذ يَعرفُ ضعفاته، وقد فهم أنّه من تراب، وأنّ المفارقة هي هذه: أنّ هذا الإله العظيم الذي لا يستطيع ملاك أن يخدمه ولا مجمع الملائكة ولا الأبرار والقديسون أن يخدموه في السماء، إنّ هذا الإله العظيم يرتضي أنْ يقوم بخدمته رجلٌ كثيرًا ما يكون ضعيفًا. هو دائمًا ضعيف. ليس من إنسان قويّ. وقد يكون أحيانًا غير ملتزم بالدين كله. قد يُصاب بالتجربة والإغراء والكوابيس التي تطغى عليه متضجّرًا من الدين، بسببٍ من

خطاياه، من خطايا الرعية، من خطايا المطران. القصة هي هذه: أن الكاهن يتعب. والكلام الإلهي لا يزال هذا: «تكفيك نعمتي». مشكلتنا نحن الكهنة، ونحن الواعين، كهنةً كنّا أَم علمانيين، مشكلتنا أنّنا نعرف أنّ هذا الحقل الذي يُسمّى الكنيسةَ مخلوطٌ فيه قمح وزؤان. جاء مَن يزرع الحنطة، وجاء مَن يزرع الزؤان، وهما يصعدان معًا.

هنا، ليس بعيدًا عنا، وادٍ مررتُ به مئة مرة في حياتي، وعندما أقترب منه أعرف أني سأشمّ رائحةً كريهةً، ولكن هذا هو الوضع، وأتعامل مع هذه الرائحة الكريهة. ستشمُّ روائحَ كريهة في نفسك وربما في الآخرين. تتعامل مع هذا الموجود حتى تبقى كاهنًا وتصير في اليوم التالي أفضل ممّا كنتَ في الأمس. أي إنّك لا تستسلم ولا تنهزم ولا تُحابي الوجوه لأنّك إنْ سمّرتَ عينيك، إنْ وضعتَ عينيك بين عينَي المسيح، هؤلاء كلهم ليسوا بشيء. ليس مِن إنسانٍ شيئًا إن عرفتَ أن ترى جمال المخلّص. ولذلك لن يُخيفك إنسان. أنا أعرف رعية البلدة جيدًا، وأعرف أنّها متعِبة، وأعرف أن ليس من خطاب ممكن بيني وبين بعض الناس. أنتَ تأتي من الإنجيل، والناس يأتون من مصالحهم ومنافعهم وانتخابيّاتهم وما إلى ذلك. صرتُ أعرف الذي يأتي لعندي لمصلحةٍ، وأكتشف مثلاً أن الذي يدعو إلى وليمة قد صنع عشاءً لغاياتٍ ومصالح.

أنت ليس لك شغل مع الرعية. شغلك مع المسيح فقط. ووضعَك في خدمتهم كما هم. منهم مَن كان ملاكًا. نصفهم ربما ملائكة، ونصفهم ليسوا بملائكة. كل واحد حسبما هو تتعامل معه، على عِلاّته، على عَجَرِه وبَجَرِه. وتحتضنهم ولا تتعب. وكما أن الوالد الصالح يُعامِل معاملةً واحدة ابنَه الطيّب وابنَه الأزعر، بالمحبة الواحدة، ولكن بأسلوبين مختلفين، أنت تُعامِل كل هؤلاء الناس معاملةً واحدة، هذه التي تَعَلّمتَها من الكتاب. تُحبّهم حتى تموت. على طريق موتك قد تقع. قبل أن تموت قد تقع، ثم تنهض لأنك لست مديونًا لأحد. أنت لست موظّفًا عند أهل المنصورية مثلما أني لستُ موظفًا عند أهل جبل لبنان. أنت موظّف عند واحد فوق، وباسمه تتكلّم. وإنْ نسيَ الناسُ هذا، تُذكّرهم بأن لا رباطَ عشقٍ بينك وبين أهل الرعية. أنت عشقُك للمسيح. وأنت تأتي بالناس

لِيَدخُلوا في هذه العلاقة التي بينك وبين يسوع إذا رأَوك تذوب حُبًّا من أجلهم، إذا رأَوك تذوب، ليس لأنهم ينفعون شيئًا، بل لأن ربَّهم أَحبَّهم. ربُّك عاشقٌ هذه الرعية، عاشقُها وأَعطى دمه لها. وقال لك: يا ابني، خُذْ هؤلاء كما هم، على «تعتيرهم». هؤلاء عالجهم كما هم. تُعالجهم بالكلمة، ولا تعالج بكلام من عندك. ليس عندك كلام من عندك. كلامك تأتي به من الإنجيل. تعالجهم بالإنجيل وبالحب. مرات تُحسّ أنك وحدك، أنهم عَزَلوك، وانهم ليس لهم صبر عليك. كل هذا ستراه. هذا لا تتعلّمُه في المدارس، في مدارس اللاهوت. تعرفه فقط اذا أَمضيتَ سنواتٍ متواصلة في هذه الخدمة. ترزح تحت خطاياك الشخصية، ترزح تحت ضجرك، تحت تعبك، ثم تَنهض لأنك مكلَّف. انا أتى بي المسيح إلى هذه الأبرشية وقال لي: أنا أُرسلك إلى جبل لبنان. اذهبْ وارعَ.

أخي، أنتَ خادم. قيمتك هي التي تنزل عليك من فوق. لا قيمة لك الا التي يُنزلها يسوع عليك، وهو الذي يعترف بك. لك من وقت إلى وقت، وأرجو أن يكون هذا في كل وقت، لك تعزيات اذا عَرفتَ أن ترتمي على صدره وأن تسمع نبضات قلبه، وأن تمتلئ من هذه الكلمات التي لا يَسُوغ النطْقُ بها. عندئذ تعود اليهم وتقول لهم: ها قد سمعتُ الكلمات من فوق، خُذوها اذا أَردتم أن تحيَوا، واتركوها اذا آثرتم أن تموتوا. انتم تُحيون أنفسكم أو تُميتونها، وأنا لا علاقة لي بذلك. لكنك تُثابر حتى تموت انت. تُثابر في كل ظرف، محبًّا في كل حين، صابرا دائما، عفيفا باستمرار، تدوس المال برجليك، تدوس المجد تحت قدميك، لأنك مكلَّف، لأنك مضطَرّ أن تَكون على صورة هذا الذي كلّفك، آمين.

رُدَّهم إلى معلِّمك

«إن يسوع مزمع أن يموت عن الأُمّة، وليس عن الأُمّة فقط، بل ليجمع أبناءَ الله المتفرّقين إلى واحد»

(يوحنا ١١: ٥٢)

رسامة الشماس جورج (متّي) كاهنًا، كنيسة رقاد السيدة في كفرعقاب، ٤ تشرين الثاني ٢٠٠١.

أخي الخوري جورج،

هؤلاء الذين هم حولك، والذيم لم يتمكّنوا من الحضور، هم أغنام المسيح الناطقة. ولكن الأغنام تتشرّد أحيانًا، وتقفز في الجبال بعيدة عن الراعي، وأُريدُ به راعي نفوسنا العظيم. وعليك أنت أن تترك كل شيء حتّى تسعى إلى الخروف الضال، لأن الخروف الضال أثمن من الأغنام التي لم تضل. إنه في هذه اللحظة حبيب المسيح.

وأنت تَذكُر أن الخطيئة الأولى التي ارتُكبت في تاريخ الناس هي خطيئة كبرياء، إذ قالت الحيّة لآدم وحواء «إذا أكلتما من ثمرة هذه الشجرة تصبحان مثل الله عارفَين الخير والشر». الإنسان يُريد بقوة نفسه وقدرة

عقله ونفوذه أن يصير مثل الله. هذا هو الاستكبار، وهذه هي الخطيئة الوحيدة في العالم.

أما الذي قَبِل يسوعَ المسيح فقد ارتضى أن يكون آخر الناس، على ما قاله الرسول العظيم بولس «لقد جاء يسوع ليموت من أجلي أنا آخر الناس، أنا كالسقط». فينا لحم ودم يا أخي، فينا نزعة إلى الانتفاخ والتفرُّد والتحيُّز والتشقق. وعليك أن تجمع الأشلاء وأن تقول للناس «أنتم لم تولدوا من لحم ودم، بل من الله وُلدتم». ولذلك ليس عندنا في كنيسة المسيح قبائل. نحن لسنا أبناء أحد، نحن أبناء الآب. الإنسانية مركّبة طبعًا بحيث يخرج الناس من أرحام النساء. ولكن القصد الإلهي هو أن يولَدوا بالمعمودية بالماء والروح، من الحضن الإلهي، ليس من أحضان النساء، وهم ينسون ذلك، وعليك أن تُذكّرهم به. وأنت لا تَجمعهم إلى نفسك بل إنك تجمعهم إلى المسيح. أنت مثلهم لا شيء. رُدَّهم إلى معلّمك. غير أن هذا يتطلّب منك ما طلبه الآب إلى المسيح أي أن يموت. لا تستطيع أن تَجمع أحدًا إلى مسيحك إلا بصورته الوحيدة أعني المسيح المذبوح. المسيح مذبوح وليس له صورة أخرى. تجمعهم أنت إلى هذا المسيح المذبوح. أي تجمعهم إليه إذا استطاعوا أن يشاهدوك كاهنًا مذبوحًا بالتواضع الأعمق.

ما معنى التواضع؟

قبل كل شيء، كل البشرية عدوّة أوليائها، عدوّة الذين يكبرون أمرها. هذا قاله الشاعر. إذًا يجب أن تنتظر أن يكرهك الناس. هذا من اللعبة. هذا من شروط اللعبة. كل رئيس يكرهه ويحبّه بعضٌ. وفي مهنتنا نحن، إذا أجزتم هذا التعبير، نحن لا نُغنّج أحدًا. نحن نؤنّب الناس ونلومهم ونوبّخهم. طبعًا بعد هذا يفهمون أن هذا كان تعبيرًا عن الحب. أن تتواضع أمام كل الناس يعني أن تقتنع في داخل نفسك أنك لست بشيء، وأن ربّك كل شيء. ولذلك لا تطلبُ إلى أحد أن يحترمك. علّمْه أن يحبّ يسوع، لا أن يُحبّك أنت، وبعد هذا يفهمه. أنت ليس عندك شيء ولا تطلب شيئًا لنفسك. أنت لست مركز الرعية. أنت خادمها. ولذلك ينبغي أن تحزن، ليس لأن بعضاً أساء إليك، ولكن ينبغي أن تحزن إذا خطئَتِ الرعية. تحزنُ لخطاياهم، لا تحزنُ لأنهم أهانوك.

قلتُ من شروط اللعبة أن يدوسوك. اذكُر الكلمة التي استهللتُ بها عظتي إليك أنّ يسوع مزمع أن يموت ليجمع أبناء الله المشتّتين إلى واحد، إلى الآب، حتى لا يعرفوا أنفسهم بعد الآن قبائل، حتى يعرفوا أنفسهم أبناءَ كنيسةٍ واحدة مفدّيين بدم يسوع. هم أثمن من قبائلهم، وأكرم. كرامتهم تأتي من دم الله الذي انسكب عليهم. كيف بعد هذا يفتخرون بفروعهم وآبائهم وأُمّهاتهم وأخوالهم وما إلى ذلك من تراب؟

إذا استطعت أن تأتي بهم إلى عائلة الآب وأن يتعارفوا هناك أعضاء في جسد المسيح، أَحبّاء له متعانقين، إذا استطعت أن تنجح بذلك، يكرّمك الآب. على الأقل حاولْ. حاول كثيرًا. وإذا حاولتَ ولم تنجح يُكرّمك الآب أيضاً. فاذهبْ ولا تنسَ هذه الحركة التي قُمتُ بها أثناء الذبيحة، عندما سلّمتُ إليك جسدَ المسيح، وقلتُ لك «خُذْ هذه الوديعة واحفظْها سالمةً إلى مجيء ربنا يسوع المسيح». ما معنى أن تَحفظ القربانة؟ عند مجيء الرب لن يكون قربانة، ولن يكون شيء ماديّ. خُذْ هذه الوديعة أي خُذْ أهل كفرعقاب، هذه هي وديعتك، واحفظها سالمة بالحب. هكذا يَسلَمون، وهكذا تَسلَم، آمين.

ليس من سيادة على الأرض إلا للمسيح

«مَن أراد أن يتبعني فليكفُر بنفسه ويحمل صليبه ويتبعني»

(مرقس ٨: ٣٤)

يا أخي الخوري جورج،

كلام السيد هذا مُرسَل إلى كل مؤمن، غير أنك ستعرف في الخبرة أن صليب يسوع ملقى على كتفيك في كل ساعة من النهار، وستذوق صعوبةَ الخدمة وبهاءَها بآن. هذا هو السر الذي نزل علينا أنّ حب يسوع لتلاميذه وأتباعه يترجمه الكاهن بنوع خاص. كلنا ننقل محبةَ المسيح، غير أن واحدًا أُلقي عليه النير حتى يتعب وينال أُجرته في اليوم الأخير. والتعزيات التي سوف تنزل عليك أنك قد ترى واحدًا أو اثنين أو أكثر ازداد اقترابهم من المسيح. وهذا ليس لك فيه شيء، لأنها نعمةٌ أُنزلت عليك فأَعطيتَها، وهم اقتربوا مِن سيّدهم. أنت لا تُكافأ في هذه الدنيا، غير أن الإكليل قد أُعدّ لك في السماء.

رسامة الشماس جورج (برباري) كاهنًا، كنيسة مار الياس في الحدث، ٤ آب ٢٠٠٢.

ولعلّي أَوَدّ أن أقول لك أشياء بسيطة هي أنك سُلّمتَ الإنجيل ولم تُعْطَ شيئًا آخر. وأنت لن تجيء فقط إلى المؤمنين لتسأل عن صحتهم وصحة أولادهم وأن تشرب قهوة معهم، هذا ليس شأنك. أنت تذهب إليهم لَتقتحمهم، لَتكسرهم بالحب، وهل شيءٌ آخر يَكسر؟ بمعنى أنك تحاول أن

تُحطّم خطاياهم حتى يَظهروا جميلين أمام السيد، محبوبين لديه، ذلك أنك معلّم.

أنت لن تكون موظفًا عند أحد ولا عند مجلس الرعية، وبتدقيق المعنى ولاهوته أنت لست موظفًا عند المطران. هو أب لك يعطف عليك، وقد يكون عنده بعض من الرشد فيُرشِد، وشيء من الحكمة فيَنصح. أنت موظف فقط عند المسيح، وله تُقدّم الحساب، ولذلك أنت قويّ.

أنت لست موظفًا عندهم، لكنك لست سيدًا عليهم. ليس من سيادة على الأرض إلا للمسيح. أنت خادم. هو كان خادمًا. لا يمكن أن يكون نصيبُك أعظم مما فَعل هو. ما جاء زعيمًا على الناس. رفض الزعامة كليًا ومات ليقول إن الزعامة الوحيدة على الناس هي زعامةُ المحبة.

سُلّمت الإنجيل. هذا يعني، إذا استنطَقْنا رسالةَ اليوم (رومية ١٢: ٦-١٤)، أن المعلّم يُلازم التعليم، وأنت تتعلّم كل يوم من هذا الإنجيل ليعيش أبناؤك به. إنهم يعيشون من كلمة الله، وهي التي تبقى في جوفهم. ستكون أنت على مستوى التعليم أي على مستوى المعرفة السائدة في البلد.

الشيء الثاني الذي قاله الرسول اليوم «الواعظ فليُلازِم الوعظ»، والرسول نفسه قال لتلميذه «عِظْ في الوقت المناسب وغير المناسب». الناس ليس لهم جَلَد على الوعظ. أنت عليك أن تعظهم أرادوا أَم لم يريدوا. لا تأخذ منهم أوامر. أوامرك تأتي من السيد. ما هو الوعظ؟ خذ هذا الإنجيل واجعلهم يبتلعونه، هذا هو الوعظ. واستمِرَّ هكذا، رَضُوا أم لم يَرضوا. ليس لك حساب تؤدّيه لهم. استمِرّ. أنت لا يمكنك أن تعرف مَن يقترب من يسوع ومَن لم يقترب. أنت تسعى. نحن الكهنة نتوجّع لأننا نزرع ولا نحصد. أنت ترمي هذه البذار وتنتظر الحصاد فوق في الملكوت. قبل هذا لا ترى شيئًا.

ولكن بين يديك هذا الإنجيل وتأكله. هذا ما قاله حزقيال، لا تنسَ. أنت تأكل الإنجيل وتعطيه بتواضع ومحبة. الرعية بنوع خاص لا تحب الكاهن المتكبّر. إذاً أنت عند أقدامهم، تتواضع حتى تصبح كبيرًا فوق. هذا أنت تعرفه. جئتُ فقط أُذكّرك به لتصبح أقوى مما أنت. المهم أن تقوى وأن تصبر وأن تبقى كل يوم أمام كل الناس وتعطيهم هذا الطعام. اذهبْ على هذا الكلام وردّده في ذاكرتك كل يوم حتى أتعزّى في ما بقي لي من أيام، آمين.

كن مصباحًا مضيئًا

أخي الكاهن المتوحّد ميخائيل،

أيها الأحبّة،

في بدايات الرهبانية، كان يُقال إن الراهب لا يصير كاهنا، لأن الكاهن يخدم الناس الذين يعيشون في العالم. فالراهب يعيش في الصحراء بعيدًا عن العالم.

غير أننا اضطُررنا، لخدمة الرهبان، أن نختار بعضًا منهم كهنة، لإقامة الذبيحة الإلهية ولإعطائهم الزاد الإلهي. الراهب إنسان يحاول بجهد رهيب أن ينتقل بقلبه وعقله إلى الملكوت الآتي. يحاول أن يُبصر الملكوت الآتي، وكأنه بلا جسد. ولكنّه سرعان ما يلاحظ أنه يخطئ في هذا الأمر وذاك، أي إنه لم يَبلُغ بعدُ الملكوت الذي يجب أن يُشاهده في كل حين. ومن أجل ذلك، يبكي الراهب. يَتحقّق أنه مِثل الناس من تراب. غير أنه يسعى علّ شيئًا من النور ينزل على هذا التراب.

رسامة الشماس المتوحّد ميخائيل (عوض) كاهنًا، دير مار ميخائيل في بعقاتا، ٧ أيلول ٢٠٠٢.

ولكن عندما انتدبناك إلى خدمة الكهنوت أقحمْناك قليلاً في خدمة

الرعية المجاورة لهذا الدير. وربما سُلمتْ إليك مهمّات أخرى هنا وهناك، خِدمةً للمؤمنين الذين يحتاجون أحيانًا إلى كاهن.

غير أن خدمتك الأساسية ستكون في هذا الدير حيث سوف تقول لإخوتك «خذوا كلوا، هذا هو جسدي». أي إنك سوف تُدرك أكثر فأكثر أن المؤمنين إنما يصيرون شيئًا، أو يرجون أن يصيروا إذا أخذوا جسدَ ابن الله وشربوا دمه، ليصيروا هم أيضًا من هذا الجسد، حتى لا تبقى هُوّة بينهم وبين المخلّص. أنت ترعى بالليتورجيا الإلهية إذا أَحسنتَها، وإذا استحقَقتَها، وما من إنسان يستحقّها، ولكننا نسعى.

غير أنه يُطلب إليك أن تُبشّر بالكلمة. وهذا أمرٌ ما كان منوطًا بك قبل اليوم، بصورةٍ مسؤولة. فإذا أنت ذهبت إلى رعية، أو اجتمعَتْ رعيةٌ حول المائدة المقدسة، قد يكون عليك أن تعظها بالكلمة. وهذا يعني أن تتدارس هذه الكلمة يومًا فيومًا. فالكلمة هي أيضًا جسد المسيح أي هي إياه. وتَذكَّرْ أن ما يبدو خِدمةً هنا على الأرض أمام المائدة المقدسة إنما هو خِدمةٌ في السماء، ذلك لأن كنيستنا بنوع فريد وخاصّ تجعل الليتورجيا الإلهية صورةً عن السماء، وترفع هذه الخدمة من العالم المنظور إلى العالم غير المنظور. وهذا من شأنك أن تساعد الرهبان والمؤمنين على الإحساس به.

تَذكَّر أنك واحد من الأربعة والعشرين شيخًا الذين يَكْهَنون في السماء في حضرة الحَمَل. نحن يا أخي نحاول أن نعيش في حضرة يسوع أو لا نكون شيئًا.

غير أنك، ولو أَعطيتَ المؤمنين جسدَ المسيح وهم يطلبونه، لا بد لك أن تُشبه المسيح، وقد حضّنا الرسول على ذلك لما قال إنه يتشبّه بالسيد. لماذا من حيث إنك كاهن ينبغي أن تتشبّه بالمخلّص؟ ذلك حتى يؤمن الناسُ أن ابن الله تجسَّدَ ويكون له امتدادات في الناس. لو كان تجسَّدَ فقط هو وعاد إلى السماء بلا أثر في الأرض، لا يكون قد تمّ شيء. ولكن الأمر العظيم أن للمسيح امتدادًا في أحبّائه. وهو يرجو أن يكون له امتدادٌ بنوعٍ فريد في الذين انتدَبهم لِخدمةِ الكلمة والأسرار.

أرجو أن يمنحك ربُّك نفحات يومية تؤهّلك لأن تفهم.

وجعي ووجعُ كل مَن خَدَم هذا الإنجيل أن كتاب الله غير مقروء، وأن الناس يظنّون أنفسهم مسيحيين. أن تُحرّك الناس القلائل الذين حولك، أن تُلهِم مَن سيجعلهم ربُّك على دروبك، أن تُلهبهم ولا ينقطع اللهب في قلوبهم، أن تَرى الناس تلتهب ولا تحترق ولا تفنى، هذا لا بد أن يُذكّرك بسيرة ذلك الناسك الذي رَفع مرة يديه، فرأى الناسُ، ما رأى الناسُ أصابعَه، ولكنهم رأوا شموعًا عَشْرًا مضيئة.

أن تصبح أنت مصباحًا يضيء لكي يُمجّد إخوتُك الآبَ الذي في السماوات، كان هذا غاية وضعِ يدي على رأسك. على هذا الرجاء اذهبْ بسلام.

ليس من فضيلةٍ تَرفع الكاهن مثل الوداعة

«خُذْ هذا الكتاب وكُله»

(حزقيال ٣: ١)

رسامة الشماس بسّام (ناصيف) كاهنًا، كنيسة القديس فوقا في كفتون، ١٦ آذار ٢٠٠٣.

أخي الخوري بسام،

تَذكَّرْ أن هذا الكلام إنما قاله الرب لحزقيال النبي، وكأن السيد أراد أن يوحي أن الكلام الإلهي يتحوّل إلينا، أننا نمتصه، ويصبح هو ليس فقط فينا، ولكنه يصير إيانا، لأن ما يأكله الإنسان من الطعام يصير جسده.

أنت مُعلّم. وظيفةُ الكاهن أن يُعلّم، أولاً، لأنه يكون قد استوعب الكلمة، وصارت هي من كيانه. لذلك، إذا أَعطى الرعية ذاته، إنما في الحقيقة يُعطيها الكلمة. الكاهن ليس عنده كلمات من عنديّاته أو من بيت أبيه. عنده الذي نزل عليه مرة واحدة، ودَوَّنه الرسلُ الكرام وانتقل إلينا. والرعية بشعورها المسيحيّ تَعرف دائمًا إذا كان الكاهن يُعطيها كلمةَ الله أو يُعطيها من شهواته أو مِن تَحَكُّمه.

ما أراده الله منك الآن إذاً أن تُسْلِم للكلمة، وهذه موضوعة على المائدة. الإنجيل في القسم الأول من الخدمة الإلهية موضوع على المائدة، والمائدة المقدسة في وجهٍ مِن وجوهها هي كرسيّ القضاء، ذلك الذي يجلس عليه المسيح في اليوم الأخير ليدين الأحياء والأموات. وقبل أن يجيء المسيح في حضوره الثاني، إنما هو موضوع بشكلِ إنجيل على المائدة ليُحاسبك.

أنت لا تستطيع أن تُوزّع الإنجيل على الناس كلمةً حيةً محييةً ما لم يُحاسبْك هذا الإنجيل، أي ما لم تُطهِّر به ذاتك. ولذلك تقرأه كل يوم كما يقرأه كل المؤمنين، لأن الإنجيل يضربنا لكي نتخلّى عمّا علِقَ في نفوسنا مِن تفاهات هذا العالم ومغرياته. ولا يقدر الكاهن أن يعتذر عن الدراسة باحتجاجه أن وقته مأخوذٌ في الرعية وما إلى ذلك. أنت دبِّرْ نفسك في هذا الشأن، اسهرْ ساعة أو ساعتين. ولكنك لا تُعذَر إذا لم تدارس الإنجيل كل يوم، لأنك إن لم تَدرُسْه فماذا تعطي؟

وبعد هذا، اعلَمْ أنّ كُتُبنا الطقوسية تَكلّمت عن جهالات الشعب. هذا في القداس. نقول لله «اغفرْ لنا خطايانا وتغاضَ عن جهالات الشعب»، وكأن كنيستنا في واقعيتها أدركتْ أن هذا الشعب عنده انشغاله وأعماله، وليس عنده وقت أو قدرة أو أسلوب لكي يتعلّم الكتاب الإلهي. لذلك سَمَّته جاهلاً.

نتيجة ذلك أنْ تَرفَعهم أنت عن جهالتهم لكي يَصيروا عالِمين. ليس أحد من الشعب مقدّس إن لم يصبح عالمًا بشؤون المسيح. ليس لأحدٍ عُذرٌ ولا سيما أن كنيستنا منذ ثلاثين أو أربعين سنة أو ما إلى ذلك، أو أكثر بقليل، أَخذتْ تنتعش وأَصدرَتِ الكتب، وتُفسّر الكتاب الإلهي، وعندنا نفَرٌ من العلماء، وعندنا طلاب لاهوت، وعندنا رعاة. لم يبقَ عذرٌ لأحد حتى يبقى جاهلاً، وهذه مسؤوليتك.

الاهتمام الأخير الذي أَوَدّ أن أُذكّرك به لك منه الكثير. ليس من فضيلة تَرْفَع الكاهن مثل الوداعة. الرعية فيها غضب كثير، وفيها احتجاج كثير، وفيها انتقاد، وفيها ذمٌّ، وفيها ثرثرة. هذا كله لا يُواجَه إلا بالوداعة، بالسكون، بالهدوء الكامل.

بعد هذا، ينبغي أن نَتَعلّم أننا لا نستطيع أن نُحابي الوجوه، ولا أن نُجامل أحدًا. نُلاطف كل الناس، ولكن لا نُداهن، لأنك إن كنتَ تُحبّهم فتُريدهم إلهيين. من أجل ذلك لا تقدر أن تُجاملهم وأنت تُنظّفهم من أوساخهم.

ولكن الوداعة لا تكفي، فإن الشجاعة أَمرٌ أساسيّ في فضائلك. أنت لا تخشى أحدًا. أصلاً لا أحد يستطيع أن يُخيفك. لا أحد عنده شيء ليُخيفك. أنت تخشى الله فقط، ولا تخشى أحدًا في الوجود، فتقول كلمةَ الله إزاء كل واحد. وبعد أن تكون وديعًا تُجاههم، وشجاعًا معهم، تُقبّل أَرجلَهم وتغسلها، آمين.

بدّدِ الظلامَ فيك

أخي المتوحّد الكاهن أرسانيوس،

سؤال شرعيّ وهو لماذا يُجعل الراهب كاهنًا، وقد حرّمَتْ هذا النصوصُ القديمة، لأن الراهب تحديدًا مَن اعتزل العالم بما فيه الكهنوت. إذ الكهنوت خدمة للناس الذين في هذه الدنيا. والراهب لا يعيش في هذه الدنيا.

غير أن تَكاثُر الرهبان وعَيْشَهم في مكان واحد فَرَضَ أن يَخدمهم واحد منهم. ولذلك أنت في رهبانيّتك لستَ راعيًا لأحد، ولكنك مُقيم في العشق. وعلى هذا أنا متكلّم في القراءة الإنجيلية اليوم أن يسوع قال للتلاميذ «ينبغي أن نذهب إلى القرى القريبة لكي نكرز هناك لأني لهذا خرجتُ».

بعد هذا، أنت تُكمل الواجب الملقى على كل مؤمن، إكليريكيًا كان أَم علمانيًا، أن تحاول أن تصير ذبيحةً حيّة مَرْضيّة لله. وعنى الرسول بذلك عبادتنا العقلية، بمعنى أن يكون كل كيانك العقلي، الداخلي، القلبي، مقدّمًا لله. وهذا سعيُ طهارةٍ طوال العمر ولا يَطهر إنسان. غير أننا نحاول بنعمة

رسامة الشماس المتوحد أرسانيوس (دحدل) كاهنًا، كنيسة القديس أنطونيوس في فرن الشباك، ٢٢ آذار ٢٠٠٣.

الله حتى لا يرانا السيد قذرين كثيرًا في اليوم الأخير. شأن ذلك، في مسيرتك أنت الديرّية، أن لا تكون متمسّكًا بأي شيء في العالم، بأي شخص. نحن لسنا عاشقين للأشخاص. نحن خدّامهم.

لماذا أَصررتُ على القول إنه ينبغي أن تكون ذبيحةً حيّة؟ هذا قيل لكل الناس. أَردتُ بذلك لأنك لن تستطيع الخدمة في أي زاوية صغيرة في هذا العالم ما لم تكن أنت أضحية مقدمة لله، أي ليس لك غرض في هذه الدنيا، ولست تريد شيئًا لنفسك، إنما أنت مقرَّب لله وللناس، مقرَّب لله في طهارتك، ومقرَّب للمؤمنين في الخدمة.

وفيما أنت تحاول أن تُصبح ذبيحةً حيّة، عبادة قائمة في اللطف الإلهي، فيما أنت تحاول ذلك، تأخذ معك الرهبان جميعًا، لتُقدّمهم قرابين حيّة أيضًا مَرْضيّة لله، محاولة أن تصير عبادة عقلية.

أنت تَذْكُر والكل يَذكُر أن الإنسان إنما يصير متوحّدًا لكي يطلب الملكوت. أي إنه ممتدّ منذ الآن إلى وجه يسوع الآتي، وقائلاً من أعماق قلبه «تعالَ أيها الرب يسوع».

«متوحد» تعني في اللغة الأصلية أنك واحد مع يسوع. وهذا على الرجاء. ليس إنسان واحدًا مع المسيح. هذا لا يمكن، ولكننا نسعى. نسعى أن نَمحق كل عائق يحول دون اتحادنا بالسيد. نحاول إذاً أن نُسلم قيادتنا للمخلّص.

«متوحد» في العربية الفصحى تعني أنك «مستوحد» أي إنك تطلب الوحدة مع المسيح. أنت «متوحّد» مع نفسك. لغتنا تسمح بأن تكون واحدًا في ذاتك، غير مقسوم على نفسك، ليس فيك جزء من الله وجزء من هذه الدنيا بحيث يتوحّد كيانك كله معًا، ويُقدَّم لله. التبلُّل ضدّه الوحدة، الحيرة ضد الوحدة، الشك ضد الوحدة مع الذات ومع الرب.

وإذا أَقمتَ الصلاة والرهبان حولك، ووجهُك إلى المسيح، واسمُه المَشْرق كما قلنا لك الآن في الشرطونية، وهذا ما قاله إشعياء «المسيح هو المشرق»، وأنت، إمامًا، تتّجه إلى الشرق لكي تأخذ الرهبان وراءك إلى المسيح الذي يُشرق في نفوسهم بضوئه الكامل. وحتى في النصوص القديمة يأتي

المسيح، يأتي المسيح ثانية من الشرق. وهذا رمز طبعًا، ولكن، أن تتوجّه إلى المسيح الشرق يعني أنك حاولتَ أن تُبدّد الظلام الذي يُداهمك، إذ لا يُجمَع بين الظلمة والنور، بين المسيح وبليعال.

الوحدة اختزال للدنيا، ولكن من أجل وحدةٍ مع المسيح، ومنه إذا حقّقتَ على قدر النعمة شيئًا من هذه الوحدة، تعود إلى الإخوة القلائل الذين هم شركاؤك، تعود لتأخذهم من جديد في سر الشكر وترفعهم ليصيروا هم قرابين. ليس الخبز هو القربان، إن لم نصبح نحن باتحاده قرابين ليسوع، قرابين أي مذبوحين.

«مِن أَجْلكَ نُماتُ النهارَ كله». وبسبب من ذلك نحيا النهار كله. من هذه الميتة المرتضاة حبًا وشوقًا يُنهضك يسوع كل يوم، لتصير بدورك مُشرقًا، آمين.

الإنسان يُكوّنِه ذوقُه للمسيح

يا أحبة،

ماذا يعني أن يسوع صعد إلى السماء؟

هذا المدى الذي فوق رؤوسنا لا يهمّنا، وليس فيه شيء، ولن يَخترقه المسيح. أن يكون يسوع قد صعد إلى السماء تعني أنه أخذ هذا الكيان البشريّ الذي لبسَه، وجعلَه بالحب مساويًا لله. من مات على الصليب أباد خطيئة البشر، وألغى موتهم، وأعلن للإنسانية ذلك بقيامته. هذه البشرية المطهَّرة فيه، المطهّرة فقط فيه، أعطاها كرامة لمّا جلس عن يمين الآب. يَعني أن هذا الجسد، الذي من لحم ودم، إذا تنقّى بالمسيح، فهو مِثْل الله، فيه كل طاقة الله.

نحن إذاً، في ما هو منظور ومحسوس، نمشي على الأرض، وتَرانا الأَعين. وفيما نحن نؤمن به، نحن بتنا سماويين. هذا لأنه لم يصعد أحد إلى السماء إلا الذي نزل من السماء، ابنُ الإنسان الذي هو في السماء.

شدّنا يسوع إذاً إليه لأنه يحتوينا هو. شدّنا إليه فشدّنا إلى الآب.

رسامة الشماس المتوحّد إسحق (نصّور) كاهنًا، دير القديس جاورجيوس في دير الحرف، ٧ حزيران ٢٠٠٣.

وبهذا الصعود ينتهي عملُ الله الخلاصي. يكتمل التدبير الإلهي، وليس ما يُزاد. غير أن الروح القدس يمدّنا بكل هذه الطاقات التي أنزلها يسوع بتعليمه وبموته وقيامته. الروح لا ينشئ فينا شيئًا جديدًا. إنما يمدّنا بهذا الذي كان. يبثّ فينا دفء الله. هذه قضية السماء. حدثَ خلاصُنا مرة واحدة، ولكن ينبغي أن يَنبت باستمرارٍ بقلوب الناس، ولهذا قرأنا اليوم مقطعًا من الخطاب الوداعي (يوحنا ١٤: ١٠-٢١) حتى نتهيأ لحلول الروح علينا.

أُردّد فقط هذا الذي يُرعبنا: «إن كنتم تُحبّوني فاحفَظوا وصاياي». هناك معيار واحد على انتمائنا للمسيح، هذا إن كنتم تُحبّوني، فاحفَظوا وصاياي: بالفعل بالقول، بالمحبة الدائمة. ويقولها بشكل آخر «مَن كانت عنده وصاياي وحفظَها فهو الذي يُحبّني».

ثم ماذا كشف بعد هذا القول؟ كشف هذا السر الذي لا يُنطق به لما قال «والذي يُحبّني يُحبّه أبي وأنا أُحبّه وأُظهر له ذاتي». ويصير الإنسان مسكنًا للثالوث المقدس. ليس هناك شيء فوق. هذه السماء الزرقاء لا علاقة لها بالله. الذي يُحبّني هنا على الأرض أُظهر له ذاتي. إن من يصير مسكنَ الثالوث القدوس هو البشر فقط، وهذا القلب البشري يصعد إلى السماء. يستمرّ بعد الموت وفي القيامة. هذا أمر محصّل. ولكن إن كان أحد لا يتوق إلى أن يُصبح هنا، في هذا اللحم والدم، مسكنًا للثالوث القدوس، تكون مسيحيّته آمالاً وأحلامًا وأشواقًا. المسيحية ليست شوقًا إلا من بعد أن تكون قد غُرست بين اللحم والعظام.

هذا الراهب المتوحد إسحق، الشماس المتوحّد الذي مع صلواتكم سوف أضع يدي عليه، أرجو أن يفهم هذا. الإنسان يُكوّنه فهمُه فقط، فهمُه الروحي طبعًا، أي ذوقُه للمسيح.

يا إسحق احفظ الوصايا، ومن بعد هذا تكون أنت معلّمًا، متوحّدًا، منقطعًا عن الله أي محرَّرًا عن الكل لكي تخدم الكل. لا يستطيع العبد أن يخدم أحدًا. المتوحّد بالعربية الأفصح «مستوحِد» أي طالب الوحدة مع يسوع. عندئذ يكون لك كيان. قبل هذا أنت لحم ودم وقوانين رهبانية وما إلى ذلك. التوحُّد في الواقع الحقيقيّ مع يسوع هو ما دُعيتَ أنت إليه.

الشيء الثاني أن شفيعك إسحق السريانيّ، هذا الذي هو حقًا من الأعمقِين بين الكبار، جاء من هذه الجزيرة العربية، وتحديدًا من قطر، من تلك الصحراء التي يعتزل فيها الإنسانُ كلَّ شيء، وتُسَمَّرُ عيناه على الله. ثم كان أسقفًا في نينوى، في العراق الحبيب. وضجر من الأُسقفية بعد سنة، فتركها وعاد إلى الدير. هل كان على حق؟ هل صبرَ على المسيحيين بما كان مبتغى منه أن يصبر، أم لا؟ هذا ليس شأني. الأسقفية هي المصلوبية الكبرى. ولكنه ترك لنا هذا الكتاب الرائع «النسكيات». ولعلّ أهم ما فيها أنه صلّى من أجل العقارب والحيّات والشيطان، أي إنه رجا خلاصَ الشيطان.

وما نُترجمه نحن هو أن عليك أن ترجو خلاصك أولاً وخلاص الإخوة الذين معك، وإذا انشددتَ إلى هذه المائدة المقدسة وأنت لست راعيًا -طبعًا هذه هي المفارقة، فكيف يكون الانسان راهبًا وكاهنًا؟ هذا هو العمل التاريخي الذي اضطُررنا عليه- إذا انشددتَ إلى المائدة المقدسة، تأخذ معك هؤلاء الرهبان رفقاءك، وهذه الرعية التي ليست برعية، التي تحضر هنا، هذه الرعية التي يُنشئها حبُّها في كل ذبيحة رعيةً. تأخذ هؤلاء الإخوة والأخوات وتَشدُّهم إلى المائدة المقدسة لتصبح قلوبُهم ذبيحة مقدَّمة بفقرها إلى يسوع. ليس أحد منا يحمل شيئًا ليعطيه السيدَ. نحن نأتي بعرائنا، وهو يُلبسنا الحلّة البيضاء. ونأتي بفقرنا وهو يُغْنينا.

في النهاية، يا إسحق، رعيتك هي تلك الأسماء التي تُسجّلها على المذبح، أسماء تَذكُرها برحمة من ربك، ومحبة منك. فسِرْ محاطًا بأدعية القديسين المرسومين ههنا. اجلسْ تحت القديسين علّك تشتاق هذه القداسة المستحيلة. ولكن ينبغي أن تشتاق لكي يبقى لك كيان.

سِرْ مخطوفًا إلى ما هو فوق المائدة، إلى الحَمَل الذبيح قبل إنشاء العالم، والجالس بسببِ حبّه عن الله الآب، آمين.

أنت مدعوّ إلى أن تتجلّى

أخي الخوري مرسيل،

في مثل هذا اليوم بالذات، في هذه الكنيسة المقدسة، جعلناك شماسًا. وها النعمة انتدبَتْك اليوم كاهنًا، وتذهب إلى حيث تذهب لتحمل النعمة معك إلى الإخوة الذين يريدون أن يَغتَذوا من الإنجيل.

رسامة الشماس مرسيل (سركيس) كاهنًا، كنيسة المخلّص في ضهور الشوير، ٦ آب ٢٠٠٣.

تذكُرُ أننا في يوم التجلّي. وهذا الحدث الذي كان، هذا الحدث الذي ظهر فيه الرب مضاءً، وبدا وجهُه كالشمس وثيابُه بيضاء كالثلج، هذا الحدث يعني بالدرجة الأولى، إذا كنا ممحّصين للكتّاب، أن الرب أراد أن يُنبئ تلاميذه عن آلامه، وأَظهرَ لهم أن صليبه هو مكانُ المجد. تَسربَلَ يسوع بالضياء، كشفَ بالحريّ الضياء الإلهي الذي كان فيه، ليقول لهم إن هذا الإنسان –أعني هو– إن هذا الانسان الذي سوف يعاينونه مصلوبًا، إنما هو رب المجد، وأنه أبدًا ينبوع الحياة ومصدر النور لهم وللإنسانية. لقد اتّخذَ مداورةً الحديثَ عن الصلب بهذه الطريقة. وتذكُرُ أنه بعد التجلّي أيضًا

حدّثهم عن الآلام.

سوف ينعكس هذا فيك. فإنك مدعوّ لألمٍ أوّل وهو أن تُكافح شهواتك الضارّة، إن كان فيك شيء من هذا. هذا أول صليب، وهو الصليب الدائم الذي نحتمله أن نُجاهد طاقاتِ الشر التي فينا حتى لا يبقى لنا سوى قدرة المسيح.

والشيء الثاني أنك مدعوّ أن تُكافح جهلَ الرعية. وتقول كتُبنا الطقوسية إننا نحن الكهنة نصلّي من أجل «غفران خطايانا» ومن أجل «جهالات الشعب»، أي إنّ كتُبنا لا تَنسُب الخطيئةَ إلى الشعب. تَنسُب إليه فقط الجهل: لم يتعلموا الكتاب الإلهي بالقدر الكافي، لم يمارسوا الحياة الطقوسية بالقدر الكافي، لم يتعمّقوا، وظلّوا على سطح الأمور. هذا جهل. ونحن لا نُقيم الآن دعوى على الكهنة والمطارنة الذين لم يُعلّموهم. هذا موضوع ثان. هذه الدعوة نُقيمها في المجمع المقدس على زملائنا في حضورهم. لكنك مدعوّ إلى أن تُعلّم باستمرار. وأنت تعلّمت أركان الإيمان في الكورة الطيبة، وفي عائلتك، ومع شباب هذه الكنيسة. ثم تدرّبتَ على اللاهوت في المعهد الأرثوذكسي في باريس، وتستمرّ حسب قول الرسول لتلميذه «اعكُفْ على القراءة»، كذلك قال «عِظْ في الوقت المناسب وغير المناسب». الخوري لا يُقيم «صبحيةً» عند الناس. لا يقول له الناس: لماذا لا تزورنا؟ لا، هو يعلّم في كل زيارة يقوم بها. إذا صرت هكذا، تتجلّى.

مَن الذي تجلّى على طور ثابور؟ هذه ليست «حزّورة»، هذا لاهوت. في الحقيقة أن السيد لم يكتسب نورًا جديدًا حتى نقول إنه تجلّى. هذا النور طلع منه. وهذا هو النور الإلهي. الذين تَجلَّوا هم التلاميذ لأنهم كانوا غير قادرين على رؤية النور في المعلّم، فكشف لهم هذا النور. هم تَجلَّوا.

أنت مدعوّ إلى أن تتجلّى، أي أن تكون فقط كتلةً من نور. ولِعلْمي بأنك شديد، نحن نريد كهنة هكذا شديدين. هذه الميوعة، ومسايرة الرعية كما تريد، هذا لا يصير. الكاهن معلّم الكل. اعْلَمْ هذا. ولكن أتمنى أن تحاول أن تكتسب اللين، لأن اللين جانب من جوانب المحبة. هذا إنسان

ضعيف، «معتَّر»، عليك أن تُلملمه من خطاياه التي هو فيها ومن الجهل الواقع هو فيه. إذاً هو بحاجة إلى لين، إلى لطف، إلى كفوف من حرير، إلى دماثة. هذا هو الكهنوت. الكهنوت فيه شدة بسبب التعليم، بسبب وصايا الله. لا نستطيع مسايرة الذي يخطئ، وأن نقول له «معك حق. كل الناس يخطئون، كل الناس في لبنان يَرْتَشون. اذهبْ وارتشِ. ما عليش، لن يصيبك شيء». كيف هذا؟ لا نقدر أن نقول هكذا. الكاهن شديد في التعليم، ولكنه لَين في حَمْل الناس في الرعية، يحضنهم مثل الأُم.

إذا وَهبَك الله أن تكون دقيقاً في التعليم ولطيفاً في المعاملة، تكون قد وصلت إلى الكمال في الرعية.

باركَك الله تبريكاً كثيرًا حيثما حَلَلْتَ. وأنا أَعلَم أنك ستحتضن بعضاً من أبنائنا المغتربين في جنوب فرنسا. احملْهم كخراف ليسوع.

أنت ما تُحبّ

«كُنْ حارًّا أو باردًا، لا تكن فاترًا لئلا يتقيأك فمي»

(رؤيا ٣: ١٦)

رسامة الشماس سمعان (أبو حيدر) كاهنًا، دير مار ميخائيل في بسكنتا، ٨ تشرين الثاني ٢٠٠٣.

أيها الحبيب،

وسط هذا الابتهاج العميم بعيد هذا الدير وشفيعه، فيما نحن محاطون بالملائكة الذين نعيّد لهم، قلتُ لك يا أبتاه «كُنْ حارًّا أو باردًا». طبعًا ما يقصده صاحب سفر الرؤيا أي كن حارًّا، كن حارًّا، لا تكن فاترًا. وهذا إغراء لكل منا في الكهنوت، لأننا نعتاد الكهنوت. وهذا ما لا يُعتاد لأنه الحب الأول، وقد قال الله بلسان كاتب سفر الرؤيا «لي عليك أنك نَسيتَ حُبَّك الأوّل». كل هذه «العجقة» التي يُسمّونها الكهنوت ليست إلا أنْ نُحبّ يسوع المسيح. ليس فيها شيء آخر. العمادات والمآتم والأكاليل والقداديس وما إلى ذلك، والأسرار كلها، هذه فقط إطلالات لوجه يسوع المسيح في الرعية. ومن يكشف لهم هذا الوجه هو أنت.

لقد طالت خبرتي بحيث أستطيع أن أقول إن الكاهن يكاد يكون كل شيء في الرعية، أي إنه يدفعها إلى الفتور أو الجحود والإهمال والتنحّي عن كنيسة الله، أو يضعها في قلب الله. أجل، عندما يُدفن الكاهن، نغطّي وجهه بالسِتْر، سِتْر القرابين، هذا الذي يحمله الشماس على كتفه في الطواف الثاني. نستر وجهه بهذا الستر الذي سَتَرْنا به القرابين لنقول إنه على الرجاء أَصبحَ الآن قرباناً لله، لأنه تنزَّهَ عن الهوى بالموت. إذاً يُطلب إليك يا سمعان أن تموت كل يوم، أن تتطهّر كل يوم من هذا الجسد، بالمعنى الذي أراده الكتاب، بمعنى الشهوات الدنيوية المؤذية إياك والرعية.

تذْكُرُ المزمور ١٠٣ عندما يقول عن الملائكة إن الله «جَعَلَهم لهيبَ نار». هو لم يَقُلْ نارًا فقط. قال لهيبَ نار، أي نارًا لا تنطفئ، ولا تَخمد، ولا تضعف، ولكنها تلتهب باستمرار. والنار تلتهب لكي تتدفأ بها. وإذا انطفأتِ النارُ فيك، فالرعية سيّدُها الشيطان. لا بد من سيد. إما أن يكون يسوع أو أن يكون إبليس.

طبعًا يستطيعون أن يَصلوا إلى يسوع بدونك، بهذا الكتاب العظيم الذي تَركَه لنا، إذ يأخذون منه الخبز السماوي. ويستطيعون أن يُصَلّوا وأن يُحبّوا بعضُهم بعضاً. ولكن هذا ليس شأنك. أنت كُلِّفْتَ أن تجعلهم ليسوع بالمعرفة والمحبة. أَحسَبُ أنهم يُحبّون بعضهم بعضاً في هذا الجبل العشائريّ. أنا تعلّمت العشائرية هنا في جبل لبنان. ولكني أَحسَبُ أنهم يحتاجون إلى المعرفة. الأرثوذكس لا يقرأون لأنهم خَتَمُوا الدرس، ليسوا بحاجة إلى أن يقرأوا. والرسول قال لتلميذه «اعكُفْ على القراءة حتى مجيئي»، أي أنت قَرّاءٌ من الصباح إلى المساء، عندما تعود إلى بيتك، لكي تصبح كلمةَ الله. قال قديسنا يوحنا الدمشقيّ «لقد صار كلمةُ الله جسدًا لكي يَصير هذا الجسدُ كلمة». بمعنى آخر، إذا نَظَر اليك أبناءُ الرعية، يجب أن لا يَرَوا فيك إلا المسيح، وما عداه تراب وعشيرة وجسد وهوى. ينبغي ألاّ يشاهدوا فيك إلا المسيح حسب قول الرسول الكريم «لستُ أنا أحيا، بل المسيحُ يَحيا فيّ». ولكن لهذا شروط.

أول شرط في الكهنوت يأتي من الإغراء الذي في الكهنوت. إغراء الكهنوت أنْ يُحبّ الكاهنُ

المال. ليس عنده معاش؛ معاشه قليل؛ يتذمّر باستمرار؛ «ينقّ» باستمرار أنْ زيدوا لي معاشي؛ ما زادوا لي معاشي. أنا سوف أختنق بسبب هذا الكلام. يجب أن يتحسَّسوا هم ذلك، ولكن اقطعْ لسانَك قبل أن تتكلم عن المال. هذا يدوسه حذاؤك، لأنك أنت ما تحبّ. فإنك إن أحببت المال، فأنت مال، أي معدن، أي لا شيء، أي ورق. هذا شرط أساسيّ.

والشرط الآخر أنْ تُحبّهم جميعًا على السواء، فلا تنحاز إلى كبير أو مظنون كبيرًا. أنت لن تسجد لهم. أنت فقط تُحني رأسك عند قدمَي الآب، وبعد هذا أنت أعظم منهم جميعًا لأنك تُقدّسهم، ليس لأنك أتقى، قد لا تكون، ولكن لأنك أَداةُ تقديسهم. حتّى تصير كلمةً، حتّى تصير أنت كلمةً، أي شيئًا من الله يدلّ على الناس، لا بدّ لك كما قلتُ أن تَبتلع الكتاب -نحن نجيء منه- أن تَبتلع الكتابَ وكلَّ ما وضعناه منذ ألفي سنة لكي تُعلّم استقامةَ الرأي، ولكي يجيئوا معك أيضًا إلى القراءة المقدّسة.

أنا أعرف أنك بوركتَ، وأنك جاهدت. أرجو أن تستطيع أن تقول مع الرسول في آخر أيام حياتك «لقد جاهدتُ الجهاد الحَسَن وحفظتُ الإيمان». احفَظِ الإيمانَ سالمًا بالدرس، فأعداؤنا كُثُر والهرطقات كبيرة. احفَظِ الإيمانَ سالمًا فيك، عن معرفة ومعرفة كبيرة. وبعد هذا انحنِ أمام يسوع المسيح، واعلَمْ أنك لا شيء بمعرفته، وأنه هو الذي يملأك كل شيء. مُتْ قبل أن تموت، مُتْ من أجل هذه الرعية محبةً، من أجل الرعية التي سوف تُسلَّم إليك في الساحل. تفانَ من أجلهم كل يوم حتّى لا يَرَوا فيك أو لا يقرأوك إلا يسوع المسيحَ مصلوبًا.

قَدِّسْ ذاتك

«مِن أَجْلِهم أُقدِّسُ ذاتي»

(يوحنا ١٧: ١٩)

رسامة الشماس فادي (الهبر) كاهنًا، كنيسة مار الياس في منصورية بحمدون، ١٩ كانون الأول ٢٠٠٤.

أخي الخوري فادي،

في التاسع عشر من كانون الأول منذ خمسين سنة جُعلتُ كاهنًا، واستهللتُ عظتي في الكاتدرائية البطريركية بهذه الآية «مِن أَجْلِهم أُقدِّسُ ذاتي»، وحاولتُ في حدود مَعايبي أن أتبع ذلك.

وهذا ما أقوله لك اليوم: إنك من أجل هذه الرعية التي سوف تُنتَدب إليها، وهي ليست بعيدة من هنا، سيكون دأبك أنْ تُقدّس نفسك، إذ لا تستطيع أن تُعطيهم شيئًا آخر، ولا يُعطى أصلاً شيء آخر. وما أراده السيد في قولته هذه، ما أراده هو أني أُخصّص نفسي للآب بالموت. هذا ما ينتظر خُدّامَ الكلمة. هم مَدعُوّون أن يُضحّوا برغباتِهم وكثيرٍ من أفكارهم في سبيل الإخوة، بحيث لا يبقى لهم منفعة أو مصلحة أو «أنا» يخدمونها،

إذ يطلب المسيح إليك أن تُقدّمه هو، لأن هذه الخراف هي خرافه هو، وليست لك.

وحتى تتمكن من هذا، تُحوجك أشياء كثيرة. ومما يُحوجك قولُ الرسول: «إنّ ثمر الروح هو اللطف». أنت لست سيدًا عليهم، هناك سيد واحد في السماوات. أنت مجرَّد خادم. ولكن من أين تأتيك الخدمة؟ كيف تنبع منك؟ هنا أستدعي قول بولس في ما كتبه إلى أهل غلاطية «إنّ ثمر الروح هو اللطف». وإذا تثاقَل عليك الروم الأرثوذكس، وكثيرًا ما يفعلون ذلك، إذا تثاقَل أحدهم، تزداد حبًا له، وتأخذه وتحمله على كتفيك. إذا فعلت ذلك ستكون منفّذاً قول الرسول إنك تَضَعُ جمرَ نارٍ على رأسه، ذلك أن المحبة تُحرق خطاياه، ويكتسب هو بدوره اللطفَ الذي تَحدَّث عنه الرسول الكريم.

غير أنك لن تصل إلى مواهب الروح ما لم تتجنّد بوعيٍ كبير وجدّيةٍ كاملة أن تُكافح الأهواء التي تَنبع من هذا الكيان الجسدانيّ الترابيّ الذي فيك، وأن تُكافح الرذائل كل يوم، كل ساعة، بنباهةٍ في النفس. ذلك أنك مُكلَّف إعطاءَ المسيح للناس، والمسيحُ كان المقرِبَ والمقرَّب. أنت، طقوسيًا، مقرّب، والكنيسة هي مقرَّبة لأن فاديها يُطهّرها من كل دنس، إذ تتناول جسده ودمه في الذبيحة الإلهية. هناك ضحية واحدة ليس بعدها ضحية، وهي ضحية المسيح على الصليب. استطاع أن يصير قرباناً لله أبيه لأنه قَدرَ أن يكون حَمَلَ الله الحاملَ خطايا العالم. دأبك إذاً أن تُحاول أن تصير مُقرِّبًا ومقرَّبًا بآنٍ، وهذا هو السر.

إذا سمحتَ أنْ أَبوح لك ولهؤلاء الإخوة بشيء، كان يعتريني من وقت إلى آخر في القداس الإلهي، لمّا كنتُ أَقرأ «ليس أحدٌ مِن المرتبطين بالشهوات واللذات الجسدانية مستحقًا أن يتقدّم إليك...»، مرة بعد مرة، كنت أُحسّ بأنه يجب أن أَترُك الكتّابَ والثياب، وأن أَخرج إلى الخارج، إذ مَن يستطيع أن يتجرّد من الشهوات واللذات الجسدانية؟ كيف نستطيع أن نُقرّب؟ الجواب أن المقرِّب الأوحد هو يُمكّنك بنعمته، وأنت واقف تائبًا، هو يُمكّنك مِن أن تُقرِّب، ويَقبلُ ذلك الإخوةُ. قد يَقبلونك، وقد لا يقبلونك. هذا شأنه، وهذا سوف يقوله في اليوم الأخير. ولكنه، من أجل إخوتك،

يرتضي هذه الذبيحةَ التي أنت مُقامٌ في سبيل إقامتها .

ماذا يتطلّب كل هذا؟ لستُ أنا المتطلّب. ربك هو المتطلّب. ماذا يتطلّب؟ طبعًا أنْ تُصلّي. هذا يعرفه جميعُ الناس. أنْ تُصلّي كل يوم في بيتك، وفي أماكن كثيرة، لأنك إن لم تصبح رجُلَ صلاة فلن يَخرج منك شيء، لن يحكي منك شيء .

الأمر الثاني بالنسبة إليك هو أن تُعوّض بالقراءة الموصولة ما لم تستطع تحصيلَه في جامعة، في كلية لاهوت، لأنك لا تقدر، وأنا حيّ، بأن تقول للناس، أنا أجيء إليكم لأُقيم الخدمة، وأنتم تحبّون الألحان البيزنطية. هذا يمزّقني تمزيقًا . نحن لسنا جماعةَ ألحانٍ تُطربنا . أنت تجيء إليهم لتُعلّم الكلمة، لأنك مُكلَّف برؤيتهم وبوضعهم على كتفيك. تسعى أن تكونَ راعيًا صالحًا . نِمْتَ أَمْ لم تَنَمْ، هذا لا يهمّني. ما يهمّني أنا أن تأخذ كتاب الله وتُمحّصه تمحيصًا حتى يحيا الإخوة بهذه الكلمة، وإلا ماتوا جوعًا وعطشًا .

اذهَبْ على هذا واذْكُرْ كلماتي، لأنها ليست كلماتي، وأنا لستُ بشيء، أنا أخذتها من كتاب الله وقرأتُها اليوم عليك. اذهَبْ، والله يَحميك بكل قوته وبكل حبه .

وإذا بقي لي من كلمة، أقولها لأبناء آل الهبر حيثما حَلُّوا: إنكم أَعطيتم كاهنًا ليس لتَفرحوا به، ولكن لتفرحوا بيسوع مجددًا، وتتعمّقوا في معرفته، فلا تظلّون عائلة الهبر، ولكن تصبحون عائلة المسيح، آمين .

وظيفتك أن تموت مِن أَجلهم جميعًا

قال الله المبارك في الرسالة إلى العبرانيين عن ذلك الكنعاني غير اليهودي ملكيصادق، انه بلا أب، بلا أم، بلا نَسَب، بلا بداية أيام ولا نهاية، مُشبَّه بابن الله لكي يبقى كاهنا إلى الأبد .

على هذا يا أخي الخوري الياس أستهلّ كلامي اليك، اذ قيل إنه ينبغي أن تكون بلا نَسَب، أي أنت لست على صلة بقبائل الشويفات وغير الشويفات، ولست من عائلة بعد أن تأكد انتسابك إلى عائلة الآب. وبهذا تصير كأنك بلا نهاية أيام، أي قائما إلى الأبد في وجه الله، اذ يُبتغى منك أن تصبح شبيها بابن الله لتبقى كاهنا إلى الأبد .

رسامة الشماس الياس (كرم) كاهنًا، كنيسة رقاد السيدة في الشويفات، ٢٤ تشرين الأول ٢٠٠٥.

اليوم بداية، وحياتك كلها صيرورتك أن تصير كاهنا . أنت لن تكون أَكملتَ الكهنوت الا وأنت في التابوت، ولذلك سوف يُغطّى وجهك بستر القرابين وكأننا نقول إنك أَضحيتَ الآن قربانا للمسيح. وقبل ذلك كنت تسعى أن تصير متشبّها بابن الله، على ما يبتغيه الرسول من الكاهن. يشرحه لنا بولس المعظم في رسالته إلى أهل فيلبي اذ قال عن المسيح: «ان

الذي كان في صورة الله لم يَحسَب خلسةً أو اختلاسا أن يكون معادلا لله، ولكنه، على كونه معادلاً لله، أَخلى نفسه، أي أفرغ نفسه من المجد، أخلى نفسه صائرا في شبه الناس، وإذْ وُجد في الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت، موت الصليب كعبد، لذلك رَفعه اللهُ وأعطاه اسما فوق كل اسم، لكي تسجد باسم يسوع كلُّ ركبة في السماء وعلى الأرض وما تحت الأرض، ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو رب لمجد الله الآب».

وأُذكّرك بأن الخدمة الالهية قد اقتَبست أواخر الآية الكريمة. فإذا قلنا «القدسات للقديسين»، ينتفض المرتل ويقول بل «قدوسٌ واحد ربٌ واحد يسوعُ المسيح لمجد الله الآب آمين». ليس أحد منا قديسا هنا ولكننا في سعي، ونحن نؤكد هنا أن القدوس الوحيد هو يسوع المسيح. لماذا قال الرسول الكريم هذا؟ لأن الشعوب كانت تُعلي اللهَ وتجعله على قمم الجبال. وقال العبرانيون في العهد القديم إنه في السماء. ما السماء؟ السماء هي ما فوق رأسك؟ ليست السماء هناك. يُعلون الله هكذا ويُحسّون بأنهم لا يستطيعون الوصول إلى قمم الجبال وإلى الأعالي. أما المسيحية فقالت شيئا آخر، قالت إن الله عظيم ليس لأنه في السماء، ولكن لأنه نزل إلى الأرض، إلى تراب الأرض، وصار واحدا مثلنا واتخذَ صورةَ عبد، أي صورةَ انسان، وأَطاع الله أباه حتى الموت. أيّ موت؟ أشنع موت، موت الصليب.

يا أخي الأب الياس، أنت لا تستطيع أن تصنع خيرا من المسيح. وكما طَلب اليه الآب أن ينزل حتّى التراب، يَطلب اليك مسيحُه أن تنزل، أن تتواضع حتّى النهاية، حتّى يراك الناس مسحوقا بلا كرامة. وبعضٌ من سفهاء رعيتك لا بد أن يَطعنوا بك، أو ينمّوا عليك، أو يَفتَروا عليك، واعلَمْ عند ذلك أنك مسحوق عند أقدامهم لأنهم هم الأَعلَون وأنت خادم إلى الأبد حتّى توضع في هذا التابوت، ونُعلِن عند ذلك أنك صرت قربانا لله العليّ.

فاذهبْ من هذا. هذا هو قيدُك، كلمة الله. أنت لا تَسمع كلمةً من شهواتك، والشهوات تُنطقنا بكلمات الكبرياء وما إلى ذلك، ولاسيما انك قد أُعطيت سلطانا الآن، وصاحب السلطان

كثيرا ما استكبر. أنت ليس عندك الا سلطان واحد وهو أن تموت، أن تموت من أجلهم جميعا، لأن المعلّم فعل هذا ولم يفعل غير هذا. فلا تتظاهرْ بشيء من عندك، وأَظهِر كل ما وضَعه المسيح فيك. أن تكشف المسيح. غطِّ وجهك واكشفْ وجهَ المسيح لهم، عندئذ يَعلَمون أو يُحسّون أن وجهك اقترب من أن يصير وجهَ المسيح بالتواضع. ليس عندنا طريقة أخرى. تقترب من وجهه اذا حَجبتَ وجهك، أي كلماتك ورغباتك وشهواتك. وهذا سوف تمارسه في رعيةٍ لسوء حظّنا باتت صغيرة. نرجو أن تكبر بعودة العقل إلى لبنان. ولكن صغيرة أم كبيرة، كل عضو في هذه الرعية عظيم لأنه ينتمي إلى المسيح العظيم.

اذهب على بركات الله، واحفظ نفسك من الدنس، ومن عبادة الأصنام، والصنم الأول هو المال، والصنم الثاني هو التسلط. احفظ نفسك من كل هذا ليسطع عليك نور المسيح، ويستضيء بك شعبنا، آمين.

لا يُحفظ إنسانٌ إلا بالحب

يا أخي الخوري أثناسيوس،

لقد ظهرتْ نعمةُ الله المخلّصة جميعَ الناس. لقد وُهبتَ يوم ظهور هذه النعمة على نهر الأردن أن تُوضَع عليك الأيدي لتصير خادمًا لكنيسة المسيح، ولكي تَكشف للمؤمنين جمالَ النعمة الإلهيّة التي ظهرتْ. فهُم لا يَستدرّونها من السماء لأنها تنزل بالرحمة عليهم، ولكنهم يحافظون عليها ويُجاهدون بالأعمال الصالحة، وأنت مدعوّ إلى أن تُنبّههم إليها، وذلك بالدرجة الأولى بالكلمة الإلهيّة اذا وزّعتها عليهم.

رسامة الشماس أثناسيوس (شهوان) كاهنًا، كنيسة الظهور الإلهي في النقّاش، ٦ كانون الثاني ٢٠٠٧.

والكلمة لن تَخرج من فمك الا إذا انسكبَتْ في قلبك، لأنّ الكلمة لا تُقال قولاً، ولكنها تُحيا في نفوسنا، وهي اذا عبَرت عن شفاهنا تُحيي. غير أنّ توزيع النعمة مِن قِبلك يتطّلب شيئين قام بهما السيد يوم عَمّدَه يوحنا، وهو أنّه نزل أوّلاً إلى الماء، ثم صعد من الماء. ماذا يعني هذا؟ يعني أنه وَحّد نفسه مع الخاطئين. وقد أَدركَ يوحنا أنه لا ينبغي أن يُعمّده، ورَجاه ألا يُعمّد، ولكنّ يسوع أحبّ أن يوحّد نفسه مع الخاطئين، فنزل تحت

الماء ليُصوّر الموت الذي كان مزمعًا أن يموته. فالماء يُغرّق، يقتّل. فاقتبلَ هذا الموت. هذا هو الشقّ الأوّل من المعموديّة.

كيف تُترجم أنت هذا في نفسك ولنفسك؟ «ليس أحد من المرتبطين بالشهوات واللّذات الجسدانيّة مستحقًّا أن يدنو منك أو يخدمك يا ملك المجد». هذه دعوةٌ أن تُبيد كلّ الشهوات المميتة المؤذية. والكهنة مُغرَون ببعض الشهوات مثل كلّ الناس أو أكثر من بقية الناس. يُغريهم المجد. إنّهم ذوو سُلطة الآن، وهي بين أيديهم من أجل الخدمة، ويجعلونها مجدًا لأنفسهم، اي إنهم يحجبون مجدَ الله ووجهَه عن المؤمنين. هذا إغراء، لستُ أقول إننا نَسقُط فيه بالضرورة، ولكن عليك أن تتنبّه لهذا الإغراء. أن يُسأل عنك، أن تُعرّفَ عن نفسك، أن تَقوم بدعايةٍ لنفسك، هذا يجب أن تُبيده بالماء، أن تُغرّقه كليًّا لأنك لستَ بشيء. أوّل ما ينبغي أن نعرفه أن الله، آبًا وابنًا وروحًا قدوسًا، هو كل شيء، وأنّه هو الذي يُكوّننا بالطاعة لكلمات الإنجيل. هذا هو ينبوعنا الوحيد.

الشقّ الثاني من المعموديّة هو أن الرب يسوع ارتفع من الماء. تصويرٌ هذا إلى أنه سوف يرتفع عن الموت. أنت اذاً قياميّ، فصحيّ، تعيش من مجد المسيح وتتهلّل بهذا، تعيش من مجد المسيح. والكلام الذي أَسمعُه منذ مولدي من بعض الكهنة: هذا المعاش لا يكفيني. تَذمُّر دائم مِن قلّة. يجب أن تَقبل أن تموت جوعًا في هذه الخدمة. واجبٌ على المؤمنين أن يُغذّوك وأن يدعموك. هذا واجبهم. وواجبك أنت أن تموت وأن لا تتكلّم بالموضوع إطلاقًا، وإلا كيف تكون قد خرجتَ من الماء؟ إلى أيّ شيء خرجَ يسوعُ من نهر الأردن؟ خرجَ إلى وجه الآب الذي قال له: «أنتَ ابني الذي به سُررتُ». أنت ابني الحبيب أو الوحيد حسب الترجمات. أنتَ ابني الذي به سُررتُ. وخرج ليرى الروح القدس حائمًا عليه، وحلّ فيه منذ الأزل.

تخرج إلى شيء. تخرج إلى وجه الآب، أي إنك لا ترى شيئًا آخر. كل هؤلاء الناس الذين تَراهم تُحبّهم حبًا جمًّا، ولكنهم سيَفنَون وستَفنى أنت معهم. عندما تفارق الحياة في اليوم الأخير، عيناك إلى الرب فقط، وتمشي ببساطة المسيح. ما قلتُ: تمشي في سذاجة. نحن لسنا سُذّجًا، نحن

عالِمون بما قاله الله. ولكنك تمشي بقلب بسيط منكسرٍ، متّواضعٍ، بحيث إنّ من يراك يعرف أن نعمة الله المخلِّصة لجميع الناس قد ظَهرتْ عليك وأنهم هم مَدعوّون لاقتبالها، من هذا الانجيل، ومنك في خدمتك للإنجيل.

عندما سلّمناك القرابين المقدسة في هذه الخدمة، قلتُ لكَ: «خذْ هذه الوديعة واحفَظْها سالمةً حتى مجيء ربّنا يسوع المسيح حيث أنت مزمع أن تُسأل عنها». الوديعة أولاً استقامة الرأي. هناك آراء مغلوطة، وهناك رأي سليم. فأنت سوف تدرس لتحافظ على استقامة الرأي.

والشيء الثاني أن الوديعة هي الرعيّة، وأنت موكَل بها. لا يُحفظ إنسانٌ إلاّ بالحبّ، اي أن تكون أنت خادمَه وليس هو خادمًا لك. اذا أهملْتك الرعيّة، فهذا جيّد بمعنى أنّ الله لا يُهملك. هذا ليس جيدًا فيها. هذا سيء فيها. ولكن تعرف أنك انفصلت عن شهوات الدنيا والتصقت بالحبيب.

إذا أَحسستَ يومًا أن يسوع هو الحبيب الوحيد الذي لا يُستغنى عنه، تكون قد صرتَ كاهنًا.

لا تستطيع أن تنام وربُّك يَصلبه المسيحيون

«أنت ابني وأنا اليومَ ولدتُك»

(المزمور ٢: ٧)

رسامة الشماس رومانوس (عبد الكريم) كاهنًا، كنيسة القديس جاورجيوس في الجديدة، ١٤ كانون الثاني ٢٠٠٧.

أخي الشماس رومانوس،

أنت ابنٌ له منذ المعمودية، وأَوَدّ أن تَعلم أن هذه القسوسية التي اتّخذتَها انما هي أيضا، على الرجاء، ميلادُك الثاني. وعندما يقول الله: «أنا اليومَ ولدتُك»، للقارئ أن يفهم بصورة بسيطة على أن هذا الميلاد الثاني الذي اقتبلْتَه في المعمودية إنما يتجدد كل يوم بشرطين: الشرط الاول هو تقديسُك نفسَك، والشرط الثاني خدمتُك الرعية. وافهمْ فهمًا نهائيا أنك لن تقدر أن تعطي الرعية ذَرّة مِن اهتمامك ما لم يكن سعيُك الأوّل أن تُطهر نفسَك من كل خطيئة حتى تُحقّق رغبةَ الرسول الكريم عن الأسقف «ليكنِ الأسقفُ بلا لوم». وهذا يتطلب سهرا على نفسك دؤوبا، وحياة صلاة غير منقطعة، وتعرف أن هذه الصفة «غير منقطعة» قائمة في تراثِ دعاءِ اسمِ يسوع: «أيها الرب يسوع المسيح يا ابنَ الله ارحمني انا الخاطئ». ما يعرفه الانسان في علاقته مع الرب هو انه أولا إنسان خاطئ، ويقول الأقدسون في كنيستنا الذين جاهدوا جهادا حتى الدم، وتَطَهّروا من كل

الأهواء، يقولون لنا: ليس بجهدك أنت تدخُل ملكوت السماء، إنك تدخُل فقط برحمته. اذا علِمتَ ذلك تتروّض شيئًا فشيئًا لتصير كاهنا حتى آخر رمق من حياتك، وعندما تموت نغطّي وجهك بسِتْرِ القرابين اذ حَسِبْنا أنك صرتَ لله آنذاك قربانا كريما. أما هذه الرعية التي أُسندَتْ اليك، وقد نشأت من الرعية الأصلية هنا، فستخدمها بدءا من الأحد القادم. ما معنى أن تخدمها؟

ما هو مسؤول عنه كلُّ كاهن أن يَرى في كل شخص من رعيته خروفَ المسيح، مُعرَّضًا أَن يَتيه في الجبال، لذلك تترك الـ ٩٩ لتفتّش عنه، لتهزّه حتى يترك خطاياه، لتُعيده الى الحظيرة التي لستَ أنت راعيها، فقد قال ربنا: «أنا هو الراعي الصالح». تُعيد هذا الخروف الضال الى الكاهن العظيم، حتى لا يعرف أحدًا سواه. ليس مفيدًا أن يعرفك أحد. انت لست بشيء. المهم أن يعرفوا راعي نفوسهم الكبير. والأسرار المقدسة كلها وسائل لتقديس نفوسهم. تُفتّشون عن كل واحد حتى لا يَضلّ، والانسان تُبقيه خطاياه خارج الرعية، خارج حظيرة السيد.

الأمر الثاني الذي أَطلبه اليك بنوع خاصّ بسبب ما أَخذتَه مِن تثقيفٍ لاهوتيّ هو أن تُعلّمهم. أنا مجروح منذ بدء طفولتي لأن الأرثوذكس لا يعرفون شيئًا. أنا لستُ أقول انهم سيئون، ربما كلَّمَهم اللهُ من نفسه بروحه القدوس وأَرشدَهم وطهّرَهم. ولكن المشهد رهيب، لا يعلمون كيف نحيا. هم لا يعلمون. انت تأخذ هذا الإنجيل، وليست القضية أن يقرأوه حرفا حرفا، بل القضية أن يبتلعوا الإنجيل في قلوبهم حتى لا يبقى فيها أثر غير الانجيل. لا تستطيع أن تنام. الأرثوذكس لا يعرفون شيئًا. لا نستطيع أن ننام وشعبُنا يَصْلِب المسيحَ ثانية. ليس مِن مستزيد على هذا. رومانوس لا تَنَمْ. لا تستطيع أن تنام وربُّك يَصلبه المسيحيون كل يوم بجهلهم وخطاياهم. اركعْ امامه كل ساعة تكون أنت فيها في بيتك، اركعْ وصَلِّ وانوجدْ منه. واذا أعطاك وأنت تدرس الانجيل، اذا أعطاك، فاذكُرْ كلمة الكتّاب العظيم: «الأطفال يطلبون خبزًا وليس مَن يعطيهم». أَعطهم. أَعطهم الخبزَ السماويّ علّهم يُحوّلون أرضهم سماء. واذا توَّجْتَهم القداسة، «فسيُلقون بتيجانهم -كما يقول سفر الرؤيا- عند قدمَي الجالس على العرش». خذهم معك إلى العرش، آمين.

إنك حامل لكلمة الله

أخي الخوري منصور، يا أحبة،

هذا البيت الذي كان في بيت عنيا كان يلجأ اليه السيد كثيرا في خروجه من أورشليم أو رجوعه اليها، اذ كانت بيت عنيا ضاحية ولا تزال قائمة حتّى اليوم واسمها العازارية، لأن الناس هناك فهموا أن هذه الضيعة صار لها قيمة بإنهاض يسوع العازر. وكما نتمكّن من قراءة ما ورد في الكتّاب العزيز من هؤلاء الثلاثة: مريم ومرتا ولعازر، نستطيع القول: إنهم كانوا من الحلقة الكبرى التي كانت ليسوع، وتَعلمون أنه كانت له حلقة أوسع من الاثني عشر منتشرة في أنحاء فلسطين. جرت حادثة الإقامة للعازر ولن أدخل في التفاصيل، فقد سمعتموها فيما كان السيد ذاهبا إلى قيامته هو.

رسامة الشماس منصور (عازار) كاهنًا، كنيسة مار الياس في المنصورية، ٣١ آذار ٢٠٠٧.

أنت يا منصور مدعوّ أن تكون مثل هذا البيت، أي أن يستريح اليك يسوع اذا ما خرج وجاء. أن تكون مثل بيت مريم ومرتا ولعازر هو أن تكون مهيّأ دائما لاستقبال السيد وحيًّا بالإيمان والمحبة. فالسيد يسكن المحبة. ذلك أنك ستعرف صعوبات في الرعاية، وتلتقي بمن يحب يسوع في الرعية كثيرا، وبمن يحبه قليلا، وبمن يحبه «بين بين». وهؤلاء كلهم بشر، تراب. هم عائدون إلى التراب وأنت عائد إلى القيامة. تفتقدهم بالكلمة،

فقد بعث يسوع صديقه لعازر من القبر بالكلمة. نحن ليس عندنا خطاب آخر. أنت منحوت الكلمة وهي تُكوِّنك كل يوم حتى يتمكّن الناس من أن يروا أنك منصور من بيت عازار ابن ماري، خادم رعية مار الياس المنصورية. هذه الاشياء لا قيمة لها. ما له قيمة فقط أنك حامل كلمة الله وتُروّض الرعية هنا على أن ترى فيك ذلك، أي أنت ليس لك مصلحة معها، وعليك أن تقودهم إلى أن يفهموا أنك تجيء من الإنجيل وأنك تُقابلهم بالانجيل. فيسمعون عند ذلك أنهم مدعوّون أن يعودوا إلى يسوع.

أقامه بالكلمة، وليس صدفةً أن يكون اسمُ هذا الميت «الله أزري»، «الله عوني». غير أن أجمل ما جاء في هذا الفصل الإنجيليّ الحديثُ بين السيد ومرتا الأخت الكبرى عندما قالت له، لما اقترب من الباحة، «يا سيد لو كنتَ ههنا لم يمتْ أخي. قال لها: سيقوم أخوكِ. قالت: أنا أعلم أنه سيقوم في القيامة في اليوم الأخير. قال لها: أنا القيامة والحياة». أي أولاً أنا أهم من القيامة العامة. افهمي أني انا القيامة والحياة، وديانتنا ليست «أهل كتاب»، وأنا أرفض هذه التسمية. نحن أهل يسوع. ولكي تفهموا أكثر، الإنجيل كُتب بالصدفة، أراد الروحُ القدس أن يحفظ هذه الكلمات. نحن عشاق يسوع، ومن هناك تسيرون، والقيامة الدائمة تبقى فيكم.

ثم أردف: «مَن آمنَ بي وإنْ مات فسيحيا». هذه معناها ملتبس. متى سيحيا؟ لماذا بصيغة المستقبل؟ هل سيحيا في القيامة العامة؟ استدرك يسوع وقال لمرتا: من كان حيًّا وآمن بي لن يموت إلى الأبد، لا يصيبه موت هنا. هذا الجسم من التراب وسيعود اليه. هذا ليس مهمًّا. المهم أنك إن كنتَ محبًّا ليسوع تحيا ولن يؤذيك موت. بعد هذا آمنَ بعضٌ من اليهود به. اذا كنت يا أخي الأب منصور حيًّا، أنت تصبح محييا، لأن مِن شأن الحياة أن تنتقل. ولكن ينبغي أن يعلموا جميعا أنهم أحياء بالمسيح.

علّمْ خرافَ المسيح هؤلاء، أبناءنا في هذه البلدة، علّمهم أنهم يزدادون حيوية بالمسيح، وأنهم مدعوّون أن يكونوا قامات من نور، أي قامات من حب. على هذا اذهبْ وابقَ ما شاء اللهُ أن تبقى. ولكن إن أعطيتَهم الكلمةَ المحيية سيفرحون ويَدْعُون لك بطول العمر، وتصير عند ذاك، وأنت هنا في هذه الضيعة، جليسَ يسوع.

رسالتُك أن تُعطيهم جسدَ الرب ودمه

«خذوا، كلوا، هذا هو جسدي»

(متى ٢٦: ٢٦)

رسامة الشماس
يوحنا (ياسمين)
كاهنًا،
كنيسة المخلّص في
ضهور الشوير،
٢٩ أيلول ٢٠٠٧.

أخي الخوري يوحنا،

رسالتك أن تعطيهم جسد الرب ودمه. هذا قد يكون عملاً آليًا عند قوم لا يعون. ولكننا سننْفَذ قليلًا إلى معنى هذا الكلام الإلهي.

لقد رأى الأقدمون أن جسد الرب لا يعني حصرًا القرابين الإلهية. هو يعنيها طبعًا، لكنه لا يعنيها حصرًا، ولكنه يعني أيضًا الكلمة الإلهية. فالجسد في العقل العبراني هو الكيان. ولذلك لما جاء في الكتاب القيّم، في ذلك الفصل الشهير من إنجيل يوحنا، أن الرب يُعطينا جسده، قال آباؤنا إن الكلمة هي أيضًا جسدُه أي كيانه.

ففي القسم الأول من الخدمة الإلهية، نحن نستمع إلى الكلمة مكلّلةً بالقرابين وبالوعظ. وتكون النفْسُ مخطوبةً إلى المسيح، أي واعدةً إياه بأنها

تكون له. ثم تأتي الذبيحة الإلهية، فنتناول الجسدَ الكريم ونَدخل إذ ذاك في عرسٍ مع المسيح، ولا ننتظر شيئًا بعد تناوُل القرابين الإلهية. لقد اجترأ القديس يوحنا الذهبي الفم أن يُسمّي هذا التّناول «كمالَ ملكوت السماوات». اجترأ بعشقه الإلهي أن يقول هذا ولو كان ذلك، باللاهوت الدقيق، غير ممكن، إذ ينتظرنا الملكوت الأخير. ولكن العشق الإلهي ينطق بكل الجمالات.

مطلوب إليك أن تُعطيهم الكلمة، أن تمحّصها لتفهمها، لتصير هي إياك، فإن لم تَصِرْ إياك لا تستطيع شيئًا، تتلو كلماتٍ هكذا، تُكرّرها. لذلك قال الدمشقيّ أبونا العظيم: الكلمة صار جسدًا لكي يصير الجسدُ كلمة. فإن لم يَصِرْ كيانُك كلمةَ الله بالنور الذي يقذفه الله في قلبك، إن لم يَستنطقوا سلوكك ويُعطِهم هذا السلوك، وحده بلا كلامٍ، كلمةَ الله، فلن نكون قد فعلنا اليوم شيئًا طيّبا. أما إذا ذهبتَ إليهم، وأكلوك حلوًا طيّبًا دسما في تصرفاتك، في وداعتك تلك التي ذكَرها الرسول الكريم اليوم في رسالته إلى أهل غلاطية «أَصلِحوا أنتم الروحيين هذا بروح الوداعة»، حتّى تصل إلى الوداعة – وهذا يتطلب عمرًا طويّلا–، أي إذا عرفت أن أبناءك هم أنت، وأنك إياهم، إذا لم تُفرّق بين وجهٍ ووجهٍ في التعامل، في الوعظ، في الإرشاد، تكون قد أَعطيتَهم المسيح.

ولذلك لن نقضي أوقاتنا نحن، مهما كانت الظروف، ومهما مورسَتِ الضغوط علينا، لن نقضي أوقاتنا بالأكاليل والمآتم وما إلى ذلك. هذا عمل لا بد أن تقوم به. ولكنك تقضي أوقاتك في الدرجة الأولى بتمحيص الكلمة –من سفر التكوين إلى سفر الرؤيا– وبأكل هذه الكلمة لتصير هي إياك. وإذ ذاك تكون المقرِب والمقرَّب، وتَحملهم جميعًا، وأنت غير ناسٍ ما جاء في سفر الرؤيا، وأنت شيخ بالمعنى الكتابي للكلمة –القس هو الشيخ–، لا تنسَ أنْ تكون مثل الشيوخ الأربعة والعشرين في سفر الرؤيا الذين رمَوا تيجانهم عند قدمَي الحَمَل الذبيح. ما تعتبره بهاءً لك بشريًا، أيًا كان، ونفوذًا ومجدًا ومعرفةً، كل هذا ترميه على قدمَي المصلوب المذبوح من أجلنا في مقاصد الآب قبل الأزل.

أَودُّ أن تحتفظ بصورةِ الكاهن عند دفنه. تذْكُر أننا نغطّي وجهه بستر القرابين لنوحي بلغتنا الرمزية أنه صار الآن هو قربانًا ليسوع. أرجو أن تصبح كذلك، آمين.

أنت تنتمي إلى عائلة الآب

«ما جاء ابنُ الانسان ليُخدم بل ليَخدم»

(متى ٢٠: ٢٨)

رسامة الشمّاس نقولا (جرداق) كاهنًا، كنيسة القديس نيقولاوس في شرين، ٦ كانون الأول ٢٠٠٧.

أخي الخوري نقولا،

أَدخلناك في طريق شاقّة لأن هذا الشعب مشلوح على طريق الحياة، وإذا كان مجروحًا، عليك أن تُضمّد جراحه، وإذا كان تعبًا، عليك أن تُلملمه وتُعطيه راحةَ الرب وسلامَ الرب. وقد يكون هناك انسان يقول لك: لا أُريدكَ، لا تُضمّدْ لي جراحي ولا تُرِحْني، اذهبْ عني. يوجد روم أرثوذكس يحكون هكذا، أو كأنهم يحكون هكذا، أي يتصرّفون هكذا. هؤلاء هم خرافُ المسيح مهما فعلوا. إذاً أنت تسعى إليهم وتُفتّش عنهم. قد تهرب هذه الغنمة من القطيع، فتروح أنت وتجيء بها. أنت إذاً في خدمة دائمة. إذا أعجبك هذا، ولم يعجبك ذاك، هذا ثقيل الدم، وهذا من عائلة كانت منذ ٢٠٠ سنة في خلافٍ مع عائلتك، هذا كله ترميه على

الأرض وليس له قيمة. أنت لا تنتمي إلى عائلة من لحم ودم. أنت تنتمي إلى عائلة الآب، وتحاول أن تقول لهؤلاء الإخوة إنهم من عائلة الآب. لا أحد عنده عائلة على الأرض. ما هي العائلة؟ أنت تتزوج امرأة، وتُرزق أولادًا. هذه هي العائلة، وكفى. ليس من كلّ اجتماعية اسمها العائلة. ولكن البعض من شعبنا لا يزال يفكّر هكذا. أنت، بدون أن تصرخ بهم وبدون أن تؤنّبهم، تدفعهم شيئًا فشيئًا إلى الله حتى يكون فيهم فكرُ المسيح.

كل واحد منا يفكر حسب الحارة في قريته والحارة في مدينته وحسب عائلته وحسب أصدقائه. نحن ليس عندنا هذا إذا كنا في خدمة المسيح. نحن نسأل يسوع ماذا يفكر في هذه القضية، فنأخذ فكره ونقوله، وليس ما تفكره أنت في هذه القضية. تسأل يسوع، وتعطي فكرَه الناسَ.

أنا لا أريد أن أصوّر لك كل الصعوبات. هناك صعوبات تنتظرها، وهناك صعوبات لا تتوقّعها ولم تسمع بها في كل حياتك، ولكن ستكون.

أنت مثل معلمك المقرِّب والمقرَّب. أنت مقرِّب بمعنى أنك ترفع هذا الشعب من أحزانه وخطاياه إلى أن يصبح قربانًا مقدسًا. القربان ليس هو الذي على المذبح. القربان هو كل إنسان، إذا دخل يسوع إليه يصبح قربانًا. فأنت تقرّبه لربه، وأنت تصبح مقرَّبًا أي مرفوعًا بالنعمة.

مرة، جاء واحد من المؤمنين ليصرخ في وجهي. قلت له: أنا مُجبَر على أن أَستقبلك لأني مطران، أي لأني خادمك. أنا لو بقيتُ في الدنيا، وكان اسمي الأستاذ جورج خضر، لم يكن لك حظّ أن تراني، ولا أَستقبلك أنا. ولكنك أنت الآن تضطرّني أن أستقبلك لأنك ابني.

هكذا عليك أن تُعاملهم. عليك أن تحتضنهم جميعًا، ليس لأنهم قريبون منك. فالقريب منك والبعيد تُعاملهم بشكل واحد لأنهم خراف يسوع. أنت موكَّل وخادم.

الشيء الثاني الخاص بك أن عليك أن تأخذ الكتاب المقدس وتبلعه. هكذا قال الله لحزقيال. كل واحد منا، مهما كان متعلمًا ودكتور لاهوت، يقرأ الإنجيل كل يوم، لأن الإنجيل هو مثل

نبع، يفيض دائمًا شيئًا جديدًا إلى روحك، إذ تكون قد قرأتَ المقطع مئة مرة، ولم يرنّ في أذنيك أو لم يضرب على أبواب قلبك، ثم تجد هذا النص اشتعل فجأةً، أي صار عظيمًا جدًا ويُغيّرك. ليس أهل الضيعة مَن سوف يُغيّرونك نحو الأصلح. أرجو أن يعملوا هكذا. ولكن الإنجيل سيغيّرك. سوف يجعلك أعلى مما أنت حتى يقول هؤلاء الإخوة: هذا الخوري نقولا صار إنجيلاً. يكفي أن نتطلّع إليه، ونسمع كلامه، وننظر وداعته -هكذا قلنا اليوم عن القديس نيقولاوس أنه صورة للوداعة-، وننظر وداعته بالسلوك وطهارته وعِفّة كلامه، وأنه لا يَغضب ولا يصيح بأحد، نرى سلاسته، فنسلُكُ هكذا.

بعد عمر طويل، نحن نضع الكاهن في التابوت ونغطّي وجهه بستر القرابين لأننا نعتقد أنه حينها صار قربانًا، أي صار مرفوعًا إلى الله، مقرّبًا إلى الله، ومطهّرًا بعد خدمة طويلة، أرجوها طويلة لك. سوف أكون مسرورًا جدًا، لا أنا بل المطران الذي يأتي بعدي، ويهمّني أن يقول، إذا رأى أهلَ شرين، أنهم في عيد مار نقولا سنة ٢٠٠٧ كانت علامتهم في القداسة ٥\١٠، الآن علامتهم في القداسة هي ٩\١٠.

دعائي أن يكون هكذا. الله يقوّيك ويقوّي هؤلاء الإخوة معك، آمين.

اجعلْ رعيتَكَ قرباناً للمسيح

أخي الخوري ميخائيلَ،

ذكَرْنا في إنجيل اليوم (مرقس ٢: ١٤–١٧) أن السيد له المجد دعا لاوي، أي متى الإنجيليّ، إلى أن يتبعه فيما كان على طاولة الجباية، وهذه كانت مهنته. طبعًا متى، كاتب الإنجيل الأول، لم يكن يعرف ماذا يعمل. معه أموال يَجبيها من الشعب. يَجبي الضريبة. ويقول له هذا المعلّم الجديد: اتبعْني. إلى أين فهم أنه سيتبعه؟ كيف سيتبعه؟ ما معنى ذلك؟ ترك مهنته، وتبع المعلّم غير عالم أين سيقوده، غير فاهم كيف سيأكل غدًا، كيف سيُطعم أولاده، غير عارف بشيء. تبعه.

رسامة الشماس ميشال (حلاحل) كاهنًا، كنيسة رقاد السيدة في حامات، ٢٩ آذار ٢٠٠٨.

ما أقرأه في خدمة الرسامة أن الله يدعو الإنسان منذ الأزل، أي قبل أن يُكوَّن في البطن، يدعوه إلى خدمته، ويطلب إليه أن يترك كل شيء، أي أن يترك التعلّق بأي شيء، العبودية لأي شيء. حتى يترك يجب أن ينفصل، أن يقطع حبل السرّة التي كانت تربطه بأشياء هذا العالم.

يقول في هذه الخدمة التي أقمناها «إن الكاهن يُملأ من موهبة الروح

القدس» أولاً «لكي يصير أهّلا أن يَمثُل بلا عيب أمام مذبحك». يعني عليه أن يأتي كلَّ احد وكلَّ عيد «ويَمثُل» أمام المذبح. عندما يقف هنا أمام المذبح فهو واقف أمام مذبح السماء، إذ ليس عندنا نحن الأرثوذكسيين فرق بين القداس الإلهي وبين مائدة الفرح التي تُقام في السماويات. «أن يَمثُل بلا عيب». طبعًا هذا أمل، إذ ما مِن إنسانٍ بلا عيب، ولكن نحن نطلب من أجله لكي يصبح بلا عيب. إذاً هذا الإنسان الذي يحسّ بالبغض تجاه أي واحد من المؤمنين، هذا لا يقدر أن يجيء باكرًا ليقدّس. هذا الكاهن، لا سمح الله إذا اختلف مع زوجته، لا يستطيع أن يأتي إلى هنا. هذا الكاهن الذي يحب الأغنياء أو يفضّل الأغنياء في رعيته لأنهم يُعطون المال، هذا لا يقدر أن يجيء ويقف هنا. الكاهن الذي لا يحب، الذي ليس له «جَلَد» أن يقرأ الإنجيل كل يوم في بيته -وليس هنا في الكنيسة-، هذا ليس عنده حق أن يُقدّس، لأنك كيف تعطي كلمة الله إن لم تأخذها من الله؟ أي أن تقرأها كل يوم بإمعان وبفهم، وبدراسة، وبتمحيص.

كثيرون من الأرثوذكس يعتقدون بهذا: ما هو الخوري؟ هو يأتي ويعمّد الأولاد، ويكلّل الناس، ويدفن الموتى، ويقيم الصلوات، إلخ... هذا صحيح لأننا نريد أن نُكمل هذه الخِدم. ولسوء الحظ، بعض الأرثوذكس يأتون ثلاث مرات في حياتهم إلى الكنيسة: يوم المعمودية، ويوم الإكليل، ويوم وفاتهم. وبين هذه الحفلات الثلاث لا تطأ رجلهم أرض الكنيسة. هؤلاء عليك أن تجيء بهم، وتُرجعهم لأنهم أبناؤك ولا يزالون غير فاهمين. أنا لا أضع المسؤولية عليهم. لم يُفهِمْهم أحد. لا يفهمون بأنهم، إذا دخلوا إلى الكنيسة، يعيشون من جديد مع المسيح، يصيرون منتعشين، يصيرون فرحين، يصيرون ملوكا. لا يعرفون هذا. عليك أن تقول لهم هذا. لا يعني هذا أنك تحكي لهم هذه القضيّة، بل تَسلُك معهم سلوكًا أبويًا كاملاً. تُحبّهم، وتخدمهم مثلما خَدَمَ المسيح تلاميذه يوم العشاء السري حين جاء وغسل أرجلهم.

إذا أَحَسّ أبناءُ الرعية أنك تغسل أرجلهم، ليس بماء حقيقية، ولكن تُقدّم لهم خدمة، يأتون إلى الكنيسة التي أنت تؤمن بها، لأنهم يرون المسيح من خلالك. ليس من أحد يعرف المسيح إلا عن

طريق البشر، عن طريق أُمه، وعن طريق أبيه، وعن طريق صديق، عن طريق شخص يُسقط عليه نور المسيح. يجب أن يَشّع من هذا الانسان ضياءُ الرب حتى نعرف الرب. وهذه مسؤولية تقع علينا جميعًا، وتقع بنوع خاص على الكاهن.

يقول كاتب هذه الخدمة الإلهية، خدمة الرسامة، إن هذا الكاهن عليه أن «يَمْثُل بلا عيب أمام المذبح، ويكرز ببشارة الملكوت (يعني يعظ)، ويخدم كلمة الحق، ويقدّم القرابين... حتى يُلاقي هو أيضاً ابنَك الوحيد إلهنا العظيم... فتُنعم عليه بوفرة خيريتك، بأجرِ مَن تدَبَّر شؤونَ درجته تدبيرًا حَسَنًا». إذا أَردتَ أن تُلاقي الرب في اليوم الأخير ملاقاة المحبة والمودّة، ملاقاة الارتباط النهائي الكامل بالرب، عليك أن تعمل هذه الأشياء: البشارة، خدمة الأسرار. إذا كنت لا تريد أن تُلاقيه، تقدر أن تذهب إلى جهنم. أنت تقرر.

نحن نعرفك، وستبقى هنا في مناطق الشمال لتخدم أولادنا وأحباءنا هنا.

أودّ أن أُذكّركم بشيء تعرفونه أكثر مني وهو أن الإنسان يغلط بكل شيء، ولكنه لا يغلط بمعرفة مَن يحبّه. إذا سألت شابًا هنا: هل بطرس يحبّك؟ يجيب: نعم. هل حنّا يحبّك؟ يقول لي: لا. لا أحد يغلط بمن يحبّه. يسوع لا يغلط إذا أنت تحبّه أو لا تحبّه. أنا مطمئنّ بأنك تحبّه، وإلا لما جئنا بك إلى هنا اليوم. ولكن هذا الحب ليس له نهاية. جميع هؤلاء المتزوجين هنا يعرفون أن الحب ليس له نهاية. يظلّ الرجل يحب إمرأته وأولاده باستمرار، وأكثر وأكثر، وكل يوم أكثر، بالخدمة. يحب إمرأته بالخدمة. لا يقول لها كلمات معسولة، بل يخدمها وينصرف إليها.

عليك أن تُحبّ الرعية التي ستُوكَل إليك بالخدمة، بعطاء قلبك. وأَهمّ وصية أُوصيك إياها، لأنه قد مرّت عليّ سنون كثيرة، أُوصيك بألاّ تنفعل. يأتي واحد من الضيعة الموكَلة إليك، لأنه لم ينتبه، لأنه لم يفهم ماذا تحكي، لأنه لم يفهم تَصرُّفك، فيصير يحكي في مجالس الناس أشياء ضدك، ويَشْتُمك أحياناً. هذا يحصل عند الروم أن يَشْتُموا المطران ويَشْتُموا الخوري. أنت ليس لك أن تأخذ موقفاً شخصيًا، أي موقفاً انفعاليًا منه. اذا شتَمك، لا تَشتُمه. تُباركه، وتعتبره ابنك.

في الحياة العائلية، اذا كان عند الواحد ٧ أو ٨ أو ١٠ أولاد، ويظهر واحد حلو، حبّوب، لطيف، ويظهر واحد لا ينفع شيئاً، ويجوز أن يَشتُم أباه ويَشتُم أمه، الأهل عندهم نفس المحبة للإثنين. لا تختلف المحبة، ولكن يوجد أسلوب لكل واحد. واحد تؤدّبه بقليل من الشدة، وواحد تُعالجه بقليل من الرقّة، أو بكثير من الرقة. ولكن أنت لا تحبّ ابنك الآدميّ والصالح أكثر من ابنك غير الحَسَن. وإلا فلستَ أبا. استقِلْ من الأُبوّة.

هكذا في الكنيسة، في الرعية، يحقّ لك أن تقول: هذا قديس وتقيّ، من أجل ذلك أنا منجذب إليه. ولكنك تُعامل الناس كلهم معاملة واحدة، لأنهم إخوة للمسيح. عليك أن تُلملمهم، فالروم مشتّتون، وتأتي بهم قرباناً إلى المسيح، آمين.

المسيح وحده رئيسك

«ليس أحد يأخذ لنفسه الكرامة، بل مَن دعاه الله»

(عبرانيين ٥: ٤)

أخي الخوري جاورجيوس،

نحن نؤمن بهذا أن الله يدعو مَن يشاء إلى خدمة الكلمة. ويُعبّر عن الفكر الإلهي الأسقفُ، وهذا الشعبُ المؤمن الذي يؤيد الرسامة بقوله: مستحقّ.

رسامة الشماس جاورجيوس (معوّض) كاهنًا، كنيسة رقاد السيدة في كوبّا، ٣٠ آذار ٢٠٠٨.

ثم يقول الرسول في ما قرأناه اليوم (عبرانيين ٤: ١٤-٥: ٦) «كذلك المسيح لم يُمجّد نفسَه ليصير رئيسَ كهنة». نحن نعرف أنه مُجّد في الموت. «لم يُمجّد نفسه ليصير رئيس كهنة، بل الذي قال له: أنت ابني، وأنا اليوم وَلدتُك». النص الذي أمامنا يكشف لنا أن المسيح وُلد في ضمير الإنسانية، وفي شعور المؤمنين به وإيمانهم، ليس عندما وضعَتْه العذراء - هذا أمر طبيعيّ-، ولكنه نشأ في ضمائر الشعوب وفي أحاسيسهم عندما

مات فقط. «أنت ابني، وأنا اليوم بموتك وَلدتُك»، ولذلك يقول أيضًا تأسيسًا على المزامير: «أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكيصادق».

ما أودّ أن أقوله لك يا أخي هو شيء بسيط، وهو أن الكاهن، مثل كل الشعب، عليه مسؤوليةُ أن يُقدّس نفسه بابتعاده عن الخطايا، وباقترابه من يسوع. هذه هي المسؤولية الأولى. والكهنوت فيه تجارب كثيرة قد لا يجرَّب بها الأخ العلمانيّ الذي يحيا في الكنيسة. الكهنوت مجرَّب لأنه معرَّض لضغوط الشعب. فربما كان من أبنائنا مَن تعامَل مع الكاهن بتهذيبٍ قليل. وربما كان مضغةً في اللسان في مجالس القوم، يُشرّحونه كيف يكون وكيف لا يكون، ماذا يقول وماذا لا يقول. لسوء الحظ هذا موجود عند الروم. وأنت أمام كل ذلك تبقى كالشاة التي تُساق إلى الذبح ولا تفتح فاها. سوف تضغط عليك الألسنة الخبيثة. أرجو ألاّ يحصل هذا. ولكن في الرعية هناك من يحبّ السلطة، ومن يحبّ أن يأمر، ويعتبر أن «هذه الرعية هي تحت أمري، أقول فيها ما أريد، والخوري هو واحد من الذين أَمُرُهم أيضًا». هذا موجود. أنت ما من زعيم عليك، ما من رئيس عليك. المسيح وحده رئيسك، تُقدّم الحساب له، وليس لزعماء الطائفة. وإذا أردت، تقدّم الحساب للمطران.

هذا نوع من أنواع القداسة التي عليك أن تتسلّح بها. كل الناس عليهم التسلّح بالقداسة. ولكن هناك قداسة آتية من الاضطهاد، ومن القمع، ومن التبجّح، ومن كبرياء الرعية. أنت صامت أمام هؤلاء ولا تُدافِع عن نفسك. إذا سألك المطران شيئًا، تُدافِع عن نفسك أمامه لأنه أبوك. همّك الأول تقديس نفسك، لأن الذي ليس عنده قداسة لا يقدر أن يعطيها. لا أحد يعطي شيئًا غير موجود عنده.

الشيء الثاني الذي أؤكد عليه أننا ندرس دائمًا كلمةَ الله. مرة، مرّت أُمي بي في المطرانية، ورأت أربعة أو خمسة آلاف كتاب. قالت لي: ألا يكفي الواحد أربعة او خمسة كتب حتى يتعلّم الدين؟ قلتُ لها: نعم، يكفي، ولكن هذه تشرح أكثر وأكثر. أنا أتعلّم كل يوم في هذا العمر المتقدم. يقول لي الإخوة والأصدقاء إن لك ستة وخمسين سنة متخرجًا من معهد اللاهوت، ولا زلت تتعلّم؟

أقول لهم: نحن الأرثوذكس نظل نتعلّم، لأننا مُجبَرون أن نُعلّم. عندك أربع مئة كتاب أرثوذكسي بالعربيّة. وإذا كنتَ تعرف لغة أجنبية أيضا، نعطيك حتى تقرأ كل يوم. سوف تقول لك امرأتك: أنت لا تسهر معي، لا تحكي معي، اقعُدْ حتى نحكي قليلًا. لا. لم يعد هناك من امرأتك، بل هناك الكتاب. عليكِ أن تقومي بالتضحية بعد أن استشرناكِ هل تقبلين بأن يصير هذا الرجل كاهنا. طبعًا أنا أبالغ بكلامي. فالواحد عليه أن يهتم بامرأته وأولاده، ولكن لا يعطيهم انتباهًا على حساب الكنيسة، كأنْ يبقى رأسه فارغًا، ويهتمّ بأن صوته حلو، ويَدفن واحدا، ويُكلّل واحدا. هذه ليست بكنيسة. فالدفن والتكليل هو من واجباتنا. ولكن الكنيسة أن نعرف ونُعلّم، لأن الإنسان لا يحيا من الخبز بل من كل كلمة تخرج من فم الله.

نحن القدماء اختبرنا أننا أحيانًا نقول كلمة حلوة من الإنجيل، أو نفسّر لهم الإنجيل، فتأتي الكلمة من المسيح إلى قلوبنا، ونقولها. ويعيشون هم بهذه الكلمة، ويتعزّون بهذه الكلمة، ويفرحون بهذه الكلمة. إذاً الكلمة الإلهية هي التي تُحيي الناس. وهذه يجب أن تُحصلّها كل حياتك. وبعد عمر طويل، إذا رأوك انتهيت من هذا الجسد، فحلوٌ أن يلاقوا مع خوري ميت كتابا، كأنه يقرأه. مات وهو يقرأه.

نحن في الكنيسة نثق بك يا أخي، والناس يثقون بك. ولكن عليك أن تأخذ هذه العظة وتُطبّقها حتى تزداد ثقتُنا بك واعتمادُنا عليك. أنا لم أُغيّر لك تمامًا اسمَك، لأنك لم تزل عمادًا للكنيسة. أنت عامود لهذه الكنيسة، ولكن أنت أيضًا جاورجيوس، أنت شهيد. فعندما يراك الناس يفهمون أنك تشهد للمسيح، أنك تنقل المسيح إليهم بمحبتك وبمعرفتك.

الله يقودك في الطريق الصالح، وفي الإيمان المستقيم، وفي الحياة الطاهرة، الطيّبة، لنبقى معتزّين بك، ومتعزّين بك. والله معك ومع هذه العائلة الحلوة الصغيرة التي تتمنّى أن تصير كبيرة. نحن الروم كنا نُنجب كثيرًا، ليس مثل الآن. فالله يُقوّيك، ويكون معك، ويباركك، ويبارك رعيتك وعائلتك، آمين.

لا تستطيع أن تَخدم إن لم تكن عاريًا من الخطيئة

«أُكلوا وشبعوا»

(متى ١٤: ٢٠)

أخي الخوري نعيم،

هذا الذي حدث في القفر مع السيد: عندما وزّع عليهم الخبزات الخمس والسمكتين مكثَّرة، بعد أن بارك وكسر فأعطاهم، قال الكتاب: «أُكلوا فشبعوا».

رسامة الشماس نعيم (حداد) كاهنًا، كنيسة مار الياس في منصورية بحمدون، ١٠ آب ٢٠٠٨.

التفويض المعطى لك الآن وطوال حياتك هو أن تعطي الأُمّة المقدسة خبز الحياة لتأكل وتشبع. ماذا يجب أن يأكلوا؟ يجب أن يأكلوا شيئين: الإنجيل، والقرابين المقدسة، وهما شيء واحد. أي إنه مبتغى منك أن تُعلّم. «اذهبوا وتلمِذوا جميعَ الأمم وعمّدوهم». أنت معلّم. وبعض الرعية يدّعي أنه يعرف وهو لا يعرف. أتمنّى على رعية مار الياس في المنصورية أن تفهم أنه ينبغي عليها أن تتعلّم. أنا أتعلّم كل حين، كل ليلة

حتى هذه السن، إذ أعلم أنه ينبغي أن أنقل الإنجيل.

ولكن التعليم يا أخي لا يَحصُل بالشفتين فقط، لا يحصل بالصوت، بقراءتك للكتاب العزيز. التعليم يحصل اذا أنت صرت إنجيلاً. وقد أقول ببعض المبالغة: إذا قرأوك أنت إنجيلاً، فأَسمحُ لهم بأن يستغنُوا عن الكتاب المطبوع.

أنت بَطلتَ أن تكون نعيما حداد. هذا غير موجود. أنت رسول يسوع المسيح لأهالينا وإخوتنا وأحبائنا في المنصورية، الذين أقول لهم: هوذا الإنسان. ما قاله بيلاطس عن السيد، وكان لا يعلم ما يقول، ووضع الله على لسانه –وهو الكافر– عن مسيح الرب أن يقول: هوذا الانسان. أي إنه مطلوب منك ما أمكن أن تصير إنسانا كاملا. لا لوم عليك ولا عيب كما أوصانا الرسول العظيم بولس، كاملا بالعفة من كل جوانبها، وأنا لا أعذر الرعية إن لم تُعزّز كاهنها. وهذه هنا رعية مُحبة وكريمة الأيادي والنفوس. ولكني أذهب أعمق من هذا لأقول لك إنه ينبغي عليك أن تعفّ عن كل دنس، وعن كل نميمة، وعن كل ثرثرة. عفة اللسان قد تكون من أعلى ذرى العفة.

هذه المَهمّة تتطلب أولاً أن تكون دارسا كل تراثنا ما أمكن. هذا صعب. فيه لغات قديمة وما إلى ذلك. ولكن أن تنكبّ على تراثنا لكي تعبّ منه ما تقدر أن تعطيه لهذا الشعب الأمين الطاهر.

أنت لست موظفا عند الرعية، ولا عند مجلس الرعية. أنت تأتي من فوق، تأتي من الله بوضع يديّ الخاطئتين. وقد أَعددناك سنوات للدراسة. عندك الآن اذاً مفتاح. غير أن المطلوب الآن هو أننا جعلناك رئيسا في الكنيسة المقدسة أي في الشعب المقدس. ماذا تعني هذه الكلمة؟ تعني أننا جعلناك خادمًا لكل واحد من هؤلاء، الذين يطربون بك والذين لا يطربون بك، الذين أنت على ذوقهم والذين لستَ على ذوقهم. عليك أن تخدم، لأن العبد ليس أفضل من سيده. جاء ربك إلى هذه الدنيا ليخدم. وبيّن هذا رمزًا في العشاء السري في أنه غَسَلَ أرجل التلاميذ. هل هذا يعني أن عليك أن تنظّف أهل المنصورية؟ نعم. أليسوا هم بحاجة إلى تنظيف؟ ألستُ أنا بحاجة إلى تنظيف، إلى

تنقية؟ كل منا بحاجة إلى تنقية. إذاً أنت كمن يُشرف على حمّام. هؤلاء بحاجة إلى حمّام كل يوم. مادة الحمّام عندك هو هذا الإنجيل تقرأه عليهم، وتَصيره أنت في سلوكك الشخصيّ. لا يتحمل الشعب الإلهي أن يقول المسؤول شيئًا بلسانه وأن ويتصرف بطريقة أخرى. هذا يسمّونه كذابًا. لا يتحمّلون هذا.

لن أطيل عليكم لأنكم ستتناولون جسد الرب بعد هنيهة، ولكنّي أَحملك في دعائي لكي تعلو إلى فوق دائمًا. أنت لا تنظر إلى عيوب الناس. أنت تغطّي عيوبهم، ولكن تُذكّرهم بأنه ينبغي ألاّ يعودوا إلى الخطيئة في ما بعد. تُذكّرهم بهذا كل حين، وتُذكّر نفسك بأنك أنت عارٍ. يجب أن تكون عاريا عن الخطيئة، وإلا لا تستطيع أن تخدم.

اذهبْ بسلام، وعِ إنجيلك من الدفّة إلى الدفّة لكي تصير كلُّ آياته فيك لحما وعظامًا، وتصير فيهم، ليتمجد الآب والابن والروح القدس، آمين.

أَحببْ فقط

«كشاةٍ سِيقَ إلى الذبح، وكنعجةٍ هكذا لم يفتح فاه»

(إشعيا ٥٣: ٧)

رسامة الشماس ديمتري (شويري) كاهنًا، كنيسة القديس نيقولاوس في بلونه، ٢٦ أيلول ٢٠٠٩.

أخي الخوري ديمتري،

كأنها نعمة أُنزلت علينا من السماء أن توضَع عليك الأيدي في يوم ذكرى انتقال القديس يوحنا اللاهوتي الإنجيلي. نحن لم ننظر إلى الروزنامة. ولكن هكذا شاء الرب، علّك تستمتع بالإشعاع العظيم الذي لا يوصف، الذي تركه يوحنا الإنجيلي بيننا مذ تغذّينا بأبهى إنجيل وأروع كلام سَطّرَتْه يدٌ بشرية. والأيقونة التي أمامكم هنا عن يساري تُبيِّن يوحنا البشير يُملي على تلميذه إنجيله الرابع، لأنه أُملي عليه من فوق.

هذا سرٌ أنه اتكأ على صدر المعلّم، أي وَضَع خدّه على صدر يسوع. ومعنى المعنى أنه كان يسمع من القلب الإلهي كلمات لا يسوغ النطق بها، ولم ينطق بها لسان بشر. فكانت هذه الروعة التي تأخذنا مذذاك

ومطلعها «في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وإلهًا كان الكلمة».

أنت تجيء من الكلمة -إن شئت أن تبقى كاهنا- وإن لم تجئ منها، تجيء بالضرورة من كلماتك وكلمات البشر من حولك، وهي تافهة. كل كلمة لا يُمليها الله على الإنسان تافهة. الجغرافيا والتاريخ والرياضيات والهندسة والتجارة هي أمور من هذا النوع.

ما ينتظره المؤمنون منك هو ما أُوكل إليك. هم لا ينتظرون رأيا من ديمتري شويري. من هو ديمتري شويري؟ هم ينتظرون كلمةَ الآب والابن والروح القدس صادرةً من قلبك، من معدتك، من أمعائك، من لحمك، من عظمك. وهذه إن لم تجبلك من جديد تبقى ابنًا لأبيك وأُمك. وهذا أيضاً تافه. إن اللحم يأتي من اللحم، وأما الروح فيأتي من الروح. وأريد بكلمة «روحيّ» أنك مدعوّ إلى أن تصير إشعاعا من الروح القدس. هذا ما ينتظره المؤمنون منك، وما يَحيَون به، عندما تفتقدهم في منازلهم، إذا كنت تَصدَعهم، إذا كنت تُكبّلهم بكلمة الإنجيل وتَهزّهم بالإنجيل. إذا لم تصنع هذا، اذهبْ إلى بيتك.

ولكننا نرجو بدعاءِ مَن يُحبّك أن تتنزّل الكلمةُ عليك. وهذا يتطلب شيئين، أولا أن تقرأ الكتاب الطيّب كما قرأه هذا الشاب الذي استحضَرَه يوحنا. أي أن تقرأه إملاءً إلهيًا ليُطوّعك، ليجبلك، لتَصيره، لتصير أنت الكتاب. كان من الممكن أن لا يُكتب الإنجيل، لأن ما أراده الآب ليس إنجيلا. ما أراده هو يسوع المسيح بين الناس حيًا محييا. غير أن عظماءنا قالوا: ربما نسي الناسُ كلام يسوع، فلنُدوّن له هذا الكلام. هذا ليس بأن تكون عبدا للخطيئة. هذا لكي تستدخل نفسك حرف الإنجيل.

ثم اذكُرْ أن التلميذ الحبيب الذي نُعيّد له الآن كان واقفا مع مريم عند قدمَي يسوع المصلوب. قال له يسوع متكلّما عن والدة الإله: هذه أُمّك. وأخذها التلميذ الحبيب إلى خاصته، أي إلى بيته لأنها كانت بلا مأوى.

أنت تأخذ مريم إليك، إلى بيت قلبك. وأريدُ هنا، توسُّعًا، أن تأخذ كل مَن احتضَنَ يسوعَ

في هذه الرعية وفي غيرها إلى قلبك. ليس من عضو في الكنيسة لم يحتضنه المسيح. كلنا في حضنه. ولكن هذا لا يكفي. يجب أن ننتقل من حضنه إلى صدره، أي لنفهم.

لا يكفي أحبائي أن تكونوا محبوبين. هذا شغل يسوع. هو يُحبّكم من عنده. هذه سِمته هو. ليس لكم شيء مِن حبه. هو يعطيه مجّانا. ولكن ما أنتم قادرون عليه أن ترتفعوا من المحضونية هذه إلى الاتّكاء على صدره لتسمعوا وتصيروا، لأنكم إن لم تسمعوا لن تصيروا. تَظلُّون هكذا في ثيابكم وخيراتكم وبيوتكم، كل هذه الأمور البشرية التي لا بد منها.

إذاً ارفَعْهم من محضونيّتهم التي نزلت من عند يسوع، إلى صدره لكي يفهموا. الكنيسة مشروع فهم. والأفهمون بها هم الأقربون. ستسعى، ستتعب. فالرعية متعبة. البشر كلهم متعبون. لا تَدخُلْ أنت في ما يُتعبهم، في ما يشغل بالهم. أنت أَحببهم فقط، وعَلّمْهم. تَحُلّ مشاكلَهم بمحبتك، وبفكر المسيح.

كل البشرية فيها قصص. لماذا توجد قصص؟ لأننا لسنا بسطاء. لسنا أطفالا. كل واحد يظن نفسه عظيما. يسألني مرة واحد: ما هذه العائلات الكريمة؟ قلت له: العائلات الكريمة هي التي تُسمّي نفسها كريمة، ولأن معها أموالاً. أنت لا يهمّك من هذا شيء. تبدّد أغلاط رؤوسهم بيسوع المسيح. لا تَدخُلْ في مشاكلهم، فلن تقدر أن تحلّها. ديغول كان يقول: لن تُحَلّ المشاكل. تؤجَّل. لا تدخُلْ أنت في أية مشكلة. أَحببْ فقط، أي أن تعتبر أن كل المؤمنين أبناء للرب. وأَعطهم نفس الانتباه ونفس العناية. ولكن اعتنِ أولاً بفئتين: بالمرضى وبالفقراء. هم المقرَّبون إلى يسوع. أَحبب هؤلاء بتركيز وبتمييز. يسوع يأخذ بيدك ويَذهب بك إلى الآب ويُرسل إليك روحه القدوس. وإذا عملتَ هذا تُضيء.

إياك أن تقع في هذه الغلطة بأن تهتم بماذا تُفكّر بك الرعية. فكرُهم ليس له قيمة. له قيمة إذا كانوا مقدّسين، ويمشون نحو المسيح. فالذي يمشي نحو المسيح هذا تَعْطُف عليه وتحبّه وتعتني به. لا أحد يقدر أن يُحاججك لماذا أنت تحب المسيح وتعطيه لفلان ولفلتان. أنت تعطي المسيح لكل

الناس.

سِرْ هكذا لأن ما قلتُه لك الآن مكتوب في الأيقونة، لأن الذي أَملى إنجيله الرابع على تلميذه، أنا بالدرجة الأُولى أَجيء منه. اسمعْ كلامه وكلام الإنجيليين وبولس ويعقوب وبطرس. تَشَبَّعْ من هذا الكلام لتحيا ويحيا الناس بك، آمين.

الفصل الثالث:

الأسقفية

لم نخترعْكَ أُسقفًا ولكِنّا لاحظناك

أخي الأسقف بولس،

منذ أربعين سنة زُرعَتْ كلمةُ الله في ميناءك ونبتَتْ، ورأيناك تلعب بين الزرع. وما كان ذلك الا أنك رُميتَ على الله من الحشا .

فقد خُطف ابوك وأنت طفل، وانتصبَتْ تلك السيدة الجبّارة والدتك أمًّا لنا جميعًا . وكنا نجيئها لنتدرّب على التقوى، وكنتم جميعا كغروسِ زيتونٍ حول مائدتها . وما كان أقلّكم ذلك الوجه الحلو الذي استُدعي إلى ربه في الفتوّة. كنا نحسّ في تلك البلدة أن ثمة بيتًا كان وكنّا لكنيسة الله. فتروّضتَ، وكنتَ تعرف الكتب المقدسة منذ نعومة أظفارك وهي القادرة، على حد قول الرسول، أن تجعلك حكيما للخلاص.

رسامة الأسقف بولس (بندلي)، الكاتدرائية المريمية في دمشق، مجلة النور ١٩٨٠ .

ومنذ اخترتَ تفتيش الكلمة كنتَ تحلم أن تصبح أنت كلمة. فتعهّدتَ الناشئة في طرابلس والكورة الطيّبة. وكان يُذهلنا فيك هذا الانكباب المضني، بضع عشرات من السنين، على إنجيل يسوع المسيح تَستمدّه وتُعطيه حتى حققتَ قول إشعيا: «ما أجمل أقدام المبشّرين على

الجبال، المبشّرين بالسلام».

نحن في المجمع المقدس لم نخترعك أُسقفًا ولكنّا لاحظناك فقط مرميًا من البطن على الله. فأطعنا الله باختيارك لأننا، ولو عرفناك في حدود ترابيتك، الا أننا كنا نعرف أيضًا هذا الضياء الذي جُبل به ترابك على رجاء أن تزول الترابية ليبقى الضياء.

ها قد رُفع الانجيل على رأسك وها قد وُضعتْ أيدي الرعاة على هامتك لكي تَعلَم أنك موضوع تحت الإنجيل، وأن الكلمة التي فُصِّلَتْ مِن فيك، حسب قول الكتاب الالهي، هي كلمة الشريعة. ولكنك لن تقول الشريعة ما لم تصبح أنت شريعة وفق الذكرى التي نقيمها اليوم.

فالأسقف، كما قال القديس إغناطيوس المتوشّح بالله، أيقونة لله الآب. ولقد رَفَعْنا الأيقونات في الكنيسة اليوم تعييدًا لاستقامة الرأي، لا لأن الشيء الجليل في الكنيسة هو الفن، ولكنها دعوة لكي يصبح كل منّا إنجيلا حيا، أيقونة ترسمها النعمة. فتحرَّكْ بهذه النعمة وارْعَ شعبَ الله وأنت عائش هنا في كنف مولانا السيد البطريرك الذي أعطاه الله نعمة فوق نعمة ليقود سفينة الله في ربوع أنطاكية، حتى تعود أنطاكية مشرقة على العالم.

ومعنى ذلك أن ما يريده الله منك أن تُقوّي الأيدي المسترخية، وتُشدّد الرُكَب المخلَّعة. فقد زالت أيام الهزالة في الكنيسة، أو هكذا نرجو. ولم يبقَ يوم، في ما بعد، يُسمح فيه للضعفاء أن يسعوا إلى الأسقفية سعيهم إلى الزانية. فعندما تكلَّم الرسول على الأسقفية بأنها تُشتهى إنما لم يُطْلقها بولسُ شفيعك في شهوات مؤذية. المجد مؤذ. ولكنه عَظّم الأسقفية، وقال بعد ذلك: ليكُنِ الأسقفُ صاحيا، غير مدمن الخمر، غير رابح، غير طامع بالربح الخسيس. هو وضَع الأساقفة أمام واجباتهم حتى لا ينتفخوا بكرامةٍ كهذه مستحيلة على البشر. ولذا انتزعناك مِن صومعتك لنأتي بك أسقفًا وأنت مُعْرِض عن أمجاد الدنيا. والدنيا بشياطينها تتغلغل إلى هيكل الله. ويَحسَب المشتهي مجدَه الباطل على أنه مجد الله.

ولقد تدرّبتَ أنت، فيما أرجوه تواضعا، على أن لا تخلط بين رغباتك ومشيئة المسيح بحيث

إنك إذا سُلّمتَ اليوم عصا الرعاية تعرف أنك مدعوّ إلى أن تصبح منزّها عن الهوى، وأن ترى شعب الله بلا هوى وأنت مسحوق عند قدمَي المخلّص. ولأن الإنجيل قد وُضع على رأسك فلا تتطأطأ إلا أمام الإنجيل حتى يعرف الشعب أنه قد افتُدي بدمٍ كريمٍ وأنه محبوب من الله.

فاذهب ببركة راعينا الأجلّ البطريرك إغناطيوس وبأدعية إخوتك الرعاة وأبنائك المؤمنين الذين جاؤوا إلى هذه الكنيسة المقدسة ليقولوا لك إنهم اذا أَحَبّوك فإنهم أَحَبّوا فيك المسيح، فأَرسِلْهم إلى مسيحِ حبّهم، آمين.

الفهرس

غاية الكاهن أن يكون رجلَ الله، رجلاً يَسُرّ الثالوث القدوس أن يأتي اليه ويصنع عنده منزلاً. وإذا كان كذلك يستطيع أن يصبح نورًا للعالم وملحًا للارض.

أنت كاهن لأنك نبي، لأنك لا تُحابي الوجوه، ولا تُحابيها إلا لكونك تنظر إلى وجه الله وحده كما كان موسى وإيليا في ثابور لا ينظران إلا وجه الإله.

نحن لا نستطيع أن نخلّص المؤمنين الا اذا رأوا في مسلكنا صورة الراعي الصالح الذي يدعو كل خروف باسمه بمعنى أنه يحبه شخصيًا ويخدمه شخصيًا، ولا خدمة عندنا الا اذا أَطعمناه الكلمة. العبادات لا تكفي للعلم، وينبغي ألا يكون أداؤها عذرا لجهلنا. يجب أن تعود الكنيسة إلى ما كانت عليه في الألف الأول كنيسة صلاة وكنيسة معرفة. هذا تكامل يضمن وحده أننا على طريق الخلاص.

اذهب والتمس أَثَرَ المسيح علَى كلّ وجهٍ. كلّ وجهٍ وعد مسيح. اذهبْ فالعالَمُ رعيّتك.

* * *

«اذكروا كلامي» شهادة حياة عن عمل المطران جورج في الرب قد خطّها صاحبها بعرق ودموع طيلة سني خدمته الكهنوتية. إنه الكتاب المرجع لكل راع يسعى إلى أن يحفظ كهنوته نقيًا وبغير دنس لكي تتلألأ الكنيسة ويَغلب المسيحُ العالم.

من مقدمة الكتاب



